

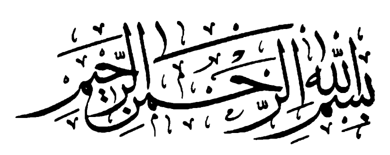
ثورة المختار

بن أبي عبيد الثقفي

دراسة شاملة في شخصيته و ماهية وأهداف ثورته

تَأليف

سيّد أبوفاضل الرضوي ألاردكاني


بسم الله الرحمن الرحيم

ثــورة المختار

تـأليـف

سيّد أبو فاضل الرضوي الأردكاني

تـعـريـب

علي الهاشمي







شركة الطباعة والنشر الدولي

سرشناسه	: رضوی اردکانی ، سید ابو فاضل ، ۱۳۲۸ ـ
عنوان قراردادی	: قیام مختار . عربی
عنوان و نام پدید آور	: ثورة المختار/ تألیف ابو فاضل الرضوی الاردکانی : تعریب علی الهاشمی.
مشخات نشر	: تهران : شرکة الطباعة والنشر الدولی ، ۱۳۹۰
مشخصات ظاهری	: ی، ۵۸۸ ص .
شابک	: ۵-۳۲۸-۳۰۴-۹۶۴-۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی	: فیپا
یادداشت	: عربی
یادداشت	: کتاب حاضر در سال ۱۳۸۷ توسط شرکت چاپ و نشر بین الملل به فارسی منتشر شده است.
یادداشت	: کتابنامه به صورت زیر نویس
عنوان دیگر	: قیام مختار (ابن ابی عبید ثقفی)
موضوع	: مختار بن ابی عبید ، ۱ – ۶۷ ق .
موضوع	: امویان ـ ـ تاریخ - - جنبشها و قیامها
موضوع	: شیعه ـ ـ تاریخ ـ ـ قرن ۱ ق.
موضوع	: واقعه کربلا ، ۶۱ ق.
شناسه افزوده	: هاشمی ، علی ، ۱۳۴۴ـ مترجم
شناسه افزوده	: سازمان تبلیغات اسلامی . شرکت چاپ ونشر بین الملل
رده بندی کنگره	: ۱۳۸۸ ۹ق ۶ ر/DS۳۸/۵
رده بندی دیویی	: ۹۵۰۲/۳
شماره کتابشناسی ملی	: ۱۷۵۷۰۳۵



ثورة المختار

تاليف

سيد أبو فاضل الرضوي الأردكاني

تعريب

علي الهاشمي

الناشر

شركة الطباعة والنشر الدولي

الطبعة : .... الأولى ـ ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١ م

المطبعة : .... پژواک اندیشه

عدد النسخ : .... ٣٠٠٠ نسخة

ردمک : ٥-٣٢٨-٣٠٤-٩٦٤-٩٧٨

E. mail: intlpub @ intlpub.ir

www. Intlpub.ir

الإهداء :

إلى التراب الطاهر لأقدام المُنتقم الكبير في تاريخ الإنسانية، مالئ الكون عدالة، و وارث الأنبياء؛ المُطالب بِدم الشهداء؛ حجة اللّه وولي عصره (عج اللّه تـعالىٰ فرجه الشريف). وإلى روح القُدس الإلهـية؛ أعَز الأعِزّة وفخر الأبطال وقُرَّة عين وروح الشعب الإيراني الإمام الخميني (قُدِّس سره الشريف). وإلى نائبه بـالحق؛ الحفيد الصِدّيق للإمام الحُسَين عليه السلام ولي أمر المسلمين سماحة آية اللّه العظمىٰ الإمام الخامنئي(دام ظـله). وإلى الأرواح الزكـيّة لشهـداء الإسـلام والقـرآن، المـنادين بمظلومية سيّد الشهداء الحُسَين بن علي عليهما السلام والسائرين علىٰ دربه الإسـتشهادي؛ المجاهدين في سبيل اللّه.

«المؤلف»

شكر وتقدير :

نتقدَّم بالشكر الجزيل للأخ الفاضل السيّد علي الحسيني علىٰ جهوده الثمينة في جمعه للمصادر العربية راجين اللّه له دوام التوفيق.

«المؤلف»

المؤلف في سطور:

هوَ السيّد أبو فاضل رضوي أردكاني نجل المرحوم السيّد جلال، ولد عام ١٩٥٠م في مدينة أردكان مركز قضاء سبيدان[1] بمحافظة فارس جنوب إيران.

أنهىٰ دراسته الإبتدائية في محل ولادته بأردكان، ثمّ إلتحق بمدرسة (آقا بابا خان العلمية) في مدينة شيراز، و تلّقىٰ العلوم الدينية حيث إجتاز المرحلة الإعدادية والمقدّمات.

في العام ١٩٦٧م، إنتقل إلىٰ الحوزة العلمية في قم المقدّسة؛ بعد أن أكمل مقدّمات الدراسات الدينية ومرحلة السطوح وأقامَ في مدينة قم حتىٰ عام ١٩٧٩م.

خلال الفترة من عام ١٩٨٥م ولغاية عام ١٩٨٨م، تتلمذَ علىٰ كبار العلماء وأساطين الحوزة العلمية في قم المقدسة، وبينهم مراجع التقليد الديني حالياً؛ ونَهلَ من معينهم الفيّاض وإنخرطَ في دروس البحث الخارج (أعلىٰ مستويات الحوزة)، في الفقه وعلم الأُصول والبحوث الفلسفية.

نالَ شهادة الماجستير من الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة. لم يكتف السيّد الرضوي بمخر عباب بحور العلم والمعرفة، بل كانت له مشاركة فاعلة في الحركة السياسية والثورية ضد السلطة الغاشمة منذ عام ١٩٦٣م ولغاية إنتصار الثورة الإسلامية في إيران.

---

(1) Sepidan.

بالإضافه إلى التعلّم والتدريس في الحوزة العلمية والتدريس في الحوزة العلمية بمدينة قم والجامعات في قم وطهران ومحافظة فارس، أثرىٰ المكتبة الإسلامية بمجموعة من التأليفات الثمينة ومنها: ١ـ الدفاع عن الحق، ٢ـ أهل البيت عليهم السلام وآية المباهلة، ٣ـ شخصيّة وثورة زيد بن علي (و هو كتاب تحقيقي و فريد من نوعه). ٤ـ ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، ٥ـ ثورة الفخ، ٦ـ تداعيات عاشوراء، ٧ـ الشهيد الحُر، ٨ـ ترجمة تاج المواليد للعلّامة الطبرسي «في شرح سِيَر المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام»، ٩ـ مذكّرات وجميع هذه الكتب باللغة الفارسية وأُعيد طباعتها عدَّة مرات. ١٠ـ القول الصواب في ذبائح أهل الكتاب «في الإجتهاد» باللغة العربية. فضلاً عن عشرات المقالات العلمية لاسيّما في مجال التاريخ الإسلامي.

و قضىٰ سنين عديدة في التدريس في الحوزات العلمية بقم وشيراز ومختلف جامعات البلاد، كما كان من مؤسسي الجامعة الإسلامية الحرة في قضاء سبيدان والمدرسة العلمية فيها، بالإضافة إلىٰ مدرسة أهل البيت عليهم السلام العلمية في شيراز.

إنتُخِبَ نائباً في مجلس الشورىٰ الإسلامي عن قضاء سبيدان خلال الدورات: الأولىٰ، الرابعة والخامسة. وتصدَّىٰ للادارة العامة للحوزات العلمية في محافظة فارس لمدة أربع سنوات (٢٠٠٥ ـ ٢٠٠١).

عُيِّنَ في منصب المُلحق الثقافي للجمهوريّة الإسلامية الإيرانية لدىٰ دولة الكويت خلال الفترة من عام ٢٠٠٥ لغاية ٢٠٠٩م.

يُشرِف في الوقت الحاضر علىٰ إدارة حوزة أهل البيت عليهم السلام العلمية في محافظة شيراز فضلاً عن متابعة البحث والتحقيق العلمي والحوزوي.

«الناشر»

فهرس الكتاب

تمهيد ١
المقدمة ٥
الإنتقام من الظالمين ٨
إشكالية غير صحيحة ١١
هدفنا ١٢
طلب ورجاء ١٣

الفصل الأوّل

السِّمات الشخصيّة للمختار

الباب الأوّل: سيرة المختار الذاتية ١٧
لقب المختار ١٧
أمير المؤمنين عليه السلام يُلَقِّب المختار ١٨
أبـوه ١٨
الـمُحارب المتطوّع ١٩
قيادة «أبو عبيد» ١٩
إستشهاد أبي عبيد وواقعة «يوم الجسر» ٢٠
أُمـه ٢١
ولادته وصباه ٢٢
الشبل الشجاع ٢٣
الباب الثاني: شخصية المختار ٢٤
المختار رجل السياسة والحنكة ٢٥
عبادة وزهد المختار ٢٥
هجرة المختار ٢٧
عائلة المختار ٢٩
عم المختار والي المدائن ٢٩
الإقتراح الخطير ٣٠

الفصل الثاني

المختار في أقوال الأئمة(ع) والعلماء

الباب الأوّل: المختار في أقوال الأئمة الأطهار عليهم السلام ٣٥
الدفاع عن الحق ٣٥
روايتان مثيرتان ٣٦
روايات في مدح المختار ٣٧
بشارة الإمام علي عليه السلام بثورة المختار ٣٧
بشارة الإمام الحُسَين عليه السلام بثورة المختار ٣٩
جزىٰ اللّه المختار خيراً ٤٠
الإمام السجّاد عليه السلام يقبل هدايا المختار ٤١
دعاء محمّد إبن الحنفيّة ٤١
لاتسبّوا المختار ٤٢
رحمَ اللّه المختار ٤٢
سرور أهل البيت عليهم السلام ٤٤
خمس سنوات من الحداد ٤٥
خبر ميثم التمّار ٤٦
الباب الثاني: المختار في آراء وأقوال كِبار علماء الشيعة ٤٧

حديث إبن عبّاس ٤٨
رأي إبن نما اللافت في عظَمة المختار ٤٨
شهادة المقدَّس الأردبيلي(ره) بحسن عقيدة وصحة عمل المختار ٥٠
رأي خاتم المحدّثين المرحوم الشيخ عبّاس القمّي (ره) ٥١
رأي المرحوم الميرزا محمّد الأسترآبادي ٥١
حديث المامقاني ٥١
رأي آية اللّه العظمىٰ السيّد الخوئي (ره) ٥٢
دفاع العلّامة الأميني عن شخصية المختار ٥٢
حديث العلّامة باقر شريف القَرَشي ٥٤
قول الزركلي ٥٥
العلّامة عبد الرزّاق المقرّم ٥٥
العالم الكبير السيّد هاشم معروف الحسيني ... ٥٦
آراء كِبار علماء الشيعة حول منزلة المختار ... ٥٦
الباب الثالث: العلماء الّذين كتبوا عن عظَمة المختار ٥٩

الفصل الثالث

التُهم الباطلة

الباب الأوّل: المختار لم يدّع النبوّة ٦٩
أمثلة علىٰ أقوال مُقفّاة للمختار ٧١
كتاب المختار إلى أحنف بن قيس ٧٤
نص الكتاب ٧٥
الباب الثاني: المختار لم يكن كيسانياً ٧٧
أدلة العلّامة المامقاني في صحة عقيدة المختار . ٧٩
حديث العلّامة الأميني (ره) ٨٢
رأي آية اللّه العظمىٰ السيّد الخوئي ٨٣
حديث المؤرّخ المشهور المرحوم المقرّم ٨٣
خلاصة الحديث في صحة عقيدة المختار ٨٤
الباب الثالث: الكَيسانيّة ٨٩
عقيدة الكَيسانيّة في مسألة الإمامة ٩١
إنحراف السيّد الحميري ٩٣
عودة السيّد الحميري إلى المذهب الحق ٩٤
إنحراف الكَيسانيّة ٩٤
الكَيسانيّة والعباسيين ٩٧
لقب الكذّاب ٩٧
الخيانة في الحديث ٩٨
تهمة أخرىٰ من إبن حجر ١٠٠
روايتان من مسند أحمد بن حنبل ١٠١
تحقيق الروايتين ١٠٢
الباب الرابع: تحقيق الروايات ١٠٤
الرواية الأولىٰ ١٠٦
الرواية الثانية.................. ١٠٦
الرواية الثالثة.................. ١٠٧
الرواية الرابعة ١٠٨
هل يدخل المختار النار؟ ١٠٩
الرواية الخامسة ١٠٩
الرواية السادسة.................. ١١٠
الرواية السابعة.................. ١١٢
الرواية الثامنة ١١٣

الفصل الرابع

محمّد إبن الحنفيّة والمختار

الباب الأوّل: شخصية محمّد إبن الحنفيّة ... ١١٧
السّمات الشخصية: ١١٧
حبّ محمّد الشديد لأبيه وأخويه الحسن والحُسَين عليهما السلام ١١٨

ثناء عليعليه السلام علىٰ محمّد إبن الحنفيّة ١١٩
غياب محمّد إبن الحنفيّة عن واقعة كربلاء! .. ١٢٠
دليل آخر: ١٢٢
جواب آخر: ١٢٣
الأمر الآخر: ١٢٤
الباب الثاني: محمّد إبن الحنفيّة وإمامة السجّادعليه السلام ١٢٧
شهادة الحَجر الأسود ١٢٧
حديث العلّامة المجلسي ١٢٩
إبن أخي إمام. ١٢٩
طاعة محمّد إبن الحنفيّة للإمام السجّادعليه السلام .. ١٣٠
الإمام الباقرعليه السلام يواري محمّد إبن الحنفيّة الثرىٰ. ١٣٤
الباب الثالث: دور محمّد إبن الحنفيّة في ثورة المختار ١٣٦
كلام الرجالي الكبير الشيخ أبو علي الحائري . ١٣٧
الباب الرابع: الإمام السجّادعليه السلام وثورة المختار ١٤٠
تساؤلات ١٤٠

الفصل الخامس
الأرضيّة وفلسفة الثورة

الباب الأوّل: ثورة الإمام الحُسَينعليه السلام منشأ وعي المسلمين ١٤٩
بذرة الإنتفاضات والثورات. ١٥٢
رأي المستشرقين ١٥٦
عاشوراء بداية حركة الشيعة. ١٥٧
صورة عن ملامح يزيد ١٥٨
إشاعة الفساد والفحشاء في زمن يزيد ١٦٠
قرد يزيد الخاص ١٦٠
الباب الثاني: تمرُّد في الحجاز ١٦٢
الإبادة الجماعية في المدينة أو «واقعة الحرّة» ١٦٢
إنتفاضة في مكّة ١٦٧
الهجوم علىٰ المسجد الحرام ١٧٠
حَرق الكعبة ١٧١
بعد هلاك يزيد. ١٧٣
الباب الثالث: أوضاع العراق المتوتّرة ١٧٨
فوضىٰ في البصرة ١٧٨
الكوفة. ١٧٩
إعتراف المؤرّخ الإسلامي الكبير المسعودي .. ١٨١
ثورة «التوّابين» ١٨٢
خلاصة ثورة «التوّابين» ١٨٣
واقعة «عين الوردة» ١٨٥
سياسة التفرقة العنصرية لبني أُميّة ١٨٩
دور أهل فارس في ثورة المختار ١٩٣
أسباب إتّجاه أهل الكوفة نحو ثورة المختار . ١٩٤
الباب الرابع: فلسفة الثورة ١٩٧
أقوال العظماء حول هدف المختار ٢٠١

الفصل السادس
التحضير للثورة

الباب الأوّل: المختار المُدافع عن أهل البيتعليهم السلام ٢٠٥
مسلم بن عقيل في بيت المختار ٢٠٥
عودة المختار ٢٠٦
الكوفة المرتبكة ٢٠٧
القبض علىٰ المختار ٢٠٨
تعامُل إبن زياد مع المختار ٢٠٩

المختار في سجن إبن زياد ٢١٠
كتاب عبدالله بن عمر إلى يزيد ٢١١
المختار علىٰ أعتاب الموت ٢١٢
طبع المختار الحُر ٢١٣
إلى الحجاز ٢١٥
الباب الثاني: المختار وإبن الزبير ٢١٨
مَن هو عبد اللّه بن الزبير؟ ٢١٨
الإبن المشؤوم ٢٢٠
المختار في مكّة ٢٢٤
إعلان تعاون المختار مع إبن الزبير ٢٢٥
المختار في الطائف ٢٢٦
العودة إلى مكّة ٢٢٧
البيعة المشروطة ٢٢٨
المختار وإبن الزبير في الحصار ٢٢٩
تنحّي المختار عن إبن الزبير ٢٣٠
الباب الثالث: بداية التحرُّك ٢٣٢
حقد إبن الزبير الشديد علىٰ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ٢٣٣
لقاء المختار مع محمّد إبن الحنفيّة ٢٣٧
الإستئذان ٢٣٩

الفصل السابع
الوقائع قبل الثورة

الباب الأوّل: المختار في الكوفة ٢٤٣
لقاء زعماء الكوفة ٢٤٥
خبرٌ هام ٢٤٥
مؤامرة ضد المختار ٢٤٦
المختار في السجن مرّةً أُخرىٰ ٢٤٧
حديث المختار في السجن ٢٤٨
إلتحاق بقايا «التوّابين» بالمختار ٢٤٩
نص كتاب المختار ٢٤٩
جواب «التوّابين» ٢٥٠
خروج المختار من السجن ٢٥٠
كتاب عبدالله بن عمر لتحرير المختار ٢٥٠
كفالة الخروج من السجن ٢٥١
الإلتزام أم الثورة؟! ٢٥١
زيارات ولقاءات ٢٥٢
أقرب الأصحاب ٢٥٢
الباب الثاني: تغيير الكادر السياسي في الكوفة ٢٥٤
والي الكوفة الجديد ٢٥٤
خطبة الوالي الجديد ٢٥٥
الإعتراض علىٰ الوالي الجديد ٢٥٦
دسيسة أُخرىٰ ضد المختار ٢٥٦
إحباط الدسيسة ٢٥٧
الباب الثالث: الدعوة إلى الثورة ٢٥٩
المثنّىٰ إبن مخربة يدعم المختار ٢٥٩
البيعة في البصرة ٢٦١
إلى الكوفة ٢٦١
معركة المثنّىٰ مع عمّال إبن الزبير ٢٦١
فشل دعوة المثنّىٰ ٢٦٣
المثنّىٰ مع المختار ٢٦٣
كتاب آخر للمختار ٢٦٤
إجتماع زعماء الكوفة ٢٦٥
لقاء مع ممثل قائد الثورة ٢٦٦
حديث محمّد إبن الحنفيّة ٢٦٦
قبول الإمام السجّاد عليه السلام بالخروج ٢٦٧
القرار النهائي ٢٦٨
الخبر السار ٢٦٩

الباب الرابع: دور إبراهيم بن مالك الأشتر .. ٢٧٠
حديث المختار في جمع من الشيعة ٢٧٠
«إبراهيم» بطل ساحات الوغىٰ ٢٧١
دعوة «إبراهيم بن مالك الأشتر» للإلتحاق بالثوّار ٢٧٣
جواب إبراهيم ٢٧٣
المشاركة بشرط ٢٧٤
لقاء المختار مع إبراهيم ٢٧٤
كتاب محمّد إبن الحنفيّة إلى إبراهيم ٢٧٥
نص الكتاب ٢٧٥
بيعة إبراهيم للمختار ٢٧٦
الإنتصار الكبير قبل الثورة.............. ٢٧٧
تاريخ بدء الثورة ٢٧٧

الفصل الثامن
الثــورة

الباب الأوّل: معركة الكوفة وإعلان الثورة. . ٢٨١
المناورة المسلّحة للثوار ٢٨١
إعلان الحكم العُرفي ٢٨٢
الإنطلاق نحو بيت المختار ٢٨٣
أول صِدام مسلَّح ٢٨٤
مقتل رئيس الشُرط ٢٨٤
ضرورة التحرك بسرعة................... ٢٨٥
الباب الثاني: الأهداف الأوّلية للثورة ٢٨٦
المرحلة الأولىٰ للثورة ٢٨٧
الأمر بالثورة........................ ٢٨٨
شعار «يامنصور أمِت» ٢٨٨
تعبئة القوّات ٢٨٩
الإشتباك مع قوّات الحُكم العُرفي ٢٩٠
المختار يرتدي لباس الحرب ٢٩١
إعلان التعبئة العامّة.................. ٢٩٢
وصول أبوعثمان النهدي ٢٩٧
«الجند الحمراء» أو الجيش الأحمر ٢٩٧
الأشعار الحماسيّة ٢٩٩
فجر الثورة ٢٩٩
رد فعل الأعداء....................... ٣٠٠
تحرُّك قوّات الثورة بإتجاه العدو ٣٠٢
إستشهاد قائد وأسير.................... ٣٠٣
خطبة القائد قبل الهجوم ٣٠٤
الهجوم الناجح وهلاك قائد قوّات العدو ٣٠٥
تضييق حلقة الحصار ٣٠٧
إندحار العدو وإنسحابه ٣٠٧
العدو يُعيد تأهيل قوّاته ٣٠٨
التحرّك نحو دار الإمارة................. ٣٠٩
محاصرة دار الإمارة ٣١١
هروب والي الكوفة المخزي بزي إمرأة ٣١٢

الفصل التاسع
إنتصار الثورة

الباب الأوّل: الإستيلاء علىٰ الكوفة وسقوط قصر الإمارة. ٣١٧
خطبة المختار الحماسيّة في الكوفة بعد النصر ٣١٧
الخطبة الثانية ٣١٩
مراسم البيعة ٣١٩
مقتل إبن المنذر وولده ٣٢٠
سماحة المختار وسمو أخلاقه ٣٢٠
تقسيم بيت المال بين المجاهدين وسائر النّاس ٣٢١
المختار ومراعاة النّاس ٣٢١

أشعار إبن همّام ٣٢٣
جدال بين الشاعر والحضور ٣٢٥
صلة إبراهيم ٣٢٥
أبيات أخرىٰ لابن همّام ٣٢٦
الباب الثاني: تشكيل الحكومة الثورية ٣٢٨
ولاة المختار ووكلائه ٣٢٩
قضاة المختار ٣٣٣
إبعاد شُرَيح القاضي ٣٣٤
فتوىٰ شُرَيح بقتل الإمام الحُسَين عليه السلام ٣٣٤
رئيس شُرط المختار أو «الصقر الصائد» ٣٣٥
الباب الثالث: المختار والجبهات الثلاث ... ٣٣٧
هلاك مروان وتولّي عبدالملك ٣٣٨
إرسال قوّات الثورة ٣٣٩
إدعوا لي بالشهادة ٣٤٠
كتاب المختار ٣٤١
تحسُّب العدو ٣٤١
مرض قائد الجند ٣٤٢
إصطفاف قتالي ٣٤٢
هلاك قائد جند العدو ٣٤٣
أوضاع قوّات العدو ٣٤٣
إعادة صفوف العدو والهزيمة المكررة ٣٤٤
موت قائد ٣٤٥
إجتماع شورىٰ القيادة ٣٤٥
إنعكاس خبر موت أحد قادة الثوار ٣٤٦
إرسال إبراهيم بن مالك الأشتر ٣٤٦

الفصل العاشر

تمرُّد في الكوفة

الباب الأول: توتُّر في الكوفة ٣٤٩
من هو شبث بن ربعي؟ ٣٥٠
الإشاعات المغرضة ضد المنتفضين ٣٥٣
التآمر في بيت «شبث بن ربعي» ٣٥٣
لقاء شبث مع المختار ٣٥٣
جهوزية المتمرِّدين ٣٥٤
عناصر التمرُّد ٣٥٥
رد فعل المختار ٣٥٧
المختار في محاصرة المتمردين ٣٥٨
عودة إبراهيم بن مالك الأشتر ٣٥٩
خدعة الأعداء ٣٦٠
الإختلاف بين المتمردين ٣٦٠
خبر سار ٣٦١
الباب الثاني: حرب في الكوفة ٣٦٢
الإصطفاف للحرب ٣٦٢
الإنتصار المؤقت للأعداء ٣٦٣
معركة الكُناسة ٣٦٥
بشارة النصر ٣٦٦
دخول قبيلة «شبام» المعركة ٣٦٦
مناورة «أبو القَلوص» الحربية ٣٦٦
هجوم «شبام» ٣٦٧
عودة رفاعة بن شدّاد إلى صفوف المنتفضين . ٣٦٧
هزيمة المتمردين ومقتل قادتهم ٣٦٨
حيرة المتمردين ومقتل شرحبيل ٣٦٨
هلاك قائد المتمردين الكبير ٣٦٩
إحصاء خسائر العدو ٣٦٩
خمسمائة أسير ٣٧٠
قَتلة الحُسَين في قبضة العدالة ٣٧١
إضربوا أعناق الجميع ٣٧١
الإنتقام ٣٧٢
إطلاق سراح بقية الأسرىٰ ٣٧٢
كذبة «سُراقة» ٣٧٤

إعلان الأمان في الكوفة ٣٧٥
يأس الأعداء........ ٣٧٥
إختفاء قَتلة الحُسَين عليه السلام ٣٧٥
هروب شبث بن ربعي........ ٣٧٦

الفصل الحادي عشر
الإنتقام

الباب الأوّل: الهدف الأساسي للمختار ٣٨١
إشكالية باطلة........ ٣٨١
التصفية الدموية........ ٣٨٣
مطاردة قَتلة الحُسَين عليه السلام ٣٨٣
القتل الجماعي ٣٨٤
القائمة السوداء ٣٨٥
هدم دور الهاربين ومصادرة أموالهم ٣٨٧
إختفاء شمر عن الأنظار ٣٩٠
ماضي شمر وملفّه الأسود ٣٩١
جرائمه: ٣٩١
مطاردة شمر ٣٩٦
مقتل شمر ٣٩٧
رواية أُخرىٰ........ ٣٩٧
الإنتقام الأوّل والتعامل بالمثل ٣٩٩
قتل بجدل بن سليم ٣٩٩
خَولي بن يزيد في القائمة السوداء ٣٩٩
محاصرة دار خَولي ٤٠٠
أُقتلوه وأحرقوه........ ٤٠١
جرائم سِنان بن أنس في يوم عاشوراء ٤٠١
أشد العقوبات ٤٠٣
القبض علىٰ قاتل آخر ٤٠٣
شفاعة عدي بن حاتم الطائي ٤٠٤
رمي حكيم بن الطفيل بالسهام ٤٠٤
دعاء الإمام السجّاد عليه السلام علىٰ حرمَلة بن كاهل ٤٠٥
القبض علىٰ حرملة بن كاهل الأسدي ٤٠٦
عقاب حرملة ٤٠٧
صَوم الشُكر ٤٠٧
محاصرة قاتل علي الأكبر ٤٠٨
قاتِل آخر في قبضة العدالة........ ٤٠٨
إختفاء مجرم ٤٠٩
ثلاث جناة في محكمة المختار ٤١٠
معاقبة ثلاثة جناة آخرين ٤١١
مطاردة حميد بن مسلم ومعاقبة ثلاثة جناة .. ٤١٢
قاتلَين آخرَين في قبضة العدالة ٤١٢
الباب الثاني: المختار وعمر بن سعد ٤١٤
قضية كتاب الأمان........ ٤١٤
نص كتاب الأمان........ ٤١٥
تفسير الإمام الباقر عليه السلام........ ٤١٦
قلق محمّد إبن الحنفيّة ٤١٦
عمر بن سعد علىٰ عتبة العقاب ٤١٧
عمر بن سعد ينوي الهروب ٤١٧
أبو عَمرة مسؤول الإحضار ٤١٨
رأس عمر المقطوع ٤١٩
المقارنة غير العادلة ٤٢٠
رأس عمر بين يدي محمّد إبن الحنفيّة ٤٢٠
البشرىٰ إلى محمّد إبن الحنفيّة ٤٢٠
اللّهم إجز المختار خيراً ٤٢١
إهدموا دُورهم........ ٤٢١
سيف بلا بريق........ ٤٢٢
الهجوم علىٰ دار أبي زرعة ٤٢٣
إحرقوه ٤٢٣

البحث عن محمّد بن الأشعث ٤٢٤
هدم قصر محمّد بن الأشعث ٤٢٥
هدم دار أسماء ٤٢٥
إدخال السرور علىٰ قلب النبي ﷺ ٤٢٦
المختار في أشعار إبن نما ٤٢٦
الدعايات المغرضة ضد الثورة والمختار ٤٢٧

الفصل الثاني عشر

المرحلة الثانية لثورة المختار

الباب الأوّل: قتال حكومة الشام ٤٣١
إرسال «إبراهيم بن مالك الأشتر» ٤٣٢
حركة جيش الثورة وقوامه ٤٣٢
قلق إبراهيم ٤٣٤
توديع الجيش ٤٣٤
الكرسي المقدَّس! ٤٣٥
وصية المختار ٤٣٥
مشهد مثير ٤٣٦
قضيّة الكرسي وظهوره ٤٣٨
رواية أخرىٰ ٤٣٩
دعايات أعداء الشيعة بذريعة الكرسي ٤٤٠
أشعار الأعشىٰ ٤٤١
بوصلة جيش الثورة ٤٤٣
خيانة عبيد اللّه بن الحر ٤٤٣
كتاب المختار إلى إبراهيم ٤٤٤
الإستعداد العام ٤٤٤
إستعداد جيش الأعداء ٤٤٥
تعاون عُمير بن حُباب السلمي ٤٤٥
إصطفاف العسكر ٤٤٧
إستطلاع أوضاع العدو ٤٤٨
خطبة إبراهيم في ساحة المعركة ٤٤٨
إصطفاف عساكر العدو ٤٤٩
بدء الهجوم ٤٥٠
الأُسلوب القتالي ٤٥٠
الحرب المنظَّمة ٤٥١
القتال رجلٌ لرجل ٤٥١
هلاك الحصين بن نمير وماضيه الأسود ٤٥٢
حمي الوطيس ٤٥٦
قتال إبراهيم ٤٥٧
الباب الثاني: الفتح الكبير ومقتل عُبيد اللّه بن زياد ٤٥٨
إبن زياد يُقسَم نصفين ٤٥٩
ملف إبن زياد الأسود ٤٥٩
«إبن زياد» المجرم رقم (٢) ٤٦١
أ : قبل حادثة كربلاء ٤٦١
ب : ولاية العراق ٤٦٢
ج : إبن زياد وحادثة كربلاء ٤٦٣
مقتل زعماء الشام ٤٦٤
شجاعة إبراهيم ٤٦٤
أشعار عبداللّه بن الزبير الأسدي ٤٦٥
حرق جسد إبن زياد ٤٦٥
الشكر للّه ٤٦٦
صدفة عجيبة ٤٦٧
ضجر عبد الملك لهلاك إبن زياد ٤٦٧
صبيحة النصر ٤٦٨
إبراهيم بن مالك الأشتر والياً ٤٦٩
أشعار إبن مفرغ في هجاء إبن زياد ٤٧٠
سبعون ألف قتيل ٤٧١
بشارة النصر إلى المختار ٤٧٢

خطبة المختار في المدائن ٤٧٢
الرؤوس المقطوعة ٤٧٣
رأس إبن زياد تحت أقدام المختار ٤٧٤
بشارة المختار لمحمد إبن الحنفيّة ٤٧٥
دعاء محمّد إبن الحنفيّة ٤٧٥
رأس إبن زياد في حضور الإمام السجّادعليه السلام ٤٧٥
إبتهاج أهل البيتعليهم السلام ٤٧٦
هدايا المختار ٤٧٧

الفصل الثالث عشر
نزاع المختار وعبدالله بن الزبير

الباب الأوّل: إستراتيجية المختار ٤٨١
كتاب المختار لإبن الزبير ٤٨٣
خطّة إبن الزبير ٤٨٤
كتاب المختار الثاني لإبن الزبير ٤٨٥
جواب إبن الزبير ٤٨٦
خطّة الإستيلاء علىٰ الحجاز ٤٨٦
إلتقاء القوّات ٤٨٧
خطّة عبّاس بن سهل ٤٨٨
مباغتة عبّاس بن سهل لإبن ورس ٤٨٨
عِلم المختار بالجريمة الجديدة ٤٨٩
كتاب المختار إلى محمّد إبن الحنفيّة ٤٨٩
جواب الكتاب ٤٩٠
الباب الثاني: محمّد إبن الحنفيّة وفتنة إبن الزبير ٤٩١
بنو هاشم علىٰ حافّة الموت ٤٩٢
العون من المختار ٤٩٢
إرسال «كتائب الفداء» إلى مكّة ٤٩٣
العلّة في تسمية عناصر المختار «بالخشَبيَّة» ٤٩٤
هجوم «كتائب الفداء» علىٰ نفق زمزم ٤٩٥
تعامل الشيعة مع «إبن الزبير» ٤٩٦
تحقيق أهداف ثورة المختار ٤٩٧

الفصل الرابع عشر
خاتمة الأمر

الباب الأوّل: معركة مُصعَب مع المختار ٥٠١
تحريض المعارضين للتمرُّد ٥٠٢
مهمّة إبن الأشعث ٥٠٣
عودة المهلَّب إلى البصرة ٥٠٣
إعلان الحرب ٥٠٤
الإستعانة بالطابور الخامس ٥٠٤
خيانة أهل الكوفة ٥٠٤
إصطفاف جيش «مُصعَب» ٥٠٦
رد فعل المختار وخطبته ٥٠٦
قائد قوّات المختار ٥٠٧
تنظيم جيش الثورة ٥٠٨
الإلتقاء مع جيش الأعداء ٥٠٨
بداية المواجهة ٥٠٩
إستشهاد قائد المعركة ٥١٠
قسوة الأعداء ٥١١
تقدُّم الأعداء نحو الكوفة ٥١٢
خبر سيّئ ٥١٣
إرسال قوّات جديدة ٥١٤
إصطفاف الجيشين للقتال ٥١٥
أمر الهجوم ٥١٦
ذروة المعركة ٥١٦
إستشهاد أحد القادة ٥١٧
هلاك إبن الأشعث ٥١٧

اللیلة المرعبة ٥١٨
العودة إلى المدينة ٥٢٠
أوضاع جيش العدو ٥٢٠
الباب الثاني: القتل المشكوك ٥٢٢
حصار الكوفة ٥٢٩
قتال الأزقة ٥٣٠
تضييق الحصار ٥٣٠
هجوم المختار ٥٣٢
القَسَم بعدم الإستسلام ٥٣٣
التحريض علىٰ الخروج ٥٣٣
القتال الأخير ٥٣٤
إستشهاد عائلة المختار ٥٣٦
الباب الثالث: إستشهاد المختار ٥٣٧
تاريخ إستشهاد المختار ٥٤٠
إستشهاد أبناء حجر بن عدي ٥٤٠
بعد الإستشهاد ٥٤٠
الإستسلام بذلّة ٥٤١
الأمر بالإبادة الجماعية ٥٤٣
طلب بُجير ٥٤٤
حمّام الدم في الكوفة ٥٤٤
إقتراح إبن الحر ٥٤٥
إستشهاد زوجة المختار ٥٤٦
أشعار إبن ربيعة ٥٤٨
حديث أم المختار ٥٤٨
إستيلاء إبن الزبير علىٰ الكوفة ٥٤٩
كتاب مُصعَب لإبراهيم بن مالك الأشتر ٥٤٩
نص الكتاب ٥٤٩
كتاب عبدالملك بن مروان ٥٥٠
أربعة رؤوس مذبوحة ٥٥١
مزار المختار ٥٥٢
زيارة المختار ٥٥٥
طلب المؤلف ٥٥٦
المصادر المعتمدة ٥٥٩

تمهيد

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه المنتقم والصلاة والسلام علىٰ نبينا وآل بيته المظلومين المقهورين والشهداء المكرّمين.

شكَّلَ موضوع البحث والتحقيق حول الإنتفاضات والثورات الإسلامية وإثبات أصالتها وتبيان أهدافها وفلسفتها أحد أهم السياقات الفاعلة في التاريخ الإسلامي. وبما أنَّ هذه الإنتفاضات والثورات قد مَثَّلت نقاط تحوّل عظيمة في تاريخ الإسلام خاصة تاريخ الشيعة المُخضَّب حُمرة؛ نراها ومع الأسف قد وقعت وبسبب تسلُّط قوانين حُكَّام الجور علىٰ المجتمعات البشرية من جانب الأعداء الخبثاء من جهة، والأصدقاء الجَهَلة من جهة أُخرىٰ، تحت طائلة التحريف والتزوير والمُساءَلة. وكان المؤرِّخون والمحدِّثون المحسوبين علىٰ الزُمَر الحاكمة، العامل الرئيسي لهذا التحريف والتزوير. لذا نهيب بجميع المحققين والعلماء والباحثين وكل من له القدرة علىٰ التحليل وكشف الحقائق التاريخية، العمل بشكل ملزم وجاد علىٰ أداء دوره البنّاء والحسَّاس في هذا المجال الحيوي الهام.

إنَّ واحدة من أهم العِلل الّتي حفَّزت المؤلِّف لكتابة هذا البحث ـ والّتي كانت سبباً لإمتعاضه الدائم ـ هي الأحكام الخاطئة والجائرة الّتي صدرت ضد إحدىٰ الشخصيات العظيمة في التاريخ الشيعي، كشخصية الفدائي المُغوار والمُطالب بالثأر

لأهل البيت الأطهار عليهم السلام، أي «المختار بن أبي عبيد الثقفي».

ولابد من الإشارة إلى أنَّ أساس السعي والجهد في هذه الأسطر جاء لإثبات وتبيان أصالة وحقيقة هذه الثورة وشخصية قائدها. والقصد من الأصالة؛ هو صحَّة ماهيَّة مثل هذه الثورات وغاياتها وأفكارها (أيدلوجياتها). ومن البديهي، فإنَّ هذه الأهمية لاتتحقق بعيداً عن دور الأئمة المعصومين وأهل بيت النبي الأطهار صلى الله عليه وآله وتأثيرهم وقيادتهم العلنيّة أو السرّية والإذن لها. وعلىٰ الأقل، فإنَّ رضىٰ أئمة الهدىٰ عليهم السلام عن هذه الإنتفاضات والثورات، هو الدليل الثابت علىٰ أصالتها.

لقد تمكّنا وبتأييد من البارئ تبارك وتعالىٰ وإستلهاماً من الأرواح الطيّبة للشهداء الأبرار، وتحديداً شهداء كربلاء المضحِّين المظلومين، وإتكالاً علىٰ الروايات المتعددة والمعتبرة وأقوال ونظريات علماء الإسلام الكبار وعِلم الرجال والتاريخ، المنقولة من أُمَّهات الكتب الأصيلة والموثوقة، بطريقة النقد والتحليل والجرح والتعديل، من تحليل أبعاد شخصية قائد هذه الثورة الدموية من جميع الجهات، وإثبات أنَّ المختار بن أبي عبيد الثقفي كان رجلاً طاهراً مضحِّياً معتقداً بإمامة أئمة الهدىٰ عليهم السلام. وإنَّ ثورته كانت بإذن وإجازة ورضىٰ كامل من الإمام المعصوم وبتدخُّل مباشر لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله. وهو مايُدل بوضوح علىٰ أنَّ المختار لم يكن كَيسانيّاً أومؤسساً لهذا المذهب، ولم يكن يدّعي الباطل كما يُزعَم. وإنَّ مايُكال له من التهم؛ ـ والّتي نقل منها بعض علماء الشيعة ومع الأسف ـ مُدرجة ومذكورة في كتب أهل السنّة بواسطة المحدِّثين والمؤرِّخين المنسوبين لأعداء أهل البيت عليهم السلام.

ومن المميزات الأخرىٰ لهذا الكتاب، هي إمكانية التأمل والتمعُّن في الأبعاد

الأخرىٰ لهذه الثورة والشرح المفصّل لحال المختار منذ لحظة ولادته حتىٰ إستشهاده. مع أنَّ علماء الشيعة الكبار خاصة المتقدمين منهم لم يألوا جهداً في هذا الأمر. والحق يُقال: إنهم قد أكفوا فيه وألّفوا كُتباً عديدة في هذا السياق. لكن غالب هذه الكتب والمراجع الإسلامية المهمّة الأخرىٰ قد ضاعت أو أُتلفت بسبب حوادث الأيام ولم يبق منها إلّا أسماء في كتب الفهرس. ويمكن الإدعاء بأنّه لم يتم إلى الآن البحث حول شخصية وثورة المختار بهذا التفصيل والتحقيق الذي روعي في هذا الكتاب. وإنَّ كل ماكُتِبَ في هذا المجال كان تلخيصاً ومحدوداً جداً. ورغم هذا، فإنَّ البعض من هذه الكتب قد تمتع بإعتبار وثقة عاليتين ـ جزىٰ اللّه مؤلفيها خيراً ـ

وعلىٰ كل حال، فإني أُذعن بأنَّ ما من مخطوطة أو تحقيق خالٍ من السهو والأخطاء، لذا أسترعي إنتباه الأساتذة والمحققين وأصحاب الرأي هنا؛ خاصة المتخصصين في مجال التأريخ الإسلامي أن يتفضّلوا بذكر نقاط الضعف والقصور كي يتسنىٰ لنا إزالة الإشكاليات إن وجدت والإصلاح في الطبعات اللاحقة.

سيّد أبو فاضل الرضوي الأردكاني

المقدمة

نجد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدّث عن فَناء وهلاك المشركين والملحدين والظالمين. وتُعد هذه الظاهرة سُنّة إلهية ثابتة عند الأمم السابقة والشعوب المعاصرة للأنبياء. فما الذي إرتكبه قوم نوح وإبراهيم وعاد وثمود وصالح ويونس وموسىٰ وعيسىٰ، وباقي الأنبياء عليهم السلام حتى يُعَذبهم اللّه وينتقم منهم ويُهلكهم بهذا الشكل؟ فأغرقَ بعضهم وأرسلَ علىٰ الآخر صاعقة من السماء وأنزلَ علىٰ آخرين أنواع العذاب والبلايا والآلام، بل وأوكل علىٰ بعضهم مُنتقمين خواص و... فما الذي إرتكبه هؤلاء؟

نستنتج من مجموع الآيات الموجودة في هذا المجال بأنّ هؤلاء لم يمتثلوا للباريء تعالىٰ وأنكروا آياته ووقفوا موقفاً معادياً من أوليائه وقتلوا الأنبياء بعد إتمام الحجّة البالغة عليهم. فجزاهم اللّه عن أعمالهم في الدنيا وسيجزيهم في الآخرة ما وعدهم به من العذاب. وذلك بعد أن ذكرّهم بالعذاب في النشأتين؛ إنْ هم خالفوه. وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكّد هذا السياق.

وعلىٰ الرغم من أنَّ أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله في رحمة من اللّه كما جاء في الآية الكريمة:

«وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ».[1]

وربما كان قيد «وأنتَ فيهم» علىٰ هذا التقدير؛ فالـمُراد بالعذاب المنفي، العذاب

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٣.

السّماوي المستعقب للإستئصال الشامل للأُمّة علىٰ نهج عذاب سائر الأمم. واللّه سبحانه ينفي فيها العذاب عن الأُمّة ما دام النبي ﷺ فيهم حياً وفيما بعده ما داموا يستغفرون اللّه تعالىٰ.[1]

ولا يعني ذلك أنَّ منكري آيات اللّه ومجحدي اللّه ورسوله وأهل بيته ـ الّذين أمرَ اللّه بإطاعتهم ومحبّتهم ـ أي الّذين عاندوا وكفروا وألحدوا مستثنون من العذاب الإلهي؛ بل سيكونون أذلّاء منبوذين معرَّضين للفناء في الدنيا وفي الآخرة وسيُدانون ويُحاسَبون وسيُصلون العذاب الإلهي خالدين فيهِ أبداً.

وكما كان إنكار اللّه والكفر بآياته ذنب الأُمم السابقة وبه أهلكهم، فإنَّ في أُمّة محمّد ﷺ خاصة بعد رحيله وُجِد أيضاً عصابة منهم قد إرتكبت ذات الذنب الذي إرتكبه السابقون.

ألم يكن أهل بيت النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام من آيات اللّه؛ بالإستناد إلى الروايات الثابتة والقطعيّة المتواترة؟

أليس عصيان النبي وأولوا الأمر الّذين أمرَنا اللّه بطاعتهم وإتباعهم هو في حد الإلحاد والكفر بالآيات؟ ألا يرقىٰ قتل الأئمة والعترة الطاهرة للنبي ﷺ ومحاربتهم إلى حد الكفر والإلحاد؟

وكما أنَّ في أُمّة نوح عليه السلام رهط ركبوا معه السفينة ونجوا، فقد قابلهم مَن كفر ولم يركب السفينة فهَلك. فإنَّ أهل البيت عليهم السلام هم سفينة النجاة في أُمّة محمّد ﷺ[2]، الّتي

(١) تفسيرالميزان للسيّد الطباطبائي: ج ٩، ص ٧١.

(٢) إنَّ حديث «السفينة» من الأحاديث المتواترة بين الشيعة والسنّة علىٰ حدٍ سواء والذي قال الرسول(ص) فيه: «مَثل أهل بيتي كسفينة نوح مَن ركبها نجا ومن تخلّف عنها هَلك». روىٰ الحديث الصحابي الكبير أبوذر الغفاري. نُشير إلى بعض الكتب السنّية الّتي نقلت هذا الحديث:

=

تمسَّكت بهم جماعة ونجت وتخلَّفت عنهم أُخرىٰ فهلكت.

ألم يكن الحُسَينعليه‌السلام سِبط الرسول والإمام المعصوم والمنصوص عليه سفينة الهداية والنجاة؟ فما الذي فعلوه بوسيلة الهداية والنجاة هذه؟ فكما غرق وهَلَك من قوم نوح ممن لم يركبوا السفينة، فإن هذا هو جزاء مجرمي هذه الأُمّة.

ألم يَدع فرعون حاشيته وقومه إلى عبادته وتركْ عبادة اللّه؟ وكان هذا الكفر والإلحاد سبباً لغرقهم؟

ألم يدّع يزيد ـ بإعتراف أكثر مؤرّخي الإسلام الكبار ـ كما ادّعىٰ فرعون من قبل؟

ألم يَقُل لمسلم إبن عقبة: أُقتل أهل المدينة حتىٰ يُبايعوا ويُقرّوا بالعبودية[١] ليزيد.[٢]

إنَّ مذبحة أفضل ورّاث آدمعليه‌السلام في واقعة كربلاء علىٰ يَد يزيد وإبن زياد وعمر بن سعد ومجرمي الكوفة والشام ليس بأقل من جريمة إنكار آيات اللّه مِن قِبَل

←الف ـ إبن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار: ج١، ص٢١١.

ب ـ الحافظ الطبراني في المعجم الكبير: ص١٣٠.

ج ـ إبن كثير الدمشقي في تفسير القرآن: ج٩، ص١١٥.

د ـ جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء: ص٥٧٣ والخصائص الكبرىٰ: ج٢، ص٢٦٦.

هـ ـ العلّامة الهيثمي في الصواعق: ص١٨٤، طبعة مصر، نقلاً عن مستدرك الحاكم.

و ـ الهندي في كنز العمال: ج١٣ ص٨٤، طبعة حيدر آباد، وللتفصيل راجع كتاب، إحقاق الحق للتستري: ج٩، ص٢٧٠ إلى ٢٨٧، وج١٨، ص٣١١ إلى ٣١٦.

(١) ولما انتهىٰ الجيش إلى الموضع المعروف بالحَرّة قرب المدينة، خرج إليهم أهل المدينة في عسكر عظيم عليهم عبد اللّه بن مطيع العدوي وعبد اللّه إبن حنظلة غسيل الملائكة الأنصاري، وكانت وقعة عظيمة قُتِل فيها خلق كثير من الناس ومن بني هاشم وسائر قريش والأنصار وغيرهم.ثم دخل المدينة وخرَّب بيوت بني هاشم ونهب المدينة، وأخاف أهلها وأخذ منهم البيعة علىٰ أنّهم عبيد ليزيد وسمّىٰ المدينة «نتنة». ـ شجرة طوبىٰ للشيخ محمد مهدي الحائري: ج١، ص١١٣.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص٨٧ طبعة بيروت.

فرعون ونمرود وباقي الطواغيت. فكما إنتقم اللّه من مجرمي الأمم السابقة وطواغيتها، فسينتقم من مجرمي هذه الأُمّة كذلك.

الإنتقام من الظالمين

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ»[1]

فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»[2].

«وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ».[3]

ألم يقرأ مُفسراً ملحمة عاشوراء الكبرىٰ؛ الإمام السجّادعليه السلام وزينب الكبرىٰعليها السلام هذه الآيات علىٰ ظالمي الكوفة ومُجرميها مراراً وحذّروهم بها؟

أليس وعدَ اللّه وتحذيره هو قوله:

«إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ».[4]

أليست سنّة اللّه ومقتضىٰ عدله أن لايجعل الظالمين يشعرون بالأمان ويُذيقهم العذاب الشديد؟

وبالإستناد إلى الآيات الصريحة والوعود الّتي لايخلفها اللّه نقول: إنَّ غاصبي حق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وقَتَلة الرجال الأماثل في الإسلام ومنكري آيات اللّه والملحدين والمجرمين يجب أن ينالوا عِقابهم. كما جاء في القرآن الكريم:

---

(١) سورة السجدة: الآية ٢٢.

(٢) سورة الروم: الآية ٤٧.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤٢.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧ ـ ٢٢٧.

«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ».[1]

وأي جريمة أكبر مِن جريمة كربلاء؟ وأي زلزال أكبر من واقعة عاشوراء؟ وأي قتل للحق أكبر مِن الذي جرىٰ في أرض الطَّف؟

ومِن الحق أن لايكون البارئ سبحانه وتعالىٰ بغافلٍ عمّا يعمل الظالمون؛ إنّما يؤخِّرهم وينتقم منهم في الوقت المناسب.

إنَّ روايات كثيرة تنبّأت بما سيصيب مجرمي واقعة كربلاء، وقد تحقق الوعد الإلهي بذلك.[2]

وما كانت ثورة المختار الدموية طِبقاً للروايات المتواترة والأخبار المستفيضة إلّا تحققاً للوعد الإلهي في هلاك وفناء المجرمين؛ «وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً».[3]

وعلىٰ أساس هذا الأصل بشّرَ أمير المؤمنين وأئمة الدّين عليهم السلام بثورة المختار

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤١.

(٢) أُنظر: بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٠٠ـ٣٢٣، طبعة إيران، ج٤٦، ص٢٩٥ـ ٣٢٣، طبعة بيروت، ومقتل الخوارزمي: ج٢، ص١٠٣، مناقب إبن المغازلي: ج٤٥٩، ص١٠٥، تاريخ دمشق لابن عساكر ـ شرح حال الإمام الحُسَين(ع): ص٢٧٤، ح٣٤٤ ـ ٣٤٥ وص٢٩٨، ح٣٩٧و٣٩٨. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب طبع حديثاً بشكل جميل في مجلّد واحد بعنوان: «شرح حال الإمام الحُسَين(ع)» بتحقيق العلّامة محمّد باقر المحمودي وطُبع في بيروت. ويُعد كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر من المصادر التاريخية الإسلامية المهمّة، والذي توفي مؤلفه سنة ٥٧١ هجرية.

(٣) سورة النساء: الآية ٤٧، الأنفال: الآية ٤٢ و٤٤، الإسراء: الآية ٥ ـ ٤٧.

وإنتقامه من قَتَلة واقعة عاشوراء وأيّدوه في ذلك.

وإستناداً لهذه الروايات والأخبار الواصلة، فإنَّ المختار كان واقفاً علىٰ حقيقة هذا الأمر وأنَّ اللّه تعالىٰ منحه وسام الثأر من قتلة الحُسَين عليه السلام، وهو بعمله المُرضي للّه هذا، نالَ مقاماً ومنزلةً رفيعةً عند اللّه ورسوله وأئمة الهدىٰ عليهم السلام وقد تبيَّن هذا الأمر جلياً في الروايات الّتي سننقلها تباعاً.

قال الزهري: «لم يبق من قتلة الحُسَين أحد إلّا وعوقِبَ في الدنيا، إمّا بالقتل أو العمىٰ أو سواد الوجه أو زوال المُلك في مدَّة يسيرة»[١]

وهناك روايات كثيرة وصَلتنا في هذا السياق[٢] منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

نَقَلَ إبن عساكر عن إبن عبّاس الرواية التالية: «أوحىٰ اللّه تعالىٰ إلى محمّد صلى الله عليه وآله، إنّي قتلت بيحيىٰ بن زكريا سبعين ألفاً، وأنا قاتل بإبن بنتكَ سبعين ألفاً وسبعين ألفاً».[٣]

ونَقَلَ الشيخ المفيد في كتاب الأمالي[٤] رواية مثيرة حول العذاب الأُخروي لقتَلَة الإمام الحُسَين عليه السلام ننقل قسماً منها: «عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد اللّه جعفر بن محمّد عليهما السلام، قال: إذا كان يوم القيامة جَمَعَ اللّه الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، ثمّ أمر منادياً فنادىٰ: غُضوا أبصاركم ونكّسوا رؤوسكم حتىٰ تجوز فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله الصراط. قال: فتغُض الخلائق أبصارها فتأتي فاطمة عليها السلام علىٰ نجيب من نُجب الجنّة يُشيّعها سبعون ألف مَلَك، فتقف موقفاً شريفاً من مواقف القيامة، ثمّ

(١) جواهر المطالب: ص٩٢، نقلاً عن حياة الإمام الحُسَين(ع) للقرشي: ص٤٥٧.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٠٠، إلى النهاية.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر: شرح حال الإمام الحُسَين(ع)، طبعة بيروت، ص٢٤١، ح٢٨٦.

(٤) الأمالي للشيخ المفيد: ص١٣٠، طبعة بيروت، ١٩٩٣م.

تنزل عن نجيبها فتأخذ قميص الحُسَين بن علي عليه السلام بيدها مضمّخاً بدمه وتقول: يا رب هذا قميص ولدي وقد علمتَ ما صُنِع به. فيأتيها النداء من قِبل اللّه عزَّ وجل: يا فاطمة لك عندي الرضا فتقول: يا رب إنتصر لي من قاتله، فيأمر اللّه تعالىٰ عنقاً[1] من النار فيخرج من جهنَّم فيلتقط قتلة الحُسَين بن علي عليه السلام كما يلتقط الطير الحَب، ثمّ يعود العُنق بهم إلى النار فيُعَذَّبون فيها بأنواع العذاب. ثمّ تَركب فاطمة عليها السلام نجيبها حتىٰ تدخل الجنّة ومعها الملائكة المشيّعون لها وذرّيتها بين يديها وأولياءهم من النّاس عن يمينها وشمالها.

إشكالية غير صحيحة

لايجوز لأحد أن ينتقد المختار ويُشفق علىٰ أصحاب الوجوه السوداء الكريهة في التاريخ، بحجة أنَّ المختار قَتل حوالي (ثمانين) ألفاً أو أقل، من أجل (إثنين وسبعين) نفراً؟ وأنّه لماذا أراقَ هذه الدماء؟ فحري بالذين يطرحون هذه الإشكاليات ويتباكون علىٰ هؤلاء، أن يتأسَّفوا علىٰ قومِ نوح وموسىٰ وسائر الأنبياء عليهم السلام. لأنَّ الآلاف المؤلّفة منهم قُتلوا وهلكوا وماتوا غرقاً. إذ لم يكن للمختار هدف سوىٰ مطاردة وتصفية جميع المتورطين في واقعة كربلاء؟ أولمْ يكن لكل فرد من هؤلاء المجرمين بشكل أو بآخر يداً ورضاً في قتل الإمام الحُسَين عليه السلام وإن كانوا جزءً من سواد جيش إبن زياد؟

ألم يُعلِّمنا أئمتنا أنَّ مسألة الموالاة والبراءة هي أساس الإيمان؟ وأنَّه: «إني وليٌّ لِمن والاكم وعدوٌّ لمن عاداكم وسِلمٌ لمن سالمكم وحربٌ لمن حاربكم إلى يوم القيامة».[2]

---

(١) أي قطعة وطائفة منها.

(٢) مفاتيح الجنان: فقرات من زيارة الإمام الحُسَين(ع).

نَقَلَ العلّامة المجلسي في البحار: قال أمير المؤمنين عليه السلام: وسيُصيب الّذين ظلموا رجزاً في الدنيا بسيوف بعض مَن يُسلِّط اللّه تعالىٰ عليهم للإنتقام بما كانوا يفسقون كما أصاب بني إسرائيل الرجز، قيل: ومن هو؟ قال: غلامٌ من ثَقيف، يُقال له المختار بن أبي عبيد.[١]

ونقرأ في زيارة الإمام الحُسَين عليه السلام عن الروايات المعتبرة: «لَعَنَ اللّهُ أُمّةً أسرجت وألجمت وتنقّبت لقتالك».[٢]

ألم يكن أولئك الّذين قتلهم اللّه وإنتقم منهم عبر مختلف أنواع العذاب وعلىٰ يد المختار وإبراهيم الأشتر والشيعة المستميتين، مصاديق صريحة لتلك الآيات والروايات؟

ونحن نحمد اللّه علىٰ عدله ونلعن قتلة الحُسَين عليه السلام والجاحدين ومنكري آيات اللّه.

هدفنا

هدفنا من تدوين هذا الكتاب هو لإزالة غبار الغموض عن الوجه الوضّاء والمشرق للمختار بن أبي عبيد الثقفي بطل الآخذ بالثأر والمنتقم لأهل البيت عليهم السلام، والذي تعرَّض جرّاء ذلك وعبر التاريخ لإتهامات باطلة وظالمة لاتليق بشخصية هذا الرجل الفذ الشجاع.

لقد سعينا في هذا الكتاب إلى ذكر كل المواضيع بشكل مستند ومستدل والإبتعاد عن المواضيع الموهونة وإجتناب الكتب الغير معتبرة والأُسطورية، مثل

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٤٠.

(٢) مفاتيح الجنان: فقرات من زيارة الإمام الحُسَين(ع).

بعض كتب المقاتل والمخاتير الّتي هي نتاج مخيّلات بعض القاصّين والأشخاص غير المحققين.

ولقد مضينا وبالإتكال علىٰ اللّـه المـتعال إلى الكشـف عـن الأبـعاد المخـتلفة لشخصية وثورة هذا الرجل المضحِّي للإسلام، وذلك عبر المتابعة والنقد والبحث المتواصل لتعريف الوجه الحقيقي للمختار بـن أبي عـبيد الثـقفي وثـورته لعـموم المسلمين وعلىٰ الخصوص المحققين والراغبين من جـيل الشـباب للإطـلاع عـلىٰ أحداث ووقائع التاريخ الإسلامي.

طلب ورجاء

في هذه المرحلة نرجوا من جميع المحققين في التاريخ الإسلامي وأصحاب الذوق السليم والفنانين أن يولوا قدراً كبيراً مـن الإهـتمام بشـخصية وثـورة المخـتار وأن يساهموا في التعريف بدَور هذه الثورة في التاريخ الشيعي بشكل أفضل للـمجتمع الإسلامي والثوري، وذلك عبر التأليف أو كتابة السِـيَر أو المـقالات والكـتيبات الصغيرة والسّيناريوهات التمثيلية والأفلام. ولاشك أن المـمثلين والفـنانين ومـن يعمل في مجال الإذاعة والتلفاز والسينما والمسرح قادرون وبشكـل أفـضل عـلىٰ تجسيد هذه الملحمة بصورة حيّة ومثالية.

◘ الفصل الأوّل

السِّمات الشخصيّة للمختار

الباب الأوّل
سيرة المختار الذاتية

إسمه ونسبه: «المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عوف إبن عقدة بن قسي بن منبّه بن بكر بن هوازن».[1]

قبيلته: «قسي» «ثَقيف». وثَقيف من القبائل العربية المشهورة في الطائف.

كنيته: دَرَجَ عند العرب أن يكون للأفراد خاصة الشخصيات منهم بالإضافة إلى الإسم واللقب كنية؛ وكنية المختار «أبو إسحاق».

لقب المختار

لقبه: «كَيسان»[2]؛ وتعني: «الفطنة والعقل»[3] وتُنسب الفرقة الكَيسانية[4] إليه.

يقول الجوهري في الصحاح: لقبُ المختار كَيسان[5]. إشتُق من «كَيس» علىٰ وزن «قيس». وجاء كيّس بمعنىٰ؛ «الفطنة، العقل والظرافة» كما في المنجد.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٧، والكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٢١١، مروج الذهب: ج٣، طبعة بيروت، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٥٠.

(٢) رجال الكشي: ص١٢٨، «إختيار معرفة الرجال».

(٣) قاموس الفيروزآبادي عن بحار الأنوار: ج٥، ص٢١٤ وص٣٠، وفيات الأعيان لإبن خلكان: ج٤، ص١٧٢.

(٤) أسهبَ الفصل الثالث في التعريف بالفرقة الكَيسانيّة؛ وقد بُرِئت ساحته من الإنتساب إلى هذه الفرقة.

(٥) معجم الصحاح للجوهري: ج٢، ص٩٧٠؛ في توضيح كلمة «كيّس».

أمير المؤمنين عليه السلام يُلَقِّب المختار

يقول الأصبغ إبن نباتة: «رأيتُ المختار علىٰ فخذ أمير المؤمنين وهو يمسح رأسه ويقول: «ياكَيس ياكَيس»[١] وقرأها البعض بتشديد الياء «كيّس».

وكلمة «كيسان» جاءت إثر قول أمير المؤمنين عليه السلام لكلمة «كيّس» مرتين والّتي أصبحت فيما بعد لقباً للمختار. وهناك إحتمالين لإشتهار المختار بهذا اللقب؛

الأوّل: الحديث السابق؛ إذ إختار هذا القول فقهاء الشيعة الكبار أمثال العلّامة إبن نما وآية اللّه الخوئي.[٢]

الثاني: بسبب كون إسم «كيسان» لأحد المقرَّبين والمشاورين للمختار وكنيته «أبوعمرة»، كان رئيس شُرط المختار وأذاق قَتَلة الإمام الحُسَين عليه السلام الويل وقيل: إنّه هو الذي حثَّ المختار علىٰ الثورة وكان يبدي له المشورة؛ فأصبح إسمه لقباً للمختار.[٣]

أبــوه

أبو عبيد[٤] بن مسعود الثقفي: إنتقل من الطائف[٥] إلى المدينة المنوّرة وأقام فيها[٦] إبان خلافة عمر الّتي بدأت يوم وفاة أبو بكر[٧] في الثاني والعشرين من

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٣، رجال الكشي: ص١٢٧.

(٢) معجم رجال الحديث: ج١٨، ص١٠٢ طبعة بيروت، رسالة «ذوب النضار» لابن نما.

(٣) رجال الكشي: ص١٢٨، «إختيار معرفة الرجال» نقلاً عن بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٥١.

(٤) بعضهم قرأها خطأ «أبوعبيدة» والصحيح هو «أبوعبيد».

(٥) الطائف: مدينة جميلة في الحجاز وكانت مصيفاً لقريش لمناخها الرائع وتقع علىٰ مسافة ١٢٠ كم جنوب شرق مكّة وهي إلى الآن من أجمل مدن الحجاز عمارة ومناخاً.

(٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٢، ص٤٣٣، مروج الذهب للمسعودي: ج٢، ص٣١٥، طبعة بيروت، أنساب الأشراف للبلاذري: ج٥، ص١٣١.

(٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٣١.

جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٣ هجرية.

وعلىٰ الرغم من أنّ أفراد قبيلة ثَقيف كانوا أُناساً متمرِّدين ومتغطرسين، فقد خرج منهم أفراد صالحين، أمثال عروة بن مسعود، وأبوعبيد بن مسعود المستشهد بقس الناطف[١] علىٰ شاطىء الفرات وأنَّ الصالح في ثَقيف لغريب.[٢]

الـمُحارب المتطوِّع

لم يمض سوىٰ أربعة أيام علىٰ خلافة عمر بن الخطّاب حتىٰ أمر بإرسال القوات إلى منطقة سرحدات المتاخمة لحدود إيران والعراق بهدف الجهاد ودعوة أهل فارس إلى الإسلام... فقد نُقل: أنّه لمّا أصبحَ عمر خليفةً مِن الليلة الّتي مات فيها أبو بكر، كان أوّل ما عَمِل أن نَدَبَ النّاس مع المثنّىٰ إبن حارثة الشيباني ـ إلى أهل فارس ـ ثمّ بايع النّاس ثمّ ندب النّاس وهو يبايعهم ثلاثاً، ولا ينتدب أحد إلى فارس، فلمّا كان اليوم الرابع ندب النّاس إلى العراق، فكان أوّل منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي، وهو والد المختار وسعد إبن عبيدة الأنصاري وسليط بن قيس، وهو ممن شهد بدراً، وتتابع النّاس.[٣]

قيادة «أبو عبيد»

لمّا تأهّب الجيش للحركة بإتجاه الحدود مع العراق وإيران إستشار عمر أصحابه

---

(١) قال الفيروزآبادي: «قس الناطف موضع قرب الكوفة». وقال الزبيدي في شرح العبارة : «علىٰ شاطئ الفرات كانت عنده وقعة بين الفرس وبين المسلمين وذلك في خلافة عمر قُتِل فيه أبو عبيد بن مسعود الثقفي». أقول: كانت الواقعة في السنة الثالثة عشر من الهجرة وتفصيلها مذكور في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير وغيرهما.

(٢) الغارات للثقفي: ج٢، ص٥١٧.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٢، ص٤٣٢ ـ ٤٣٣، مروج الذهب للمسعودي: ج٢، ص٣١٥، طبعة بيروت، أنساب الأشراف للبلاذري: ج٥، ص٢١٤، طبعة بيروت.

فيمن يُأمّره؛ فاجتمع النّاس فقيل لعمر: «أقر عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين أو الأنصار قال: لا واللّه لا أفعل، إنما رفعهم اللّه تعالىٰ بسبقهم ومسارعتهم إلى العدو فإذا فعل فعلهم قوم وتثاقلوا كان الّذين ينفرون خفافاً وثقالاً ويسبقون إلى الدفع أولىٰ بالرياسة منهم واللّه لا أؤمر عليهم إلا أوّلهم إنتداباً! ثمّ دعا أبا عبيد وسعداً وسليطاً وقال لسعد وسليط: لو سبقتماه لولّيتكما ولأدركتما بها إلى مالكما من السابقة. فأمرَ أبا عبيد وقال له: إسمع من أصحاب رسول اللّه ﷺ وأشركهم في الأمر، ولم يمنعني أن أؤمر سليطاً إلّا سُرعته الى الحرب؛ وفي التسرّع إلى الحرب ضياع الأعراب، فإنّه لايصلُحها إلّا الرجل المكيث وأوصاه بجنده، «فكان بَعثْ أبي عبيد أوّل جيشٍ سَيَّره عمر»[1] وبهذا يكون أوّل جيشٍ جهَّزه عمر وأرسله للجهاد بقيادة أبي عبيد.

إستشهاد أبي عبيد وواقعة «يوم الجسر»

في هذه الجبهة أبدىٰ أبوعبيد شجاعةً فائقة وفروسية لامثيل لها في قتاله مع الجيوش الفارسية وألحقَ بالمجوس خسائر فادحة في الأنفس والعدد. وقُتل في هذه المعركة أربعة آلاف من المسلمين وأُستشهد أبوعبيد قرب جسر علىٰ دجلة.[2] وبما أنَّ القتال وقع عند هذا الجسر، لذا سُمِيت تلك الواقعة بـ«يوم الجسر».

(١) الكامل لابن الأثير: ج٢، ص٤٣٣، مروج الذهب للمسعودي: ج٢، ص٣١٥، طبعة بيروت، أنساب الأشراف للبلاذري: ج٥، ص٢١٤، الغارات للثقفي: ج٢، ص٥١٧.

(٢) جاء الشرح المفصل لوقائع الحرب بين القوات الإسلامية بقيادة أبي عبيد معالقوات الفارسية في كتب التواريخ المعتبرة فراجعها، وفي مروج الذهب: ج٢، ص٣١٥-٣١٧ نقلت الواقعة بشكل مختصر ومفيد وكذلك في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير: ج٢، ص٤٣٨.

أُمــه

إسمها: «دَومَة»[١] وهي من النساء المشهورات في تاريخ الإسلام. قيل عنها: «من ربات الفصاحة والبلاغة والرأي والعقل.[٢]

وكان أبو عبيد يتنوَّق[٣] في طلب النساء، فذُكرَ له نساء قومه فأبىٰ أن يتزوّج منهن فأتاه آتٍ في منامه فقال: تزوّج دومة الحسناء، فما تسمع فيها للائم لومة، فأخبرَ قومه فقالوا: قد أمرت. فتزوّجَ دومة بنت وهب بن عمر إبن معتب. فلمّا حملَت بالمختار قالت: رأيت في النوم قائلاً يقول:

أبشري بِالولَدِ أشَبَهُ شيءٍ بِالأسد
إذ الرِجالُ في كَبَد تقاولوا علىٰ لَبَد
كانَ لَهُ حظُّ الأسَد

ووَلدت لأبي عبيد: المختار وجبراً وأبا جبر وأبا الحكم وأبا أُمية[٤] وآسيد وصفية؛ حيث أصبحت الأخيرة زوجة عبد اللّه بن عمر.

كانت أُم المختار علىٰ قيد الحياة وكانت إمرأةً عجوزاً حين إستشهاد ولدها علىٰ يَد مُصعَب بن الزبير. وقد تعرَّضت للمحاصرة كغيرها من أتباع المختار في «دار الإمارة» من جانب قوّات مُصعَب.

قال «أبوعجين»: لمّا قُتِلَ حول المختار بن أبي عبيد الثقفي من أهل بيته خمسون رجلاً وإنهزَم النّاس، فمَرَّ أبو محجن بأُم المختار وإسمها دومة فقال: يا دومة إرتدي[٥]

(١) نسبة إلى دومة الجندل: إسم حصن علىٰ بُعد خمسة عشر ليلة من المدينة ومن الكوفة علىٰ بُعد عشر مراحل وأصحاب اللغة يضمون الدال وأصحاب الحديث يفتحونها.

(٢) أعلام النساء لعمر رضا كحالة: ج١، ص٤٢١، طبعة بيروت.

(٣) أي يبالغ في إختيار الجيّدة منهن.

(٤) رسالة «ذوب النضار» لإبن نما الحِلي: ص٥٩ - ٦١.

(٥) إرتدي خلفي أي إركبي علىٰ ظهري.

خلفي. قالت: واللّه لإن يأخذني هؤلاء أحب إليّ من أن أرتدي خلفك.[١]

ولادته وصباه

وكان مولده في عام الهجرة.[٢]

عن إبن الأثير: قيل إنّ المختار بن أبي عبيد كان من أوّل مواليد المسلمين في السنة الأولىٰ للهجرة. نعم ولِد المختار في المدينة لأن أبيه إنتقل إليها بعد إسلامه؛ قالت أم المختار: «فلمّا وضعُته أتاني ذلك الآتي، فقال لي: إنّه قبل أن يترعرع وقبل أن يتشعشع، قليل الهلع كثير التبع يُدان بما صنع».[٣]

قال صاحب تاريخ الفخري: «نشأ المختار، شريفاً في نفسه عال الهمة كريماً».[٤]

كانت قبيلة ثَقيف من قبائل العرب الأصيلة ومضرب الأمثال في الشجاعة والفروسية والسخاء والنبل والضيافة علىٰ الرغم من ذلك فهم مشهورون[٥]، وبأنّهم فراعنة وجامحون. لكن نهضَ منهم شجعان وأدباء وشعراء وعلماء كبار من الصحابة والتابعين[٦]؛ أشهرهم «إبراهيم الثقفي» من بني أعمام المختار وصاحب كتاب «الغارات» وهو من كبار علماء الشيعة. وجاءت روايات وأقوال في مدح وثناء «ثَقيف» تجدها في كتب أهل السنّة.[٧]

---

(١) أعلام النساء لعمر رضا كحالة: ج١، ص٤٢١، طبعة بيروت.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٥، ص٢١٤، طبعة بيروت، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٥٠.

(٣) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٥٠ وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٥، ص٢١٤، طبعة بيروت.

(٤) تاريخ الفخري: ص٨٩.

(٥) الغارات لأبي إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفي: ج٢، ص٥١٧.

(٦) راجع كتاب الأنساب للسمعاني: ج٣، ص٤ و١٤٢.

(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٨، ص٣٠، وج٢٠، ص١٠٦.

الشبل الشجاع

كان صبياً في مقتبل العمر عندما شاركَ في إحدىٰ جبهات الحـرب الكـبرىٰ. وذلك أثناء تحرك جيش الإسلام لمحاربة جيش كسرىٰ من المدينة بإتجاه مـنطقة سرحدات الواقعة علىٰ الحـدود بين العراق وبلاد فارس، بـقيادة والده أبي عـبيد وبأمر من الخليفة الثاني. فقد جاء في الكامل: حضرَ المختار مع أبـيه وقـعة قس الناطف[1] وهو إبن ثلاث عشرة سنة، وكان يتفلّت للقتال فيمنعه عمّه سعد بـن مسعود. وكان عم المختار «سعد بن مسعود» من الشخصيات الإسلامية المرموقة ومن الأصحاب المخلصين لأمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت الأطهار عليهم السلام. هذه التجربة العملية لتربية صبي من قبيلة ثَقيف الشجاعة ــ وهو المختار ــ كانَ لها الأثر المهم والإيجابي في تبلور صفات الشهامة والشجاعة لدىٰ هذه الشخصية الفذّة «فـنشأ مقداماً شجاعاً لايتقي شيئاً».[2]

---

(١) قس الناطف: موضع قريب من الكوفة علىٰ شاطئ الفرات الشرقي، وفيه كانت واقعة لهم مع الفرس قُتل فيها والد المختار. أنظر ـ الكامل في التاريخ: ج٢، ص٤٣٨، ومراصد الإطلاع: ج٣، ص١٠٩٢ ـ

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٥٠.

الباب الثاني

شـــخصية المختار

لَـمَس المختار ومنذ نعومة أظافره صعوبة الحياة وحوادثها المرّة والحلوة. وقد نشأ في أفضل مراحل عظمة الإسلام، ولم يشهد عصر الجاهلية والكفر. وقد تأدَّب بآداب وتربية الإسلام الخالصة وترعرع في المدينة ثمّ العراق، وعاصر وإكـتسب التجارب الكبيرة من الحوادث الإسلامية والتحوّلات السريـعة في ذلك العـصر. وإطَّلع وبصدق علىٰ الإنحرافات والمصائب الّتي تلت رحيل النبي ﷺ، ممـا مكـنّه ذلك من تمييز الحق عن الباطل.

قال العلّامة إبن نمـا عـن المخـتار: وتـعاطىٰ مـعالي الأمـور، وكـان ذا عـقلٍ وافر وجوابٍ حـاضر؛ وخِـصالٍ مأثـورة؛ ونـفسٍ بـالسخاء مـوفورة؛ وفـطنةٍ تُدرك الأشياء بفراستها؛ وهمّةٍ تعلو عـلىٰ الفـراقـد بـنفاستها؛ وحـدسٍ مُـصيب؛ وكفٍ في الحروب مجـيب؛ وقد مـارسَ التـجارب فـحنَّكته[1]، ولابسَ الخـطوب فهذَّبته.

لقد نالَ مراتب سامية من القيَم الإنسانية وقمم الشرف والكرامة البـشرية، ولم يألُ جهداً في طريق الحق والدفاع عنه بنفسه.

---

(١) حنّكته: أي أحكمته التجارب والأمور.

المختار رجل السياسة والحنكة

كتب العلّامة «باقر شريف القَرَشي» حول شخصية المختار يقول:

هو مِن أشهر شخصيات العرب الّذين عرفهم تاريخ الإسلام. وكـان له الدور الكبير في حوادث عصره السياسية والإجتماعية، وكانت وجهته السياسية من أبرز الملامح في تعيين المستجدّات والحـركات السـياسية وإتخـاذ المـواقـف في التـاريخ الإسلامي.

أثبت تدبيره وكفاءته السياسية بأنّه رجل فكر وعمل، وكما كَتبَ عـنه بـعض الكتّاب، أنّه كان رجلاً فطناً وصاحب قدرة علىٰ التحليل النفسي، وذكي وعـالِم بمجتمعه بشكل دقيق وماهر؛ وحاذق في إسـتخدام عـناصر الإعـلام وتجـييش المجتمع. كان يخاطب عقول سامعيه عن طريق مُحـاكـاة أحـاسيسهم ولم يكـتف بالإستفادة من الطرق المتعارفة للتبليغ؛ كالشِعر والخطابة وما شاكل، بل تعدّاها إلى طرق عملية مثل: تنظيم التجمعات وتمهيد الأجواء المطلوبة حيث أولاها إهـتماماً خاصّاً.

إستطاع المختار وعِبر أساليبه السياسية الفريدة أن يُبرعم ويُبلور حركته، وأن يستبدل الأجواء والإحتقانات الإعلامية كلّما سنحت الفرصة إلى إنطلاقة ثورات مسلَّحة ـ كما فعل مع والي الزبير علىٰ الكوفة ـ

عند التمـحيص في تاريخ ثورة هذا الرجل الكبير، نراه قـد دَبـرَّ الأمـور بـدقة وكياسة والحق يُقال: إنّه إستحقَ لقب «كيّس».

عبادة وزهد المختار

شكَّلَ العمق المعنوي والتـقوي والتـعبُدي، الفـضائل البـارزة للـمختار. فـهو

بالإضافة إلى كونه شجاعاً، فقد إتّصف بـالسخاء والفـضل والبراعـة في الكـلام والعدل والزهد والتقوىٰ.

نقلَ عدد من الأصحاب أنّ المختار كان يصوم أغلب أيام حكومته شكراً للّـه علىٰ توفيقه وتسديده في القصاص من قتلة الحُسَين عليه السلام.

قال الـمِنهال: فقدِمت الكوفة وقد ظهر المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكـان لي صديقاً، فكنت في منزلي أيّاماً حتىٰ إنقطع النّاس عنّي وركبت إليه فلقيته خارجاً من داره فقال: يا منهال لم تأتنا في ولايتنا هذه ولم تُهنئنا بها ولم تُشرِكنا فـيها؟ فأعلمته أنّي كنت بمكّة وأنّي قد جئتك الآن، وسايرته ونحن نـتحدث حـتىٰ أتىٰ النّاس فوقف كأنَّه ينظر شيئاً وقد كان أُخبِر بمكان حَرملة بن كـاهِل فَـوَجَّه في طلبه. فلم يلبث أن جاءَ قومٌ يركضون وقومٌ يشتدّون حتىٰ قـالوا: أيُّهـا الأمـير البِشارة، قد أُخذ حرملة بن كاهل، فما لبثنا أن جيءَ به فلَمّا نظر إليه المخـتار قـال لحرملة: الحمد للّه الذي مكَّنني منك، ثمّ قال: الجزّار الجزّار، فأُتي بجزّار فقال له: إقطع يَدَيه فَقُطِعتا؛ ثمّ قال له: إقطع رجليه فَقُطِعتا؛ ثمّ قال: النار النار؛ فأُتي بـنار وقصب فأُلقي عليه فأشتعلت فيه النار فقلت: سبحان اللّه! فقال لي: يا منهال إنَّ التسبيح لَحَسَن ففيم سَبَّحت؟ فقلت: أيُّها الأمير دَخلتُ في سفرتي هذه مـنصرفاً من مكّة علىٰ علي بن الحُسَين عليه السلام فقال لي: يا منهال ما فَعَلَ حرملة بـن كـاهل الأسدي فقلت: تركته حياً بالكوفة، فرفع يديه جميعاً فقال: اللّهم أذقهُ حرَّ الحديد، اللّهم أذقه حرَّ الحديد، اللّهم أذقه حرَّ النار، فقال لي المخـتار: أسمِعتَ عـلي بـن الحُسَين عليه السلام يقول هذا؟ فقلت: واللّه لقد سمعته يقول هذا، قال: فنزل عـن دابـته وصلّىٰ ركعتين فأطال السجود، ثمّ قام فركب وقد إحترق حرملة وركـبت مـعه وسرنا فحاذيت داري فقلت: أيُّها الأمير إنْ رأيت أن تُشرِّفني وتُكرِّمني وتـنزل

عندي وتُحرِم بطعامي، فقال: يا منهال تُعلِمني أنَّ علي بـن الحُسَـين دعـا بأربـع دعوات فأجابه اللّه علىٰ يدي، ثمّ تأمرني أن آكل؟ هذا يوم صوم شكراً للّه عزَّ وجل علىٰ ما فعلته بتوفيقه.(١)

وعندما إستولىٰ عبد اللّه بن الزبير علىٰ العراق، أسِرَ زوجَتّي المختار وأجبرهما علىٰ لعنه فأجابته إحداهن: كيف ألعنه وأتبرّأ منه وهو رجل يقوم الليل ويـصوم النهار ويتَّكل علىٰ اللّه وضَحّىٰ بنفسه في سبيل اللّه ورسوله ومحبة أهل بيت نبيه والثأر لهم.(٢)

قال المقرم: «كان تقواه وزهده مع علمه وأدبه من الفضائل الّتي تحلّىٰ بها طوال عمره وإكتسبها من منهج أهل البيت عليهم السلام، وكان يدعو النّاس إلى مرضاة اللّه».(٣)

قال العلّامة القَرَشي: «كان من أعلام التقوىٰ في الإسلام وكان متحرِّجاً في دينه كأشد ما يكون التحرّج».(٤)

هجرة المختار

هاجر المختار من الحجاز إلى العراق عندما إلتحق بجيش الإسلام مع أبيه طلباً للجهاد ومقاتلاً جنب أبيه، وبعد إستشهاد أبيه كَفِله عمّه سعد.(٥)

وبما أنَّ الكوفة قد أصبحت في زمن الخليفة الثاني معسكراً مهماً ودائماً لجـيش الإسلام جرّاء الإتساع وبسط النفوذ وحفظ الحـدود الشرقية لبلاد الإسلام، فقد إنتقل إلى هذه المدينة الكثير من المسلمين مـع عـوائـلهم وبـطونهم وعشـائرهم

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٣٢ - ٣٣٣.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص١٠٧.

(٣) مقتل الإمام الحُسَين(ع) للمقرم: ص٤٥٤.

(٤) حياة الإمام الحُسَين(ع) للشيخ باقر شريف القرشي: ج٢، ص٤٥٤.

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٥، ص٢١٤.

ليستقرّوا في العراق، هذا بالإضافة إلى قيام العديد من الصحابة ومن مسلمي صدر الإسلام بالهجرة من الحجاز إليها، فكانت عائلة المختار بولاية عمّه من ضمنهم.

وأخذت الكوفة تتسع يوماً بعد يوم بسبب موقعها الجغرافي والإستراتيجي، بحيث أضحت ومنذ القرون الأولىٰ لظهور الإسلام واحدة من أهم المراكز الإسلامية سياسياً وإجتماعياً.

إتّجه أمير المؤمنينعليه‌السلام بعد توّليه الحكم ولأسباب وأحداث طارئة آنذاك إلى نقل مركز الخلافة الإسلامية من المدينة إلى الكوفة في العراق.

وقد نُصِّبَ عم المختار والياً علىٰ المدائن من قِبل أمير المؤمنينعليه‌السلام وذلك ما للمدائن من أهمية لحدود العراق. حينها سكن المختار جنب عمّه في العراق وعاش في الكوفة طوال مدة خلافة أمير المؤمنينعليه‌السلام. وبعد إستشهاد الإمامعليه‌السلام إنتقل إلى البصرة وأقام فيها حيناً ثمّ إنتقل إلى الكوفة. وفي أواخر سنة (٦٠) هجرية، ألقاه زياد بن أبيه في الحبس بسبب مشاركته في تهيئة مقدمات الثورة الحسينية.[١]

قال الزركلي في وصف حال المختار: «أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي من رجالات الثورة ضد بني أُميّة ومن شجعانها وكان من أهل الطائف».

وفي زمن عمر إنتقل من الطائف إلى المدينة ومن ثمّ إلى العراق عندما إلتحق بجيش الإسلام في حربه ضد المجوس جنب أبيه الذي إستشهد في «واقعة الجسر».

عاد المختار إلى المدينة وإرتبط مع بني هاشم فقط وكان من الموالين لأهل البيتعليهم‌السلام. فيما تزوّج عبد اللّه بن عمر بن الخطاب من أُخته صفيّة.

سكن المختار إلى جنب عمّه في العراق وعاش في الكوفة طوال مدة خلافة أمير المؤمنينعليه‌السلام. وبعد إستشهاد الإمامعليه‌السلام إنتقل إلى البصرة وأقام فيها حيناً.[٢]

---

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي: ج٧، ص١٩٢، طبعة بيروت.

(٢) نفس المصدر، ج ٧، ص ١٩٢.

فلمّا وُلِيَّ المغيرة إبن شعبة الكوفة مِن قِبل معاوية، رحلَ المختار إلى المدينة وكان يجالس محمّد إبن الحنفيّة ويأخذ عنه الأحاديث.[١]

وبعد عودته إلى العراق مرة أخرىٰ أخذ يتحدَّث إلى النّاس وبإستمرار عن فضائل آل النبي ﷺ وينشر مناقب علي والحسن والحُسَين عليهما السلام ويقول: إنَّهم أحقّ بهذا الأمر من كل أحد بعد رسول اللّه ﷺ ويتوجَّع لهم مما نزلَ بهم.[٢]

عائلة المختار

كانت عائلة المختار من الشيعة المخلصين والموالين لأهل البيت عليهم السلام وكان سعد[٣] بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد من الشخصيات البارزة في صدر الإسلام ومن صحابة الرسول ﷺ.

في الإستيعاب له صحبة وفي أسد الغابة والإصابة. وقال الطبراني: له صحبة[٤]، وقد أجمع السنّة والشيعة علىٰ أنّه من الصحابة البارزين. وكان في جميع المراحل جنب أمير المؤمنين عليه السلام ومحباً له وقد ذكره الطوسي من جملة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

عم المختار والي المدائن

ذكر أبو مخنف أنّ علياً ولآه المدائن ثمّ إستصحبه معه إلى صفِّين. وأقرَّه الحسن عليه السلام ولما جُرِحَ الحسن عليه السلام بالمدائن أقام عنده يعالج جرحه.

(١) رسالة «ذوب النضار» لإبن نما الحلّي: ص٦٧.

(٢) رسالة «ذوب النضار» لإبن نما الحلّي: ص٦٧– ٦٨.

(٣) في بعض النسخ ذكر «سعيد» وأن الصواب «سعد» بغير ياء.

(٤) أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين: ج٧، ص٢٣٠.

قال إبن الأثير: «ولمّا خَرج أمير المؤمنينعليه السلام إلى حرب صفّين جعل سعداً هذا علىٰ سبع قيس وعبد القيس».

وفي حادث الإغتيال الذي تَعرَّض له الامام الحسنعليه السلام في «الساباط» وقد جُرِح فيه، قال: خُذوني إلى بيت «سعد» ثمّ أتاه بطبيب وقام عليه يُعالج جرحه حتىٰ برئ.[1]

الإقتراح الخطير

قال السيّد المرتضىٰ: «أشار علىٰ سعد هذا شاب من آله وأولاده أنْ يستوثق من الحسن ويستأمن به إلى معاوية فقال: قبح اللّه رأيك فيمن أكرمني وشرَّفني، وهبني نسيت بلاء أبيه مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله ويده عليَّ من قبل، أفلا أحفظ رسول اللّه صلى الله عليه وآله في إبن بنته وحبيبه، ثمّ أتاه بطبيب وقام عليه يعالج جرحه حتىٰ برئ. وذَكرَ بعضهم أنَّ الذي أشار عليه بذلك كان هو المختار، وسعد هو عم المختار فلمّا إمتنع سعد عن ذلك، قال له المختار: أردت أن أُجرِّبك.»[2]

وجاء في رواية أُخرىٰ: «أرادَ بعض الشيعة قتله لكنّهم تركوه بعد أن دفعهم عمّه».

قال آية اللّه الخوئي(ره) في ذيل هذه الرواية: «لايمكن الإعتماد عليها لأنَّها مُرسلة ـ إذ أن إسم الراوي محذوف من السنَد ـ والثاني وعلىٰ فرض صحّة الرواية، كان المختار يقصد من ذلك إمتحان عمّه وإختباره حتىٰ إذا وجده لا سمح اللّه كذلك، أن يتدبّر أمراً لحفظ الإمام ودرء السوء عنه.»

(١) أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين: ج٧، ص٢٣٠.

(٢) نفس المصدَر.

نقلَ الرواية إبن كثير لكنّه ذكر إسم الإمام الحُسَينعليه السلام بدل الإمام الحسنعليه السلام مايدل علىٰ جهل هذا المؤرخ أو أن يكون أخطأ سهواً.[١]

قال البلاذري في هذا الخصوص: «وكان سعد والياً من قبل عليعليه السلام علىٰ المدائن وأقرّه الحسنعليه السلام ولما جُرِحَ الحسنعليه السلام بالمدائن أقام عنده يعالج جرحه، أشار علىٰ سعد هذا شاب من آله وأولاده أن يستوثق من الحسن ويستأمن به إلى معاوية. فذُهل الشيعة من هذا الحديث وأراد «الحارث الأعور» و«ظبيان إبن عمارة» وكانوا من الأصحاب المقرَّبين للإمام الحسنعليه السلام، قَتل المختار لهذا الحديث الذي تفوَّه به فمنعهم الإمامعليه السلام، فكفّوا عنه.[٢]

وكتب العلّامة المحقق الشيخ محمّد باقر المحمودي في حاشية «أنساب الأشراف» تذييلاً لهذا الكلام جاء فيه:

إنَّ هذا القول في حق المختار لم يثبت عن طرق الشيعة ـ إذ نَقَله أهل السنّة ـ وعلىٰ فرض هذا الأمر، فإنّه لايتعارض مع الأعمال القيّمة اللاحقة الّتي نَفَّذها المختار والّتي دلَّت علىٰ الإثرة والجود والإستماتة الّتي أبداها المختار في الذَود عن أهل البيتعليهم السلام وإدخال السرور علىٰ قلوبهم وقلوب شيعتهم وذلك بالثأر الذي أخذه من المنافقين وقَتلة أبناء وأهل بيت النبيصلى الله عليه وآله.

وقِيل ولو فرضنا جدلاً صحة تفوّه المختار بهذا الكلام حول تسليم الإمام الحسنعليه السلام، فإن أعماله الجيدة اللاحقة تدل علىٰ أنه تاب. كما فعل أغلب الفسّاق والكفّار حين تابوا عن ذنوبهم السابقة وإستبدلوا أعمالهم الطالحة بأعمال صالحة وإستقاموا علىٰ الطريق وتفانوا فيه وشاركوا في معركة الجهاد في سبيل اللّه وبالغوا

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج١، ص٢٤٩.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٥، ص٢١٤، البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٢٤٩.

فيها إلى حد الشهادة وجزاهم اللّه أجر الشهداء والصدّيقين. والأصل في العمل حُسن العاقبة.[١]

ثمّ قال المحمودي «وهو رضوان اللّه عليه قُتِل في سبيل أهل البيت عليهم السلام»:

ولِنفترض مرّة أخرىٰ أنَّ المختار قد طرح وبشكل جاد هذا الإقتراح الخطير، فهذا يدل علىٰ سوء نيّته في ذلك الزمان؛ والنيّة وحدها ما لم يتبعها عمل لاتوجب المؤاخذة والعقاب.

وفي المحصلة؛ فإنَّ فعِل المختار المتميّز بالإنتقام من قَتلة شهداء كربلاء قد تم أواخر عمره، وهذا العمل الثوري يدل علىٰ تفانيه وحزمه في مقابل أعداء اللّه، وكان نهاية أمره الإيثار والتفاني في سبيل اللّه ومساعدة أوليائه.

لهذا، فإنَّ إسم المختار قد سطعَ بحسن العاقبة، وتركَ خلفه ملفّاً ذهبياً في تاريخ الإسلام، وسينال عند اللّه الأجر الجزيل والجزاء المناسب لعمله الثوري المهم.[٢]

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣، ص٣٦، البداية والنهاية لإبن كثير: ج٨، ص٢٤٩.

(٢) حاشية أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣، ص٣٦. نود الأشارة إلى أنَّ أغلب الروايات الّتي نُقلت في هذا الفصل كانت عن رجال الكشي والّتي نقلناها عن كتاب إختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي. وذلك لعدم حصولنا علىٰ النسخة الأصلية لكتاب رجال الكشي، والموجود حالياً هو نظريات الكشي الّتي جمعها الشيخ الطوسي. وأغلب روايات هذا الفصل موجودة في كتاب بحار الأنوار في بيان شرح حال المختار وأنَّ أغلب كتب الرجال للشيعة قد ذكرت هذه الروايات. لذا إستندنا عليها بعنوان المرجع الأوّل أو في بعض الأحيان كمرجع فرعي. والواقع أنَّ كتاب رجال الكشي وهو كتاب: «إختيار معرفة الرجال» يُعد من الكتب الرجالية المتقنة والمعتبرة لدينا.

◘ الفصل الثاني

المختار
في أقوال الأئمة عليهم السلام والعلماء

الباب الأوّل

المختار في أقوال الأئمة الأطهار عليهم السلام

الدفاع عن الحق

بلا شك ليس للإنسان فخر وعز أعلىٰ من أن يكون دائماً ولياً وموالياً للّه وفي جبهة الحق والدفاع عن أهل البيت عليهم السلام ومظلوميتهم وحماية ورثة النبي صلى الله عليه وآله والذي يُعد من أعلىٰ مصاديق الذود عن الحق. وكما أشار القرآن الكريم إلى نيل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله البارزين والمدافعين عنه بالنفس والمال وبدافع الإخلاص والإيمان وصفاء الروح أمام جبهة الكفر والشرك والمسارعين لنصرته، مكانة خاصة وعظمة كبرىٰ. فإن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام تمتعوا بذات المنزلة والعظمة طبقاً للروايات المتعددة في هذا الصدد. فالمطلوب إذن، الإيثار والتفاني في سبيل نصرة هؤلاء الأبرار بالقلب واليد واللسان. وبالإستناد إلى الروايات والتاريخ يمكن الإدعاء بأن «المختار بن أبي عبيد الثقفي» هذا المجاهد الصدّيق في جبهة الحق وولي أهل البيت عليهم السلام والمدافع المخلص عن مظلوميتهم، هو من المصاديق البارزة للمناصرين والمدافعين عن الحق.

وفي الوقت الذي أوجدت أيادي غاصبي منصب الخلافة والزعامة وأتباعهم أكبر إنحراف وخيانة في تاريخ الإسلام، وذلك بمحو آثار النبي صلى الله عليه وآله وإفراغ الإسلام من محتواه وإزاحة أئمة الحق عن مكانتهم ودفع أهل البيت عليهم السلام وعترته للإنزواء،

وكبت جميع دعوات وصيحات الحق والقضاء عليها في نطفتها. فما هو إذن منزلة ومقام من برزوا وتولوا مهام الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام بكل ما أُوتوا من وسيلة مشروعة.

لقد سعت الحكومة الأموية المتجبّرة وبكامل قدرتها إلى إطفاء نور أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وممارسة أبشع وأشنع الأعمال والضغوط علىٰ الشيعة والخواص من الموالين للحكم العلوي. وفي تلك الظروف الصعبة والخطرة ثارَ رجل شجاع طاهر ومجاهد مثل المختار ولقّن الأمويين وأزلامهم دروساً في العبر ودافعَ وبكل ما أوتي من قوة عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهو مايشكل له فخراً كبيراً ومنزلة عظيمة.

روايتان مثيرتان

قبل الخوض في الروايات الخاصة الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام والّتي تدور حول شخصية المختار وتمجيده ومدحه والإشادة به، نشير إلى روايتين مثيرتين نقلهما الشيخ المفيد(ره):

١ ـ «عن جعفر بن محمّد عليهما السلام عن أبيه عليه السلام قال: مَن أعاننا بلسانه علىٰ عدونا، أنطقه اللّه بحجته يوم موقفه بين يديه عزّ وجلّ».[١]

٢ ـ عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال: مَن أحبّنا بقلبه ونصرنا بيده ولسانه فهو معنا في الغرفة الّتي نحن فيها؛ ومَن أحبّنا بقلبه ونصرنا بلسانه فهو دون ذلك بدرجة؛ ومَن أحبّنا بقلبه وكفَ بيده ولسانه فهو في الجنة.[٢]

والمختار واحد من المصاديق البارزة لهاتين الروايتين. وسوف نثبت هذا الأمر إن شاء اللّه.

---

(١) الأمالي للشيخ المفيد: المجلس الرابع، ح٧و٨، ص٤٦، طبعة إيران.

(٢) الأمالي للشيخ المفيد: ص٣٣ - ٣٤.

روايات في مدح المختار

قال آية اللّه السيّد الخوئي(ره): «والأخبار الواردة في حقِّه علىٰ قسمين: مادحة وذامة؛ أمّا المادحة فهي متضافرة.[١] فهو ينقل بدايةً الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام في مدح وتأييد شخصية المختار وقيمة عمله. وبعد تأييد وترجيح أخبار المدح وإعتقاد وأعمال المختار؛ ينتقل بعدها إلى الروايات الواردة في ذم المختار فيفنِّدها ويُسقطها جميعاً.

بداية سننقل الروايات الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام في مدح المختار، ومن ثمّ سنقوم بتحقيق الروايات الواردة في ذمه. ونأمل من القرَّاء الكرام التدقيق والتأنِّي في مطالعة مضامين وأسناد هذه الأحاديث. وقبل التدقيق اللازم لهاتين المجموعتين يتوجب الإبتعاد عن إبداء النظر حول شخصية المختار.

بشارة الإمام علي عليه السلام بثورة المختار

يُشاهد في كتاب «الملاحم والفتن» روايات منقولة عن طرق السنّة والشيعة عن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام حول التنبؤ بحوادث المستقبل. إحدىٰ هذه الحوادث في الأخبار الغيبية عن النبي والأئمة عليهم السلام هي ثورة الحُسَين عليه السلام وإستشهاده والحوادث الواقعة بعد ذلك؛ منها ثورة المختار. وينقل المقدّس الأردبيلي هذه الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام والّتي جاء فيها: «سيُقتل ولدي الحُسَين وسيخرج غلام من ثَقيف ويَقتل من الّذين ظلموا، ثلاثمائة وثلاثة وثمانين ألف رجل».[٢]

من الممكن أن تبدو هذه الأرقام بعيدة عن الواقع وفيها غلو كبير، إلّا أنَّ

(١) معجم رجال الحديث لآية اللّه السيّد الخوئي: ج١٨، ص٩٤، طبعة بيروت.

(٢) حديقة الشيعة للمقدس الأردبيلي: ص٤٠٥، طبعة دار الكتب الإسلامية، طهران.

الوقائع تشير إلى سقوط الكثير من القتلىٰ وهلاك جمع كبير من أعداء أهل البيت عليهم السلام ممن تسببوا في وقوع فاجعة كربلاء؛ وذلك خلال أحداث ثورة المختار. يُذكر أنَّ أغلب قادة هؤلاء القتلىٰ كانوا قد هلكوا في العراق علىٰ يد المختار وأصحابه ويمكن تقدير عددهم بعدة آلاف. فمنذ عملية فتح الكوفة علىٰ يد المختار، قُتل عدد كبير من أعداء أهل البيت عليهم السلام، إضافة إلى هلاك عدد آخر خلال التمرد بعد إنتصار ثورة المختار وكذالك سقوط عدد من القتلىٰ في قضية معركة «إبراهيم بن مالك الأشتر» والذي أدىٰ إلى هزيمة جند الشام بقيادة إبن زياد. وطبقاً للتواريخ المعتبرة فقد نجا عدد ضئيل من هذا الجيش البالغ قوامه (٨٠) ألف رجل. وعليه، فإن هذا الرقم ليس ببعيد عن الواقع.

نقل العلّامة المجلسي رواية عن الإمام علي عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه: كما أن بعض بني إسرائيل أطاعوا فأُكرموا وبعضهم عصوا فعُذبوا فكذلك تكونون أنتم، فقالوا: فمن العصاة يا أمير المؤمنين؟ قال: الّذين أُمروا بتعظيمنا أهل البيت وتعظيم حقوقنا فخانوا وخالفوا ذلك وجحدوا حقوقنا وإستخفوا بها وقتلوا أولادنا أولاد رسول اللّه الّذين أُمروا بإكرامهم ومحبتهم. قالوا: يا أمير المؤمنين إنَّ ذلك لكائن؟ قال: بلىٰ خبراً حقاً وأمراً كائناً سيقتلون ولديَّ هذين الحسن والحُسَين. ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: وسيصيب الّذين ظلموا رجزاً في الدنيا بسيوف بعض من يسلط اللّه تعالىٰ عليهم للإنتقام بما كانوا يفسقون كما أصاب بني إسرائيل الرجز، قيل: ومن هو؟ قال: غلام من ثَقيف، يقال له المختار بن أبي عبيد».[1]

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٣٩ ـ ٣٤٠. توضيح: وردت قصة ذيل هذه الرواية يكنف الشك ←

قال المرحوم المامقاني: «هذه الرواية دليل آخر علىٰ أن المختار كان إمامياً صحيح الإعتقاد، لأن عاقبة المختار لم تكن شأنها شأن حوادث كثيرة أخرىٰ خافية علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام والّتي كان الإمام عليه السلام علىٰ علم مسبق بها» لهذا، فإن كان المختار منحرفاً أو لم يكن معتقداً بإمامة السجّاد عليه السلام، ما كان لأمير المؤمنين عليه السلام أن يجلسه علىٰ فخذه ويلاطفه ويلقّبه بالعبارة المشهورة «ياكيّس ياكيّس». وكيف من الممكن أن لايعلم الإمام مستقبل المختار؟ مع العلم بأن ميثم التّمار وهو من تلاميذ الإمام علي عليه السلام ومولىٰ من مواليه كان يعلم بمستقبل المختار.[1]

الجملة أعلاه هي إشارة للرواية الّتي تقول: إن ميثم التّمار عندما كان في سجن الكوفة مع المختار قد أخبره بأن إبن زياد سوف يُقتل علىٰ يده وأنه سوف يستشهد في نهاية المطاف. ولقد قمنا بنقل هذه الرواية من قبل.

بشارة الإمام الحُسَين عليه السلام بثورة المختار

نقلَ العلّامة المجلسي (ره) في ذكر وقائع يوم عاشوراء: خطبَ الإمام الحُسَين بجيش الكوفة والشام خطبة (وقد نقلها كاملة) وقال في ذيلها يذمهم: «ألا! ثمّ لاتلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس، حتى تدور بكم الرحىٰ، عهد عهده إليَّ أبي عن جدي فأجمعوا أمركم وشركاءَكم ثمّ كيدوني جميعاً، أفلا تنظرون أني توكلت علىٰ اللّه ربي وربكم؛ ما من دابة إلّا هو آخذ بناصيتها. إنّ ربي علىٰ صراط مستقيم؛ اللّهم إحبس عنهم قطر السماء وأبعث عليهم سنين كسني يوسف

← صحتها، وواقعة المختار والحجاج غير صحيحة لأن المختار إستشهد في واقعة الحرب مع إبن الزبير سنة (٦٧) هجرية قبل أن يحكم الحجاج ويحتمل أنه قد ألبس عليه الحجاج مع إبن زياد.

(١) تنقيح المقال للمامقاني: ج٣، ص٢٠٥.

وسلِّط عليهم غلام ثَقيف يسقيهم كأساً مصبّرة ولا يدع فيهم أحداً إلّا (قتله) قتلةً بقتلة وضربة بضربة ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم. فإنهم كذّبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.[1]

نعم لم يكن هناك شخص مصداقاً لدعاء الإمامعليه السلام سوىٰ المختار، لأنه هو الذي إنتقم لدماء شهداء كربلاء.

جزىٰ اللّه المختار خيراً

إن لم نجد في صحيفة أعمال المختار شيئاً قيّماً سوىٰ هذ الجملة القصيرة الّتي منحها له الإمام السجّادعليه السلام، فهي أفضل ثروة لسعادته ونجاته.

«قال عمر بن علي بن الحُسَينعليهما السلام: حدَّثني محمّد بن مسعود قال، حدثني أبوالحسن علي بن أبي علي الخزاعي، قال: حدثني خالد بن يزيد عن الحُسَين بن زيد عن عمر بن علي بن الحُسَين: إنّ علي بن الحُسَينعليهما السلام لما أُتي برأس عُبيد اللّه بن زياد ورأس عمر بن سعد خرَّ ساجداً وقال: الحمد للّه إلذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزىٰ اللّه المختار خيراً.[2]

وفي الروايات نلحظ كثيراً أهمية إدخال السرور علىٰ قلب المؤمن وما له من الثواب والأجر الكبير، فكيف بإدخال السرور علىٰ إمام يمثل القلب النابض لعالم الوجود. وقد إختص المختار لنفسه هذه الفضيلة والمنقبة فكان بهذا محطاً لمحبة الامام السجّادعليه السلام والدعاء له من جانبهعليه السلام. وهذا دليل علىٰ صدق النية وصفاء القلب وخلوص العمل والإعتقاد لدىٰ المختار، فيا حسنها من سعادة وعزَّة.

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٨ - ١٠.

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٤٤ و٣٥١، رجال الكشي: ص١٢٧، ح٢٠٣. نقلاً عن «رسالة شرح الثأر» وتنقيح المقال: ج٣، ص٢٠٤ ومعجم رجال الحديث: ج١٨، ص٩٥.

الإمام السجّاد عليه السلام يقبل هدايا المختار

بعد سيطرة المختار علىٰ زمام الأُمور وتشكيله الحكومة في العراق، ظلَّ علىٰ إتصال دائم بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في المدينة يرسل إليهم الأموال كهدايا وكذلك الحقوق الشرعية من العراق إلى الإمام السجّاد عليه السلام ومحمّد إبن الحنفيّة. سنشير إلى البعض منها:

قال أبوحمزة الثمالي وهو من الأصحاب الأوفياء للإمام السجّاد عليه السلام ومن تلاميذه في حفظ الأدعية، ومن رجال علم الحديث وفقهاء الشيعة الكبار، ومن المقربين لدىٰ الإمام عليه السلام: «حججت فأتيت علي بن الحُسَين عليهما السلام فقال لي: يا أبا حمزة ألا أُحدثك عن رؤيا رأيتها؟ رأيت كأني أُدخلت الجنّة فأُتيت بحوراء لم أرَ أحسن منها، فبينا أنا متكئ علىٰ أريكتي إذ سمعت قائلاً يقول: يا علي بن الحُسَين ليهنئك زيد يا علي بن الحُسَين ليهنئك زيد فيهنئك زيد. قال أبو حمزة: ثمّ حججت بعده فأتيت علي بن الحُسَين عليهما السلام فقرعت الباب ففتح لي ودخلت، فإذا هو حامل زيداً علىٰ يده، أو قال: حامل غلاماً علىٰ يده فقال لي: يا أبا حمزة هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً».[١]

دعاء محمّد إبن الحنفيّة

عندما بعث المختار برأس إبن زياد إلى محمّد إبن الحنفيّة: «فقدموا بالكتاب والرؤوس عليه فلمّا رآها خرَّ ساجداً ودعا للمختار وقال: جزاه اللّه خير الجزاء فقد أدرك لنا ثأرنا ووجب حقه علىٰ كل مِن ولد عبد المطلب بن هاشم».[٢]

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٦، ص١٦٩ ـ ١٧٠، أمالي الصدوق: ص٣٣٥.

(٢) نفس المصدر: ج٤٥، ص٣٨٥ – ٣٨٦.

ودعا لإبراهيم الأشتر عند قتله لابن زياد قائلاً: «اللّهم واحفظ إبراهيم الأشتر وأنصره علىٰ الأعداء ووفقه لما تحب وترضىٰ وأغفر له في الآخرة والأولىٰ».[1]

وفي رواية أخرىٰ نقلاً عن كتاب جامع الرواة: «عند رؤية إبن الحنفيّة للرؤوس المقطوعة، خرَّ ساجداً للّه شكراً علىٰ ما شاهده ثمّ رفع يديه نحو السماء قائلاً: إلهي تَقبَّل عمل المختار هذا وأجزيه عن نبيك ﷺ خير الجزاء: أُقسم باللّه لاعتب لي علىٰ المختار بعد الآن».[2]

لاتسبّوا المختار

عن سديد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تسبوا المختار فإنه قد قتل قتلتنا وطلب بثأرنا وزوّج أراملنا وقسّم فينا المال علىٰ العسرة.[3]

وهذه الرواية مقبولة السند والعلّامة المجلسي في سند هذا الحديث يقول: «والطريق حسن» والسيّد إبن طاووس يقول ذات الشيء.[4]

رحمَ اللّه المختار

ينقل الشيخ الطوسي هذه الرواية[5] فيقول: دخلنا علىٰ أبي جعفر عليه السلام يوم النحر

---

(١) المصدر السابق.

(٢) جامع الرواة للشيخ محمّد الأردبيلي، ج ٢، ص ٢٢٠ (حرف الميم).

(٣) اختيار معرفة الرجال؛ «رجال الكشي»: ص١٢٥، ح١٩٧؛ بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٤٣، ح٧. وعالم العوالم للشيخ عبداللّه البحراني: ص٦٥٢، معجم رجال الحديث: ج١٨، ص٩٥، تنقيح المقال: ج٣، ص٢٠٤. ملاحظة: في السند هاشم صحيح «منتهىٰ المقال، كلمة المختار».

(٤) جامع الرواة للشيخ محمّد الأردبيلي: ج٢، ص٢٢٠ (حرف الميم).

(٥) سند الحديث كالتالي: محمّد بن الحسن وعثمان بن حامد عن محمّد بن يزداد عن محمّد بن الحُسَين عن موسى إبن يسار عن عبداللّه بن الزبير، عن عبداللّه بن شريك...؛ اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي: ←

وهو متكئ، وقال : أرسل إليَّ الحلاق، فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليُقبلِها فمنعه ثم قال: من أنت؟ قال: أنا أبو محمّد الحكم بن المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان متباعداً من أبي جعفر عليه السلام فمدَ يده إليه حتىٰ كاد يقعده في حجره بعد منعه يده، ثمّ قال: أصلحك اللّه إن النّاس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول واللّه قولك؛ قال: وأي شئ يـقولون؟ قـال: يـقولون كـذّاب؛ وألا تأمرني بشيءٍ إلا قبلته فقال: سبحان اللّه أخبرني أبي واللّه إنَّ مهر أُمي كان ممـا بعث به المختار، أولمْ يبنِ دُورنا؟ وقتل قاتلينا؟ وطلب بدمائنا؟ فرحمه اللّه. أخبرني أبي أن المختار عندما كان يتردد علىٰ بيت فاطمة بنت أمير المؤمنين عليه السلام تجده يحظىٰ باحترام ووقار خاص.

عندئذٍ إلتفت الإمام الباقر عليه السلام إلى إبن المختار وقال له: «رَحِمَ اللّه أباكَ، رَحِـمَ اللّه أباك، ماتركَ لنا حقاً عند أحدٍ إلاّ طلبه قتل قتلتنا وطلب بدمائنا».

نرىٰ في هذه الرواية عدة ملاحظات:

١ ـ محبة إبن المختار الشديدة للامام عليه السلام.

٢ ـ محبة الإمام عليه السلام لإبن المختار. فما أن عرف الإمام عليه السلام أنه إبن المخـتار حـتىٰ أغمره بالحنان والمحبة ودعاه إلى الجلوس لجواره وبقربه. مما يدل ذلك علىٰ مدىٰ حب الإمام للمختار.

٣ ـ يتألم الإمام من جرأة النّاس علىٰ المختار فيردد جملة «سبحان اللّه» منزّهاً بذلك المختار من التهُم وينقل حديث عن أبيه عليه السلام فيقول: «أخبرني أبي واللّه إن مهر أُمي كان مما بعث به المختار،» وهذا تأييد علىٰ مقام المختار وعلوه.

← ص١٢٦ـ١٢٥، وبحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥ ص٣٤٣ـ٣٤٤ وتنقيح المقال: ج٣ ص٢٠٥ ومعجم رجال الحديث: ج١٨ ص٩٥.

٤ ـ ثمّ يتذكر الإمام الخدمات المخلصة للمختار قائلاً: «أولم يبن دورنا؟ وقتل قاتلينا؟ وطلب بدمائنا».

٥ ـ يشيدالإمام عليه السلام بالمختار ويذكر حديثاً عن أبيه عليه السلام يُبيّن فيه علاقة المختار الخاصه بأهل البيت عليهم السلام وإحترام هذا البيت له.

٦ ـ تدل هذه الرواية علىٰ أن المختار كان يتردد علىٰ بيوت أبناء علي عليه السلام لكسب الفيض والمعرفة وسماع الأحاديث وإظهار الإحترام لهم والإطلاع علىٰ أحوالهم.

٧ ـ والأكثر من هذا، فإن الإمام عليه السلام كان قد طلب له الرحمة ثلاثاً عندما خاطب إبنه قائلاً: «رَحِمَ اللّه أباك» ذاكراً فضائل أبيه المختار مرة أخرىٰ.

ويمكن الإستعانة بهذه الرواية من جملة الأدلة لإثبات صحة إعتقاد المختار ورسوخه في مسألة الإمامة.

وهذه الرواية هي من جملة الأدلة الّتي أوردها العلّامة الكبير المامقاني لنفي كون المختار كيسانياً، فقد قال: إن طلب الرحمة ثلاثاً للمختار في رواية عبد اللّه بن شريك دليل علىٰ صحة إعتقاده في أمر الإمامة. ثمّ استدل بمايلي: لايعقل أن الإمام يطلب الرحمة لشخص غير إمامي، لأنه وإستناداً لمذهب الإمامية، فإنَّ مجرد العمل الحسن للمختار وهو الأخذ بالثأر للإمام الحُسَين عليه السلام غيرمبرر لترحُّم الإمام عليه السلام عليه. لأنَّ إظهار السرور والرضا من الأئمة تابع لسرور اللّه تعالىٰ، لذا يُفهم من ذلك أنَّ المختار لم يكن منحرف العقيدة لهذا إستوجب سرور ورضا الأئمة عليهم السلام[1].

سرور أهل البيت عليهم السلام

عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام «قال: ما إمتشطت فينا هاشمية ولا إختضبت

(١) تنقيح المقال: ج ٣، ص ٢٠٥.

حتىٰ بعثَ إلينا المختار برؤوس الّذين قتلوا الحُسَين صلوات اللّه عليه».[1]

وكل الرجال في سند هذه الرواية موثوقون ومعتمدون، وهي رواية صحيحة.

إن مصيبة كربلاء من أعظم مصائب العالم الإسلامي وخاصة أهل بيت الرسالة عليهم السلام. وهي أعظم حادثة مؤلمة أثّرت في نفوس أهل البيت عليهم السلام حتىٰ أرسل المختار رؤوس القتلة من أعدائهم إليهم وبرؤيتها هدأوا وخرجوا من الحداد. فما من سعادة وفخر أكبر من هذا جزىٰ اللّه المختار خيراً.

خمس سنوات من الحداد

روىٰ المرزباني بإسناده عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنه قال: ما إكتحلت هاشمية ولا إختضبت ولا رُئيَ في دار هاشمي دخان خمس حجج حتىٰ قُتِل عُبيد اللّه إبن زياد ـ لعَنهُ اللّه ـ[2]

وذيّلَ المحدِّث القُمّي الرواية بقوله: من هنا يتبين حال المختار كيف أنه سرَّ قلب الإمام عليه السلام، وتَفقَّد مكسوري القلوب والمظلومين والمفجوعين والأرامل والأيتام من آل محمّد صلى الله عليه وآله، إذ بقوا في الحداد خمس سنوات يقيمون العزاء. وبالإضافة إلى أنه أخرجهم من الحداد فإنه بنىٰ دورهم وقسّمَ فيهم المال.[3]

---

(١) سند الرواية: إبراهيم بن محمّد عن أحمد بن إدريس عن محمّد بن أحمد عن الحسن بن علي عن العبّاس بن عامر عن إبن عميرة عن جارود بن المنذر عن أبي عبد اللّه(ع) «رجال الكشي»: ص ٢٧، ح ٢٠٣، بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج ٤٥، ص ٣٤٤، تنقيح المقال: ج ٣، ص ٢٠٥.

(٢) أُنظر البحار: ج٤٥، ص٢٠٧، ح ١٣ و ص٣٤٤، ح١،٢ وص٣٨٦، نقلاً عن «رسالة شرح الثأر»، وتنقيح المقال: ج٣، ص٢٠٤، معجم رجال الحديث: ج٥، ص٩٤، رسالة «ذوب النضار» لابن نما الحلّي: ص١٤٤.

(٣) عن منتهىٰ الآمال للمحدّث القُمّي: ج١، ص٤٥١.

خبر ميثم التمّار

حبس إبن زياد المختار وميثم التمّار في سجن الكوفة وحكمَ عليهما بالقتل. قال إبن أبي الحديد: فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد الثقفي، فقال ميثم للمختار وهما في حبس إبن زياد: «إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحُسَينعليه السلام فتقتل هذا الجبّار الذي نحن في سجنه وتطأ بقدمك هذا علىٰ جبهته وخدّيه».[١]

وقد حدث ذلك بالفعل. إذ يتأكد لنا أن ميثم لم يقل هذا الكلام من عنده بل مما سمعه من بشارة أمير المؤمنينعليه السلام. ومن الواضح أن ثورة المختار لم تكن من أجل الرئاسة وحب الدنيا بل من أجل الثأر والقصاص من قتلة شهداء كربلاء.

قالت فاطمة[٢] بنت عليعليه السلام: «ما تحنأت»[٣] إمرأة منّا ولا أجالت في عينها مروداً ولا إمتشطت حتىٰ بعثَ المختار رأس عُبيد اللّه بن زياد.[٤]

نستنتج من مجموع هذه الروايات أن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بعد حادثة عاشوراء أقاموا الحداد والمآتم، وأن نساء بني هاشم لم تَتَحن ولم تضع مروداً ولم تتمشط ولم تحدث عندهم حادثة تنسيهم المصيبة وتقلل الفاجعة إلّا الثأر والإنتقام من قتلة الإمام الحُسَينعليه السلام. والذي جعله اللّه تعالىٰ علىٰ يد المختار وأهلك عدوهم الأول عُبيد اللّه بن زياد علىٰ يد إبراهيم الأشتر الكفوءة، حيث أرسل المختار رأسه ورؤوس عدد آخر من قتلة الإمام إلى أهل بيت النبوّةعليهم السلام في المدينة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢، ص٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢) ذكر الشيخ المفيد وآخرين أنها من جملة بنات علي(ع) «فاطمة»، وكانت امرأة فاضلة وعمّرت وأدركت زمن الإمام الصادق(ع)، بحار الأنوار: ج٤٢، ص١٠٦، ح٣٢ نقلاً عن قرب الاسناد: ص٧٦.

(٣) يقال: تحنأ: تخضَّب بالحناء.

(٤) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٨٦، نقلاً عن «رسالة شرح الثأر» وتنقيح المقال: ج٣، ص٢٠٤، ومعجم رجال الحديث: ج٥، ص٩٤.

الباب الثاني
المختار في آراء وأقوال كِبار علماء الشيعة

إن أحد أدلتنا في إثبات المنزلة الرفيعة للمختار وكونه مجاهداً؛ مخلصاً؛ ومدافعاً عن حق أهل البيت عليهم السلام؛ وأنه ذو عقيدة راسخة ونقية، هو ما جاء في أقوال وآراء وشهادات وقضاءات فحول علماء الشيعة وكبار علم الرجال. ففي علم الرجال هناك قاعدة معروفة لإثبات وثاقة الأشخاص، وهي شهادة عدلين علىٰ طهارة وصحة إعتقاد الشخص المومأ إليه أو صدقه كي يمكن الإعتماد عليه. ولدىٰ تحليل شخصية المختار في كلام علماء الشيعة الكبار، لم نجد سوىٰ التكريم والإشادة والشهادة له؛ وتبرز أهمية وجهات النظر والشهادات هذه عندما تصدر من الشخصيات الكبيرة من الأعلام والمحترفين في فن الرجال.

فإذا مَدحَ عِظام أمثال: الشيخ الطوسي، العلّامة الحلّي، العلّامة إبن نما، العلّامة المامقاني، العلّامة الأميني، آية اللّه السيّد الخوئي، وآخرين.... شخصاً ما؛ فلن يكون هناك شك في وثاقته.

ومن اللافت للنظر بين الفقهاء والعلماء والمحدثين ورجال الشيعة الكبار إلى الآن، أنه لم يصدر من أحدهم قدح أو ذم للمختار. بل وحمل بعضهم روايات القدح والذم والنقول التاريخية في هذا الباب علىٰ التقية أو كونها من نسج أعداء أهل البيت عليهم السلام أو قد صُنِّف رواتها من غير الموثوقين. ومن جهة أخرىٰ فإن هؤلاء

العلماء الأعاظم أقروا وإعترفوا بأنّ المختار وطبقاً للروايات الواردة في مدحه والتحليل الدقيق لتاريخ ثورته، كان علىٰ سلامة من صحة إعتقاده وكونه من الممدوحين وأعماله وأفعاله في موضع رضىٰ الأئمةعليهم السلام.

لقد سعينا جاهدين في هذا الفصل أن ندوّن آراء هؤلاء الكبار وتصوراتهم مع ذكر أسنادها و مصادرها كما ستلاحظون.

حديث إبن عبّاس

كان عبد اللّه بن عبّاس إبن عم أمير المؤمنينعليه السلام، سياسياً إسلامياً كبيراً وعدواً لدوداً لبني أُميّة، ومشاوراً وولياً للإمام عليعليه السلام. وبعد إستشهاد المختار علىٰ يد قوّات مُصعَب ـ أخو عبد اللّه بن الزبيرـ «قال إبن الزبير لعبد اللّه إبن عبّاس ألم يبلغك قتل الكذّاب؟ قال: ومَن الكذّاب، قال: إبن أبي عبيد، قال: قد بلغني قتل المختار، قال: كأنك نكرت تسميته كذّاباً ومتوجع له قال: ذاك رجل قَتلَ قتلتنا وطلب ثأرنا وشفىٰ غليل صدورنا وليس جزاؤه منا الشتم والشماتة.[1]

إن دفاع إبن عبّاس عن المختار في زمن كان فيه ديكتاتوراً مثل عبد اللّه إبن الزبير يهيمن علىٰ مكّة وبالتزامن مع إستشهاد المختار علىٰ يد جلاوزته، وعدم جرأة أحد علىٰ الدفاع عنه، يُعد أمراً في غاية الأهمية والإثارة ويجسد شهامة إبن عبّاس ومنزلة المختار الرفيعة.

رأي إبن نما اللافت في عظَمة المختار

بالنظر إلى قيام فقيه نظير «إبن نما» وهو من علماء فقه وأحاديث الشيعة الكبار بالبحث والتحقيق الوافر حول شخصية المختار عبر كتابه «ذوب النضار». فإن رأيه

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٧٨، أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣، ص٢٨٧، طبعة بيروت.

وحكمه حول هذه الشخصية يعد أمراً لافتاً للنظر.

قال جعفر بن نما مصنّف هذا الأثر:[١] «إعلم أن كثيراً من العلماء لا يحصل لهم التوفيق بفطنة توقفهم علىٰ معاني الألفاظ، ولا رؤية تنقلهم من رقدة الغفلة إلى الإستيقاظ. ولو تدبّروا أقوال الأئمة عليهم السلام في مدح المختار، لعلموا أنه من السابقين المجاهدين الّذين مدحهم اللّه ـ جلَّ جلاله ـ في كتابه المبين. وإن دعاء زين العابدين عليه السلام للمختار رحمه اللّه دليل واضح وبرهان لائح[٢] علىٰ أنه عنده من المصطفين الأخيار». وقد نقل هذا الفقيه العالم واقعة إنتقام المختار من أعداء أهل البيت عليهم السلام وقتلة الحُسَين عليه السلام، واصفاً إيان بأنه سند فخر في تاريخ المختار وبعبارات تدل علىٰ عمق الإحترام والتجليل فيقول: «فيالها من منقبة حازها، ومثوبة أحرزها، فقد سرَّ النبي صلى الله عليه وآله بفعله وإدخاله الفرح علىٰ عترته وأهله...»[٣]، ثمّ تلا أشعاراً في مدح المختار أوردناها في هذا الكتاب.

وأضاف إبن نما: «ولو كان علىٰ غير الطريقة المشكورة ويعلم أنه مخالف له في إعتقاده، لما كان يدعو له دعاء لايستجاب ويقول فيه قولاً لايستطاب وكان دعاؤه عليه السلام له عبثاً، والإمام عليه السلام منزّه عن ذلك».

وإنتقد هذا العالم الجليل بعض العلماء الّذين لايزورون قبر المختار بقوله: «مازال السلف يتباعدون عن زيارته ويتقاعدون عن إظهار فضيلته، تباعد الضب عن الماء؛ والفراقد عن الحصباء، ونَسبوه إلى القول بإمامة محمّد إبن الحنفيّة ورفضوا قبره وجعلوا قربهم إلى اللّه هجره مع قربه. وإنَّ قبته لكل من خرج من باب مسلم

(١) رسالة ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٤٥ ـ ١٤٧.

(٢) لائح؛ أي: ظاهر.

(٣) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج ٤٥، ص٣٧٧.

بن عقيل كالنجم اللامع؛ وعدلوا من العلم إلى التقليد؛ ونسوا ما فعل بأعداء المقتول الشهيد؛ وأنه جاهد في الله حق الجهاد؛ وبلغ من رضا زين العابدين غاية المراد؛ ورفضوا منقبته الّتي رقت حواشيها وتفجرت ينابيع السعادة فيها»[1]

وأضاف: «وقد أسلفنا من أقوال الأئمة في مطاوي هذا الكتاب تكرار مدحهم له ونهيهم عن ذمه، ما فيه غنية لأولي الأبصار وبغية لذوي الإعتبار وإنما أعداؤه عملوا له مثالب ليباعدوه من قلوب الشيعة كما عمل أعداء أمير المؤمنين عليه السلام له مساوئ، وهلك بها كثير ممن حاد عن محبته وحال عن طاعته. أمّا الموالي له عليه السلام لم تُغيره الأوهام ولا أباحته تلك الأحلام، بل كشف له عن فضله المكنون وعلمه المصون، فعُمل في قضية المختار ما عُمل مع أبي الأئمة الأطهار»[2]

شهادة المقدَّس الأردبيلي(ره) بحسن عقيدة وصحة عمل المختار

كتب المقدَّس الأردبيلي في كتابه «حديقة الشيعة» بشأن المختار[3] مايلي: لاكلام في حسن عقيدة المختار وقد قبله العلّامة الحلّي(ره) وترحَّم عليه الإمام الباقر عليه السلام عندما سمع بأن جمعاً كانوا يذكرون المختار بالسوء ومنَعهم من ذلك. وترحَّم عليه الإمام الصادق عليه السلام وكذلك زين العابدين عليه السلام إذ دعا له بالخير[4]. وأضاف: «ويقيناً فإن المختار وأمثاله لهم درجات رفيعة ومراتب عليّة».[5]

---

١) المصدر السابق، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ .

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج ٤٥، ص ٣٨٦ نقلاً عن رسالة ذوب النضار: ص ١٤٥ ـ ١٤٧.

(٣) هنالك إختلاف في انتساب هذا الكتاب إلى المقدس الأردبيلي. فبينما يرىٰ البعض أنه من مؤلفاته، ينفي الآخر ذلك. لكن وطبقاً للبحث والتحقيق فأن الكتاب متعلق به.

(٤) حديقة الشيعة للمقدس الأردبيلي: ص٥٠٥ ـ ٥٠٦.

(٥) نفس المصدر .

رأي خاتم المحدّثين المرحوم الشيخ عبّاس القمّي (ره)

بعد أن نقل رواية في شأن إدخال السرور علىٰ قلب المؤمن وإعانة المسلم قال: «كيف يكون حال المختار بهذه السيرة المرضية وهذه الأخبار المعتبرة في باب إدخال السرور علىٰ قلب المؤمن، وهي أكثر من أن تحصىٰ. فهنيئاً للمختار لإدخاله السرور علىٰ القلوب الحزينة والمصابة لأهل بيت الرسالة عليهم السلام وإستجابة دعائين للإمام السجّاد علىٰ يديه»[١]

رأي المرحوم الميرزا محمّد الأسترآبادي

وهو من العلماء الكبار في علم الرجال، قال في كتابه «منهج المقال» في علم الرجال: «والذي يظهر لي ترك سبّه وعدم الإعتماد علىٰ رواية واللّه أعلم».[٢]

حديث المامقاني

المرحوم المامقاني أستاذ كبير في علم الرجال، فبعد التدقيق في روايات المدح والذم وترجيح وأختيار روايات المدح ومقامه في جواب روايات ذم المختار قال: «... فتلخص من جميع ما ذكرنا أنَّ الرجل إمامي المذهب، وأن سلطنته برخصة من الإمام عليه السلام، وأن وثاقته غير ثابتة. نعم هو ممدوح مدحاً مدرجاً له في الإحسان، ولولا إلا ترَحُّم مولانا الباقر عليه السلام ثلاث مرات في كلام واحد [له] لكفىٰ في إدراجه في الحسان. ولقد أجاد الحائري حين قال: إنَّ ترحُّم عالم من علمائنا علىٰ الراوي يقتضي حسنه وقبول خبره، فكيف بترحُّم الصادق عليه السلام.[٣]

---

(١) منتهىٰ الآمال: ج ١، ص ٤٥١.

(٢) بنقل عن جامع الرواة للشيخ محمّد الأردبيلي: ج٢، ص٢٢١ حرف الميم.

(٣) تنقيح المقال: ج٣، ص٢٠٦، في كلمة «المختار بن أبي‌عبيد».

وأضاف: «فكيف كان، فظاهر العلّامة(ره) أيضاً الإعتماد علىٰ روايته لإدراجه في القسم الأول وتلك قرينة أخرىٰ علىٰ كون الرجل إمامياً. فإنَّ من مارس الخلاصة ظهر له: أنه لايذكر غير الإمامي في القسم الأول، وإن بلغ في الوثاقة الغاية وفي المدح النهاية»[١] وأكمل: «ونص إبن طاووس أيضاً علىٰ العمل بروايته، ففي التحرير الطاووسي بعد ذكر الأخبار المادحة ثمّ عدَّة من الأخبار الذامة والجواب عنها بضعف السند ما لفضه: إذا عرفت هذا، فإن الرجحان بجانب الشكر والمدح ولو لم يكن تهمة، فكيف ومثله موضع الا يتهم فيه الروايات ويستغش فيها بقول عند المحدثين، لفنون تحتاج إلى نظر»[٢]

رأي آية اللّه العظمىٰ السيّد الخوئي (ره)

بعد التدقيق وملاحظة الروايات الواردة في ذم المختار وردّها أشار في هذا السياق إلى: «أن خروج المختار وطلبه بثأر الحُسَينعليه السلام وقتله لقَتلة الحُسَينعليه السلام، لاشك في أنه كان مرضياً عند اللّه وعند رسوله وعند الأئمة الطاهرينعليهم السلام»[٣]. ويظهر من بعض الروايات أن هذا كان بإذن خاص من الإمام السجّادعليه السلام. وينفي وبشدة إنتساب المختار إلى الفرقة الكَيسانيّة الضالة فيقول: «وهذا القول باطل جداً...»[٤] وقد طرح أدلة ذكرناها في فصل تحليل الفرقة الكَيسانيّة.

دفاع العلّامة الأميني عن شخصية المختار

كتب العلّامة الجليل الأميني في كتابه القيّم «الغدير» حول الشاعر أبي تمام وفي

---

(١) تنقيح المقال: ج٣، ص٢٠٦، في كلمة «المختار بن أبيعبيد».

(٢) تنقيح المقال: ج٣، ص٢٠٦.

(٣) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٦٥. ولقد ذكرنا هذه الرواية في فصل ثورة المختار.

(٤) معجم رجال الحديث: ج١٨، ص١٠٠ ـ ١٠١، طبعة بيروت.

سياق الإشارة بشخصيته وأشعاره الرائية، إنتقد البعض منها تحت عنوان (نقد علىٰ رائية أبي تمام)، وأبدىٰ تعجبه من شخص مثله إذ يقول[١]: «لاينقضي العجب وكيف ينقضي من مثل أبي تمام العريق في المذهب والعارف بنواميسه والبصير بأحوال رجالاته وما لهم من مآثر جمة وجهود مشكورة وهو جد عليم بما لأضدادهم من تركاض وهملجة في تشويه سمعتهم وإعادة تأريخهم المجيد المملوء بالأوضاح والغُرر إلى صورة ممقوتة محفوفة بشية العار مشفوعة كل هاتيك بجلبة ولغط وقد إنطلت لديه أمثلة من تلكم السفاسف حول رجل الهدىٰ الناهض المجاهد والبطل المغوار المختار بن أبي عبيد الثقفي، فحسب ما قذفته به خصمائه الألداء في دينه وحديثه ونهضته حقائق راهنة حتىٰ قال في رائيته المثبتة في ديوانه.[٢]

وَالهٰاشِمِيّونَ إستَقَلَّتْ عيرُهُم ... مِنْ كَرْبَلاء بِأَثقَلِ الأَوْتارِ
فَشَفاهُمُ الْمُخْتارُ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ ... في دينِهِ الـمُختارُ بِالمُختارِ
حَتّى إذٰا إنْكَشَفَتْ سَرٰائِرُهُ إغْتَدُوا ... مِنْهُ بِراء السَّمْعِ وَالاَبْصٰارِ

ثمّ أنبرىٰ هذا العلّامة الكبير للدفاع عن المختار بكلمات جلية وحديث جذاب ومستدل حيث قال: «ومَن عَطف علىٰ التاريخ والحديث وعلم الرجال نظرة تشفعها بصيرة نقّاذة، علِم أنّ المختار في الطليعة من رجالات الدين والهدىٰ والإخلاص، وأن نهضته الكريمة لم تكن إلّا لإقامة العدل بإستئصال شأفة الملحدين، وإجتياح جذوم الظلم الأموي، وإنه بمنزح من المذهب الكيساني، وإنَّ كل ما نبزوه من قذائف وطامّات، لامقيل لها من مستوىٰ الحقيقة والصدق. ولذلك ترحّم عليه الأئمة الهداة سادتنا: السجّاد والباقر والصادق صلوات اللّه عليهم، وبالغ في الثناء عليه الإمام الباقر عليه السلام ولم يزل مشكوراً عند أهل البيت الطاهر هو وأعماله».[٣]

---

(١) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٢ - ٣٤٣.
(٢) ديوان أبي تمام، ص ١١٤.
(٣) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٢ - ٣٤٣.

حديث العلّامة باقر شريف القَرَشي

كتب العلّامة والمؤرّخ الكبير في القرن الأخير باقر شريف القرشي[١] «عن شخصية المختار مايلي: وكان المختار علماً من أعلام الشيعة وسيفاً من سيوف آل رسول اللّه ﷺ، وكان يتحرَّق كأشد مايكون التحرُّق وجزعاً علىٰ العترة الطاهرة الّتي أبادتها سيوف الباطل وقد سعىٰ جاهداً للإستيلاء علىٰ الحكم لا لرغبة فيه وإنما ليأخذ ثأر آل البيت وينتقم من قتلتهم».[٢]

ثمّ قال في الرد علىٰ التُهم المنسوبة للمختار «تعرَّض هذا البطل الهُمام لإتهامات باطلة منها: إدعائه النبوَّة، ويقيناً فإنه بريءٌ من هذه التهمة. ولاشك أن هذه التهم والأحكام الجائرة هي بسبب قيامه وثورته وطلبه الثأر لمظلومي كربلاء، وزعزعته لأركان حكم بني أُميّة والحكم الجائر والظالم للعرب علىٰ غيرهم من غير العرب. وإنه لم يفرِّق بين عربي وأعجمي، وكان ينظر إلى المسلمين بعين واحدة. وإن سياسته وقضائه أيام حكمه كانت علىٰ خطىٰ وهدىٰ حكومة عدل أمير المؤمنين عليه السلام. نعم لقد تبع المختار في كل الأمور السياسية والإقتصادية والإجتماعية طريقة علي عليه السلام.[٣]

وأضاف «كان المختار زاهداً تقياً معتقداً بأُصول الدين وقد نقل المؤرِّخون، أنه كان صائماً شكراً للّه أكثر أيام حكومته القصيرة، للنعمة الّتي منَّ اللّه عليه بها وهي، الأخذ بالثأر لدم الحُسَين عليه السلام وأهل بيت النبي ﷺ، وقد وفِّق لإبادة الأرجاس والأنجاس من علىٰ الأرض».[٤]

---

(١) له مؤلفات كثيرة وجليلة في شرح حال الأئمة الأطهار(ع). والحق أنه محقق ومفكر عظيم، بحث في التاريخ الإسلامي. بعمق وعرضه علىٰ القراء بصدق.

(٢) حياة الإمام الحُسَين(ع) للشيخ باقر شريف القرشي: ص٤٥٤.

(٣) حياة الإمام الحُسَين(ع) للشيخ القرشي: ص٤٥٤.

(٤) نفس المصدر.

وأضاف: نعم لم يألوا أعداء أهل البيت عليهم السلام جهداً في تحطيم شخصية هذا الرجل الكبير، عبر إلصاق مختلف التُهم به بغية الإقلال من شأنه ومنزلته. ولقد توصَّلنا في تحقيقاتنا التاريخية إلى أنّ المختار كان مثالاً للرجال في التاريخ الإسلامي ومن القادة البارزين للأمة الإسلامية. وكان ذو شأن ومرتبة رفيعة ويشهد له بذلك منزلته وفضله وتقواه وأصالة فكره وبُعد نظره. وكان من رجالات التاريخ الكبار المتازين القلائل. ولقد أحببت أن أُدوِّن حول ثورة هذا الرجل في التاريخ الإسلامي، لكن ذلك يحتاج إلى كتاب مستقل نأمل من اللّه أن يمن علينا بالتوفيق في ذلك.[1]

قول الزركلي

كان المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، أبو إسحاق: من زعماء الثائرين علىٰ بني أُمية وأحد الشجعان الأفذاذ من أهل الطائف.[2]

العلّامة عبد الرزّاق المقرّم

قال: كان من الشجعان والأبطال ومناضلاً ضد أعداء أهل البيت عليهم السلام، وعاقلاً ومدبراً وعالماً بفنون الحرب والقتال والإنتصار علىٰ العدو. وكانت له تجارب كثيرة في ميادين الوغىٰ، ومن محبي أهل البيت عليهم السلام، تعلَّم منهم العلم والأدب والأخلاق والفضيلة وكان يدعو النّاس إلى فضائلهم.[3]

وكتب في شأن منزلته: وهو مُبرأ من كل التهم المنسوبة إليه وقلبه مليئ بمحبة

(١) حياة الإمام الحُسَين(ع) للشيخ القرشي: ص٤٥٤.

(٢) الأعلام لخيرالدين الزركلي: ج٧، ص١٩٢.

(٣) مقتل الإمام الحُسَين للمقرم: ص١٧٢.

أهل بيت النبي ﷺ وكل الروايات الواردة في ذمه ملفّقة وكاذبة.[١]

العالم الكبير السيّد هاشم معروف الحسيني

كتب في شأن المختار مانصه: «وردت أخبار كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام في مدح المختار وطلب الرحمة له، وفي مقابل هذا أخبار في ذمه والتعريض به. لكن وبالإستناد إلى هذه الروايات، قام عدد من المؤرِّخين وعلماء الفرق الإسلامية بذمه، وهذه تُهم باطلة وليس لها أساس من الصحة ولاتطابق الإسلام. من جهة أخرى إختار عدد من العلماء والعظماء الدفاع عن المختار، ونزَّهوه من هذه التهم الباطلة».[٢]

آراء كِبار علماء الشيعة حول منزلة المختار

ولقد كبرّه ونزَّهه العلماء الأعلام منهم[٣] :

١ ـ سيّدنا جمال الدين بن طاووس في رجاله.

٢ ـ آية اللّه العلّامة الحلّي في «الخلاصة».

٣ ـ إبن داوود في «الرجال».

٤ ـ الفقيه إبن نما وقد أفرد فيه من رسالته المسماة «ذوب النضار».

٥ ـ المحقق الأردبيلي في «حديقة الشيعة».

٦ ـ صاحب المعالم في «التحرير الطاووسي».

٧ ـ القاضي نور اللّه المرعشي في «المجالس».

---

(١) تنزيه المختار للمقرم: مقدمة الكتاب، ص٢.

(٢) سيرة الأئمة الأثني عشر لهاشم الحسيني: المجلد٢، ص١٥١.

(٣) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٣ - ٣٤٥.

٨ ـ الشيخ أبو علي الحائري في «منتهىٰ المقال».

٩ ـ العلّامة المامقاني في «تنقيح المقال».

١٠ ـ المحدِّث القمّي في «منتهىٰ الآمال».

١١ ـ آية اللّه السيّد الخوئي في «معجم رجال الحديث».

١٢ ـ الأسترآبادي في حاشيته علىٰ «منهج المقال».

١٣ ـ المرحوم السيّد مصطفىٰ التفرشي في «نقد الرجال».

١٤ ـ السيّد يوسف بن محمّد في «جامع الأقوال».

١٥ ـ الحاج إبراهيم الخوئي في «ملخّص المقال».

١٦ ـ السيّد حُسين البروجردي في منظومته الرجالية المسماة «زبدة المقال».

١٧ ـ الحاج ملّا علي ياري التبريزي في «شرح منظومة بهجة الآمال».

١٨ ـ الحاج ميرزا حبيب اللّه الخوئي في «منهاج البلاغة في شرح نهج البلاغة» وغيرهم.

وقد بلغ من أكابر السلف أنّ شيخنا الشهيد الأول ذكر في مزاره[1]، زيارة تخص به ويُزار بها، وفيها الشهادة الصريحة بصلاحه ونصحه في الولاية وإخلاصه في طاعة اللّه ومحبة الإمام زين العابدين ورضا رسول اللّه وأمير المؤمنين صلوات اللّه عليهم أجمعين، وأنه بذل نفسه في رضا الأئمة ونصرة العترة الطاهرة والأخذ بثأرهم. وأشار آخرون إلى أنه من السابقين الأخيار.[2]

ثمّ يشير العلّامة الأميني(ره) إلى أسماء وكتب العظماء الّذين ألّفوا في سيرة وثورة

(١) الزيارة هذه توجد في كتاب «مراد المريد» وهو ترجمة مزار الشهيد للشيخ الحائري، وصححها الشيخ الساوجي مؤلف «نظام الأقوال». ويظهر منها أن قبر المختار في ذلك العصر المتقادم كان من جملة المزارات المشهورة عند الشيعة، وكانت عليه قبة معروفة كما في رحلة إبن بطوطة: ج١، ص١٣٨.

(٢) تنزيه المختار للعلّامة المقرم: ص١٨، طبعة النجف.

وعقائد وأعمال المختار، وفي الختام يذكر أشعاراً بديعة للعلّامة أردوبادي في وصف شخصية المختار وذلك إقتفاءً بقافية رائية أبي تمام. وسوف نتطرق إلى هذه الأشعار بشكل تفصيلي في الجزء الخاص بأشعار مدح المختار.

الشيخ الأميني وفي نهاية حديثه يُذكّر بمزار المختار الطاهر والزيارة الخاصة به، والذي سيأتي ذكره في نهاية الكتاب.

الباب الثالث

العلماء الّذين كتبوا عن عظَمة المختار

بما أن قضية الثأر للإمام الحُسَينعليه السلام وشهداء كربلاء كانت من القضايا ذات الإهتمام المؤكد للمسلمين في عصر الأئمة الأطهارعليهم السلام، فإن الرواة والمحدّثين والمؤرّخين أبدوا أهمية كبرىٰ لها وإستطاعوا خلال جهود مضنية تدوين ماورد من الروايات والأخبار الخاصة بها.

إضافة لهذا، فإن ملحمة ثورة المختار شكّلت حركة دموية عظيمة وحادثة هامة في تاريخ الشيعة والإسلام والّتي أضحت فيما بعد موضع إهتمام المؤرّخين خلال القرون الأولىٰ للإسلام. فالمؤرخون وغيرهم ممن دوّنوا حادثة كربلاء وثورة الإمام الحُسَينعليه السلام، نقلوا وبذات الإهتمام حادثة ثورة المختار.

لقد قام أوائل علماء الإسلام العظام والمؤرِّخين المشهورين من الّذين بذلوا إهتماماً وافراً بكتابة أحداث عصر الأئمةعليهم السلام وعلىٰ الخصوص الثورات والإنتفاضات الشعبية بالتحقيق ومتابعة هذه الأخبار والروايات وتدوينها بشكل كتب مستقلة وكراسات تاريخية، ومن ثمّ والحفاظ عليها خوفاً من التلف والإندثار. وبالإضافة إلى المؤرِّخين فإن بعض العلماء والفقهاء ومحدِّثي الشيعة، ممن لم يختصوا في كتابة التاريخ أبدوا إهتماماً خاصاً بهذا الموضوع، أمثال «الشيخ

الصدوق» و«الشيخ الطوسي» و«السيّد إبن حمزة» (صهر الشيخ المفيد)، ومن المتأخرين نظير الفقيه العلّامة الكبير «إبن نما» و«الشيخ ميرزا محمّد علي أردوبادي» والعلّامة «السيّد محسن الأمين». وهذا في حد ذاته يعبِّر عن مدىٰ أهمية هذه الحادثة والإهتمام الخاص بها من قبل عظماء الشيعة في سياق حفظ الإنجازات الثورية السياسية والثقافية لأبناء هذه الطائفة.

وبالرغم من عدم إهتمام أكثر علماء المسلمين الكبار في القرون المتأخرة بمثل هذا النوع من القضايا التاريخية، وتناسي الأحداث المهمة في تاريخ الشيعة، وإلى حد ما الملحمة الدموية لهذا المذهب. فإن المتقدمين من الشيعة لم يألوا جهداً في هذا الطريق وتأدية الواجب المطلوب منهم إزاء كتابة تاريخ الشيعة والمذهب الشيعي بجميع أبعاده الثقافية والسياسية والعقائدية والفقهية والكلامية.

ومن الضروري الإشارة إلى أن أكثر الآثار العلمية المهمة والتاريخ الشيعي والكتب القيّمة قد تعرّضَت إلى الإندثار والضياع بسبب الأحداث التاريخية المرة، أو أنها حُجبت عن أنظار العموم في أقفاص المكتبات الفردية الشخصية. وهو ماحدث بالذات إلى الكتب الخاصة بسيرة المختار وثورته (من آثار الشيعة القدماء) والّتي نجد أسماء أكثرها فقط في الفهارس والتراجم، وما تبقّىٰ منها لاتمثل سوىٰ القلة القليل.

وفيما يلي أسماء العلماء الأعلام والمؤرِّخين والمحدثين الكبار الّذين كتبوا حول شخصية المختار وثورته:

١ ـ أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفي سنة (١٥٧) للهجرة في كتاب «أخذ الثأر في المختار». والمعروف بكتاب أخذ الثأر أو أخبار المختار، وطُبع في سنة

(١٢٨٧) للهجرة في آخر الجزء العاشر لكتاب بحار الأنوار الطبعة القديمة.[١] وطُبع أيضاً بصورة مستقلة.[٢] وكان أبومخنف من أعاظم مؤرخي الشيعة ونقل عنه علماء السنّة الأخبار والروايات.[٣]

٢ـ أبو المفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطار المتوفي سنة (٢١٢) للهجرة، «أخبار المختار»[٤]، قال النجاشي حول شخصية هذا المؤلف: «نصر بن مزاحم المنقري العطار أبو المفضل، كوفي، مستقيم الطريقة، صالح الأمر، غير أنه يروي عن الضعفاء. كُتبه حسان منها: كتاب الجَمَل وكتاب صفِّين وكتاب النهروان وكتاب الغارات وكتاب المناقب وكتاب مقتل الحُسَين عليه السلام، وكتاب أخبار محمّد بن إبراهيم وأبي السرايا».[٥]

٣ ـ أبو الحسن علي بن عبد اللّه بن أبي سيف المدائني[٦] المتوفي سنة (٢١٥) أو

(١) من الجدير بالذكر لم يضف إليه شيء جديد في الطبعات التالية، ويحتمل أن يكون كتاب أبومخنف قد أُضيف إلى الجزء العاشر من البحار وطُبع معه أو أن يكون كتاب أخذ الثأر لابن نما قد إلتبس مع كتاب أبومخنف. قال النجاشي أبومخنف شيخ أصحاب الأخبار في الكوفة ومن الوجهاء وعلماء الحديث. يروي عن الإمام الصادق(ع). وهشام الكلبي من تلامذته، وجده هو مخنف بن سليم من أصحاب أمير المؤمنين(ع) الكبار وشهد الجَمَل مع علي(ع) وكان حامل راية الأزد وإستشهد فيها سنة ٣٦ هـ

(٢) الذريعة لآغا بزرك طهراني: ج١، ص٣٤٨، رقم ١٨٢٨، طبعة بيروت.

(٣) الكنىٰ والألقاب للمحدث القُمّي: ج١، ص١٥٥.

(٤) الذريعة لآغا بزرك طهراني: ج١، ص٣٤٩، رقم ١٨٣١، طبعة بيروت.

(٥) رجال النجاشي: ص٤٢٧ – ٤٢٨.

(٦) المدائني: نسبة إلىٰ المدائن وهي عبارة عن مدن سبع كانت من بناء أكاسرة العجم علىٰ طرف دجلة بغداد. سكنها ملوك بني ساسان إلى زمن عمر بن الخطاب، فلمّا ملك العرب ديار الفرس واختطت البصرة والكوفة انتقل النّاس إليهما، ثمّ انتقلوا إلى واسط، فلمّا اختط المنصور بغداد انتقل أكثر النّاس إليها. قال صاحب التلخيص: وأما الآن فهي شبه قرية في الجانب الغربي من دجلة، أهلها فلاحون شيعة إمامية، وفي الجانب الشرقي منها مشهد سلمان الفارسي رضي اللّه تعالىٰ عنه، وله موسم في منتصف شعبان، ومشهد حذيفة بن اليمان.

(٢٢٥) للهجرة «أخبار المختار».[١] قال عنه المحدّث القمّي[٢] أبوالحسن علي بن محمّد بن عبد اللّه البصري المدائني، الشيخ المتقدم الخبير الماهر، صاحب التصانيف الكثيرة منها: كتاب خُطب النبي صلى الله عليه وآله وكتاب خُطب أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب مَن قُتل مِن الطالبيين، وكتاب الفاطميات وغير ذلك. وقد نقل منه إبن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة، وكذلك الشيخ المفيد في الإرشاد. ومن الجدير بالذكر أننا لانعتمد كثيراً علىٰ مانقله المدائني، وأن رواياته وكتاباته غير معتبرة وأكثر علماء الرجال الكبار يضعفونه.

٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفي الكوفي المتوفي سنة (٢٨٣) للهجرة في إصفهان، له «أخبار المختار»[٣]، وهو من أبناء عم المختار، ذكره النجاشي.[٤] ومن أهم آثاره كتاب «الغارات» والذي طُبع أخيراً بحُلة جميلة. وعرّفه إبن النديم بأنه من الثقات العلماء المصنّفين ومن ذوي التأليفات. وذكره الشيخ الطوسي في فهرسه وقال: هاجر من الكوفة إلى إصفهان وكان زيدياً أولاً، ثمّ فطن لذلك وأنتقل الى القول بالإمامة. قال النجاشي: «ويقال إن جماعة من القُميين كأحمد بن محمّد بن خالد، وفدوا إليه وسألوه الإنتقال إلى قم فأبىٰ.[٥] له أكثر من خمسين مؤلفاً في الحديث والتاريخ جاء ذكرها في فهرس الشيخ.

٥ ـ أبو أحمد عبد العزيز بن يحيىٰ الجلودي المتوفي سنة (٣٠٢) للهجرة، له «أخبار المختار...»[٦] وكان من كبار علم الرجال والتاريخ حسب نقل صاحب

---

(١) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٣ - ٣٤٥.

(٢) الكنىٰ والألقاب للشيخ عبّاس القُمّي: ج٣، ص١٦٨.

(٣) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٣ - ٣٤٥.

(٤) الذريعة لآغا بزرك طهراني: ج١، ص٣٤٨، رقم ١٨٢٦.

(٥) أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين: ج٢، ص٢٠٩.

(٦) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٣ - ٣٤٥.

الذريعة. قال عنه المحدّث القمّي: «كان من أكابر الشيعة الإمامية والرواة والآثار والسيَر. له كتب كثيرة يقرب من مأتين...» وقال عنه العلّامة: «ثقة، إمامي المذهب وكان شيخ البصرة وإخباريها...».[1]

٦ ـ أبوجعفر محمّد بن علي بن بابويه القمّي الصدوق المتوفي سنة (٣٨١) للهجرة، له «كتاب المختار»[2]. ذكر الطهراني هذا الكتاب تحت عنوان «أخبار المختار»[3]، وذكره النجاشي في فهرسه. جاء ذكره في جميع الكتب الرجالية وهو أشهر من أن نعرّفه هنا إذ لُقبَ بـ«رئيس المحدّثين» و«شيخ فقهاء الشيعة» ومن جملة مؤلفاته المشهورة «من لايحضره الفقيه» و«معاني الأخبار» و«علل الشرائع»[4].

٧ ـ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفي سنة (٤٦٩) للهجرة، له «مختصر أخبار المختار»[5]. ذكره صاحب الذريعة في فهرسه بعنوان «مختصر أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي»[6].

وقد عدَّه أصحاب الكتب الرجالية الشيعية المعتبرة بأنه من ألمع علماء الشيعة وعُرّف بـ«شيخ الطائفة» و«شيخ الفقهاء»، ومن جملة تأليفاته المشهورة: «الإستبصار» و«التهذيب» في الحديث و«النهاية» و«المبسوط» في الفقه و«العدّة» في أصول الفقه و«الفهرس» في علم الرجال.

٨ ـ أبويعلى محمّد بن الحسن إبن حمزة الجعفري الطالبي خليفة شيخنا المفيد، له

---

(١) الكنى والألقاب: ج٢، ص١٤٨.

(٢) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٣ - ٣٤٥.

(٣) الذريعة لآغا بزرك طهراني: ج١، ص٣٤٩، رقم ١٨٣٠.

(٤) مقدمة من لايحضره الفقيه و...

(٥) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٣ - ٣٤٥.

(٦) الذريعة لآغا بزرك طهراني: ج١، ص٣٤٩.

«أخبار المختار».[١]

٩ ـ الشيخ أحمد بن المتوّج له «الثارات» أو «قصص الثأر». منظومة في شرح حال المختار.[٢]

١٠ ـ الفقيه نجم الدين جعفر الشهير بإبن نما المتوفي سنة (٦٤٥) للهجرة، له (ذوب النضار في شرح الثأر) طبع برمته في المجلد العاشر من البحار.[٣]

هو الشيخ نجم الدين جعفر بن الشيخ نجيب الدين أبي إبراهيم محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة اللّه بن نما بن علي بن حمدون الحلّي الربعي المشهور «بإبن نما»، المتوفي سنة (٦٨٠) للهجرة تقريباً. وهو من أساتذة العلّامة المحقق الحلّي والشيخ سديد الدين وسيد أحمد ورضي الدين أبناء السيّد طاووس.

كان الشيخ الفقيه نجم الدين جعفر بن محمّد بن جعفر إبن هبة اللّه بن نما الحلّي رحمه اللّه من الفضلاء الأجلة ومن كبراء الدين والملة، عظيم الشأن جليل القدر أحد مشايخ آية اللّه العلّامة وصاحب المقتل الموسوم «بمثير الأحزان» وكتاب «أخذ الثار في أحوال المختار»، أبوه وأجداده من علماء الشيعة الكبار.[٤] وكان رجلاً عالماً جليلاً.[٥] جاء ذكره في كتاب «روضات الجنات» و«أمل الآمل» و«أعيان الشيعة» وسائر الكتب الرجالية.[٦]

١١ ـ الشيخ علي بن الحسن العاملي المروزي له [قرة العين في شرح ثارات الحُسَين] فرغ منه في (٢٠) رجب سنة (١١٢٧) للهجرة.[٧]

---

(١) الغدير للشيخ الاميني: ج ٢، ص٣٤٣ ـ ٣٤٥.

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) الكنىٰ والألقاب للشيخ عبَّاس القُمّي: ج ١، ص٤٤٢.

(٥) أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين: ج ٢، ص٢٧٣.

(٦) نفس المصدر، ج ٤، ص ١٥٦.

(٧) الغدير للشيخ الأميني: ج ٢، ص٣٤٣ - ٣٤٥.

١٢ ـ الشيخ أبوعبد اللّه عبد بن محمّد له [قرة العين في شرح ثأر الحُسَين] طبع مع [نور العين ومثير الأحزان].[١]

١٣ ـ السيّد إبراهيم بن محمّد تقي حفيد العلّامة الكبير السيّد دلدار علي النقوي النصير آبادي له [نور الأبصار في أخذ الثأر].[٢]

١٤ ـ المولىٰ عطاء اللّه بن حسام الهروي له (روضة المجاهدين) طبع سنة (١٣٠٣) للهجرة.[٣]

١٥ ـ المولىٰ محمّد حُسين بن المولىٰ عبد اللّه الأرجستاني، له «حملة مختارية»[٤]

١٦ ـ الكاتب الهندي نواب علي نزيل لكهنو له «نظارة إنتقام» طبع في جزئين.[٥]

١٧ ـ الحاج غلام علي بن إسماعيل الهندي، له «مختار نامه»[٦]

١٨ ـ العلّامة السيّد محسن الأمين العاملي له [أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثأر].[٧]

وهو من أعاظم علماء القرن الأخير وله تأليفات قيِّمة منها «أعيان الشيعة» ولد في جبل عامل بلبنان سنة (١٢٨٢) للهجرة وتوفي في دمشق سنة (١٣٧٢) للهجرة ودفن هناك. وقد طبعت أكثر مؤلفاته. وجاء الشرح الكامل لسيرته نهاية الجزء العاشر من كتاب أعيان الشيعة. وقد ألّف في أكثر العلوم الإسلامية.

---

(١) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٣ - ٣٤٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

(٦) نفس المصدر.

(٧) نفس المصدر.

١٩ ـ السيّد حُسين الحكيم الهندي، له ترجمة (ذوب النضار) لابن نما.[1]

٢٠ ـ السيّد محمّد حُسين بن السيّد حُسين بخش الهندي المولود سنة (١٢٩٠) للهجرة، له (تحفة الأخبار في إثبات نجاة المختار).[2]

٢١ ـ الشيخ ميرزا محمّد علي الأردوبادي، له [سبيك النضار. أو: شرح حال شيخ الثأر] في مائتي وخمسين صفحة، وقد أدىٰ فيه حق المقال وأغرق نـزعاً في التحقيق ولم يبق في القوس منزعاً. قرأت كثيراً منه ووجدته فريداً في بابه لم يؤلَف مثله، جزاه اللّه عن الحق والحقيقة خيراً.[3] وهو من أكابر علماء الشيعة؛ ولد في رجب سنة (١٣١٢) للهجرة وتوفي في همدان سنة (١٣٨٠) للهجرة وله حوالي خمسين مؤلفاً في الفقه والأصول.

٢٢ ـ العلّامة السيّد عبد الرزاق المقرّم، نشر كتاباً بعنوان «تنزيه المختار» وقد طُبع في آخر كتاب زيد الشهيد.

ويضيف العلّامة الأميني: «نسأل اللّه أن يجزي المختار خيراً علىٰ دفاعه عن الحق والحقيقة». مما يذكر أن للعلّامة الأميني(ره) قصيدة في حق المختار.

---

(١) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٣ - ٣٤٥.

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر.

◘ الفصل الثالث

التُهم الباطلة

الباب الأوّل
المختار لم يدّع النبوَّة

من جملة التهم الّتي نعتوا بها المختار وأكدت عليها كتب السنّة غالباً هي أنَّ: «المختار كان يدّعي النبوَّة وأنه مرسل من اللّه وأن جبرئيل نزل عليه بالوحي»[1] ومن هذا المنطلق أداروا عليه عجلة الإعلام المضاد.

والذي يستنتج من الروايات والتواريخ المعتبرة، أن المختار لم يدّعِ النبوَّة مطلقاً أو نزول الوحي عليه يوماً.

وهذه تهمة ساذجة باطلة لاوجود لها مطلقاً، إلّا أنها أُشيعت من قِبل زعامات الكوفة ـ الملطَّخة أيديهم بدم شهداء كربلاء ـ وتلقَّفها عمال بني أُميّة وإبن الزبير لإغتيال شخصية المختار. وقد قام وعّاظ السلاطين في البلاط الأموي والمتلاعبين بالحديث ببث شائعات واسعة من أجل ذلك.

إذ كيف يمكن أن يُعقل؛ بأنَّ شخصاً في الكوفة ـ والّتي كانت من المراكز الإسلامية المهمة حينها، وما فيها من المسلمين المتشددين والعارفين، وبحضور الرواة وناقلي الحديث والتلامذة المخلصين لأمير المؤمنين عليه السلام، وهم الّذين تربّوا لمدة خمس سنوات تحت منبر الإمام علي عليه السلام وقاتلوا إلى جنبه ـ أن يدّعي النبوَّة؟

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٥، ص٢٢٣ والعقد الفريد: ج٧، ص٢٧٧.

وكيف يقبل العقل أنَّ المختار إستطاع بهذا الإدعاء أن يجمع النّاس حوله وأن يقود ثورة عارمة مثل ثورته؟ لو أن المختار قد زعم مثل هذا الإدعاء لكان قد طُرد من قبل المسلمين الشيعة في الكوفة قبل غيرهم. لكننا نرىٰ أن الأصحاب الأوفياء لأهل البيت عليهم السلام والمطالبين بالثأر لدم الحُسَين عليه السلام قد وقفوا معه مضحين بأموالهم وأولادهم وأرواحهم ومدافعين عن هدفه المقدس حتىٰ الشهادة.

والأكثر من ذلك، فإن هناك روايات متعددة في مدح المختار قد ذُكرت علىٰ لسان أهل البيت عليهم السلام وأئمة الدين، وذلك حينما مدحه الإمام السجّاد عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام وطلبوا له المغفرة والرحمة.

فهل يمكن أن يكون أحد مدّعياً للنبوة؛ وفي ذات الوقت موضعاً لترحُّم الإمام المعصوم وتفضيله؟ وأن يمتدحه علماء الشيعة الكبار ومتخصصي علم الرجال[1] ويؤيدون إيمانه وعمله؟. ولو ثبت هذا الإتهام لما كان المختار موضعاً لتأييد أئمة الهدىٰ عليهم السلام وعلماء الإسلام الكبار.

ولربما كان سبب ظهور إفتراء تهمة النبوّة علىٰ المختار، هو كلامه المسجّع والمقفّىٰ المنسوب إليه والذي كان علىٰ وزن آيات القرآن. وهو ما سبّب له هذا الإفتراء عليه وإستغلال الأعداء لذلك في إطار حملة دعائية واسعة تتهمه بالنبوة وأنه إدّعىٰ نزول الوحي عليه.

أولاً: إن إنتساب هذه الكلمات الموزونة والمسجّعة بالوزن القرآني إلى المختار لم يثبت بشكل قاطع. وكما قال الفضلاء: وشاعت في النّاس أخبار عنه بأنه إدّعىٰ النبوّة ونزول الوحي عليه، وأنه كان لا يوقف له علىٰ مذهب، ونقلوا عنه أسجاعاً، قيل: كان يزعم أنها من الإلهام، منها: «أما والذي شرع الأديان؛ وحبب الإيمان؛

---

(١) العقد الفريد: ج٧، ص٢٧٧.

وكره العصيان؛ لأقتلن أزد عمان؛ وجل قيس عيلان؛ وتمياً أولياء الشيطان؛ حاشا النجيب بن ظبيان! «وقد يكون هذا من إختراع أصحاب القصص».[1]

ثانياً: أن المختار لم يقل: «إن هذا الكلام وحي».

ثالثاً: أن الحديث بوزن القرآن وسجعه لايدل علىٰ الوحي.

أمثلة علىٰ أقوال مُقفّاة للمختار

نقل البلاذري[2] مقاطع من كلام المختار نذكرها كأمثلة:

١ ـ «الحمد للّه الذي وعدَ وليه النصر، ووعد عدوه الخسر والخذل والختر، وجعله فيه إلى آخر الدهر قضاءً مقضياً ووعداً مأتياً وقولاً مقبولاً وأمراً مفعولاً، وقد خاب من إفترى. أيها النّاس! قد مُدّت لنا غاية ورُفعت لنا راية، فقيل لنا في الراية: أن أرفعوها ولاتضعوها؛ وفي الغاية أن خذوها[3] ولاتدعوها؛ فسمعنا دعوة الداعي وقبلنا قول الراعي[4]؛ فكم من ناع وناعية لقتلىٰ في الواعية! ألا! فبُعداً لمن طغىٰ وبغىٰ وجحد ولغىٰ وكذّب وعصىٰ وأدبرَ وتولىٰ. ألا! فهلموا عباد اللّه إلى بيعة الهدىٰ ومجاهدة الأعداء والذب عن الضعفاء من آل محمّد المصطفىٰ، علىٰ قتال المحلّين؛ وأنا الطالب بدم إبن بنت نبي ربِّ العالمين. أما! ومنشئ السحاب؛ الشديد العقاب؛ السريع الحساب؛، مُنزل الكتاب؛ العزيز الوهّاب؛ القدير الغلّاب؛ لأنبشنَّ قبر إبن شهاب؛ المفتري الكذّاب؛ المجرم المرتاب! ولأنفين الأحزاب؛ إلى دار بلاد الأعراب! ثمّ ورب العالمين؛ ورب البلد الأمين؛ وحرمة طور سينين، لأقتلنَّ

---

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي: ج٧، ص١٩٢.

(٢) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٣٥.

(٣) تاريخ الطبري: ج٦، ص٣٢ أن أجروا إليها ولاتعدوها.

(٤) تاريخ الطبري: الواعي.

الشاعر المجين؛ أعشىٰ الباغضين؛ وشويعر الحنظلين؛ وزاجر البارقين؛ وإبن همام اللعين؛ وأولياء الكافرين؛ وأعوان الظالمين؛ وبقايا القاسطين؛ وإخوان الشياطين، الّذين إجتمعوا علىٰ الأباطيل؛ وتقوَلوا عليَّ الأقاويل؛ وتمَثلوا بالأماثيل؛ وجاؤوا بالأماحيل؛ وتسكَعوا في الأضاليل؛ بأقوال المجاهيل؛ الكَذَبة الأراذيل ! ألا! فطوبىٰ لعبد اللّه وعُبيد وأخي ليلىٰ الطريدة، ذوي الأخلاق الحميدة؛ والعزائم الشديدة؛ والمقالات الرشيدة؛ والأفاعيل السديدة؛ والآراء العتيدة؛ والنفوس السعيدة. قال: ثمّ قعد علىٰ المنبر ووثب قائماً وقال: أما! والذي جعلني بصيراً. ونوّر قلبي تنويراً؛ لأحرقنَّ بالمصر دوراً! ولأنبشنَّ بها قبوراً! ولأشفينَّ بها صدوراً! ولأقتلنَّ جباراً كفوراً؛ ملعوناً وغدوراً! وكفىٰ باللّه هادياً ونصيراً؛ وعن قريب ورب الحرم؛ والبيت المحرّم؛ والركن المكرّم؛ والمسجد المعظّم؛ وحق النون والقلم؛ ليرفعنّ لي العلم من الكوفة إلى أضم الىٰ أكناف ذي سلم؛ من العرب والعجم ! ثمّ لأتخذنَّ من بني تميم أكثر الخدم.[١]

٢ ـ «ورب البلد الأمين، وحرمة طور سينين، لأقتلنَّ الشاعر المجين، أعشىٰ الناعطين؛ وسوء برق البارقين؛ إبن أمةٍ من جلولاء خانقين؛ الذي مننَتُ عليه فكفر؛ تابعاً فغدر؛ وغداً يلقىٰ فيُنحر؛ ثمّ يصير إلى سقر؛ فيذوق فيها العذاب الأكبر؛ وويل لإبن همام اللعين؛ وأخي الأسديين؛ أولئك أولياء الشياطين؛ وإخوان الكافرين؛ الّذين قرفوا عليَّ الأباطيل؛ وتقولوا عليَّ الأقاويل؛ فسمّوني كذاباً وكاهناً؛ وأنا الصادق المصدوق؛ وأنا العجيب الفاروق؛ وطوبىٰ لعبد اللّه وعُبيدة وأخي ليلة الطريدة؛ ذوي الأخلاق الحميدة؛ والمقالة السديدة؛ والأنفس السعيدة».[٢]

---

(١) الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٤٠ - ٢٤١.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ج ٥، ص٢٣٦.

٣ ـ «أما والذي خلقني بصيراً؛ ونـوّر قـلبي تـنويراً، لأحـرقنَّ بـالمصر دوراً؛ ولأنبشن قبوراً، ولأقتلن جباراً كفوراً»[١]

٤ ـ «في سفر الأصفار، يُقتل كل جبار علىٰ يد المختار»[٢]

٥ ـ «أما ورب الجبال الشمّ، الشوامخ الصم، لأقتلنَّ أزد عُمان؛ بكل شيعي يمان؛ من مذحج وهمدان؛ ولأُبيرنَّ عبشاً وذبيان؛ وتميماً أولياء الشيطان؛ حاشا النجيب ضبيان».[٣]

٦ ـ «أما ورب القلم؛ واللوح ذي الكرم؛ لتدينين لي العرب والعجم؛ ولأتخذن من تميم خدم.»[٤]

٧ ـ «أما والسميع العليم؛ العزيز الكريم، لأعركن عمان عرك الأديم، ثمّ لأتخذن خدماً من تميم»[٥]

«ويقال: إن المختار كان يمسح عـلىٰ رأس إبـنته ويـقول: صـلوات اللّـه عـلىٰ عيسى إبن مريم. لأنه كما يقال: إن المختار كان يعتقد أن عيسىٰ سيظهر ويكون نسيباً له».[٦]

وأغلب هذا من جعل الجاعلين وإتهام الكاذبين، بل وإنتساب هذا الكلام إلى المختار هو أقرب إلى الإفتراء كما يقول الزركلي: «وقد يكـون هـذا مـن إخـتراع أصحاب القصص».[٧]

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ج ٥، ص٢٣٦.

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

(٦) نفس المصدر .

(٧) الأعلام للزركلي: ج٧، ص١٩٢، طبعة بيروت.

كتاب المختار إلى أحنف بن قيس

كان الأحنف بن قيس من أصحاب أمير المؤمنينعليه السلام وإسمه «صخر بن قيس»، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين. لقبه الأحنف، وكان سيداً بالبصرة. دعا النّاس إلى عليعليه السلام يوم الجَمَل. شهد صفِّين مع الإمام عليعليه السلام. وكان سياسياً، مفكراً، حليماً، عفواً، وله ماضٍ في الجهاد. إشترك في أغلب حروب صدر الإسلام بصفة قائد للجيش، وكان قد فقد عينه عند فتح سمرقند.

وفي قضية التحكيم بصفّين إتخذ موقفاً جيداً، وكان له رأي سديد ومن رأي مالك الأشتر وإبن عبّاس. لكن الخوارج لم يقبلوه. وكان عدواً مجاهراً لمعاوية وبني أُميّة. وبعد إعتلاء معاوية[1] العرش كانت له مع الأحنف مراودة، ووهبه مرة خمسين ألف درهم. كتب الحُسَينعليه السلام إلى الأحنف قبل خروجه إلى الكوفة ودعاه لنصرته لكن الأحنف لم يقبل ولم ينصر الإمام[2] مالَ أواخر عمره إلى حكم إبن الزبير وتجنَّب المختار، فيما دعم جيش إبن الزبير ضد المختار.

توفي الأحنف سنة سبع وستين للهجرة (٦٨٦م) في البصرة عن سبعين سنة، أي أنه ولد سنة ثلاث قبل الهجرة. وصلّىٰ عليه مُصعَب بن الزبير ومشىٰ راجلاً بين رجلي نعشه بغير رداء، وقال في تأبينه: هذا سيّد أهل العراق، وقال أيضاً: اليوم ذهب الحزم والرأي. ودفن بالثوية.[3]

كان المختار قلقاً وآسفاً لأن شخصاً مثل الأحنف في البصرة، بسوابقه وأفكاره

---

(١) تواتر عنه (صلىٰ اللّه عليه وآله وسلم) أنه قال - لما أقبل أبو سفيان ومعه معاوية -: «اللّهم إلعن التابع والمتبوع». وفي رواية آخرى: «اللّهم إلعن القائد والسائق والراكب، يوم نظر إليه وهو راكب ومعه معاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق» وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ص٢١٧-٢١٩ وص١٤٨،٢٤٤، وتاريخ الطبري: ج١١، ص٣٥٧.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٥، حالات الإمام الحُسَين(ع).

(٣) أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين: ج٧، ص٣٨٣-٣٨٥.

ودهائه وسياسته وقبيلته القوية لم يتحالف معه. فأرسل له كتاباً ذو قافية كان السبب في توجس الأحنف منه، والذي أيَّد لديه فكرة إدعاء المختار للنبوة، وعندئذٍ وقف الضد منه.

نص الكتاب

كتب المختار إلى الأحنف بن قيس معاتباً جاء فيه: «... أما بعد؛ فويل أم ربيعة ومضر؛ من أمرٍ سوءٍ قد حضر، وأنّ الأحنف قد أورد قومه سقر؛ وإني لا أملك القدر؛ وماخُط في الزُبر؛ لعمري لئن قاتلتموني وكذّبتموني؛ لقد كُذِّبَ مَن كان قبلي وما أنا بخيرهم»![1]

قال الشعبي: دخلت البصرة فقعدت إلى حلقة فيها الأحنف بن قيس، فقال لي بعض القوم: من أنت، قلت: رجل من أهل الكوفة؛ قال: قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار (في إشارة منه إلى هزيمة المختار وإنتصار البصريون ومُصعَب بن الزبير) فقلت: نعم، إلّا أننا عفونا عنكم أهل البصرة في حرب الجَمل، وما فعلتم ذلك معنا، وقد خنتم. ثمّ قلت: تدري ما قال شيخ همدان فينا وفيكم فقال الرجل وما قال، قلت قال:

أَفَخَرتُم إن قَتلتُم أعبدا ... وهزمتم مرةً آل عزل
وإذا فاخرتمونا فأذكروا ... ما فعلنا بكم يومَ الجَمَل
بين شيخ خاصب عثنونه ... وفتى أبيض وضّاح رفل
جاءنا يهدج في سابغة ... فذبحناه ضحىً ذَبح الحَمل
وعفونا فنسيتم عَفونا ... وكفرتُم نعمة اللّه الأجَل

(١) أنساب الأشراف: ج ٥، ص٢٤٤، طبعة بغداد.

فغضب الأحنف[1] فقال يا غلام هات تلك الصحيفة فأتىٰ بصحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس (نص كتاب المختار). «فقال الأحنف: من القائل بهذا الكتاب أهو كوفي أم بصري؟ ثمّ تبسَّم وقال للحاضرين: دعوه وإكرموا مكانه».

ولإنَّ البصرة كانت مركزاً لمعارضي المختار فقد أقاموا عليه حملة دعائية شعواء وعرّفوه بـ«الكذّاب». ولو فرضنا صحة مضمون كتاب المختار فيمكن تبرير ماجاء فيه، إلّا أن ذلك لايعني بأن المختار كان مدّعياً للوحي والنبوَّة.

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٣٨ - ٥٣٩.

الباب الثاني
المختار لم يكن كيسانياً

من جملة التُهم الّتي لُفقَت للمختار هي «الكَيسانيّة»، وأنه كان من المؤسسين لهذا المذهب. لذا إرتأينا أن نُعرِّف «الكَيسانيّة» ومعتقدات وفكر هذه الفئة الظالة.

تعتقد الفرقة الكَيسانيّة بإمامة محمّد إبن الحنفيّة بن أمير المؤمنينعليه السلام ولايقبلون بإمامة الأئمة من ولد الإمام السجّادعليه السلام المعصومين لاحقاً ويقولون: كان المختار معتقداً بإمامة محمّد إبن الحنفيّة ولم يك معتقداً بإمامة السجّادعليه السلام وسائر الأئمة المعصومينعليهم السلام، وهذا هو أصل عقيدة الكَيسانيّة. ومما يؤسف له أن أكثر مؤلفي كتب المِلل والنِحل السنّة يُصرِّحون بهذا الكلام ويعرِّفون المختار علىٰ أنه من الشيعة الكَيسانيّة ويتبع الطريقة الكَيسانيّة.[1] والبعض الآخر يعرِّفونه علىٰ أنه مؤسس مذهب «الكَيسانيّة» أو «المختارية»[2]. وقد كرر بعض علماء الشيعة هذا المفهوم الخاطئ فيما كتب المحقق المعاصر الراحل الدكتور شهيدي في هذا السياق مايلي: «في أحداث عام (٦٥) للهجرة وقيام المختار بن أبي عبيد الثقفي نراه يدعو النّاس إلى إمامة محمّد إبن الحنفيّة بن عليعليه السلام ويعرِّفه بمهديّ الأُمة. وعلىٰ الرغم من أنّ وفاة محمّد كان في سنة (٨١) للهجرة إلّا أن أتباعه ـ الملقّبون بالكيسانية ـ قالوا:

---

(١) الفَرق بين الفِرق للأسفرايني: ج١، ص٣٨.

(٢) المِلل والنِحل للشهرستاني، ووفيات الأعيان: ج٤، ص١٧٢.

بأن محمّداً لم يمت وهو موجود في جبل رضوىٰ قرب المدينة ويؤتىٰ طعامه من عالَم الغيب ويظهر كلما أراد ذلك»[١] في حين أن علماء الطراز الأول، مِن الشيخ الطوسي والمتقدمين إلى العلماء المتأخرين الكبار والمعاصرين من أساتذة علم الرجال وأصحاب الرأي في هذا المجال يردّون هذا الإتهام عنه ويصرّحون برسوخ إعتقاد المختار في مسألة الإمامة. (سنتابع في هذا الفصل أقوال عدد من فحول علماء الشيعة من كتبهم المعتبرة والمشهورة).

وبالنظر إلى قبول الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام حيال عمل المختار ومدحه ومنزلته من جانب أغلب علماء الشيعة الكبار ومحدّثي الطراز الأول، وكذلك ردّهم لروايات الذم، كيف يمكن أن نقبل أنه كان منحرفاً في مسألة مهمة مثل الإمامة؟ والأمر المهم الآخر هو أن منشأ التهم الملفقة للمختار هم علماء السنّة ومحدثيهم ووعّاظ الخلفاء. فأغلب المؤرّخين وأصحاب كتب المِلل والنِحل السنّة يذمون المختار وثورته ويدينونه وينسبون له أفضع الأعمال وينعتونه بالمنحرف و«الكذّاب»، خاصة ممن يكنون لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم العداء القديم والعناد الدائم. إلّا أننا لانعتد لكلامهم[٢] ولا ننقل منها ويمكن للمحققين الرجوع إلى كلامهم.[٣]

سنقوم وبالإتكال علىٰ البارئ عزّوجل والإستعانة بالتاريخ ومتخصصي علم الرجال والحديث العظام بنقل الأدلة الواضحة والثابتة والقاطعة حيال عدم إنحراف المختار في مسألة الإمامة وسنترك الحكم للقارئ.

---

(١) «تاريخ الإسلام التحليلي»، سيّد جعفر شهيدي: ص ٢٠١ (بالفارسية).

(٢) ننقل أسماء بعضهم: السيوطي مؤلف كتاب «تاريخ الخلفاء» وأشد المعاندين لأهل بيت رسول اللّه(ص) وتجد في كتابه هذا تشدداً وموقّفاً خاصاً من إسم المختار ويشير إليه بصورة غيرلائقة ومتهكمة ويقول: «المختار كذّاب إدعىٰ النبوّة لعنه اللّه، قتله إبن الزبير» تاريخ الخلفاء: ص٢١٤.

(٣) إبن كثير في كتاب «البداية والنهاية»، وإبن خلكان في وفيات الأعيان، لقّبوا المختار بـ«الكذّاب».

ومن منطلق أن العلّامة الكبير المامقاني من أكثر المتخصصين في علم الرجال والحديث ومتقدماً في مجال التدقيق علىٰ من سواه، إرتأينا أن ننقل كلام هذا العالم الشيعي الكبير من كتابه «الرجال» بمانصه:

أدلة العلّامة المامقاني في صحة عقيدة المختار

قدَّم العلّامة المامقاني في سياق دفاعه عن المختار وبُعده عن الكَيسانيّة وحسن إعتقاده وإماميته بأدلة وموضوعات قيّمة، فيقول: في بيان عقيدة ومذهب المختار بأنه دون أدنىٰ شك كان مسلماً وإمامي المذهب، أي معتقداً بإمامة الإثني عشر عليهم السلام، وتتفق الشيعة والسنّة علىٰ ذلك. ـ لكنَّ بعضهم يرونه شيعياً كيسانياً ـ والحق فإنه كان قائلاً بإمامة السجّاد عليه السلام.

وبعد ذكره الجملة السابقة يوضح المامقاني الإعتقاد الراسخ للمختار بنبوءة أمير المؤمنين عليه السلام في حقه، ويطرح أدلته المستقاة من الروايات في هذا المجال فيقول: من جملة الأدلة المشيرة إلى صحة إعتقاد المختار هي، أنه لم ير النبي صلى الله عليه وآله[1] وأنه سمع البشارة حول ثورته من أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي قال: يقتل عدة آلاف من بني أُميّة. ومن المعلوم أن المختار إن لم يك إمامياً أو شيعياً لما إعتقد بنبوءة أمير المؤمنين عليه السلام وإخباره بالحوادث وعلمه بالغيبيات بإذن اللّه تعالىٰ. فإعتقاده بنبوءة الإمام دال علىٰ إعتقاده الصحيح وكونه إمامياً، لأن هذه المسائل من خصوصيات المذهب الإمامي. فإعتقاد المختار وأطمئنانه لنبوءة أمير المومنين عليه السلام في الرواية الّتي تقول: إن الأمير الكوفي لايستطيع قتل المختار، ليبقىٰ ويقتل الآلاف من أتباع بني أُميّة. حتىٰ أن المختار كان يعتقد أن لو قَتلَهُ أمير الكوفة، فإن اللّه سيحييه كي يُنفِّذ

---

(١) ولد المختار في السنة الأولىٰ للهجرة. وعند إرتحال النبي(ص) في المدينة كان له من العمر عشر سنوات: ويحتمل أنه كان يعيش في الطائف ـ الكامل لإبن الأثير: ج ٤، ص ١١١ وبحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٥٠.

مهمته. وهذا الإعتقاد لايتلائم مع عقائد السنّة، بل أنه من خصوصيات فرقة الإمامية الحقَّة. لأنَّ الإمامية تعتقد أن الأئمة عليهم السلام هم علم بعواقب الأمور وحوادث الدهور. وبما أننا علىٰ إطلاع بصحة هذه الرواية، ومن خلال الوقوف علىٰ سيرة الأئمة عليهم السلام، فإن القضية تتضح أكثر فأكثر وبشكل جلّي للعيان. ومن البديهي، فإن من إطّلعَ علىٰ سيرة الأئمة عليهم السلام وأصحابهم، سوف يشاهد ذلك أيضاً في سيرة عدد من صحابة الأئمة، الّذين مثَّلوا الأمناء علىٰ أسرارهم. نظير قيام حبيب بن مظاهر بالإخبار عن إستشهاد المختار، وكذلك ما أخبر به ميثم التّمار عن مستقبل المختار وإستشهاده. بل أن ميثم كان يعلم تفاصيل أكثر وقد أخبر المختار بذلك في سجن إبن زياد عندما كانا سجينين معاً، بأنه سوف يخرج من السجن ويثور إنتقاماً لدم الحُسَين عليه السلام.

ومن خلال الروايات الكثيرة الّتي تصل إلى حد التواتر والّتي تمتلئ بها كتب التاريخ والحديث تتضح أسباب ثقة المختار الكاملة حيال قتله الآلاف من بني أُميّة. بل وعلىٰ فرض أنه إذا قُتل، فإن اللّه سوف يحييه كي ينتقم ويثأر لدم الإمام الحُسَين عليه السلام، لهو دليل واضح علىٰ أنه كان مسلماً موحداً وإمامي المذهب. والأقوىٰ من ذلك إعتقاده الراسخ بإمامة السجَّاد عليه السلام.

ويسترسل المامقاني في إستدلاله فيقول:

الدليل الأول: إن الرواية الّتي تقول: بأنَّ الإمام الحُسَين عليه السلام يشفع للمختار يوم القيامة وينجيه من نار جهنم، تعد من خصوصيات مذهبنا. وإنَّ مَن لايعتقد بإمامة الأئمة عليهم السلام يخلد في جهنم أبدا. فإن كان المختار غير معتقد بإمامة السجَّاد عليه السلام، فإنه وبمقتضىٰ عقائد المذهب الشيعي سوف يخلد في العذاب ولايشفع له سيِّد الشهداء عليه السلام.

الدليل الثاني: إن إرسال المختار الهدايا الثمينة والقيّمة إلى الإمام السجّادعليه السلام يكشف عن مدىٰ إعتقاد المختار بهذا الإمام حصراً. ولو كان المختار معتقداً بإمامة محمّد إبن الحنفيّة ولم يكن يعتقد بإمامة السجّاد لأرسل هداياه إلى إمامه محمّد إبن الحنفيّة فقط. ومن خلال فعل المختار هذا نفهم أن إنتساب إعتقاده إلى إمامة محمّد إبن الحنفيّة ليس سوىٰ بهتان ولاغير. «وسنوضح هذا الأمر في سياق حديثنا اللاحق إن شاء اللّه».

الدليل الثالث: في الرواية الّتي نقلها الكشي عن أمير المؤمنينعليه السلام والذي أتحف فيه المختار بلقب الكيّس، هو مؤيد لقول: إن المختار إمامي المذهب وغير منحرف. لإن الإمامعليه السلام كان عارفاً بعاقبة عمل المختار ومستقبله، وكما هو حال الكثير من الحوادث المستقبلية الّتي كان يعلمها. واذا كان عاقبة أمر المختار تولي إلى الإنحراف ولم يكن يعتقد بإمامة السجّاد والأئمة عليهم السلام. فإن أمير المؤمنينعليه السلام لم يكن ليجلسه في حجره ولم يلاطفه ويلقبه بالكيّس. فكيف يمكن أن لايعلم الإمام عليعليه السلام عاقبة أمر المختار في حين أن ميثم التّمار وهو من تلامذة الإمام ومواليه كان يعلم هذه العاقبة!؟

الدليل الرابع: نرىٰ في رواية الحُسَين بن زيد أنَّ الإمام السجّادعليه السلام دعا للمختار بخير الجزاء[1]. وفي رواية عبد اللّه بن شريك أن الإمام الباقر أو الصادق طلب له الرحمة ثلاث مرات.[2]

فلايعقل أن يطلب الإمام الباقرعليه السلام الرحمة والمغفرة لشخص لايعتقد بإمامة أبيه السجّادعليه السلام. ومن الواضح وطبقاً لمذهب الإمامية، فإنَّ مجرد القيام بعمل حسن مثل الأخذ بالثأر للإمام الحُسَينعليه السلام لايُشكّل مبرراً لطلب الرحمة للمختار من قبل

---

(١) «رجال الكشي»: ص١٢٧.

(٢) نفس المصدر: ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

الإمام، لأن رضىٰ الأئمة عليهم السلام من رضاء اللّه.[١]

الدليل الخامس: إن العلّامة الحلّي أدرج في القسم الأول من «الخلاصة» المختار في الإمامية الإثني عشرية. وكل من يدرك طريقة العلّامة في هذا الكتاب يفهم أن العلّامة لم يدرج في القسم الأول من الكتاب سوىٰ الإمامية الإثني عشرية. مهما بلغ من الوثاقة والإعتماد مرتبة.[٢]

وفي الختام وتأييداً لكلامه قال المامقاني: «فتلخص من جميع ما ذكرنا، أن الرجل إمامي المذهب وأن سلطنته برخصة من الإمام عليه السلام».[٣]

حديث العلّامة الأميني (ره)

كتب العلّامة الأميني في سياق دفاعه وتحليله ورد نسبة «الكَيسانيّة» عن المختار يقول: «ومن عطف علىٰ التاريخ والحديث وعلم الرجال نظرة تشفعها بصيرة نفَّاذة، عَلِمَ أن المختار في الطليعة من رجالات الدين والهدىٰ والإخلاص. وإن نهضته الكريمة لم تكن إلا لإقامة العدل باستئصال شأفة الملحدين، وإجتياح جذوم الظلم الأموي. وإنه بمنزح من المذهب الكيساني وأن كل ما نبزوه من قذائف وطامات لا مقيل لها من مستوى الحقيقة والصدق. ولذلك ترحَّمَ عليه الأئمة الهداة سادتنا: السجَّاد والباقر والصادق صلوات اللّه عليهم، وبالغ في الثناء عليه الإمام الباقر عليه السلام، ولم يزل مشكوراً عند أهل البيت الطاهر هو وأعماله. وقد كبّره ونزّهه العلماء الأعلام منهم: سيدنا جمال الدين بن طاووس في «رجاله» وآية اللّه العلّامة في «الخلاصة» وإبن داوود في «الرجال» والفقيه إبن نما الذي أفرد فيه من رسالته

(١) تنقيح المقال: ج٣، ص٢١٥.

٢) نفس المصدر: ص ٢٠٦.

(٣) تنقيح المقال: ج٣، ص٢١٥.

المسماة «بذوب النضار» والمحقق الأردبيلي في «حديقة الشيعة» وصاحب المعالم في «التحرير الطاووسي» والقاضي نور اللّه المرعشي في «المجالس». وقد دافع عنه الشيخ أبو علي الحائري في «منتهىٰ المقال»، وغيرهم».[1]

رأي آية اللّه العظمىٰ السيّد الخوئي

كتب آية اللّه العظمىٰ السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي (طاب ثراه) في سياق دفاعه عن المختار وبُعده عن الكَيسانيّة وحسن إعتقاده وإماميته يقول: «الأمر الثالث، أنه نسب بعض العامة المختار إلى الكَيسانيّة، وقد إستشهد لذلك بما في الكشي من قوله: والمختار هو الذي دعا النّاس إلى محمّد بن علي بن أبي طالب، إبن الحنفيّة، وسُمّوا الكَيسانيّة وهم المختارية، وكان بقية كيسان.. إلى آخر ما تقدم. وهذا القول باطل جزماً، فإن محمّد إبن الحنفيّة لم يدع الإمامة لنفسه حتىٰ يدعو المختار النّاس إليه، وقد قتل المختار ومحمّد إبن الحنفيّة حي، وإنما حدثت الكَيسانيّة بعد وفاة محمّد إبن الحنفيّة، وأما أن لقب المختار هو كيسان، فإن صح ذلك، فمنشؤه ما تقدم في رواية الكشي من قول أمير المؤمنين عليه السلام له مرتين يا كيّس، يا كيّس. فثنىٰ كلمة كيّس، وقيل كيّسان».[2]

حديث المؤرّخ المشهور المرحوم المقرّم

كتب المؤرخ الشهير المرحوم المقرّم في هذا السياق بعد نقله الروايات عن الأئمة عليهم السلام في مناقب ومدح وصحة عمل المختار مانصه: «يتضح من هذه الروايات منزلة المختار عند الأئمة عليهم السلام. وإن كان لديه إدعاء باطل من قبيل النبوّة أو الإمامة ـ

---

(١) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٣.

(٢) معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ج١٩، ص١٠٩ - ١١٠.

له أو لمحمَّد إبن الحنفيّة ـ فإن أئمة الهدىٰ كانوا سيذكرون ذلك». وفي موضع آخر يقول: من الحقائق الواضحة الّتي يذعن لها العقل، رضىٰ الأئمة ومدحهم للمختار. ويدرك من هذه الروايات عقيدة المختار الراسخة بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام ومدىٰ إيمانه وعقيدته السليمة وذاته الطاهرة في محبتهم. ولا توجد أي عبارة أو حديث أو فعل في دعوة المختار تدل علىٰ إعترافه بإمامة محمّد إبن الحنفيّة، بل أن طرح محمّد بعنوان المرشد للثورة، مثّل سياسة حاذقة ومدبَّرة، الهدف منها إبعاد الأذىٰ والمساءلة والضغوط عن الإمام السجَّاد عليه السلام من قبل حُكّام ذلك الزمان. ولو أراد المختار إشراك الإمام السجَّاد عليه السلام بشكل علني في هذه الثورة لربما أدىٰ ذلك إلى تعرُّض حياة الإمام عليه السلام للخطر. لذا وبهدف المحافظة علىٰ حياة الإمام عليه السلام ومراعاته لأصل «التقية»، سعىٰ المختار إلى طرح إسم محمّد إبن الحنفيّة.

وإن طرح هذا الأمر لايعني أيضا بأنه كان لمحمّد طموحاً أو إدعاءً ما لنفسه. بل من الواضح جداً مدىٰ إتفاق الجميع علىٰ إطاعة محمّد إبن الحنيفة للإمام السجَّاد عليه السلام.

خلاصة الحديث في صحة عقيدة المختار

١ ـ هناك روايات في مدح ومناقب المختار عن الأئمة المعصومين عليهم السلام قَبِلها علماء الرجال والحديث ـ وبرغم ضعف السند في بعضها ـ إلا أن قبولها يسد ضعف سندها.[1]

٢ ـ ضمن هذه الروايات، تجد أن طلب الرحمة والمغفرة وجزاء الخير والإحسان وإظهار السرور من قبل الأئمة وأهل البيت عليهم السلام لشخص المختار هو تعبير واضح

(١) نقلنا معظم الروايات في الغالب عن «رجال الكشي» وأوردناها في الفصل التاسع يمكن المراجعة.

وجلي عن مدىٰ صحة عقيدته وطهارة مراده. فلو كان المختار في مسألة الإمـامة منحرفاً في العقيدة ومعتنقاً للكيسانية. فإنه وطبقاً للروايات الصـحيحة وإعـتقاد الشيعة محكوم عليه بالفسق والكفر. ومن البديهي، أن الإمام المـعصوم لايـطلب الرحمة والمغفرة لمنحرف أو فاسق أو كافر مطلقاً ولايظهر الرضىٰ منه حتىٰ لو إنتقم من قتلة شهداء كربلاء.

٣ ـ إن معظم الروايات الواردة في ذم وقدح المختار أو في إنحراف عقيدته حُملت علىٰ التقية، أو أنها ضعيفة السند ومرفوضة من وجهة نظر علماء الرجال والحديث. وإن إعراض أرباب الحديث عنها دال علىٰ رد تلك الأحاديث. ولايمكن مواجهة أخبار المدح ـ المقبولة لدىٰ علماء الشيعة الكبار ـ بالمعارضة والعناد.

٤ ـ إن أكثر علماء الشيعة الكبار من القدماء والمتأخرين والمـعاصرين ومـن أصحاب الرأي في علم الرجال والمـتحدثين في شأن المخـتار، لديهـم الثـقة في أنَّ للمختار إعتقاد راسخ في مسألة الإمامة ويصرحون في عدم إنحرافـه ويسـقطون إنتسابه إلى الكَيسانيّة.

وقد كبرّه ونزّهه العلماء الأعلام منهم: «شيخ المحدثين الصدوق إذ أفرد له كتاباً، وكذلك شيخ الطائفة الطوسي وسيدنا جمال الدين بن طاووس في «رجاله» وآية اللّه العلّامة في «الخلاصة» وإبن داوود في «الرجال» والفقيه إبن نما الذي أفرد فيه من رسالته المـسماة «بـذوب النـضار» والمحـقق الأردبـيلي في «حـديقة الشـيعة» وصاحب المعالم في «التحرير الطاووسي» والقاضي نور اللّه المرعشي في «المجالس»، وقد دافع عنه الشيخ أبوعلي الحائري في منتهىٰ المقال»[1] والعلّامة الأميني والسيّد محسن أمين العاملي وآية اللّه الخوئي وغيرهم من الفطاحل الّذين كتبوا أو أبـدوا

(١) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٣.

عن أرائهم في مدح وطهارة عقيدة المختار.

٥ ـ إن تلفيق المذهب الكيساني بالمختار أو هو مؤسس هذا المذهب كان قد صدر عن علماء السنّة وكُتّاب الملل والنحل من غير الشيعة وذلك عبر الإستناد علىٰ روايات مزوّرة ومردودة.[١]

٦ ـ طبقاً للروايات الصحيحة وتأييد علماء الشيعة الكبار، فإن محمّد إبن الحنفيّة لم يدع بالإمامة لنفسه قط ـ وسيأتي هذا البحث لاحقاً بشكل مستدل وتفصيلي ـ وقد توفي بعد استشهاد المختار، فيما ظهرت الفرقة الكَيسانيّة بعد إستشهاد الأخير. وبهذا الوصف كيف يمكن أن يكون المختار معتقداً بهذا المذهب.

٧ ـ إن مجرد دعوة المختار النّاس لزعامة محمّد إبن الحنفيّة وتعريفه بزعيم الثورة أو الإعلان عن نفسه مبعوثاً أو وزيراً أو ممثلاً لمحمّد إبن الحنفيّة لايدل علىٰ أنه كان معتقداً بإمامة محمّد إبن الحنفيّة أو أنه لايقبل إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام من ولد الإمام الحُسَين عليه السلام.

٨ ـ إن الفرقة الكَيسانيّة الّتي تنسب نفسها إلى المختار وتعرّفه علىٰ أنه مؤسسها في بعض كتب الملل والنحل. فإن ذلك لايدل علىٰ أن المختار كان علىٰ عقيدة هذه الفرقة، مثل إنتساب الزيدية بـ«زيد بن علي عليه السلام» والإسماعيلية بـ«إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام»، إذ يُبَرِئ جميع علماء الرجال ورجال الملل والنحل الشيعة الكبار كلّ من زيد وإسماعيل من الإدعاء بالإمامة وينزّهُهُم عن ذلك.

٩ ـ بما أن المختار كان سياسياً شيعياً كبيراً وصانع ملحمة كبرىٰ في تاريخ الإسلام والمنفّذ للضربة المهلكة بحكومة بني أُميّة وإبن الزبير والرافع لشعار الثأر لدم الحُسَين عليه السلام والمدافع عن مذهب أهل البيت عليهم السلام. فمن البديهي أن تقوم أبواق

---

(١) معجم رجال الحديث: ج١٨، ص١٠٢، طبعة بيروت.

الحكم ووعاظ السلاطين الأمويين بتلفيق التهم وكَيل الألفاظ النابية له وإتهامه بإدعاء النبوَّة والإمامة أو تأسيس مذهب الكَيسانيّة أو نعته بـ«الكذّاب». وعلىٰ هذا الأساس تم إطلاق موجة من الإعلام المضاد ضده والذي ترك أثره السيئ مع الأسف علىٰ هذه الشخصية.

١٠ ـ من خلال بحثنا وتدقيقنا في الكتب التاريخية والرجالية والروائية المعتبرة في هذا المجال، لم نجد في أحاديث ورسائل وكتب وخطب المختار مايدل علىٰ أنه دعا النّاس إلى إمامة محمّد إبن الحنفيّة، بل عرّف عن نفسه بأنه ممثله أو مبعوثه. وإنَّ هدفه من الثورة هو الثأر لدماء أهل البيت عليهم السلام والدفاع عن حقوق المظلومين والضعفاء، وأنَّ ورود عنوان المهدي في بعض رسائله وكتبه لا يدل علىٰ إدعاء الإمامة أو أنه «المهدي الموعود». وعلىٰ حد قول العلّامة الرجالي الكبير الشيخ أبوعلي الحائري: ولربما أن عنوان المهدي الذي كان يُطلق علىٰ محمّد إبن الحنفيّة وكان المختار يروّج له من أجل ترغيب النّاس علىٰ الثورة، وليس لأن محمّد إبن الحنفيّة هو المهدي الموعود.[1]

١١ ـ عند إعلان المختار لزعماء الكوفة أنه مبعوث من قبل إمام الهدىٰ زين العابدين عليه السلام ونائبه محمّد إبن الحنفيّة وبأنه مكّلف بالقيام. ذهب عدد من زعماء الشيعة إلى المدينة وإستفتوا من الإمام السجَّاد ومحمّد إبن الحنفيّة في الأمر، وقد طلبا منهم مؤازرته ومساعدته ومناصرته في إنتفاضته وعند عودتهم أعلنوا بالقول: «أذِنَ لنا زين العابدين عليه السلام ومحمّد إبن الحنفيّة».[2]

١٢ ـ في جملة زعماء الكوفة حين دعوتهم لإبراهيم بن مالك الأشتر للمشاركة

(١) منتهىٰ المقال للشيخ أبو علي الحائري: (المختار).

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٣٦.

في الثورة نلاحظ هذه العبارة «هذا المختار قد جاءنا من قبل إمام الهدىٰ ومن نائبه محمّد إبن الحنفيّة وهو المأذون له في القتال.»[١]

إذن هذه هي أدلتنا الواضحة في إثبات صحة عقائد المختار وإسقاط نسبة الكَيسانيّة عنه ـ والحكم للقاريْ الكريم ـ وهنا ومن أجل التعريف بمذهب الكَيسانيّة المنقرض نشير إلى أصول عقائده في الباب التالي.

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٣٦.

الباب الثالث

الكَيسانيّة

قال الشهرستاني[1] في هذا السياق: «الكَيسانيّة أصحاب كيسان مولىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم اللّه وجهه. وقيل تلميذ للسيّد محمّد إبن الحنفيّة رضي اللّه عنه. يعتقدون فيه إعتقاداً فوق حدِّه ودرجته من إحاطته بالعلوم كلها وإقتباسه من السيّدين (ويقصد الإمامين الحسن والحُسَين عليهما السلام) الأسرار بجملتها، من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس. ويجمعهم القول: بأنَّ الدين طاعة رجل، حتىٰ حملهم ذلك علىٰ تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك علىٰ رجال، فحمل بعضهم علىٰ ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل، وحمل بعضهم علىٰ ضعف الإعتقاد بالقيامة، وحمل بعضهم علىٰ القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت. فمن مقتصر علىٰ واحد معتقد أنه لايموت ولايجوز أن يموت حتىٰ يرجع، ومِن معتقد حقيقة الإمامة إلى غيره ثمّ متحسر عليه متحير فيه، ومِن مدع حكم الإمامة وليس من الشجرة وكلهم حيارىٰ متقطعون، ومَن إعتقد أن الدين طاعة رجل، ومَن لارجل له فلا دين».

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ج١، ص١٤٧.

ثمّ ينتقل إلى الفرقة المختارية ويقول: «المختارية أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان خارجياً ثمّ صار زبيرياً ثمّ صار شيعياً وكيسانياً. قالَ بإمامة محمّد إبن الحنفيّة بعد أمير المؤمنين علي رضي اللّه عنهما، وقيل لا بل بعد الحسن والحُسَين رضي اللّه عنهما. وكان يدعو النّاس إليه وكان يظهر أنه من رجاله ودعاته ويذكر علوماً مزخرفة بترهاته ينوطها به ولما وقف محمّد إبن الحنفيّة علىٰ ذلك تبرأ منه».[1]

ذكرنا من قبل شواهد وأدلة قاطعة تبريء ساحة المختار من هذه التهم الملفقة له. ومانيقله شخص مثل الشهرستاني ومع الأسف مطعون ولايمكن القبول به. إنه نسب في الملل والنحل فرقاً للشيعة لاوجود لها. وبدورنا نتساءل عن هدفه من نقل هذه المواضيع العارية من الصحة والسند؟ وعن جهل مؤلف الملل والنحل عن التاريخ وخصوصاً تاريخ الشيعة وأئمتهم. يكفينا مانقله في كتابه اذ يقول: «قبر علي النقي إمام الشيعة العاشر في قم»[2] ولم يقل هذا الكلام غيره، ويدل هذا علىٰ فقدان عناصر التحقيق لدىٰ هذا المؤلف وجهله، في حين أن مرقد الإمام علي النقي عليه السلام يقع في سامراء العراق.

لم يُفرّق «الأسفرايني» فيما بين المختارية والكَيسانيّة فيقول: «الكَيسانيّة من الروافض هؤلاء أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي».

يقول إبن خلكان: «وكان المختار يدعو إلى إمامة محمّد إبن الحنفيّة ويزعم أنه المهدي...»[3] وجملة إبن خلكان هذه هي ذات إدعاء أهل السنّة. يقول الأشعري: الكَيسانيّة طائفة من غلاة الشيعة لهم إعتقادات عجيبة وغريبة في علي عليه السلام. ثمّ

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ج١، ص١٤٧ - ١٤٨.

(٢) نفس المصدر: ص ١٣٠.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٤، ص١٧٢.

يقول: الكَيسانيّة تعتقد بإمامة محمّد إبن الحنفيّة، وتقول: إن علياًعليه السلام أعطاه الراية يوم الجَمَل وهذا نص صريح علىٰ إمامته.(١)

وذكر أن الكَيسانيّة تعتقد بتناسخ الأرواح ويقولون: إن الإمامة في عليعليه السلام ثمّ في الحسن والحُسَينعليهما السلام ثمّ في محمّد إبن الحنفيّة. ويعللون ذلك بأن روح اللّه حلَّ في الرسول صلى الله عليه وآله ثمّ حلَّ روح الرسول صلى الله عليه وآله في علي ثمّ حلَّ روح علي في الحسن ثمّ حلَّ روح الحسن في الحُسَين ثمّ حل روح الحُسَين في محمّد إبن الحنفيّة ثمّ حل روح إبن الحنفيّة في ولده أبي هاشم.(٢)

وللكيسانية إعتقاد خاطيء وخاص وبعيد عن الواقع إزاء محمّد إبن الحنفيّة. إذ يقولون بإحاطة محمّد إبن الحنفيّة بجميع العلوم، وأنه إكتسب نور هذه العلوم من الإمامين الحسن والحُسَينعليهما السلام، بل ولديه علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس.(٣)

ويذكر أنهم: يعتقدون بأن حقيقة الدين هي الطاعة لرجل، وتقول فرقة منهم أن محمّد إبن الحنفيّة هو المهدي وقد منحه هذا اللقب أبوه علي، وهذا المهدي غائب حتىٰ يظهر وتطيعه الدنيا وليس هناك إمام واجب الطاعة غيره.(٤)

عقيدة الكَيسانيّة في مسألة الإمامة

تعتقد الكَيسانيّة أن الإمامة في أربعة أشخاص وليس أكثر، وهم: الإمام علي بن ابي طالب وأبنائه الثلاثة الحسن والحُسَين ومحمّد إبن الحنفيّة.(٥)

---

(١) المقالات الإسلامية لأبي الحسن الأشعري: ج١، ص٩٠.

(٢) نفس المصدر: ص ٧ و ٢٦.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني، ج ١، ص ١٣١.

(٤) المقالات الإسلامية لأبي الحسن الأشعري: ص٢٧، تاريخ الكَيسانيّة.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني: ج١، ص١٤٧.

وتعتقد الكَيسانيّة أن محمّد إبن الحنفيّة هو «المهدي المنتظر» وهو حيّ وغائب في جبل «رضوىٰ» وسيظهر لاحقاً ويملأ الأرض عدلاً.[١] وذكرت كتب الملل والنحل عقائد خاصة للكيسانية في التوحيد والنبوّة والإمامة. ومن الجدير بالذكر أن هذه الفرقة قد إنقرضت ولايوجد لها أي أثر فكري في العالم الإسلامي، لذا نسعىٰ إلى عدم البحث في هذا المجال كثيراً. وتوجد روايات صريحة كثيرة في رد عقائد هذه الفرقة وإنحرافاتها منقولة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في كتبنا الروائية فليراجع من يطلب ذلك.

ومن البديهي، كان هناك من الشيعة بعد وفاة محمّد إبن الحنفيّة من يزعم أنه المهدي الذي جاء عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأنه يقوم فيملأ الأرض عدلاً. فلمّا مات ولم يكن ذلك كرهوا أن ينقضوا قولهم ويرجعوا عنه. فقالوا: لم يمت وهو في غار في جبل رضوىٰ.[٢] حماقة منهم وجهالة.[٣] وكان من جملة من إعتقد بذلك السيّد الحميري شاعر أهل البيت عليهم السلام المعروف، لكنه أدرك خطأه ورجع عن الإنحراف وتاب علىٰ يد الإمام الصادق عليه السلام، وكذلك حيان إبن سراج كان من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام. وكذلك «كثير عزة» الشاعر المعروف في أواخر العهد الأموي، كان كيسانياً وأنشد أبياتاً في عقيدته، نسبها البعض مع الأسف إلى السيّد الحميري وهذا غيرصحيح. بل أن عارفاً بفن الشعر والتاريخ مثل أبو الفرج الأصفهاني يبيّن في كتابه الأغاني[٤]، بأن قائل هذه الأشعار هو كثير

---

(١) مروج الذهب: ج٣، ص٢٤، الحور العين لابن نشوان: ص١٧١، مقدمة إبن خلدون: ج١، ص٣٧٩، وفيات الأعيان: ج٤، ص١٧٣.

(٢) بين أسدين ونمرين تؤنسه الملائكة ويحرسه النمران، المقالات والفرق: ص٢٨.

(٣) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج٣، ص٢٩٦.

(٤) كثير عزة بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود، الأغاني: ج٨، ص١٥، وفيات الأعيان، وخزانة الأدب، ج٢، ص٢٧٦، أنساب الأشراف: ج٢، ص٢٠٢.

عزة.[١] وكان «كثير عزة» كيسانياً ومات علىٰ ذلك. وله في مذهب الكَيسانيّة قوله:

ألا إنَّ الائمةَ مِنْ قُريشٍ	وُلاةُ الحَق اَربَعةٌ سَواءُ
عليّ وَالثلاثَةَ مِن بَنيه	هُمُ الاَسباطِ لَيسَ لَهُمَ خِفاءُ
فَسِبطُ ايمانٍ و برٍ	وسِبطٌ غَيبّتهُ كربلاءُ
وَسبطٌ لا تَراهُ العَينُ حتّى	يَقُودَ الخَيلَ يتبعها اللِواءُ
يَغيبُ فَلايرُى فيهِم زَماناً	بِرضوىٰ عِندهَ عَسَلٌ وماءُ

يكمن إشكالية الشاعر هنا، أنه سمىٰ محمّد إبن الحنفيّة سبطاً في حين أنه لم يكن إبن بنت النبي ﷺ.

إنحراف السيّد الحميري[٢]

كان السيّد الحميري[٣] من الشعراء الكبار في عصر الأئمة عليهم السلام أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني. وكان رجلاً مقاتلاً وعدواً لدوداً لبني أُميّة ومن بعدهم بني العبّاس. كانت أشعاره الرنّانة وقصائده تنزل كالصارم علىٰ نعش سلاطين الجور من الأمويين والعباسيين. وكان شديد الإعتقاد بأهل البيت عليهم السلام ومحباً وعاشقاً لهم وقد أنشد في مدح ورثاء آل البيت عليهم السلام قصائد قيّمة. لكنه مع الأسف كان في بدايته منحرف العقيدة، لكنه أدرك خطأه. فبعد واقعة كربلاء إعتقد بإمامة محمّد إبن الحنفيّة وأنشد أشعاراً علىٰ أساس تلك العقيدة منها هذه الرباعية[٤]:

---

(١) الفصول المختارة للشريف المرتضىٰ: ص٢٩٩.

(٢) إسمه إسماعيل بن محمّد، ولقبه السيّد، ولم يكن هاشمياً، ولد سنة ١٠٥ وتوفي في عصر هارون الرشيد سنة ١٧٩ هجرية، أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين: ج٣، ص٤٠٥.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ومقدمة إبن خلدون: ج١، ص٣٨١.

(٤) مدينة المعاجز للسيّد هاشم البحراني: ج٥، ص٣٨١.

أيا شِعب رضوىٰ ما لمن بك لا يُرىٰ وبـــنا إليــه مــن الصــبابة أولقُ
حتىٰ متىٰ؟ وإلىٰ مـتىٰ؟ وكـم المـدىٰ يــا بـن الوصيّ وأنت حـيٌّ تـرزقُ
إني أومـــــــل أن أراك وأنـــــني مــن أن أمــوت ولا أراك لأَفـرقُ

عودة السيّد الحميري إلى المذهب الحق

أدرك هذا الشاعر الحر وعرف الحق وأقرَّ وإعترف بإمامة السجَّاد عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام. قال الصدوق: فلم يزل السيّد ضالاً في أمر الغيبة يعتقدها في محمّد إبن الحنفيّة حتىٰ لقي الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام ورأىٰ مـنه عـلامات الإمـامة وشاهد فيه دلالات الوصية، فسأله عن الغيبة، فذكر له أنها حق ولكنها تقع في الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام، وأخبره بموت محمّد إبن الحنفيّة وأن أباه شاهد دفنه، فرجع السيّد عن مقالته وإستغفر من إعتقاده ورجع إلى الحق عـند إتـضاحه له، ودان بالإمامة.[1]

إنحراف الكَيسانيّة

لاشك أن الكَيسانيّة أو المختارية ـ أو ما يطلق عليهم مـن أسماء أو عـناوين ـ ضالون منحرفون، لأن أساس إعتقادهم هو إمامة محمّد إبن الحنفيّة وغيبته ـ وهو مخالف لصريح نص الروايات المتواتـرة مـن المـعصومين عليهم السلام ـ ومـثلهم الزيـدية والإسماعيلية، فهم مدانون أيضاً والإعتقاد بعقائدهم إنحـراف صريح عـن التشـيُّع الأصيل ويرقىٰ إلى حد إنكار الإمامة وكما هـو ثـابت بـالأدلة العـقلية والنـقلية الموجودة في كتبنا الكلامية والروائية.

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٣.

نحن نعتقد: «... أن الدليل بعده والحجة علىٰ المؤمنين والقائم بأمـر المسـلمين والناطق عن القرآن والعالم بأحكامه أخوه وخليفته ووصيه ووليه، الذي كان منه بمنزلة هارون من موسىٰ، علي بن أبي طالبعليه السلام أمير المؤمنين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجّلين، وأفضل الوصيين، ووارث علم النبيين، والمرسلين، وبـعده الحسـن والحُسَين سيدا شباب أهل الجنَّة ، ثمّ علي إبن الحُسَين زين العابدين، ثمّ محمّد بن علي باقر علم الأولين، ثمّ جعفر بن محمّد الصادق وارث علم الوصيين، ثمّ موسى بن جعفر الكاظم، ثمّ علي بن موسىٰ الرضا، ثمّ محمّد بن علي، ثمّ علي بن محمّد، ثمّ الحسن بن علي، ثمّ الحجة القائم المنتظر ولده صلوات اللّه عليهم أجمعين، نشهد لهم بالوصية والإمامة، وأن الأرض لاتخلو من حجة اللّه تعالىٰ عـلىٰ خـلقه في كـل عصر وأوان، وأنهم العروة الوثقىٰ، وأئمة الهدىٰ، والحجة علىٰ أهـل الدنـيا إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها. وإنَّ كلَّ من خالفهم ضـال مـضل، تـارك للـحق والهدىٰ، وأنهم المعبِّرون عن القرآن[١] والناطقون عن الرسـول صلى الله عليه وآله بـالبيان، مـن مات ولم يعرفهم، مات ميتة جاهلية[٢]، وإنَّ من ديـنهم الورع والعـفة، والصـدق والصلاح، والإستقامة والإجتهاد، وأداء الأمانة إلى البر والفاجر، وطول السجود، وصيام النهار، وقيام الليل، وإجتناب المحارم، وإنتظار الفرج بالصبر، وحسن العزاء، وكرم الصحبة...».[٣]

وأثبتنا سابقاً أن المختار لم يكن مؤسساً للمذهب الكيساني وكان مقراً ومعترفاً

---

(١) من عبّر عن كذا: تكلم. أو من عبّر عما في نفسه أي بيّن وأعرب. وأما التعبير بمعنىٰ التفسير فهو يتعدىٰ بنفسه، يقال: عبّر الرؤيا أي فسّرها. والمعنىٰ أنهم يتكلمون بمعاني القرآن وحـقائقه، ويـبّينون محـكمه مـن متشابهه، وناسخه من منسوخه، وخاصه من عامه، وأن عندهم علم الكتاب، وأما غيرهم فهم عـيالهم في ذلك، محتاجون إلى أن يستنيرون من مشكاة علومهم، ويقتبسون من قبسات معارفهم.

(٢) في نسختين من الكتاب: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة...

(٣) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج ١٠، ص٣٥٣.

بإمامة أئمة الهدىٰ عليهم السلام.

قال الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة في رد الكَيسانيّة: أما مايدل علىٰ فساد عقيدة الكَيسانيّة ـ الّذين يعتقدون بامامة محمّد إبن الحنفيّة ـ أمور عدة:

١ ـ إن كان محمّد إبن الحنفيّة إماماً فلابد من وجود نص صريح بإمامته، في حين الكَيسانيّة ذاتها تعترف بعدم وجود نص صريح علىٰ إدعائها.

٢ ـ تتمسك الكَيسانيّة بدلائل ضعيفة مثل إعطاء أمير المؤمنين عليه السلام الراية في حرب الجَمَل إلى محمّد إبن الحنفيّة وقوله «أنت أبني حقاً»، ومن البديهي، أن هذا الأمر لايمكن أن يشكل إثباتاً علىٰ الإمامة. ثمّ ينقل الشيخ الطوسي رواية شهادة الحجر الأسود بإمامة السجّاد عليه السلام (والّتي كنا قد نقلناها كاملة في هذا الكتاب). ونستنتج من ذلك، أن محمّداً إبن الحنفيّة كان يقر بإمامة علي بن الحُسَين عليه السلام.

٣ ـ يشير الشيخ الطوسي إلى أن وجود الروايات المتواترة بنص الإمامة للسجّاد عليه السلام هو أفضل وأقوىٰ الأدلة في إثبات إمامته.

٤ ـ الأخبار الواردة علىٰ لسان النبي صلى الله عليه وآله عن طريق الخاصة والعامة تؤكد علىٰ أن الأئمة هم إثني عشر إماماً.

٥ ـ إنقراض هذه الفرقة، فلو كانت الكَيسانيّة علىٰ حق ما كانت لتنقرض. بالإضافة إلى أدلة أخرى لم نذكرها بسبب شروحها المطولة.[١] في كتابه يقول الطوسي: ولقد أشرنا إلى وفاة محمّد إبن الحنفيّة وبطلان عقيدة الكَيسانيّة، وأثبتنا أن المهدي يجب أن يكون من أولاد الإمام الحُسَين عليه السلام وبطلان قول المخالفين في هذا الباب ظاهر وواضح.[٢] ومن ظاهر كلام إبن خلدون في مقدمتة نستنبط أن محمّداً إبن الحنفيّة لم يكن يدّعي الإمامة لنفسه، بل أن المختار كان معتقداً بذلك وروّج لهذه

---

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص١٥ إلى ١٨ وص١١٨.

(٢) نفس المصدر .

الفكرة. ولما سمع محمّد بذلك تبرأ منه ولعنه.[١]

وبالنظر إلى الأدلة الّتي أوردناها. فإن إدعاء إبن خلدون لادليل عـليه، وكـما أوضحنا لم يكن المختار أو محمّد إبن الحنفيّة من المؤسسين لمذهب الكَيسانيّة. بل أن هذا الفرقة ظهرت بعد إستشهاد المختار.

الكَيسانيّة والعباسيين

في الحقيقة يمكن القول: إن أســاس تشكـيل حكـومة العـباسيين كـانت مـن الكَيسانيّة، لأنها ترى أن الإمامة من بعد محمّد إبن الحـنفيّة في إبـنه «أبـوهاشم» ويقولون: «إن أبي هاشم مات عندما كان عائداً من الشام في أرض شراة.[٢] وقد أوصىٰ الإمامة إلى محمّد إبن علي بن عبد اللّه بن عبَّاس، فيما وصّىٰ محـمّد لإبـنه إبراهيم وفوّض إبراهيم الإمامة لأخيه عبد اللّه الملقَّب بالسفّاح ـ وهو أول خليفة عبّاسي ـ»[٣].

وعلىٰ هذا الأساس كان العباسيون يعتقدون أن حكومتهم بُنيت عـلىٰ نـص، وخلال التدقيق في تاريخ بني العبّاس نصل إلى وثائق أكثر لإثبات هذا الإدعـاء وهو خارج عن بحثنا هذا.

لقب الكذّاب

من جملة التُهم الّتي لفقها أعداء أهل البيت عليهم السلام للمختار تسميته بـ«الكذّاب». وبما أن المختار كان قد وجَّه ضربة قاصمة لحكومة الأمويين وقيادات النـفاق في

---

(١) مقدمة إبن خلدون: ج١، ص٣٨٠، (مركز انتشارات علمي وفرهنكي).

(٢) أرض بين المدينة ودمشق كانت تقيم فيها عائلة علي بن عبداللّه بن عبَّاس.

(٣) مقدمة إبن خلدون: ج ١، ص ٣٨٣.

الكوفة، فقد وقف أعداءه عائقاً أمامه بكامل قواهم وقاموا بداية بإغتيال شخصيته وسمعته. وكان بني أُميّة وإبن الزبير أول من أطلق لقب الكذّاب علىٰ المختار، عبر الزعامات المناهضة لثورته فيالكوفة ومسببي فاجعة كربلاء. وعند نقلنا للتاريخ سوف نواجه تهماً عديدة من هذا النوع. ومن ثمّ أشاع أعداء أهل البيت عليهم السلام والّذين يتهمون الشيعة بشتىٰ النعوت، عن المختار أنه: كذّاب، ساحر، مدّعي للنبوّة، وما إلى غير ذلك. وتشير الكتب الرجالية للسنّة وفي أي موضع تجد فيه إسم بطل الشيعة الكبير والمنتقم لدماء الشهداء إلى نعته بالكذّاب. وقد بذل بنو أُميّة جهوداً كبيرة للتبليغ والإشاعة لهذا الأمر. لاحظوا هذه الرواية:

حدَّثنا الأعمش قال: رأيت عبد الرحمان بن أبي ليلىٰ وقّفه الحجّاج فقال له: إلعن الكذّابين علياً وعبد اللّه بن الزبير، والمختار بن أبي عبيد. فقال: لعن اللّه الكذّابين. ثمّ إبتدأ فقال علي بن أبي طالب وعبد اللّه بن الزبير، والمختار بن أبي عبيد. قال: فعلمت أنه حين إبتدأهم ورفعهم أنه لم يلعنهم.[١]

والمختار بعيد كل البعد عن مثل هذه التهم والنعوت. ولايجد أي من أكابر الشيعة أنه يستحق مثل هذا اللقب (الكذّاب)، بل هي تهمة وإفتراءة مصدرها أعداء أهل البيت عليهم السلام وأساسها كتب السنّة.

الخيانة في الحديث

وأقوىٰ ما ورد في ذمه، ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر؛ أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: «يكون في ثَقيف كذّاب ومبير فشهدت أسماء أن الكذّاب هو المختار المذكور».[٢]

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ص١٨١.

(٢) الإصابة لابن حجر: ج٦، ص٢٧٦.

يتمسك أغلب المحدثين والمؤرخين وعلماء الرجال السنّة في شأن المختار بهـذه الرواية، وذلك بسبب إستناد إبن حجر بصحيح مسلم والذي يعتبر في غاية الأهمية لهؤلاء المحدثين. والملاحظ أن أي من كتب علماء السنّة عندما تأتي علىٰ ذكر المختار تنعته بكلمة «كذّاب».

يقول العلّامة المقرّم في ذيل هذا الكلام وفي معرض رده علىٰ إبن حجر: عندما طالعت هذه الرواية تحيَّرت كثيراً من شهادة إمرأة صحابية، فـراجـعت صـحيح مسلم ودققت الحديث جيداً فرأيت أن إبن حجر وفي منتهىٰ الوقاحة قام بتزوير الحديث! والخيانة في أمانة النقل والتـصرف! وهـو مـايعد مـن الجـرائم العـلمية الكبيرة.!

ومن خلال هذا يتضح مدىٰ حجم الحقد لدىٰ أعداء أهل البيت عليهم السلام وكيفية قيام أكابرهم بإقتراف الخيانة من أجل إثبات أباطيلهم. ومن أجل فضح هذه الخـيانة وتبيان الأمر أُنقل هذا الحديث نصاً كما هو في كتاب صحيح مسلم كشاهد علىٰ كلامي «قال يحيىٰ إبن حرملة دخلت مكّة بعدما قُتِل إبن الزبير بثلاثة أيام فإذا هو مصلوب فجاءت أمه[1]، وهي إمرأة عجوز طويلة مكفوفة البصر تُـقاد، فـقالت للحجّاج: أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ فقال لها الحجّاج: المنافق، فقالت: واللّه ما كان منافقاً ولكنه كان صوّاماً براً. قال: إنصرفي فإنك عجوز قد خرفت. قالت: لا واللّه ما خرفت ولقد سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول يخرج من ثَقيف كذّاب ومبير أما الكذّاب[2] قد رأيناه وأما المبير فأنت المبير».[3]

(١) أسماء بنت أبي بكر.

(٢) أنظر كذلك دس إبن الأثير: «فقالت لا واللّه ما خرفت ولقد سمعت رسول اللّه(ص) يقول يخرج من ثَقيف كذّاب ومبير، أما الكذّاب فقد رأيناه وأما المبير فأنت المبير. تعني بالكذّاب المختار بن أبي عبيد»، أسد الغابة لابن الأثير: ج٣، ص١٦٤.

(٣) صحيح مسلم: ج٢، ص٢٧٤، الإستيعاب لابن عبد البر: ج٣، ص٩٠٩.

هذا النص هو الجملة المطلوبة في الحديث، لاحظ أن أي ذكر للمختار لم يأت هنا، ولربما كان مقصود أسماء من الكذّاب؛ هوالحجّاج نفسه ومن خوفها لم تجرؤا علىٰ تسميته، أو أنه كذّاب آخر من ثَقيف. ألم يكن «المغيرة إبن شعبة» ذلك الثعلب الماكر من ثَقيف؟

ألم يكن «أخنس بن شريق» ذلك الذي لعنه أمير المؤمنينعليه السلام من ثَقيف؟

ألم يكن «المغيرة بن أخنس»[1] من ثَقيف؟

ألم يكن «أبوالحكم بن أخنس بن شريق» والذي قُتل علىٰ يد عليعليه السلام في أُحد؛ من ثَقيف؟

فمع وجود هذه الوجوه السوداء من ثَقيف كيف يمكن القول أن مراد أسماء من «الكذّاب» هو المختار؟

وكيف يمكن لإبن حجر تلفيق التُهم للصحابة بهذا الشكل؟

والأعجب، أن إبن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة[2] سار علىٰ ذات نهج إبن حجر وقال: «المقصود من الكذّاب المختار والمبير الحجّاج».[3]

تهمة أخرىٰ من إبن حجر

قال إبن حجر في الإصابة، في وصف المختار: «يقال: إنه كان أول أمره خارجياً ثمّ صار زيدياً ثمّ صار رافضياً».[4]

هذا الكلام يثير العجب، ويجب القول لإبن حجر، بأنك ما أنصفت، فأين

---

(١) قال له أمير المؤمنين(ع) «يا إبن اللعين الأبتر» وجمل أخر.

(٢) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد المعتزلي: ج٢ ص٣٩١.

(٣) تنزيه المختار للمقرم، ص٢٦.

(٤) الإصابة لإبن حجر: ج٦، ص٢٧٦.

الزيدية من المختار. لاسيما وأن زيداً ولد في سنة إستشهاد المختار، ولم يكن هناك آنذاك مذهباً بإسم الزيدية. ولربما أن حُكم إبن حجر العجيب هذا يأتي في سياق عقيدة المختار الراسخة ومنزلته القريبة من أهل بيت النبي ﷺ.

روايتان من مسند أحمد بن حنبل

من جملة العلماء السنّة المعروفين الّذين إتهموا المختار وإفتروا عليه، إمام الفرقة الحنبلية «أحمد بن حنبل» مؤلف كتاب المسند. إذ نقل أحاديث بإسناد باطلة من رواة الكذب عن شخصية المختار نشير إليها مايلي:

«حدَّثنا عبد اللّه حدثني أبي ثنا بهز بن أسد ثنا حماد إبن سلمة عن عبد اللّه بن عمير عن رفاعة بن شدّاد قال: كنت أقوم علىٰ رأس المختار فلمّا تبينت كذبته هممت وأيم اللّه أن أسل سيفي فأضرب عنقه حتىٰ ذكرت حديثاً حدثنيه عمرو بن الحمق قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: من أمِنَ رجلاً علىٰ نفسه فقتله أُعطيَ لواء الغدر يوم القيامة».[١]

«حدَّثنا عبد اللّه حدثني أبي ثنا يحيىٰ بن سعيد القطان عن حماد إبن سلمة حدثني عبد الملك بن عمير عن رفاعة القتباني، قال: دخلت علىٰ المختار فالقىٰ لي وسادة وقال: لولا أنَّ أخي جبريل قام عن هذا لألقيتها لك، قال: فأردت أن أضرب عنقه فذكرت حديثاً حدثنيه أخي عمرو بن الحمق قال: قال رسول اللّه ﷺ: أيما مؤمن أمِنَ مؤمناً علىٰ دمه فقتله فأنا من القاتل بريئ.[٢]

«عن رفاعة بن شداد قال: كنت أقوم علىٰ رأس المختار فلمّا عرفت كذبه هممت

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٥، ص٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) نفس المصدر .

أن أسل سيفي فأضرب عنقه فذكرت حديثاً حدثناه عمرو بن الحمق قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: من أمِنَ رجلاً علىٰ نـفسه فـقتله أُعـطيَ لواء الغـدر يـوم القيامة».[١]

نعم.. إنها الأكاذيب البرّاقة الّتي تزيّن بها مسند أحمد بن حنبل في ذم المختار.

تحقيق الروايتين

نرىٰ في الرواية الأولىٰ شخصان لايرضىٰ عنهما كبار رجال الحديث من السنّة ذاتهم وهما:

١ ـ حماد إبن سلمة، ٢ ـ عبدالملك بن عمير.

وكل من يطالع أوضاع هذين الشخصين في «تهذيب التهـذيب» لإبـن حـجر و«ميزان الإعتدال» للذهبي يلاحظ إعراض علماء الرجال عن أحاديثهما.

قالوا في عبد الملك بن عمير:[٢] بإنه مدلس ضعيف جداً، كثير الغلط، مضطرب الحديث جداً لايراعي في حفظ الحديث، وينقل من عنده أحاديث عجيبة وغريبة. وهوالذي ذبح عبد اللّه بن يقطر، أو قيس بن مسهّر رسول الحُسَينعليه‌السلام إلى أهل الكوفة. فإنه لما رُمي ـ بأمر إبن زياد ـ من فوق القصر وبقي به رمق، أتاه عـبد الملك بن عمير، فذبحه فلمّا عيب ذلك عليه، قال: إنما أردت أن أريحه.[٣]

وفي الرواية الثانية، نرىٰ شخصاً بإسم «السدّي»؛ وقد ذهب الكثير من علماء

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٥، ص٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) مدلس ضعيف جداً، كثير الغلط، مضطرب الحديث جداً، أنـظر: تهـذيب التهـذيب: ج٦، ص٤٧، مـيزان الإعتدال: ج٢، ص٦٦٠، تقريب التهذيب: ج١، ص٥٢١، دراسات فقهية للطبسي: هامش ص١٣٠.

(٣) تلخيص الشافي: ج٣، ص٣٥، روضةالواعظين: ص١٧٧، مقتل الإمام الحُسَين: ص١٨٥، دراسات فقهية للطبسي: الهامش ص١٣٠.

رجال السنّة إلى تكذيبه وتفسيره بالرأي بل وضعّفه آخرون مثل؛ «إبـن مـعين» و«العقيلي» و«أبي حاتم» و«الطبري» و«الشعبي» و«ليث» و«إبن حجر» في تهذيب التهذيب و«الذهبي» في ميزان الإعتدال.

أفبهذا الوصف يمكن الإعـتماد عـلىٰ حـديث «السـدّي»؟ ولايُـعتنىٰ بكـذبه؟! فبالاضافة إلى ضعف السند، فإنَّ نص الحديث مضطرب ومتناقض لوضعه المختار في صدر الحديث مع جملة مدّعي النبوّة مثل مسيلمة وسجاح، فيما وصفه في ذيله بالمؤمن.

ألم يكن من الأفضل لهذا الراوي المدلس الكذّاب بأفكاره المريضة هذه، أن يجد نوعاً من التجانس بين صدر وذيل حديثه الكاذب كي لايتعرض إلى الفـضيحة بهذا الشكل. وهذا دليل كاف علىٰ كذب هذه الرواية، إذ أن المؤرخين[1]. كـتبوا: «رفاعة من أصحاب المختار الأوفياء وكان معه حتىٰ آخر لحظات عمره وإستشهد بجنب المختار». فاذا كان عنده هذه الفكرة عن المختار لِمَ يفد روحه في سبيله.[2]

إن مصدر هذه التهم والّتي تناقلها بقية المؤرخين والكتّاب ـ وهي: أنَّ المخـتار كان مدّعيا للوحي والنبوّة ـ هو حديث «أحمد بن حنبل» هذا.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٧، ص١٢٠، الطبعة القديمة.

(٢) تنزيه المختار للمقرم: ص٢٩.

الباب الرابع
تحقيق الروايات

قال آية اللّه السيّد الخوئي وضمن تحقيقه للروايات حول وصف المختار :

«... والأخبار الواردة في حقه علىٰ قسمين: مادحة وذامة، وأما المادحة فهي متضافرة، منها ما ذكره الكشي.»[1] وأيضاً «... عن أبي عبد اللّهعليه السلام قال: ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت، حتى بعث إلينا المختار برؤوس الّذين قتلوا الحُسَينعليه السلام». وهذه الرواية صحيحة.[2]

مما يذكر أننا قمنا بنقل جميع تلك الروايات من الكشي أو من كتب الحديث الأخرىٰ، وقد بحثنا سابقاً تلك الروايات الّتي تشير إلى ذم المختار.

السيّد الخوئي وبعد نقل ورد الروايات المتعلقة بذم المختار وإشارته إلى ضعف السند في هذه الروايات من حيث الإشكالية في الدلالة والنص. يقول: «وكما ذكرنا سابقاً أنه ومع ضعف السند في الروايات المقصودة في ذم المختار، وعلىٰ فرض صحة وقبول هذه الروايات يمكن حملها علىٰ التقية».[3]

---

(١) معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ج١٩، ص١٠٢.

(٢) نفس المصدر .

(٣) «قد ذكرنا، أنه مضافاً إلى ضعف إسناد الروايات الذامة، يمكن حملها علىٰ صدورها عن المعصوم تقيّة». معجم رجال الحديث: ج ١٨، ص ١٠٠، طبعة بيروت.

وقال المفيد: «يكفي في حسنه إدخاله السرور علىٰ أهل البيت عليهم السلام بقتله قتلة الحُسَين عليه السلام، وكان خروجه للطلب بثأر الحُسَين عليه السلام ـ وما ورد في ذمه مضافاً إلى ضعف سنده يمكن حمله علىٰ صدوره من المعصوم عليه السلام تقية ـ نَسَب بعض العامة المختار إلى الكَيسانيّة، وهو باطل جزماً».[1] وبالإضافة إلى، ذلك فإن الكثير من علماء الحديث ورجال الشيعة الكبار حملوا هذه الروايات علىٰ التقية كما أُشير. ومن الجدير بالذكر أن وجود الكثير من الروايات الصادرة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام وعلىٰ فرض صحة سندها فهي تُحَمل علىٰ التقية. خاصة الروايات الّتي حملت الصفة السياسية. وما يذكره التاريخ، فإن بني أُميّة كانوا شديدي الحساسية إزاء المختار، وقد أغتالوا شخصيته ما استطاعوا، فما لفّقوا به أكاذيب كبيرة ونسبوها له، بل وزوّروا روايات كثيرة في ذمه. وإن أهل السنّة وخاصة علماء السلاطين والرواة المدلسين المقربين للسلاطين الأمويين والعباسيين لم يألوا جهداً في إفتراء التهم ليس فقط علىٰ شخصيات الشيعة الثانويين بل وتطاولوا أيضاً علىٰ أئمة الهدىٰ وافتروا عليهم تهماً وأباطيل وأبدوا لهم العداوة والبغضاء. لذا، فإنَّ الأئمة عليهم السلام ولحفظ أرواحهم وأرواح شيعتهم ورعايةً لمصلحة المسلمين وحفظ وحدتهم ومنع إفشاء أسرار أهل البيت عليهم السلام رووا الأحاديث تقية. أو ليس عندنا روايات صريحة وواضحة عن الأئمة في ذم وإنتقاد أفضل أصحابهم؟ ففي كتب الرجال نرىٰ في شأن «زرارة» و«محمّد بن مسلم» و«زيد بن علي» وباقي الخواص من الأصحاب، كيف أن الأئمة ـ طبقاً لمنهج مدروس ومراعاةً للتقية ـ تعاملوا معهم بشكل مغاير للواقع خوفاً عليهم من بطش السلطة.

إذن، من البديهي أن تكون هذه الروايات علىٰ أساس التقية ومراعاةً للمسائل

---

(١) المفيد من معجم رجال الحديث لمحمد الجواهري: ص٥٩٦.

السياسية في عصر الأئمة عليهم السلام.(١)

لهذا وعلىٰ فرض صدور هذه الروايات من أهل البيت عليهم السلام في ذم المختار، فإنها تُحمل علىٰ التقية. خاصة وأن المختار كان قد أضحىٰ وخلال جميع العصور، هدفاً لهجوم أهل السنّة، أي منذ العصر الأموي مروراً بالعصر العباسي إلى عصرنا الراهن. وعليه ترىٰ الأئمة عليهم السلام عند الضرورة ومن خلال مراعاة جوانب القضية يوضحون الحقائق ويعلنون عن آرائهم الحقيقية في مثل هؤلاء الأشخاص كي يطلّع عليها الأصحاب ولكي لايتهم هؤلاء الشرفاء فيما بعد أو يصبحوا في مظان الإتهام.

وسنبدأ بتحقيق روايات المدح والذم وأجوبتها:

الرواية الأولىٰ

الكشي في رجاله ينقل عن حبيب الخثعمي نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كان المختار يكذب علىٰ علي بن الحُسَين عليه السلام»(٢)

هذه الرواية ضعيفة السند جداً(٣)؛ لأن «حبيب» راوي هذه الرواية مجهول الحال.

الرواية الثانية

نقل عن الباقر عليه السلام: «عن جبرئيل بن أحمد، عن العبيدي، عن محمّد بن عمرو،

---

(١) يمكن مراجعة كتاب «الكشي» وملاحظة روايات من هذا القبيل في شأن شخصيات كبيرة فيرجىٰ الإنتباه.

(٢) «رجال الكشي»: ص١٢٥، ح١٩٨.

(٣) معجم رجال الحديث: ج١٨ ص١٩٨.

عن يونس بن يعقوب، عن أبي جعفرعليه السلام قال: كتب المختار بن أبي عبيد إلى علي بن الحُسَين وبعث إليه بهدايا من العراق فلمّا وقفوا علىٰ باب علي دخل مَن يستأذن لهم فخرج إليهم رسوله فقال : أميطوا عن بابي فإني لا أقبل هدايا الكذّابين، ولا أقرأ كتبهم، فمحوا العنوان وكتبوا للمهدي محمّد إبن علي، فقال أبو جعفرعليه السلام: واللّه لقد كتب إليه بكتاب ما أعطاه فيه شيئاً إنما كتب إليه يا إبن خير من مشىٰ وطشىٰ، فقال أبو بصير: فقلت لأبي جعفرعليه السلام: أما المشي فأنا أعرفه فأي شئ الطشىٰ، فقال أبوجعفر: الحياة.

توضيح: لم أجد الطشىٰ فيما عندنا من كتب اللغة».[1]

جاء ذكر «العبيدي» في سند هذه الرواية وقد ضعَّفه السيّد إبن طاووس، وإبن بابويه في «نوادر الحكمة» وقال الطوسي: إنه من الغلاة. ولو فرضنا الصحة؛ تكون للرواية صفة التقية، إذ أنه وقبل أن تصبح قضية المختار علنية كان الإمـام يـقبل الهدايا وهذا هو التبرير. وإن لم يكن كذلك لزمه التناقض في عمل الإمامعليه السلام وهو مبريئ من إرتكابه.[2]

الرواية الثالثة

روي عن عمر بن الإمام السجّادعليه السلام، أن المختار أرسل إلى علي بن الحُسَينعليهما السلام عشرين ألف دينار، فقبلها وبنىٰ منها[3] دار عقيل بن أبي طـالب ودارهـم الّـتي هُدمت.[4]

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٤٤، معجم رجال الحديث: ج١٨، ص٩٦ و ص١٢٦، ح٢٠٠.

(٢) تنزيه المختار للمقرم: ص٢٢.

(٣) في «الكشي» والبحار: بها.

(٤) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٦٦.

رجال الكشي: بهذا الأسناد، عن الحُسَين بن زيد، عن عمر بن علي، أن المختار أرسل إلى علي بن الحُسَين بعشرين ألف دينار فقبلها وبنىٰ بها دار عقيل بن أبي طالب ودارهم الّتي هدمت، وقال: ثمّ أنه بعث إليه بأربعين ألف دينار بعدما أظهر الكلام الذي أظهره فردَّها ولم يقبلها.

قال الكشي: هو إدعائه الإمامة لمحمد إبن الحنفيّة، والذي يقال لتابعي هذا المسلك «كيسانية» أو المختارية.[١]

يقول آية اللّه الخوئي في الروايات الثلاث المتقدمة: «هذه الروايات ضعيفة الإسناد جداً، علىٰ أن الثانية فيها تهافت وتناقض ولو صحت، فهي لاتزيد علىٰ الروايات الذامة الواردة في حق زرارة ومحمّد إبن مسلم وبريد وأضرابهم.[٢]

وكما حُملت تلك الأخبار والروايات علىٰ التقية والتبرير. فإن هذه الروايات أيضاً يمكن حملها علىٰ التقية.

الرواية الرابعة

وروىٰ الصدوق مرسلاً[٣]: «إن الحسن عليه السلام لما صار في مظلم ساباط ضربه أحدهم بخنجر مسموم فعمل فيه الخنجر فأمر عليه السلام أن يعدل به إلى بطن جريحي وعليها عم المختار بن أبي عبيد مسعود إبن قيلة، فقال المختار لعمه تعال حتىٰ نأخذ الحسن ونسلّمه إلى معاوية فيجعل لنا العراق، فبدر بذلك الشيعة من قول المختار لعمه فهمّوا بقتل المختار فتلطف عمّه لمسألة الشيعة بالعفو عن المختار ففعلوا.»[٤]

يقول آية اللّه الخوئي في شأن هذه الرواية: «وهذه الرواية لإرسالها غير قابلة

---

(١) «رجال الكشي»: ص ٢٠٠، ومعجم رجال الحديث: ج١٨، ص٩٦.

(٢) معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ج١٨، ص٩٧.

(٣) المرسلة: تقال لرواية لها حذف في افراد سندها، ولايقبلها علماء الحديث لوحدها حجة.

(٤) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج١ ص٢٢١.

للإعتماد عليها، علىٰ أن لو صحت لأمكن أن يقال: إن طلب المختار هذا لم يكن طلباً جدّياً، وإنما أراد بذلك أن يستكشف رأي عمّه. فإن علم أن عمّه يريد ذلك لقام باستخلاص الحسنعليه السلام. فكان قوله هذا شفقة منه علىٰ الحسنعليه السلام. وقد ذكر بعض الأفاضل أنه وجد رواية بذلك عن المعصومعليه السلام».[1]

وفي الرواية الّتي نقلها صاحب أعيان الشيعة «قال المختار: أردت أن أُجربك».[2]

وقد أوردنا القصة كاملة في أول هذا الكتاب.

هل يدخل المختار النار؟

بعد نقله ورفضه لعدد من الروايات في ذم ومدح المختار قال السيّد الخوئي: هناك عدة أمور يجب توضيحها وهي؛ «أنه ذهب بعض العلماء إلى أن المختار بن أبي عبيد لم يكن حسن العقيدة، وكان مستحقاً لدخول النار، وبذلك يدخل جهنم، ولكنه يخرج منها بشفاعة الحُسَينعليه السلام. ومال إلى هذا القول شيخنا المجلسي ـ قدس اللّه نفسه ـ وجعله وجها للجمع بين الأخبار المختلفة الواردة في هذا الباب[3]. وإستند القائل بذلك إلى روايتين.»[4]

الرواية الخامسة

ما رواه الشيخ الطوسي بإسناده، عن محمّد بن علي بن محبوب، عن محمّد إبن أحمد بن أبي قتادة، عن أحمد بن هلال، عن أُمية بن علي القيسي، عن بعض من رواه، عن أبي عبد اللّهعليه السلام، قال: قال لي: يجوز النبي صلى الله عليه وآله الصراط، يتلوه علي، ويتلو

---

(١) معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ج١٩، ص١٠٥.

(٢) أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين: ج٧، ص٢٣٠ طبعة بيروت.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي: باب أحوال المختار، ج٤٥، في ذيل ح٥، الذي حكاه عن السرائر.

(٤) معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ج١٩، ص١٠٦ - ١٠٧.

علياً الحسن ويتلو الحسن الحُسَين، فاذا توسطوه نادىٰ المختار الحُسَينعليه السلام: يا أبا عبد اللّه إني طلبت بثأرك فيقول النبي صلى الله عليه وآله للحسينعليه السلام: أجبه فينقَض الحُسَين في النار كأنه عقاب كاسر، فيُخرج المختار حِمـمة ولو شَقَّ عن قلبه لوجد حبهما في قلبه[١]».[٢]

الرواية السادسة

وذكر في «السرائر» عن كتاب أبان إبن تغلب، «قال: حدَّثني جعفر بن إبراهيم إبن ناجية الحضرمي، قال: حدَّثني زرعة بن محمّد الحضرمي، عن سماعة بن مهران، قال: سمعت أبا عبد اللّهعليه السلام يقول: إذا كان يوم القيامة مرّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله بشفير النار، وأمير المؤمنين والحسن والحُسَينعليهم السلام، فيصيح صائح من النار: يا رسول اللّه يا رسول اللّه يا رسول اللّه أغثني. قال: فلا يجيبه، قال: فينادي يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين ثلاثاً أغثني، فلا يجيبه، قال: فينادي يا حسن يا حسن يا حسن أغثني، قال فلا يجيبه، قال: فينادي يا حُسين يا حُسين يا حُسين أغثني أنا قاتل أعدائك، قال فيقول له رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد إحتج عليك، قال: فينقض عليه كأنه عقاب كاسر، قال:فيخرجه من النار، قال: فقلت لأبي عبد اللّهعليه السلام: من هذا جعلت فداك؟ قالعليه السلام: المختار، قلت له: فلِمَ عُذِبَ بالنار وقد فعل ما فعل؟ قالعليه السلام: إنه كان في قلبه منهما شيء، والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحق لو أن جبرئيل، وميكائيل، كان في قلبهما شيءَ لأكبهما اللّه في النار علىٰ وجوههما».[٣]

يقول الخوئي في ذيل الروايتين: «الروايتان ضعيفتان، أما رواية التهذيب

---

(١) التهذيب: ج١، باب تلقين المحتضرين من الزيادات، الحديث ١٥٢٨.

(٢) معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ج١٩، ص١٠٦ - ١٠٧.

(٣) نفس المصدر: ج١٩، ص١٠٧ - ١٠٨.

فبالإرسال أولاً، وبأمية بن علي القيسي ثانياً».

«وأما ما رواه في السرائر، فلأن جعفر بن إبراهيم الحضرمي لم تثبت وثاقته، علىٰ أن رواية أبان عنه وروايته عن زرعة عجيبة. فإن جعفر بن إبراهيم، إن كان هو الذي عدَّه الشيخ من أصحاب الرضاعليه‌السلام فلا يمكن رواية أبان عنه، وإن كان هو الذي عدَّه البرقي من أصحاب الباقرعليه‌السلام فروايته عن زرعة عجيبة، وقد أشرنا في ترجمة محمّد بن إدريس، إلى أن كتاب إبن إدريس فيه خلط. هذا وقد قال إبن داوود فيما تقدم منه بعد ما ذكر روايات المدح وما روي فيه ـ المختار ـ مما ينافي ذلك: قال الكشي: نسبته إلى وضع العامة أشبه. انتهىٰ»[1]

أقول: ما نسبه إبن داوود إلى الكشي، لم نجده في أخبار الكشي، ولعل أن يكون مذكوراً في النسخة الأصلية عنده. وقد ذكرنا أنه مضافاً إلى ضعف إسناد الروايات الذامة، يمكن حملها علىٰ صدورها عن المعصوم تقية. ويكفي في حسن حال المختار إدخاله السرور في قلوب أهل البيت سلام اللّه عليهم بقتله قتلة الحُسَينعليه‌السلام، وهذه خدمة عظيمة لأهل البيت عليهم‌السلام يستحق بها الجزاء من قبلهم. أفَهل يحتمل أن يغض رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله وأهل البيت عليهم‌السلام النظر عن ذلك، وهم معدن الكرم والإحسان. وبينما كان محمّد إبن الحنفيّة جالساً في نفر من الشيعة وهو يعتب علىٰ المختار (في تأخير قتله عمر بن سعد) فما تم كلامه، إلاّ والرأسان عنده، فخرَّ ساجداً وبسط كفيه وقال: اللّهم لاتنس هذا اليوم للمختار أجزه عن أهل بيت نبيك محمّد خير الجزاء، فواللّه ما علىٰ المختار بعد هذا من عتب[2]».[3]

(١) معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ج١٩، ص١٠٨.

(٢) بحار الأنوار: باب أحوال المختار، المجلد ٤٥، المرتبة الرابعة مما حكاها عن رسالة شرح الثأر لابن نما، في ذكر مقتل عمر بن سعد وعُبيد اللّه بن زياد.

(٣) معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ج١٩، ص١٠٨ - ١٠٩.

يلاحظ: في ذيل هذه الرواية جملة «لو فتحوا قلب المختار لوجدوا محبتهما فيه».

قال العلّامة أبوعلي الحائري في «منتهىٰ المقال»: «لايفهم القصد من «حبهما» أهو حب «أبوبكر وعمر» أم حب الدنيا والرئاسة.[١] (علىٰ فرض صحة الرواية، فقد رأينا إشكالية في دلالات الرواية وسندها).

قال العلّامة المقرّم في رد هذه الروايات: لقد تعرضوا للمختار بواسطة هذه الأحاديث، ولو أنهم علموا أنها من تلفيق الرواة الكاذبين لضربوه عرض الحائط. ولما لايكون ذلك؟ لاسيما وأن في سند هذه الرواية يتراوىٰ لنا إسم «زرعة» وهو من الفرقة الواقفية. قال العلّامة في «الخلاصة» مذّكِراً وأدرج إسمه في الضعفاء الّذين لايعتمد علىٰ روايتهم[٢]. وأما بالنسبة للرواية المرسلة يقول: في سلسلة سند هذه الرواية ضعيفان هما «أحمد بن هلال» الذي تبعد وتبرأ منه و«أُميّة بن قيس» الذي وضعه علماء الرجال في جماعة الضعفاء.[٣]

الرواية السابعة

روىٰ البلاذري أنَّ المختار أرسل كتاباً إلى السجَّاد وكان يرغب البيعة وأن يدعو النّاس إليها، وأرسل كذلك الأموال هدايا إلى الإمام لكنه لم يقبل منه ولم يرد علىٰ رسالته. وجاء إلى المسجد ونال من المختار وقال: إنه كذّاب. ولما رأىٰ المختار ذلك كتب إلى محمّد إبن الحنفيّة وأراد أن يبايعه بالإمامة. ولما علم السجَّاد بذلك جاء إلى محمّد إبن الحنفيّة وأشار عليه أن لايقبل هدايا المختار وأن لايجيب علىٰ كتابه، وأمره أن يذهب إلى المسجد وأن يتبرأ من المختار وأن ينال منه. لكن إبن عبَّاس

---

(١) منتهىٰ المقال للشيخ أبو علي (المختار).

(٢) تنزيه المختار للمقرم: ص٢٢.

(٣) نفس المصدر.

منعه وقال له: ليس من المصلحة أن تتحدث ضد المختار وذلك لغموض وضع حكومة إبن الزبير. فقبل محمّد كلام إبن عبّاس وإنصرف عن البراءة من المختار علناً.(١)

الجواب: أولاً إنَّ هذه الرواية ضعيفة السند ومرسلة.

ثانياً: علىٰ فرض صحتها ومع الأخذ بنظر الإعتبار موقع الإمام السجّاد في المدينة وإستيلاء إبن الزبير علىٰ الحجاز ووجود الحكومة الأموية في الشام فتُحمل علىٰ التقية، لأن الإمام أراد بهذه الإستراتيجية أن يحرف أذهان أعداء المختار عنه كي لايتنبهوا لإرتباطه بالأخير.

ثالثاً: هذه الرواية تعارض الروايات في بحار الأنوار والّتي يقبلها علماء الشيعة، وفيها، أن الإمام السجّادعليه السلام كان يقبل هدايا المختار.(٢)

رابعاً: تُحمَل إشارة الإمام علىٰ محمّد إبن الحنفيّة بالبراءة من المختار علىٰ التقية.

خامساً: كيف يعقل أن لايعمل محمّد إبن الحنفيّة بتوصية إبن أخيه الإمام السجّادعليه السلام في مقابل العمل بنصيحة إبن عبّاس، مع العلم أن محمّداً كان مطيعاً خاضعاً للإمام.

الرواية الثامنة

ينقل صاحب الأنساب رواية أخرىٰ تقول: جاء معاوية إبن ثعلبة إلى محمّد إبن الحنفيّة أيام ثورة المختار واستجازه الإلتحاق بالمختار ومساعدته فقال له محمّد: «لاتنصر! لأنا أهل البيت لانحكم النّاس بالقوة، ولن ينهض أمير المؤمنين بدون

---

(١) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٧٢.

(٢) نفس المصدر.

بيعة النّاس».

الجواب: بالإضافة إلى ضعف سند الرواية، يمكن حملها علىٰ التقية، وأن رفض محمّد إبن الحنفيّة، هو بسبب عدم ثقته بالسائل بالإضافة إلى مخالفة هذه الرواية للروايات الّتي أيَّد فيها محمّد عمل المختار ودعمه له.

◘ الفصل الرابع

محمّد إبن الحنفيّة والمختار

الباب الأوّل

شخصية محمّد إبن الحنفيّة

كما ذكرنا من قبل فإن «الكَيسانيّة» أُطلقت علىٰ طائفة أو فرقة إعتقدت بإمامة محمّد إبن الحنفيّة في مقابل نفي إمامة السجّادعليه السلام وسائر الأئمة المعصومين من ولده. ولجهة دور محمّد إبن الحنفيّة المؤثر، وفي الحقيقة دور الإنابة عن الإمام السجّادعليه السلام في قيادة وإرشاد ثورة المختار. ولإثبات حقانية هذه الثورة وموقف محمّد إبن الحنفيّة منها، فقد إرتأينا أن نلقي نظرة قصيرة وموجزة علىٰ شخصية هذا الرجل الكبير من أهل البيتعليهم السلام .

السِّمات الشخصية:

هو إبن أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وينسبونه إلى جد أُمه «الحنفيّة».

ولادته كانت سنة ١٥ أو ١٧ هجرية.

إسم أمه: «خولة[١] بنت جعفر بن قيس... إبن الحنفيّة».[٢]

---

(١) هي سبية في أيام رسول اللّه(ص) قالوا: بعث رسول اللّه(ص) علياً(ع) إلى اليمن، فأصاب خولة في بني زبية. وقد ارتدوا مع عمرو بن معدي كرب، وكانت زبية سبتها من بني حنفيّة في غارة لهم عليهم، فصارت في سهم علي(ع)، فقال رسول اللّه(ص): إن ولدت منك غلاماً فسمه باسمي وكنه بكنيتي، فولدت له بعد موت فاطمة (عليها السلام) محمّداً فكناه أبا القاسم، وقال قوم وهم المحققون وقولهم الأظهر: إن بني أسد

←

في أحد الأيام قال علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله: إذا رزقني اللّه غلاماً فأذن لي أن أسميه بإسمك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: نعم[١].

وفي رواية أخرىٰ: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إن ولدت منك غلاماً فسمّه بإسمي وكنّه بكنيتي، فولدت له بعد موت فاطمة عليها السلام محمّداً فكناه أبا القاسم»[٢]

قال الواقدي: «توفي محمّد إبن الحنفيّة عن ٦٥ عاماً، في سنة ٨٢ هجرية»[٣]

وكان محمّد إبن الحنفيّة مناصراً ومساعداً ومطيعاً لأبيه في حياته، إشترك معه في حروبه وخاصة الجَمَل وصفّين جنباً إلى جنب مع الحسن والحُسَين عليهما السلام ضد معاوية وعصابته.[٤]

حبَ محمّد الشديد لأبيه وأخويه الحسن والحُسَين عليهم السلام

روىٰ إبن عبَّاس قال: «لما كنا في حرب صفّين دعا علي عليه السلام إبنه محمّد إبن الحنفيّة وقال له: يا بني شد علىٰ عسكر معاوية فحَمَل علىٰ الميمنة حتىٰ كشفهم، ثمّ رجع إلى أبيه مجروحاً فقال: يا أبتاه العطش العطش، فسقاه جرعة من الماء ثمّ صب الباقي بين درعه وجلده، فواللّه لقد رأيت علق الدم يخرج من حلق درعه، فأمهله ساعة ثمّ قال له: يا بني شد علىٰ الميسرة، فحمل علىٰ ميسرة عسكر معاوية

← أغارت علىٰ بني حنيفة في خلافة أبي بكر فسبوا خولة بنت جعفر، وقدموا بها المدينة فباعوها من علي(ع)، وبلغ قومها خبرها، فقدموا المدينة علىٰ علي فعرفوها، وأخبروه بموضعها منهم، فأعتقها ومهرها وتزوجها، فولدت له محمّداً فكناه أبا القاسم، وهذا القول هو اختيار أحمد بن يحيىٰ البلاذري في كتابه المعروف بتاريخ الأشراف. ـ بحار الأنوار؛ العلامة المجلسي: ج٤٢، ص٩٩ ـ ١٠٠؛ ـ في المصدر: في بني زبيد.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ص١٦٨، وبحار الأنوار: ج٤٢، ص٧١ باب أولاد أمير المؤمنين(ع).

(١) أنساب الأشراف: ج٢، ص٢٠٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر: ج٢، ص٢٠١، طبعة بيروت، ج٣، ص٢٩٥.

(٤) نفس المصدر: ج٣، ص ٢٨.

فكشفهم، ثمّ رجع وبه جراحات وهو يقول: الماء الماء يا أبتاه، فسقاه جرعة من الماء وصبَّ باقيه بين درعه وجلده، ثمّ قال: يا بني شد علىٰ القلب، فحمل عليهم وقتل منهم فرساناً، ثمّ رجع إلى أبيه وهو يبكي وقد أثقلته الجراح، فقام إليه أبوه وقبّل ما بين عينيه وقال له: فداك أبوك فقد سررتني واللّه يا بني بجهادك هذا بين يدي، فما يبكيك، أفرحاً أم جزعاً؟ فقال: يا أبت كيف لا أبكي وقد عرضتني للموت ثلاث مرات فسلَّمني اللّه، وها أنا مجروح كما ترىٰ، وكلما رجعت إليك لتهلني عن الحرب ساعة ما أمهلتني، وهذان أخواي الحسن والحُسَين ما تأمرهما بشئ من الحرب، فقام إليه أمير المؤمنين وقبّل وجهه وقال له: يا بني أنت إبني وهذان إبنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله أفلا أصونهما عن القتل؟ فقال: بلىٰ يا أبتاه جعلني اللّه فداك وفداهما من كل سوء».[1] نعم هذا هو كمال الخضوع في مقابل أبيه وأخويه المعصومَين، وهي فضيلة ومنقبة كبيرة لاتظاهىٰ.

ثناء علي عليه السلام علىٰ محمّد إبن الحنفيّة

روي عن الرضا عليه السلام أنه قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إن المحامدة تأبىٰ أن يعصىٰ اللّه عزَّ وجل قلت: ومَن المحامدة؟ قال: محمّد بن جعفر ومحمّد بن أبي بكر، ومحمّد بن أبي حذيفة، ومحمّد بن أمير المؤمنين عليه السلام. أما محمّد بن أبي حذيفة فهو إبن عقبة إبن ربيعة وهو إبن خال معاوية، وفيه أيضا قضية له مع معاوية تدل علىٰ عظم قدره وجلالة شأنه، وأنه من خواص أولياء علي عليه السلام وشيعته، مات في سجن معاوية لعدم براءته من علي عليه السلام».[2]

وقال المامقاني ضمن نقله الرواية: إنه هرب من سجن معاوية لكنهم وجدوه

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٢ - ص١٠٥ - ١٠٦.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٢٠، هامش ص٣٠٩، رجال الكشي: ص٧٠.

وقتلوه[١]. ويضيف: وحديث أمير المؤمنين هذا هو إثبات لعدالة محمّد إبن الحنفيّة، لأن عدم رضاه لمعصية اللّه رتبة أعلىٰ من العدالة. ولا يعقل أن لا يرضي شخص بمعصية الآخرين ويكون هو أهل للمعصية.[٢]

ويرىٰ أن الرواية دليل علىٰ عدل محمّد إبن الحنفيّة وطهارته. ويلاحظ أن هناك إشكالين في حياة محمّد إبن الحنفيّة يجب الكشف عنهما كي نصل عبر هذا الطريق إلى أحقية ثورة المختار والّتي كان لمحمد فيها دوراً مهماً. وكذلك الوقوف علىٰ سمات شخصيته ودوره في هذه الثورة.

الإشكال الأول: بالنظر إلى مكانة محمّد المعنوية ومنزلته الكبيرة وبالرغم من إحترامه وإطاعته لأخيه الحُسَينعليه السلام، فلماذا لم يجسد هذه العقيدة عملياً ويرافق الحُسَينعليه السلام في خروجه إلى العراق؟ ويستشهد بجنبه في كربلاء؟

الإشكال الثاني: هل كان محمّد يرىٰ نفسه إماماً وقائداً بحضور الإمام السجّادعليه السلام؟! وكم كان مطيعاً للسجّادعليه السلام؟

نحن وبالإتكال علىٰ اللّه سنُجيب علىٰ هذين الإشكالين مستندين علىٰ الروايات المعتبرة وأحاديث بعض العلماء الكبار في علم الرجال، ومن ثمّ نعطف علىٰ دراسة دور وتأثير محمّد إبن الحنفيّة في ثورة المختار.

غياب محمّد إبن الحنفيّة عن واقعة كربلاء!

كتب العلّامة المامقاني في هذا السياق قائلا: «وأما تخلفه عن الحُسَينعليه السلام فلعله كان لعذر أو مصلحة، والرواية الواردة في ذمه وإن كانت صحيحة فلعله أيضاً لمصلحة، كما نبّه إلى ذلك العلّامة الكبير المولىٰ الوحيد البهبهاني (قدس سره) في

---

(١) تنقيح المقال: ج٣، ص١١١ (محمّد إبن الحنفيّة).

(٢) نفس المصدر .

ردّه علىٰ أسئلة مهنّا بن سنان حول هل أن محمّداً إبن الحنفيّة‌رضي الله عنه: كان يقول بإمامة الحسن والحُسَين‌عليهما السلام وإمامة زين‌العابدين‌عليه السلام أم لا؟ وهل ذكر له أصحابنا عذراً في تخلفه عن الحُسَين‌عليه السلام وعدم نصرته له‌عليه السلام بالطف أم لا؟ وكيف يكون الحال إن تخلّف عنهُ لغير عذر وكذلك عبد اللّه بن جعفر وأمثاله».

قال العلّامة الوحيد البهبهاني(ره) في الجواب: قد ثبت في أصول الإمامة أن أركان الايمان، التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة، والسيّد محمّد إبن الحنفيّة وعبد اللّه بن جعفر وأمثالهما أجلّ وأعظم شأناً من إعتقادهم خلاف الحق وخروجهم من الايمان الذي يحصل بإرتكابه الثواب والخلاص من العقاب، وأما تخلُّفه عن نصرة الحُسَين‌عليه السلام فقد نُقل أنه كان مريضاً ويحتمل في غيره عدم العلم بما وقع للحسين‌عليه السلام.[١]

«وأقول: مانقل من كونه مريضاً إن صح فإنما هو عند رجوع أهل البيت‌عليهم السلام إلى المدينة لا عند ذهاب الحُسَين‌عليه السلام. كما لايخفىٰ علىٰ من راجع الأخبار والسيَّر وتحقيق الجواب عن سؤال مهنّا، أن المستشهدين بين يدي أبي عبد اللّه الحُسَين روحي وأرواح العالمين له الفداء كانوا أشخاصاً معينين، إثنين وسبعين شرَّفهم اللّه تعالىٰ في قضائه بهذه الموهبة المخصوصة لمصالح كامنة ولم يوفق غيرهم لذلك وإن كان في المتخلفين هو من أجل شأناً من بعض المستشهدين بين يديه، لولا الشهادة الّتي بها نالوا رتبة لم ينلها غيرهم. والحُسَين‌عليه السلام حين حركته من الحجاز وإن كان يدري بأنه يستشهد بالعراق، إلا أنه في ظاهر الحال لم يكن ليمضي إلى الحرب حتىٰ يجب علىٰ كل مكلَّف متابعته وإنما كان يمضي للإمامة بمقتضىٰ طلب أهل الكوفة، فالمتخلف عنه غير مؤاخذ بشيءٍ وإنما يؤاخذ لترك نصرته من حَضَر الطف أو كان

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٢، ص١٠٩-١١٠، طبعة بيروت، وتنقيح المقال: ج٣، كلمة «محمّد إبن الحنفيّة».

بالقرب منه علىٰ وجه يمكنه الوصول إليه ونصرته ومع ذلك لم يفعل وقصّر في نصرته. فالمتخلفون بالحجاز لم يكونوا مكلَّفين بالحركة معه حتىٰ يوجب تخلفهم الفسق. ولذا أن جملة من الأخيار الأبدال الّذين لم يكتب اللّه تعالىٰ لهم نيل هذا الشرف الدائم بقوا في الحجاز ولايتأمل أحد في عدالتهم. ويدل على ذلك أيضاً ماورد في الصحيح عن أحدهماعليهما السلام أن الحُسَينعليه السلام كتب من كربلاء إلى بني هاشم بالمدينة: أما بعد فمن لحق بي منكم إستشهد، ومن لم يلحق لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام. وفي آخر عن أحدهماعليهما السلام أيضاً وقد سأل عن محمّد إبن الحنفيّة وتخلفه، فقالعليه السلام: سأخبرك عن محمّد وغيره، أن الحُسَين... إلى آخر الحديث. فإنه يدل علىٰ أن المتخلف لاينال تلك المرتبة العظيمة، لاأنه مؤاخَذ معاقَب، وإلّا قال: ومن لم يلحق مع قدرته فهو مأخوذ بذنبه وشبه هذا فتأمَّل».(١)

دليل آخر:

«ويدل علىٰ ذلك أيضاً ماورد في الصحيح عن أحدهماعليهما السلام أن الحُسَينعليه السلام كتب من كربلاء إلى بني هاشم بالمدينة ما نصه: «من الحُسَين بن علي إلى بني هاشم: أما بعد فمن لحق بي منكم إستشهد ومن لم يلحق بي لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام».(٢)

وفي رواية أخرىٰ: سُئل أحدهما عن محمّد إبن الحنفيّة فقال: أنا أخبرك بخبر محمّد ونَقَل الحديث الآنف الذكر.

ويدل هذا الحديث الصحيح علىٰ أن من تخلفوا عن الحُسَينعليه السلام ولم يذهبوا إلى كربلاء لن ينالوا منزلة الشهداء، لا أنهم مؤاخذون ويستحقون العقاب لعدم ذهابهم. وإن لم يكن كذلك لم يذيل الإمام بجملة «ومن لم يلحق بي» بل كان يكتب

---

(١) تنقيح المقال: ج٣، ص١١٢ «كلمة محمّد إبن الحنفيّة».

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٢، ص٨١، نقلاً عن بصائر الدرجات، ص١٤١.

من إستطاع ولم يلحق بي إستحق العقاب أو جملة من هذا القبيل، فأنظر.

«قال العلّامة المجلسي: إن قوله عليه السلام: «لم يبلغ الفتح أي لم يبلغ ما يتمناه من فتوح الدنيا والتمتع بها، وظاهر هذا الجواب ذمه، ويحتمل أن يكون المعنىٰ أنه عليه السلام خيّرهم في ذلك، فلا إثم علىٰ من تخلّف».[١] إذن فإنَّ تخلُّف محمّد إبن الحنفيّة(ره) عن الحُسَين عليه السلام وإن يحط من منزلته عن منزلة شهداء كربلاء. فإنه لا إثم عليه في ذلك.

جواب آخر:

روىٰ المجلسي في ذكر مجريات حركة الحُسَين عليه السلام قال: «وتهيأ الحُسَين عليه السلام للخروج من المدينة، ومضىٰ في جوف الليل إلى قبر أُمه فودعها، ثمّ مضىٰ إلى قبر أخيه الحسن ففعل كذلك، ثمّ رجع إلى منزله وقت الصبح، فأقبل إليه أخوه محمّد إبن الحنفيّة وقال: يا أخي أنت أحب الخلق إليَّ وأعزهم عليَّ ولست واللّه أدخر النصيحة لأحد من الخلق، وليس أحد أحق بها منك لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري وكبير أهل بيتي، ومن وجب طاعته في عنقي، لأن اللّه قد شرَّفك عليّ، وجعلك من سادات أهل الجنة. وساق الحديث كما مرَّ إلى أن قال: تخرج إلى مكّة فإن إطمأنت بك الدار بها فذاك، وإن تكن الأخرىٰ خرجت إلى بلاد اليمن، فإنهم أنصار جدك وأبيك، وهم أرأف النّاس وأرقهم قلوباً، وأوسع النّاس بلاداً، فإن إطمأنت بك الدار بها فذاك، وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وجزت من بلد إلى بلد، حتىٰ تنظر ما يؤول إليه أمر النّاس ويحكم اللّه بيننا وبين القوم الفاسقين. فقال الحُسَين عليه السلام: يا أخي واللّه لو لم يكن ملجأً، ولا مأوىٰ لما بايعت يزيد بن معاوية، فقطع محمّد إبن الحنفيّة الكلام وبكىٰ، فبكىٰ الحُسَين عليه السلام معه

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٢، ص٨١.

ساعة ثمّ قال: يا أخي جزاك اللّه خيراً، فقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم علىٰ الخروج إلى مكّة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة، فتكون لي عيناً لا تخفي عني شيئاً من أمورهم. ثمّ دعا الحُسَينعليه‌السلام بدواة وبياض وكتب هذه الوصية لأخيه محمّد: «بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا ما أوصىٰ به الحُسَين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمّد المعروف بإبن الحنفيّة، أنَّ الحُسَين يشهد أن لاإله إلااللّه وحده لا شريك له وأن محمّداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ اللّه يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أُمة جدِّي صلى‌الله‌عليه‌وآله أُريد أن آمر بالمعروف وأنهىٰ عن المنكر، وأسير بسيرة جدِّي وأبي علي بن أبي‌طالبعليه‌السلام فمن قبلني بقبول الحق فاللّه أولىٰ بالحق، ومن رد عليَّ هذا أصبر حتىٰ يقضي اللّه بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلابالله عليه توكلت وإليه أُنيب. قال: ثمّ طوىٰ الحُسَين الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمّد ثمّ ودّعه وخرج في جوف الليل». [١]

الأمر الآخر:

نقلنا الأدلة السابقة لفطاحل علماء الحديث والرجال مثل؛ المامقاني والعلّامة الأميني وآية اللّه الخوئي في إثبات صحة عقيدة المختار في مسألة الإمامة وأنه لم يكن معتقداً بإمامة محمّد إبن الحنفيّة ولم يروّج لمثل هذا الأمر وهو بريء وبعيد

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج ٤٤، ص٣٢٩ - ٣٣٠.

عن التهم المنسوبة إليه. فهل كان محمّد إبن الحنفيّة مدّعياً الإمامة أو أنه كان يعتقد بإمامة إبن أخيه؟.

وطبقاً للروايات وأقوال عدد من علماء الرجال الكبار، فإن محمّداً إبن الحنفيّة طرح مثل هذه المسألة علىٰ الإمام السجّاد، وبعد أن ثبت له أصبح كالعبد مطيعاً متواضعاً للإمام السجّاد عليه السلام. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المحاججة في قضية الإمامة كانت في بداية ولاية الإمام السجّاد وقبل عدة سنوات من قيام المختار. والأقوى ومع الأخذ بنظر الإعتبار شخصية وشأن ومنزلة محمّد إبن الحنفيّة العليا، فإنه أراد أن يُبيِّن مقام ومكانة السجّاد عليه السلام لبعض خواصه ومريديه كي لا يضنوا أو يتوهموا أنه مقدّم علىٰ الإمام السجّاد أو أفضل منه. وهذا نابع من فضائله وحلمه ـ وفي الواقع أن بعض مريدي محمّد كان يظن ذلك ـ إلا أنه شخصياً قام بطرح الموضوع مع الإمام السجّاد. إذ صحب الإمام عليه السلام عمّه إلى الحجر الأسود وأوضح المسألة له. ومنذ ذلك الحين لم يبد محمّد أي كلام أو عمل يدل علىٰ أنه أحق من إبن أخيه في الخلافة والإمامة، بل العكس كان في جميع الحالات ومراحل حياته يعتبر إبن أخيه ـ الإمام السجّاد عليه السلام ـ ولياً للأمر وحجة للّه والإمام المنصوص والمعصوم المنصوب. حيث تدل الروايات والأحاديث علىٰ هذا الأمر بجلاء. ومن منطلق أن السجّاد قد أوكل مهمة الإشراف علىٰ قيادة ثورة المختار إلى عمّه محمّد إبن الحنفيّة وجعله نائباً بصلاحية كاملة في هذه المهمة، فإنه من الطبيعي أن يبرز إسمه أكثر من أي شخص من بني هاشم ـ وخاصة الإمام السجّاد عليه السلام ـ خلال مجريات هذه الثورة. وكما أن زعماء الكوفة الموالين وخاصة شخص المختار قد إستأذن الإمام السجّاد عليه السلام ونال رضاه في إعلان الثورة والثأر لدم الحُسَين عليه السلام وشهداء كربلاء، فقد أوكل الإمام مسؤولية القيادة والإرتباط مع الثوار بعمه محمّد إبن الحنفيّة.[1]

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٦٥.

وهذا الأمر وعِلل أُخر جعلت بعضهم يتصور ويتهم محمّداً إبن الحنفيّة بأنه كان يدّعي الإمامة لنفسه وأن المختار كان ممثله ورسوله والمروّج له. في حين كان ذلك في الأساس عملاً ممنهجاً وعلىٰ أساس التقية لحفظ حياة ومنزلة الإمام السجّادعليه السلام. وأن مجرد إعتقاد البعض بإمامة محمّد إبن الحنفيّة لايشكل سبباً لتوبيخه أو إنحرافه معاذ الله. ناهيك عن أن الفرقة الكَيسانيّة كانت قد دخلت المعترك العقائدي للعالم الإسلامي بعد رحيل محمّد إبن الحنفيّة علىٰ شكل حزب شيعي، مثل الفرقة الزيدية الّتي إعتقدت بإمامة زيد بعد الإمام السجّادعليه السلام والّتي قوت بعد إستشهاد زيد وإستطاعت أن تؤسس لحكومات في بعض المناطق، وتُفجّر الثورات في مناطق أخرىٰ. فيما أصبح لهم بعد ذلك مذهب خاص.[1]

في حين أن «زيد بن علي» علىٰ منزلته ومقامه بعيد كل البعد عن الإنحراف من مذهب الإمامية. والزيدية اليوم واحدة من أكبر الفرق الشيعية في العالم الإسلامي لها أصولها وفروعها في العقائد والأحكام، إلا أن الفرقة الكَيسانيّة إندثرت ولم تدم طويلاً.

إذن، فإن التعرف علىٰ عقيدة محمّد إبن الحنفيّة فيما يتعلق بمسألة الإمامة يتطلب أمرين:

١ ـ إزالة إتهام إدعاء الإمامة من قبل «محمّد إبن الحنفيّة».

٢ ـ المعرفة الدقيقة لشخصية هذا الرجل الكبير من أهل البيتعليهم السلام ودوره في ثورة المختار.

---

(١) للإطلاع أكثر راجع كتاب «زيد بن علي» بقلم المؤلف.

الباب الثاني
محمّد إبن الحنفيّة وإمامة السجّاد عليه السلام

قال الصادق عليه السلام: «ما مات محمّد إبن الحنفيّة حتىٰ أقر لعلي بن الحُسَين عليهما السلام. وكانت وفاة محمّد إبن الحنفيّة سنة أربع وثمانين من الهجرة.»[1]

كتب العلّامة «المامقاني» في دفاعه عن محمّد إبن الحنفيّة وإقراره بإمامة السجّاد عليه السلام يقول: «وأما منازعته في الإمامة مع علي بن الحُسَين عليه السلام وإدعائه الإمامة وإذعانه لإمامته بعد شهادة الحجر له كما نصّ علىٰ ذلك في الخرائج ونطقت به الأخبار بل وفي بعضها وقوعه علىٰ قدمي السجّاد عليه السلام بعد شهادة الحجر له ولم ينازعه بعد ذلك بوجه...»[2]

شهادة الحَجر الأسود

وأما مايتعلق بشهادة الحجر الأسود علىٰ إمامة الإمام السجّاد عليه السلام، وإطاعة محمّد إبن الحنفيّة للإمام السجّاد عليه السلام دون قيد أوشرط، سوف نوضحها إليكم من خلال الروايات الصحيحة الواردة الّتي أدرجها المرحوم الكليني في أصول الكافي. علىٰ أن نبين الأدلة الأخرىٰ علىٰ إعتقاد محمّد إبن الحنفيّة الراسخ بمسألة الإمامة في

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٦، بحار الأنوار: ج٤٢، ص٨١، طبعة بيروت.

(٢) تنقيح المقال: ج٣، ص١١٥ «كلمة محمّد إبن الحنفيّة».

روايات أخرىٰ. أما رواية: شهادة الحجر الأسود: فقد نقل الكليني(ره) في كتاب «متقن اصول الكافي» روايات صحيحة تبين إعتقاد محمّد إبن الحنفيّة في مسألة الإمامة وهذه هي نص الرواية: «محمّد بن يعقوب، عن أحمد بن محمّد، عن إبن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبيدة وزرارة، جميعاً، عن أبي جعفرعليه السلام، قال: لمّا قتل الحُسَينعليه السلام أرسل محمّد إبن الحنفيّة إلى علي بن الحُسَينعليهما السلام فخلا به، فقال له: يا إبن أخي قد علمت أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله دفع الوصية والإمامة من بعده إلى أمير المؤمنينعليه السلام، ثمّ إلى الحسنعليه السلام، ثمّ إلى الحُسَينعليه السلام، وقد قُتل أبوكرضي الله عنه وصليَّ علىٰ روحه، ولم يوص وأنا عمك وصنو أبيك، وولادتي من عليعليه السلام، وفي سني وقِدمي [وأنا] أحق بها منك في حداثتك، فلا تنازعني في الوصية والإمامة، ولا تحاجني. فقال له علي بن الحُسَينعليه السلام: يا عم إتق اللّه، ولا تدَّعِ ما ليس لك بحق، إني أعظك أن تكون من الجاهلين. إن أبي أوصىٰ إليَّ قبل أن يتوجه إلى العراق وعهد إليَّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول اللّه صلى الله عليه وآله عندي، فلاتتعرض لهذا، فاني أخاف عليك نقص العمر، وتشتت الحال. إن اللّه عزَّ وجل جعل الوصية والإمامة في عقب الحُسَينعليه السلام، فاذا أردت أن تعلم ذلك، فإنطلق بنا إلى الحجر الأسود حتىٰ نتحاكم إليه، ونسأله عن ذلك. قال أبوجعفرعليه السلام: وكان الكلام بينهما بمكّة فإنطلقا حتىٰ أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن الحُسَينعليه السلام لمحمّد إبن الحنفيّة: إبدأ أنت فابتهل إلى اللّه عزَّ وجل وسله أن يُنطق لك الحجر، ثمّ سل، فإبتهلَ محمّد إبن الحنفيّة في الدعاء، وسأل اللّه، ثمّ دعا الحجر، فلم يجبه، فقال علي بن الحُسَينعليهما السلام: يا عم لوكنت وصياً وإماماً لأجابك! فقال له محمّد: فأدع اللّه أنت يا بن أخي وسله، فدعا اللّه علي بن الحُسَينعليهما السلام بما أراد، ثمّ قال: أسألك باللّه الذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق النّاس أجمعين، لما أخبرتنا مَن الوصي والإمام بعد الحُسَين بن عليعليهما السلام؟ قال: فتحرك الحجر حتىٰ

كاد أن يزول عن موضعه، ثمّ أنطقه اللّه عزَّ وجل بلسان عربي مبين. فقال: اللّهم إن الوصية والإمامة بعد الحُسَين إبن علي إلى علي بن الحُسَين بن علي بن أبيطالب وإبن فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ. قال: فانصرف محمّد بن علي وهو يتولىٰ علي بن الحُسَين عليهما السلام.[١]

حديث العلّامة المجلسي

كتب العلّامة المجلسي في ذيل هذا الحديث يقول: وردت أخبار مختلفة حول محمّد إبن الحنفيّة، منها مايدل علىٰ جلالة قدره وهو المشهور بين الشيعة، والآخر مايدل علىٰ حدوث بعض الأخطاء منه كما تشير هذه الرواية. ومن الممكن أن يكون نزاعه أو خصامه مع الإمام الرابع عليه السلام صورياً وظاهرياً وعلىٰ أساس بعض الضرورات وهي، لِئلا أن يقول بعض ضعفاء الشيعة: إن محمّد إبن الحنفيّة كان أكبر سناً من علي بن الحُسَين عليه السلام وهو أولىٰ بالإمامة، وكذلك موضوع عدم مواكبة أخيه الإمام الحُسَين عليه السلام إلى كربلاء. وقد يمكن أن يكون ذلك بأمر من شخص الإمام عليه السلام لضرورات ما. يستفاد من تبرير العلّامة المجلسي أنه وكباقي علماء الشيعة المشهورين يعتقد بعظمة ومنزلة محمّد إبن الحنفيّة وصفاء وطهارة عقيدته.

إبن أخي إمام

«سمعت من الإمام الباقر عليه السلام يقول: كان أبوخالد الكابولي خادماً لدىٰ محمّد إبن الحنفيّة مدة من الزمن وليس لديه أدنىٰ شك في إمامته حتىٰ أتاه ذات يوم فقال له:

---

(١) أصول الكافي: ج١، ص٣٤٨ كتاب الحجة باب مايفصل به بين دعوىٰ المحق والمبطل ح٥، مدينة المعاجز: ج٤، ص٢٧٧ ـ ٢٨٠، ورواه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسىٰ عن حريز عن زرارة عن أبيجعفر(ع) - مثله. ورواه سعد بن عبداللّه القُمّي في بصائر الدرجات.

جعلت فداك إن لك عندي مودة وحرمة، فأسئلك بحرمة رسول اللّه ﷺ وحرمة أمير المؤمنين عليه السلام إلا أخبرتني هل أنت الإمام الذي فرض طاعته علىٰ جميع الخلق»؟ فرد عليه محمّد إبن الحنفيّة قائلاً: يا أبا خالد لقد حلّفتني بقسم كبير، فإعلم أن الواجب طاعته هو علي إبن أخي، فهو إمامي وإمامك و إمام كل مسلم. ويضيف الإمام الباقر عليه السلام: عندما إتضح الأمر لأبي خالد أقبل علىٰ الإمام السجّاد عليه السلام طالباً لقائه، فأذن الإمام عليه السلام له بذلك، وأثناء الدخول عليه إلتفت إليه الإمام قائلاً: مرحباً بك ياكنغر! كنت محجباً عنا، فما دفعك لزيارتنا؟ وعندما سمع أبوخالد بهذا الكلام من الإمام عليه السلام خرّ ساجداً شكراً للّه وقال: الحمد للّه الذي لم يمتني حتىٰ عرفت إمامي.

فقال الإمام يا أباخالد كيف عرفت إمامك؟ قال أبوخالد لأنك دعوتني بإسمي الذي لايعرفه سوىٰ أُمي، إضافة إلى أني كنت أعمىٰ في أمر الإمامة. ولقد خدمت محمّد إبن الحنفيّة عمراً لا أشك أنه إمام، حتىٰ أقسمت عليه فأرشدني إليك وقال لي: إن (علي بن الحُسَين) إمامي وإمامك وإمام كل مسلم. ومنذ ذلك الحين أقر أبوخالد بإمامة زين العابدين عليه السلام.[١]

طاعة محمّد إبن الحنفيّة للإمام السجّاد عليه السلام

قال أبوخالد الكابولي: قلت لمحمد إبن الحنفيّة: أتخاطب إبن أخيك بمالا يخاطبك بمثله. فقال: إنه حاججني في مسألة الإمامة إلى الحجر الأسود معتقداً أنه سينطقه، فصرت معه إلى الحجر فسمعته يقول: «سَلِّم الأمر إلى إبن أخيك فإنه أحق به

(١) وجدت بخط جبرئيل بن أحمد، حدثني محمّد بن عبداللّه بن مهران، عن محمّد بن علي بن محمّد بن عبداللّه الخيّاط، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي بصير، أنه قال: سمعت أباجعفر(ع) يقول: ...رجال الكشي، ص ١٢٠، ح ١٩٢، وبحارالأنوار، ج ٤٥، ص ٣٤٨، باللغة الفارسية.

منك»، فصار أبوخالد إمامياً.[١]

وأشار الأربلي في كشف الغمة إلى رواية عن الصادق(ع) للمسألة أعلاه قوله: لدىٰ قدوم أبوخالد الكابولي من «كابول شاه» إلى المدينة، كان معتقداً بإمامة محمّد إبن الحنفيّة إلا أنه وبعد لمسه الإحترام الفائق من محمّد لإبن أخيه الإمام السجّاد(ع) وخطابه له بسيدي، تساءلَ منه حول الأمر، فنقل له محمّد قصة شهادة الحجر الأسود ومنذ ذلك الحين أصبح أبوخالد الكابولي إمامياً.

السيّد الحميري وبعد تراجعه عن الإعتقاد بإمامة محمّد إبن الحنفيّة، ذكر قصة أبوخالد الكابولي بابيات من الشعر:

عَجِبتُ لكرّ صُروفِ الزمـانِ ... وأمـرَ أبي خـالدٍ ذي البـيانِ

---

(١) أصول الكافي، ج١، كتاب الحجة، باب مايفصل بين دعوىٰ المحق والمبطل في أمر الامامة، ح٥.

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسىٰ، عن حريز، عن زرارة جميعاً عن أبي جعفر الباقر(ع) قال: «لما قُتل الحُسَين بن علي عليهما السلام أرسل محمّد إبن الحنفيّة إلى علي بن الحُسَين(ع)، و خلا به، ثمّ قال: يا إبن أُخي قد علمت أن رسول اللّه(ص) دفع الوصيّة والامامة من بعده لعليّ بن ابيطالب(ع) ثمّ إلى الحسن ثمّ إلىٰ الحُسَين وقد قتل أبوك رضىاللّه عنه وصلىٰ اللّه عليه ولم يوصِ، وانّا عمك، وصنو أبيك، وأنا فى سني وقدمي أحق بها منك في حداثتك، فلاتنازعني الوصية والإمامة ولاتخالفني، فقال علي بن الحُسَين(ع): يا عم إتق اللّه ولاتدّع ما ليس لك بحق إني أعظك أن تكون من الجاهلين، يا عم إن أبي صلوات اللّه عليه أوصىٰ إليَّ قبل أن يتوجّه إلى العراق وعهد إليَّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول اللّه صَلّىٰ اللّه عليه وآله عندي، فلاتعرّض لهذا فإني أخاف عليك نقص العمر وتشتّت الحال. وإن اللّه تبارك وتعالىٰ آلىٰ أن لايجعل الوصية والإمامة إلّا في عقب الحُسَين(ع). فإن أردت أن تعلم، فإنطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك، قال الباقر(ع) وكان الكلام بينهما وهما يومئذٍ بمكّة، فانطلقا حتىٰ أتيا الحجر الأسود، فقال علي إبن الحُسَين(ع) لمحمّد: إبدأ فابتهل إلى اللّه وإسئله. أن يُنطق لك الحجرثمّ إسئله، فـإبتهل محمّد فيالدعاءِ وسأل اللّه ثمّ دعا الحـجر فلم يجب، فقال علي بن الحُسَين(ع): يا عمّ لو كنت وصيّاً وإماماً لأجابك، قال له محمّد: فادع اللّه أنت يابن أخي وسله، فدعا اللّه عليّ بن الحُسَين(ع) بما أراد ثمّ قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياءِ وميثاق النّاس أجمعين لما أخبرتنا من الوصيّ والإمام بعد الحُسَين بن علي(ع)؟ قال: فتحرّك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثمّ أنطقه اللّه عزّوجلّ بلسان عربيّ مبين، فقال: «اللّهم إنّ الوصية والإمامة بعد الحُسَين بن علي(ع) إلى علي بن الحُسَين بن علي بن أبيطالب وإبن فاطمة بنت رسول اللّه(ص) قال: فإنصرف محمّد بن علي وهو يتولى علي بن الحُسَين(ع).»

ومــن رده الأمــر لايـنثني إلى الطيبِ الطُهر نورِ الجـنانِ

عــليٌّ ومـا كـان مـن عـمّهِ بـرد الأمـانة عـطفَ العـيانِ

وتحكــيمه حــجراً أســوداً وماكان من نُـطقهِ المسـتبانِ

بـتسليمِ عــمٍ بـغير إمـتراء إلى إبـن أخ مُـنطقاً بـاللسانِ

شهــدت بــذلك حــقاً كـما شهدت بتصديق آي القـرآن

عــليٌّ إمــامي ولا أمــتري وخلَّيتُ قولي بكان وكـان[١]

كتب الفقية الكبير «جعفر بن نما» في مقدمة رسالة «ذوب النضار» عن هـذا الأمر يقول: «وكان محمّد إبن الحنفيّة أكبر سناً من زين العابدين عليه السلام، ويرىٰ تقديمه عليه فرضاً ودَيناً، ولايتحرك حركة إلا بما يهواه، ولاينطق إلا عن رضاه، ويتأمر له تأمر الرعية للوالي، ويفضِّله تفضيل السيّد علىٰ الخادم والموالي».[٢]

ثمّ يشير هذا العالم الجليل إلىٰ سبب تولية الإمام السجَّاد عليه السلام لمحمد إبن الحنفيّة أمر ثورة المختار فيقول: «وتقليد محمّد ـ رحمة اللّه عليه ـ أخذ الثأر إراحة لخاطره الشريف، من تحمُّل الأثقال، والشد والترحال».

«ويدل علىٰ ذلك ما روي عن أبي بجير عالم الأهواز، وكان يقول بإمامة إبـن الحنفيّة، قال: حججت فلقيت يوماً إمامي وكنت يوماً عنده فمر به غـلام شـاب فسلم عليه، فقام فتلقاه وقبّل ما بين عينيه، وخاطبه بالسيادة، ومضىٰ الغلام، وعاد محمّد إلى مكانه فقلت له: عند اللّه أحتسب عنائي. فقال: وكيف ذاك؟ قلت: لأنا نعتقد أنك الإمام المفترض الطاعة تقوم وتتلقىٰ هذا الغلام، وتقول له: يا سيدي؟!

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٢) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٥١ - ٥٨.

فقال: نعم، ـ والله ـ هو إمامي. فقلت: ومن هو؟ قال: إبن أخي علي بن الحُسَين عليه السلام إعلم أني نازعته الإمامة ونازعني، فقال لي: أترضىٰ بالحجر الأسود حكماً بيني وبينك؟ فقلت: وكيف نحتكم إلى حجر جماد؟... فقال: إنَّ إماماً لا يكلمه الجماد فليس بإمام، فإستحييت من ذلك، وقلت: بيني وبينك الحجر الأسود.. فقصدنا الحجر، وصلّىٰ وصلَّيت، وتقدم إليه. وقال: أسألك بالذي أودعك مواثيق العباد لتشهد لهم الموافاة ألا أخبرتنا مَن الإمام منا؟ فنطق ـ والله ـ الحجر، وقال: يا محمّد، سَلِّم الأمر إلى إبن أخيك، فهو أحق به منك، وهو إمامك وتحلحل حتى ظننته يسقط، فأذعنت بإمامته، ودِنت له بفرض طاعته. قال أبو بجير: فإنصرفت من عنده وقد دنت بإمامته، أعني علي بن الحُسَين عليهما السلام، وتركت القول بالكيسانية». [1]

«وإذا كان ذلك رأيه فكيف يخرج عن طاعته، ويعدل عن الإسلام بمخالفته مع علم محمّد إبن الحنفيّة أنَّ زين العابدين عليه السلام ولي الدم، وصاحب الثأر، والمطالب بدماء الأبرار، فَنَهَضَ المختار نهوض الملك المطاع، ومد إلى أعدائه يداً طويلة الباع، فهشم عظاماً تغذت بالفجور، وقطع أعضاءً نشأت علىٰ الخمور، وجاز إلى فضيلة لم يرق إلى شعاف شرفها عربي ولا أعجمي، وأحرز منقبة لم يسبقه إليها هاشمي ولا قرشي. وكان إبراهيم بن مالك الأشتر مشاركاً له في هذه البلوىٰ، ومصدِّقاً علىٰ الدعوىٰ، ولم يك إبراهيم شاكّاً في دينه، ولا ضالاً في إعتقاده ويقينه، والحكم فيهما واحد» [2].

---

(١) ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص٥١ – ٥٨.

(٢) نفس المصدر.

الإمام الباقرعليه السلام يواري محمّد إبن الحنفيّة الثرىٰ

قال الإمام الباقرعليه السلام: «... لقد كنت إلى جوار محمّد إبن الحنفيّة في مرضه الذي توفي به، فقمت بإغماض عينيه لحظة الإحتضار ومن ثمّ قمت بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه.»[1]

كان حيان السراج معتقداً بإمامة وغيبة محمّد إبن الحنفيّة، كما كان أتباع الكَيسانيّة يعتقدون ـ وأنه حيّ، وقد جادل الإمام الصادقعليه السلام في هذا الأمر عدة مرات وذكَّره الإمام بعدم صوابه لكنه لم يجد نفعاً، وقد جاءت ثلاث روايات في رجال الكشي في شأنه ننقل واحدة منها للمثال ـ والباقيتان شبيهتان لهذه الرواية مضموناً: «حدَّثنا محمّد بن يعقوب الكليني قال: حدَّثنا القاسم بن العلاء قال: حدَّثني إسماعيل بن علي القزويني قال: حدَّثني علي إبن إسماعيل، عن حماد بن عيسىٰ، عن الحُسَين بن المختار.[2] قال: دخل حيان السراج علىٰ الصادق جعفر بن محمّدعليهما السلام فقال له: يا حيان ما يقول أصحابك في محمّد إبن الحنفيّة؟ قال: يقولون: إنه حيّ يرزق، فقال الصادقعليه السلام: حدَّثني أبيعليه السلام أنه كان فيمن عاده في مرضه وفيمن غمضه وأدخله حفرته وزوَّج نسائه وقسم ميراثه، فقال: يا أبا عبد اللّه إنما مَثل محمّد إبن الحنفيّة في هذه الأمة كمثل عيسىٰ بن مريم شُبِّهَ أمره للناس، فقال الصادقعليه السلام: شُبِّهَ أمره علىٰ أوليائه أو علىٰ أعدائه؟ قال: بل علىٰ أعدائه فقال: أتزعم أن أبا جعفر محمّد بن علي الباقرعليهما السلام عدو عمّه محمّد إبن الحنفيّة؟ فقال: لا، فقال الصادقعليه السلام: يا حيان إنكم صدفتم عن أيات اللّه، وقد قال اللّه تبارك

---

(١) رجال الكشي: ص ٣١٥، ح ٥٦٩، (حديث طويل ذكرنا أواخره فقط).

(٢) هو الحُسَين بن المختار القلانسي الكوفي ثقة واقفي من أصحاب الكاظم(ع). وما في بعض النسخ من «جعفر بن مختار» فهو تصحيف، وعلي بن إسماعيل الظاهر هو علي بن السندي الثقة. وأما حيان السراج فهو كيساني متعصب.

وتعالىٰ: «سَنَجْزِي ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ».[١]

وقال الصادق عليه السلام: ما مات محمّد إبن الحنفيّة حتىٰ أقرَّ لعلي بن الحُسَين عليهما السلام. وكانت وفاة محمّد إبن الحنفيّة سنة أربع وثمانين من الهجرة».[٢]

قال الإمام الصادق: «فتبت إلى اللّه من كلام حيان ثلاثين يوماً».[٣]

نستنتج من هذه الرواية وروايات أخرىٰ حول الشيعة الكَيسانيّة، أن البعض كان يعتقد بإمامة وغيبة وحياة محمّد إبن الحنفيّة، وكان الأئمة عليهم السلام يرفضون هذا الإنحراف وبشدة وكانوا يرشدون ويهدون أتباع هذه الطريقة ما أمكنهم أو كانو يبتعدون منهم. وهذا الأمر كان مختصاً بأتباع محمّد إبن الحنفيّة فقط، لان محمّداً لم يعتقد بنفسه هذا الإعتقاد وكان مقراً بإمامة السجَّاد وأبنائه عليهم السلام ـ وقد مرّ علينا ذلك ـ ومن الملفت للنظر أن هذه العقيدة ظهرت في حياة محمّد إبن الحنفيّة لكنها قويت بعد مماته، ولربما كانت للأيادي الخبيثة لبني أُميّة ومن ثمّ بني العبّاس دوراً في التأليب لهذا الأمر وتشويه عقائد الشيعة في الإمامة. وكان لبني العبّاس دوراً موثراً في تأجيج مثل هذه الأفكار لقولهم بأن الإمامة بعد محمّد إبن الحنفيّة إنتقلت إلى إبنه أبي هاشم، ومن أبي هاشم إلى محمّد بن علي بن عبد اللّه بن عبَّاس (أبوالسفاح والمنصور). إذن يمكن القول: إن بني العبّاس ومن أجل إظهار مشروعية حكمهم بعنوان الإمامة قاموا بهذه الخدعة. وعلىٰ حد قول الدكتور حسن إبراهيم فإن العباسيين هم ورثة الكيسانيين.[٤]

---

(١) القرآن الكريم: سورة الأنعام ـ الآية ١٥٧.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٦.

(٣) رجال الكشي: ص٣١٥، ح٥٧٠، (في شأن حيان السراج).

(٤) تاريخ الإسلام للدكتورحسن إبراهيم: ج٢، ص١٠.

الباب الثالث

دور محمّد إبن الحنفيّة في ثورة المختار

الموضوع الآخر ذات الأهمية القصوىٰ والذي يتطلب تبيانه في قضية ثورة المختار، هو مايتعلق بماهية دور محمّد إبن الحنفيّة في هذه الحركة الدموية. ولماذا كان له الدور الأكثر فاعلية في هذه الثورة، ودوافع طرحه بعنوان «المهدي»؟ ولماذا كان المختار يطرح نفسه تارة كوزير وتارة كداعية وأخرىٰ كنائب وممثل عن محمّد إبن الحنفيّة.

والإشكالية المهمة تكمن في العبارة الأولىٰ، أي في الوقت الذي لم يطرح فيه محمّد إبن الحنفيّة نفسه كإمام واجب الطاعة. ولا المختار كان قد حمل مثل هذه العقيدة. فلماذا إذن أعطىٰ لقب «المهدي» لمحمد إبن الحنفيّة؟ ولماذا يُعرِّف محمّد إبن الحنفيّة نفسه خلال رسائله الشخصية بأنه «المهدي»؟ والمختار بدوره أيضاً يصفه بهذا اللقب خلال كُتبه وخُطبه؟! فكيف يمكن تبرير ذلك وحل لغزه؟! ولجلاء الأمر وتوضيحه يتطلب ذكر مقدمة قصيرة، و هي أن مجرد إطلاق لقب المهدي علىٰ شخص بمعناه العام ليس فيه إشكال، وأن متطلبات الثورة وظروفها قد تكون وراء هذا القصد. والمقصود في إسم المهدي هو ليس ذلك «المهدي الموعود» بل ذكره كعنوان لكل الأئمة بالمعنىٰ اللغوي للكلمة في سياق الروايات. ولاضير فيه عند إطلاق هذا الإسم علىٰ غير الأئمة عليهم السلام.

كلام الرجالي الكبير الشيخ أبو علي الحائري[١]

يقول في هذا المجال: «وقول الكشي، إنه دعا النّاس إلى محمّد بن عليعليه‌السلام لايخفىٰ. إنه إنما دعا إليه وظاهر الأمر بعد رفض علي بن الحُسَينعليه‌السلام لكتبه ورسله خوفاً من الشهرة وعِلماً بما يؤول إليه أمره وإستيلاء بني أُميّة علىٰ الأمة». «وربما كان أنه (المهدي) ترويجاً لأمره وترغيباً للناس في متابعته» وأما أنه إعتقد إمامته دون علي بن الحُسَينعليه‌السلام فلم يثبت.[٢]

بالتحليل الدقيق للنصوص التاريخية المعتبرة وبالنظر إلى الروايات الواردة في هذا الباب يمكن القبول بالتالي، أولاً: كان لمحمد إبن الحنفيّة الدور الرئيسي في ثورة المختار. وثانياً: أن محمّد إبن الحنفيّة مَثَّلَ القائد الحقيقي للثورة، وأنَّ المختار كان قد إستشاره وإستأذنه في أمر الثورة الّتي أعلن عنها لدىٰ وصوله إلى الكـوفة، وذلك بعد تعريف نفسه بأنه الممثل المعلن لمحمد إبن الحنفيّة وقبول الشيعة به إثر ذلك.

روىٰ إبن الأثير: «... فقال لهم: إنَّ المختار يريد أن يخرج بـنا ولا نـدري هـل أرسله إبن الحنفيّة أم لا، فإنهضوا بنا إلى إبن الحنفيّة نُخبره بما قَدم علينا به المختار، فإن رخص لنا في إتباعه تبعناه وإن نهانا عنه إجتنبناه، فواللّه ما ينبغي أن يكون شيء من الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا، قالوا له: أصبت. فـخرجـوا إلى إبـن الحنفيّة فلمّا قدموا عليه سألهم عن حال النّاس فأخبروه عن حالهم وما هم عليه وأعلموه حال المختار وما دعاهم إليه واستأذنوه في إتّباعه. فلمّا فرغوا من كلامهم قال لهم بعد أن حمد اللّه وأثنىٰ عليه وذكر فضيلة أهـل البـيت والمـصيبة بـقتل الحُسَين، ثمّ قال لهم: وأما ما ذكرتم ممن دعاكم إلى الطلب بدمائنا فواللّه لوددت أن

---

(١) تفحصه وشخصيته العلمية ملفت للنظر.

(٢) منتهىٰ المقال للشيخ أبو علي الحائري: كلمة المختار.

اللّه إنتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ولو كره لقال لاتفعلوا.»[١]

وحتىٰ لايكون لشيعة الكوفة أدنىٰ شك في المختار فقد دعمه بكل ما أوتي من قوة. ونراه في رواية أخرىٰ يأخذ القوم إلى الإمام السجّادعليه السلام كي يبدي الإمام رأيه لزعماء الكوفة، فلا يبقىٰ هناك أدنىٰ شبهة في ذلك.

أنظر هذه الرواية:

«... وقد قدِم المختار يزعم أنه جاء من قِبلكم وقد دعانا إلى كتاب اللّه وسنّة نبيه، والطلب بدماء أهل البيت، فبايعناه علىٰ ذلك فإن أمرتنا بإتباعه إتّبعناه، وإن نهيتنا إجتنبناه. فلمّا سمع كلامه وكلام غيره، حمد اللّه وأثنىٰ عليه، وصلّىٰ علىٰ النبي وقال: أما ما ذكرتم مما خصنا اللّه فإن الفضل للّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم وأما مصيبتنا بالحسين فذلك في الذكر الحكيم، وأما الطلب بدمائنا فواللّه لوددت أن اللّه إنتصرلنا من عدونا بمن شاء من خلقه ـ قال جعفر بن نما مُصنِّف هذا الكتاب: فقد رويت عن والدي رحمة اللّه عليه أنه قال لهم: ـ قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحُسَين، فلمّا دخل ودخلوا عليه أخبر خبرهم الذي جاؤوا لأجله، قال: يا عم لو أن عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت، لوجب علىٰ النّاس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر، فإصنع ما شئت. فخرجوا وقد سمعوا كلامه وهم يقولون: أذنَ لنا زين العابدينعليه السلام ومحمّد إبن الحنفيّة.»[٢]

وكتب محمّد إبن الحنفيّة إلى إبراهيم بن الأشتر يحثه علىٰ مناصرة المختار في ثورته: «هو كتاب طويل جاء فيه: بسم اللّه الرحمن الرحيم من محمّد المهدي إلى إبراهيم بن الأشتر سلام عليك قد بعثت إليك المختار ومن إرتضيته لنفسي، وقد

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص ٢١٤.

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج ٤٥، ص ٣٦٤ - ٣٦٥؛ تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٩٢.

أمرته بقتال عدوي، والطلب بدماء أهل بيتي فامض معه بنفسك وعشيرتك، وهذا الكتاب بما يرغب إبراهيم في ذلك. فلمّا قرأ الكتاب قال: ما زال يكتب إلى إسمه وإسم أبيه فما باله ويقول في هذا الكتاب المهدي؟ قال المختار: ذاك زمان، قال إبراهيم: من يعلم أن هذا كتاب إبن الحنفيّة إليّ؟ قال يزيد بن أنس وأحمر بن سقيط وعبد اللّه بن كامل وغيرهم: نحن نعلم ونشهد أنه كتاب محمّد إليك.»[1]

وقد أشرنا في هذا الكتاب إلى الروايات وتفاصيل المفاوضات الّتي تمت وإسنادها.

إذن يمكننا القول وبكل إطمئنان بأن ثورة المختار هذا المنتقم لدماء شهداء كربلاء كانت بزعامة وقيادة محمّد إبن الحنفيّة وبأذن من الإمام السجّاد عليه السلام. وذلك عبر التدقيق في مضامين الروايات والمعرفة الدقيقة بشخصية المختار وتأييد أئمة الدين عليهم السلام لعمله وإشادة علماء الإسلام الكبار بهذا البطل الثائر.

---

١) المصدر السابق: ص ٣٦٦.

الباب الرابع
الإمام السجّادعليه السلام وثورة المختار

تساؤولات

من الأسئلة المهمة المطروحة للجدل، هو أن الإمام السجّادعليه السلام إذا كان قد أيّد ثورة المختار وأذن له بها فلماذا:

أولاً: لمْ يتولَ الإمام شخصياً زمام القيادة من أجل الثأر لدم أبيه والشهداء من أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم؟ وهل عدم قيامه بذلك لايشكل رفضاً عملياً لثورة المختار؟

ثانياً: علىٰ فرض أن ظرف الإمام عليه السلام لايقتضي المشاركة في هذه الثورة؛ فعلىٰ الأَقل لماذا لم يُعلن عن إسمه كقائد للثورة في خطب وأقوال المختار في الكوفة؟

ثالثاً: لماذا كان الإمام السجّادعليه السلام في بعض الحالات يقبل رسائل وهدايا المختار ويرفضها في حالات أخرىٰ؟

لقد كنا قد أجبنا سابقاً وفي سياق تحليل ثورة المختار والتدقيق في الوثائق التاريخية المعتبرة بشكل مستدل علىٰ هذه الأسئلة، والآن سنجيب عليها بإيجاز وبتحليلٍ مختصر:

أولاً: إن للأئمة الأطهار إجمالاً وظائف معيَّنة ومحدّدة من قبل البارئ تعالىٰ

لانستطيع التدخل فيها، بل هم الّذين لهم الحق في تحديد الواجب والفروض للآخرين، والروايات كثيرة في هذا المجال.

ثانياً: إن ظروف الإمام السجّادعليه السلام وحسب آراء جميع المؤرّخين وأصحاب الحديث كانت حسّاسة للغاية. لأنه كان وارثاً لأبيه الإمام الحُسَينعليه السلام وهو الإمام من بعده ومحط أنظار الأعداء والأولياء. ولأن واقعة عاشوراء الأليمة أثارت جواً شديداً من الحقد علىٰ بني أُميّة، فقد دعاهم ذلك إلى ترقب الأوضاع بحساسية شديدة خاصة فيما يتعلق بردّات فعل الإمام السجّادعليه السلام والشيعة عامة، لذا كان الإمام يخضع للمراقبة والمتابعة الشديدة من جانب السلطة الأموية. وكان أي إتصال وإقتراب من الإمامعليه السلام يلفت نظر الجواسيس والرقباء. علىٰ هذا وعملاً بأصل التقية ومراعاةً للحيطة والحذر كان يتوجب علىٰ الإمام السجّاد التصرف بمنتهىٰ الدقة وعدم إثارة حفيظة الأعداء الّتي كانت قد تؤدي إلى إستشهاده وتأزم أوضاع الشيعة وتشرذمهم. وأحياناً كان الإمام يتحدث ضد المختار وفي بعض الحالات كان لايقبل كتبه وهداياه ظاهرياً.[1]

ثالثاً: كان الإمامعليه السلام يعاني الضغوط والقيود الشديدة حتىٰ في تبيان الأحكام الدينية والمسائل الشرعية والعقائد الإسلامية، حتىٰ إضطر إلى نشر العقائد الإسلامية عن طريق الدعاء والمناجات. و«الصحيفة السجّادية» هذا الأثر النفيس يُعد أفضل شاهد علىٰ كلامنا.

رابعاً: بالنظر إلى مكانة الإمام السجّادعليه السلام في المدينة من جهة والضغوط المفروضة عليه من قبل جلاوزة عبد اللّه بن الزبير والممارسات القمعية اللامحدودة لعبد اللّه بن مروان وأولاده من جهة اخرىٰ، شكّلت بمجموعها الأسباب القوية

(١) منتهىٰ المقال للشيخ أبو علي الحائري.

الّتي وقفت أمام مشاركته بشكل علني في نهضة المختار وقبول المسؤولية العلنية لقيادة ثورة «التوّابين» أو ثورة المختار. إلا أن جميع هذه الضغوط والقيود لم تشكل السبب في إبتعاد الإمام عليه السلام بشكل كامل عن الساحة السياسية أو ليقول: إنها ليست من مسؤوليتي، بل كان يتحين الفرص في جميع الحالات من أجل فضح الإنحرافات والكشف عن حقائقها وتذكير النّاس بجرائم الأمويين وأعداء أهل البيت عليهم السلام بشكل مستمر ومؤثر.

ومنذ بداية إمامته بعد إستشهاد أبيه الحُسَين بن علي عليهما السلام، وبالرغم من ظروفه الصعبة الّتي كبلته بالأسر والقيود. فقد إستطاع ومن خلال صبره وصموده فضح جرائم السلطة آنذاك عبر الخُطب المثيرة والرصينة أمام النّاس.

ألم يحاكم أهل الكوفة بخطبه بعد عاشوراء؟

ألم يتحدث بشجاعة وشهامة في مجلس عُبيد اللّه بن زياد هذا الوالي المجرم الجلاد؟

ألم يخطب في النّاس في المسجد الجامع بدمشق تلك الخطبة الغرّاء الّتي زلزلت أركان حكم بني أُميّة وأوصل من خلالها الحقائق للناس بعد أن فضح يزيد وآل أُميّة أمام النّاس فما كان يزيد علىٰ بعد أشبار منه؟

فإذا وضعنا أهمية إستشهاد الإمام الحُسَين عليه السلام وأصحابه في كفة الميزان، يمكننا في المقابل موازنة أهمية رسالة المتبقين من أهل البيت عليهم السلام وخاصة الإمام السجّاد عليه السلام في الكفة الاخرىٰ.

لقد إستطاع الإمام عليه السلام وبجدارة من تحمل هذه المسؤولية والعمل علىٰ نشر الحقائق وفضح الأمور من أجل تحطيم أركان حكم بني أُميّة. وكما شهدت جميع كتب التاريخ والسيرَّ بأنها كانت لاتقل أهمية عن ملحمة عاشوراء.

ومنذ عودته من الشام إلى المدينة لم يغفل الإمام السجّادعليه السلام لحظة عن الجرائم الّتي إرتكبها يزيد وبني أُميّة بحق أهل البيتعليهم السلام. وكان دائم البكاء وحزيناً، ويحرص علىٰ ذكر واقعة كربلاء في جميع المناسبات وبأشكال مختلفة ليلفت أنظار النّاس إلى عمق هذه الفاجعة الّتي أرتكبت علىٰ يد أدعياء خلافة النبي صلى الله عليه وآله.

إن الكشف عن الحقائق وإحياء العزاء لشهداء كربلاء وقطرات دموعه، هنَّ اللاتي جيشت المسلمين للتحرك. فكانت ثورة المختار شرارة من لهيب الأنفاس القدسية الحزينة للإمام السجّادعليه السلام. والّتي تم الإشارة إلى ذلك آنفاً في هذا الكتاب. حيث لم يهدأ الإمام حتىٰ رأى رؤوس أعدائه ـ يعني إبن زياد وعمر بن سعد ـ في مجلسه وذلك بعد مرور خمس سنوات علىٰ فاجعة عاشوراء، لاسيما وأنه لم يُر مبتسماً طوال هذه الفترة.

وأول مرة شوهد فيه وهو يبتسم كان عندما رأىٰ رؤوس الجناة الّتي قطعها المختار بين يديه. فخرَّ ساجداً حيث تحققت أُمنيته القلبية داعياً للمختار خيراً.

روىٰ الحلّي أن المختار أرسل بكتاب مع الرؤوس يقول فيه: «إني بعثت أنصاركم وشيعتكم إلى عدوكم، فخرجوا محتسبين أسفين فقتلوهم، فالحمد للّه الذي أدرك لكم الثأر، وأهلكهم في كل فجٍ سحيق، وغرقهم في كل بحرٍ عميق، وشفىٰ اللّه صدور قومٍ مؤمنين. فقدِموا بالكتاب والرؤوس والمال عليه، فلمّا رآها خرّ ساجداً، ودعا للمختار، وقال: جزاه اللّه خير الجزاء[1]، فقد أدرك لنا ثأرنا، ووجب حقه علىٰ كل من ولد عبد المطلب بن هاشم...»[2]

خامساً: كان الإمام يعلم ـ بعلم الإمامة ـ أن مدة إنتصار المختار قصيرة وأن بني أُميّة سيسيطرون علىٰ الأمور مرة أخرىٰ. ولم يتدخل علانية في هذه الثورة

---

(١) وفي نسخة: جزىٰ اللّه المختار خيراً.

(٢) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٤٣.

الناجحة القصيرة كي لايقع في متاعب محتملة وربما يتعرض إلى القتل، وهي بذاتها ضربة قاصمة للمذهب الشيعي لايمكن تحملها. فتعامل الإمامعليه السلام مع هذه الثورة بمنهجية وتقية وتدبّر دقيق وحذر.

سادساً: لدىٰ حضور جمع من زعماء الكوفة إلى المدينة يستوثقون الإمامعليه السلام ويستأذنونه حول موضوع المختار وفي حضور محمّد إبن الحنفيّة. فإن الإمام يعلن وبصراحة واضحة عن تأييده له ويُعيِّن محمّد إبن الحنفيّة بصفة ممثله المطلق في هذه القضية، ويقول بصريح العبارة: «يا عم فافعل ما شئت، فإني وليتك هذا الأمر»[١] فيخرجون من عنده ويقولون: «أذِنَ لنا زين العابدين ومحمّد إبن الحنفيّة»[٢] «وكان المختار علىٰ علم بخروجهم إلى محمّد إبن الحنفيّة، وكان يريد النهوض بجماعة الشيعة قبل قدومهم، فلم يتهيأ ذلك له. وكان يقول: إن نفيراً منكم تحيّروا وأرتابوا، فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا، وإن هم كبوا وهابوا وإعترضوا وإنجابوا فقد خسروا وخابوا. فدخل القادمون من عند محمّد إبن الحنفيّة علىٰ المختار فقال: ما وراءكم؟ فقد فتنتم وإرتبتم؟ فقالوا: قد أمرنا بنصرتك. فقال: أنا أبو إسحاق، أجمعوا إليّ الشيعة، فجمع من كان قريباً، فقال: يا معشر الشيعة، إن نفراً أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به، فخرجوا إلى إمام الهدىٰ، والنجيب المرتضىٰ، وإبن المصطفى المجتبىٰ - يعني زين العابدينعليه السلام - فعرّفهم أني ظهيره ووزيره، وأمَرَكم بإتباعي وطاعتي، وقال كلاماً يُرغبهم إلى الطاعة والإستنفار معه، وأن يُعلم الحاضر الغائب».[٣]

وبهذه المقدمة القصيرة يتضح لنا سبب عدم تدخل الإمام بصورة مباشرة في

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٦٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٩٧ - ٩٨.

هذا الأمر، والذي كان علىٰ أساس التدبّر والتقية، بالرغم من قيادته للحركة سراً، وقيامه بانتخاب محمّد إبن الحنفيّة لهذه المهمة علناً، إضافة إلى دعمه للمختار متىٰ مادعت الضرورة، والإشادة به وقبول هداياه وإنفاقها علىٰ أهل بيت النبوّة عليهم السلام والشيعة الموالين لهم.

قال العلّامة المامقاني: المتخصص في فن الرجال: «فإن سلطنته برخصة من الإمام...»[1]

وقبِل العلّامة إبن نما الرواية السابقة وصَرَّحَ بإذن الإمام. وكذلك قال السيّد الخوئي: «ويظهر من بعض الروايات أن هذا كان بإذن خاص من الإمام السجّاد عليه السلام»[2].

(١) تنقيح المقال: ج٣، ص٢٠٦.

(٢) معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ج١٨، ص١٠١.

◘ الفصل الخامس

الأرضيّة وفلسفة الثورة

الباب الأوّل

ثورة الإمام الحُسَين عليه السلام منشأ وعي المسلمين

إنتهت حكومة معاوية بموته عام (٦٠) للهجرة ليتقلد زمام الأمور من بعده أحقر شخصية أُموية، أي إبنه يزيد السيئ الصيت والسلوك، الذي ولد سنة (٢٦هجرية) وهلك سنة (٦٤هجرية).[1]

بدأ حكم يزيد سنة (٦٠) للهجرة وكانت مدته ثلاث سنوات وأشهر. وكان من جملة المعاصي والجرائم الّتي إرتكبها معاوية بحق الإسلام والمسلمين فرض إبنه المجرم يزيد عليهم. إذ قام معاوية بأخذ البيعة ليزيد بالترغيب والتهديد ثمّ عيّنه ولياً للعهد.

لقد شكّل موت معاوية بارقة أمل للمسلمين لينقذوا أنفسهم من ذل وهوان حكم بني أُميّة القذر. والذي كان منذ نشوئه وحتىٰ سقوطه عدواً ومعانداً للإسلام وللنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. والّذين (حكام بني أُميّة) لم يكن لهم أدنىٰ صلاحية لزعامة العالم الإسلامي.

لقد كانت جميع الأنظار متجهة نحو أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ولم يكن في ذلك العصر شخص أسمىٰ وأفضل من سبط النبي المختار وهو الإمام الحُسَين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام كي يتوجهون إليه. وكان الإمام الحُسَين عليه السلام ومن منطلق إحساسه

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٩٧، ٢٠٥، ٢٠٦.

بالواجب وأدائه للتكليف الإلهي حاضراً ومستعداً لقيادة ثورة عارمة ضد الطغيان.

إن الإمام الحُسَينعليه‌السلام الذي لم يكن حاضراً بأي شكل من الأشكال للإعتراف بحكومة يزيد الوضيعة أو حتىٰ المهادنة معه، فكيف به أن يقبل بالبيعة له. لاسيما وأن الإمامعليه‌السلام كان هو الولي لأمر المسلمين والأولىٰ بأمر الخلافة منهم. وطبقاً لنص النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله الصريح، فإن جميع شروط القيادة كانت متوفرة فيه.

وفي النهاية فقد شعر الإمام المعصوم وسبط الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله بأن إنحراف الحكّام الغاصبين سوف لايؤدي إلى إنحراف العالم الإسلامي فحسب، بل سيتعدىٰ ذلك إلى بنيان الإسلام وتاريخه ووجوده. ولذا لايمكن الوقوف ضد هذا الإنحراف إلا بثورة عارمة دموية وملحمة عظيمة لإحياء الدين وهداية المسلمين وإيقاظهم. ولايتم ذلك إلا بقيادة وإمامة وزعامة أفضل وأقرب ورثة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله. ولذا قال: «إن كان دين محمّد لايستقم إلا بقتلي فياسيوف خذيني.»

لقد إنتفض الإمامعليه‌السلام وسجّل التاريخ ملحمة عاشوراء ليهتز لها العالم. هذه الثورة وبالإضافة إلى أبعادها المهمة ونتائجها المثمرة الّتي خُلدت كملحمة إلى يوم القيامة، إستطاعت أن تُغيِّر مسار التاريخ الإسلامي والإنساني، وأن تُميِّز بين الحق والباطل. بل وإن جميع الصحوات والإنتفاضات والثورات المشروعة في العالم الإسلامي الّتي وقعت بعد حادثة إستشهاد الإمام الحُسَينعليه‌السلام إستلهمت وستستلهم أصالتها فيما بعد من تلك الملحمة الفذّة. إن حادثة عاشوراء العظيمة شكّلت الشعلة الوضّاءة علىٰ قمة التاريخ الإسلامي والدافع ليقظة المسلمين والنموذج المُلهم لجميع الثورات التحررية الأصِيلة.

وعلىٰ حد تعبير المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ الشهيد مطهري[١] إذ يقول:

---

(١) الملحمة الحسينية للأستاذ الشهيد مرتضىٰ مطهري: ج٣، ص ٩٨ـ٩٩، (باللغة الفارسية).

لحادثة كربلاء وجهين، وإن ثورة الحُسَين عبّرت عن شيئين بجلاء وجسّدت بوضوح صورتين عن الحق والباطل. لقد حكَّ الحُسَينعليه‌السلام علىٰ وجه التاريخ البشري مسكوكة، في طرفها الأول، صورة الحق والعظمة والإيثار والإلتزام والعدالة والتوحيد والشرف والكرامة الإنسانية، وفي طرفها الثاني، صورة الباطل والكفر والشرك والجريمة والوحشية وحب الدنيا والخيانة والظلم والرذيلة والإنحطاط. وهي حقيقة أقرَّ بها جميع المؤرِّخين المنصفين من الشيعة والسنّة والمسلمين وغير المسلمين.

إن أحد أبعاد ثورة الحُسَينعليه‌السلام يكمن في أنها عرّفت البشرية بحقانية الإسلام المحمدي الأصيل وحقيقة الإيمان. والبعد الثاني في أنها فضحت الإسلام الأرستقراطي الباطل والخاوي. هذا الباطل الذي طرح نفسه علىٰ أنه الحق تحت عنوان «خلافة ونيابة النبي والإسلام».

إن الإمام الحُسَينعليه‌السلام إستطاع ومن خلال ثورته العظيمة إنقاذ الإسلام والمسلمين من «خدعة التاريخ الكبرىٰ» هذه. وكذلك فصل الحق عن الباطل بشكل جعل فيه طريق التاريخ الإسلامي أكثر ضياءً إلى يوم القيامة.

لقد كشف الإمام الحُسَينعليه‌السلام بوضوح عن خط الشرك الباطل الذي وقف بوجه النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله منذ ظهور الإسلام في مكّة والمدينة وفي بدر وأُحد والأحزاب. والذي تبلور آنذاك بشكل جلي في شخصية «أبوسفيان»، فيما برز لاحقاً بشكل أكثر خطورة ووحشية وخيفة في سيماء أبنائه «بنيأُميّة» بعد رحيل الرسول الأكرم صلى‌الله‌عليه‌وآله، ليُشكل معاوية ويزيد وباقي جناة آل أُميّة ومروان أبرز زعماء وقيادات هذا الخط المنحرف.

لقد أماط الإمام الحُسَينعليه‌السلام بإيثاره الفريد اللثام عن الوجه الحقيقي لبني أُميّة

وأذيالهم، وفضح أتباع هذا الخط المنحرف بعد النبي ﷺ. في مقابل إحياء الإسلام الأصيل الذي يمثل حقيقة التشيع بروح متجددة وفاعلة.

قال العلّامة الكبير السيّد محسن الأمين العاملي: «ولما قُتل الحُسَين عليه السلام إستعظم أكثر المسلمين ذلك وحتىٰ بعض الأمويين وتَنَبَّهوا لفضل أهل البيت عليهم السلام وما أصابهم من الظلم وعَلِموا بتقصيرهم في نصرهم، وإنحرف كثير عن بني أُميّة ومالوا إلى بني هاشم وخاصة إلى العلويين وكثرت شيعتهم. وكانت وقعة «الحَرَّة» ووقعة «التوّابين» ووقعة «نهر الخازَر» وغيرهما، مما أوجب إنحراف النّاس عن بني أُميّة، مضافاً إلى ما تأسس في نفوسهم من أفعال بسر بن أرطأة وغيره أيام معاوية. وكثر عدد الشيعة في التابعين وتابعي التابعين كثرة مفرطة فقد سمعت قول إبن أبي الحديد أن القائلين بتفضيل علي علىٰ النّاس كافة من التابعين خلق كثير.»[1]

وقال الدكتور بيضون: «كان ذلك المصرع البطولي الذي سجَّله الحُسَين ورفاقه، والذي هزَّ ضمائر النّاس ولازال... وابتدأ تاريخاً جديداً في حركة النضال الشيعي سيستمر لآماد طويلة يكتب بالتضحيات ويسطر بالفداء».[2]

بذرة الإنتفاضات والثورات

شكّلت ثورة الحُسَين عليه السلام وحادثة كربلاء الدموية وملحمة الطف البنيان والجذور لكل الثورات المطالبة بالحق في مواجهة الحكومات الجائرة الغاصبة، الأموية منها والعباسية وغيرهم من باقي جُناة التاريخ الإسلامي. فإنتفاضة «التوّابين» وثورة المختار وحركة إبن الزبير وثورة زيد بن علي وإنتفاضة يحيىٰ بن زيد وثورة بني الحسن وإنتفاضة الفخ وجميع الحركات والثورات الأخرىٰ كان

---

(١) أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين: ج١، ص٢٥.

(٢) التوابون للدكتور إبراهيم بيضون: ص٧٨.

مصدرها من إسم الحُسَين عليه السلام وتحت شعار الثأر لدماء شهداء أهل البيت عليهم السلام في مواجهة بني أُميّة وباقي خلفاء الجور.

يكتب أحد مفكري الشيعة الكبار في هذا المجال فيقول: «كان لسقوط الحُسَين بهذه الصورة المأساوية نتائج خطيرة في تاريخ العراق والدولة الأموية عامة. فقد عاش الشيعي عقدة الذنب مثقلاً بمرارة الموقف الإنهزامي الذي وقف إزاء كربلاء. وتحرَّج النظام الأموي الذي لم يُقدِر فظاعة المأساة، وكان عليه أن يُجابه نتائجها السريعة والمستقبلية الّتي أخذت تنعكس منذ ذلك الحين علىٰ بنية هـذا النـظام. وليس ثمّة شك أن يزيد كان المسؤول الأول عن مجزرة كربلاء، وكان مسوقاً إلى إرتكابها بدافع من قُصر النظر وعدم صحة الرؤية. فقد أثبت فشله الذريع في تبوء مركز خطير كالخلافة. ذلك المركز الذي بذل في سبيله معاوية كل إمكانياته وصرفَ كل جهوده من أجل الحفاظ عليه. هاهو يزيد يكاد يقضي بتصرف أرعن علىٰ كل إنجازات أبيه برغم توصيات هذا الأخير له بعدم الصِدام مع الحُسَين.

والواقع أن الدولة الأموية، لم تلبث أن أخذت تجني ثمرة كربلاء بصورة غيرمتوقعة وبدت عاجزة عن صد تيار الثورة الذي عمَّ مختلف مناطق الدولة.»[1]

قال صاحب الفخري عن حادثة كربلاء: «كانت حادثة فجيعة وكبيرة لا أريد الدخول في تفاصيلها، لم يشهد الإسلام مصيبة أفجع من هـذا. فـإستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام كانت مصيبة كبرىٰ. ولكن في هذه الواقعة كان هناك قتل وأسر وقطع أعضاء القتلىٰ وأشياء ترعد لها فرائص الإنسان».[2]

يقول المؤرخ الكبير السيّد أمير علي: إن مذبحة كربلاء كانت سبباً للخوف

(١) التوابون للدكتور إبراهيم بيضون: ص٧٩ - ٨٠.

(٢) تاريخ الفخري: ص١٠٦ نقلاً عن تاريخ الإسلام: ج١، ص٤٠٠ وترجمته: ج١، ص٣٥١.

والرعب في كل أرجاء بلاد الإسلام وقد أثارت الإيرانيين.[١]

يقول الأستاذ حسن إبراهيم مؤلف كتاب تاريخ الإسلام: كان لمقتل الحُسَين عليه السلام تأثيراً مهماً في إثارة الشيعة وتوحيدهم. إذ كانوا قَبلِه متفرقين، حيث كان التشيّع نظرية سياسية لم تنفذ في قلوب أتباعها وعندما قتل الحُسَين عليه السلام مُزِجَ التشيّع بالدم ونفذَ إلى أعماق قلوب الشيعة ورسَّخَ عقيدتهم.[٢]

في الحقيقة يمكن القول بأن تبلور الشيعة وظهور مذهب التشيّع كمذهب أصيل ونابع من أساس الإسلام، جاء بعد ثورة الحُسَين عليه السلام. فإلى قبل ذلك لم يكن التشيّع يُمثل أيديولوجية وتنظيمات مهمة أمام الطغمة الحاكمة آنذاك. إلا أنه وبعد ثورة الإمام الحُسَين عليه السلام الدموية تميّز الحق عن الباطل وتبيّنت الخطوط والتكتلات بشكل واضح وجلي ولم يبق لدىٰ المسلمين أدنىٰ شك بأن الحق يكمن في هذا المذهب وهذه العقيدة وفي الولاء لأهل البيت عليهم السلام والعترة الطاهرة الّتي مثّلت في الحقيقة الإمتداد الحقيقي للإسلام بعد «كتاب اللّه» والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله المؤسس لهذا الدين. وبعد حادثة عاشوراء العظيمة والأليمة تبلور الأمر لدىٰ النّاس وتيقّنوا بأن الإسلام الحقيقي والمرّوج لتعاليم النبي صلى الله عليه وآله هم أهل بيته الأبرار. وإن أئمة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله هم الأجدر في خلافة وزعامة المسلمين. وعند ذاك بدأت الثورات الشيعية السياسية تأخذ طابع المذهب والتنظيمات الثورية المتجذّرة في أوساط المسلمين.

قال الخربوطلي: «كان مصرع الحُسَين بن علي في كربلاء هو الحدث التاريخي الكبير الذي أدىٰ إلى بلورة جماعة الشيعة وظهورها كفرقة متميزة ذات مبادئ سياسية وصبغة دينية. في الحقيقة لايمكن تفسير دعوة شيعة الكوفة للحسين عليه السلام

١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم: ج١، ص٣٩٩.

ثمّ خذلانهم له إلا بضعف العقيدة في نفوسهم في ذلك الوقت».[١]

«يقول المؤرخ الإنجليزي «برس سايكس»: «إن الإمام الحُسَين وعصبته المؤمنة القليلة عزموا علىٰ الكفاح حتىٰ الموت، وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلّت تنال إعجابنا وإكبارنا عبر القرون حتىٰ يومنا هذا».[٢]

ويقول العقّاد: «وكان مع الحُسَين نخبة من فرسان العرب كلهم لهم شهرة بالشجاعة والبأس ، وسداد الرمي بالسهم، ومضاء الضرب بالسيف، ولن تكون صحبة الحُسَين غير ذلك بداهة وتقديراً، لايتوقفان علىٰ الشهرة الذائعة والوصف المتواتر لأن مزاملة الحُسَين في تلك الرحلة هي وحدها آية علىٰ الشجاعة في ملاقاة الموت».[٣]

ويقول أحد علماء مصر: إن الجيش الذي تولىٰ محاربة الحُسَين وقتله لهو أقسىٰ قلوب العالم. وليس فيه آثار الرحمة والإنسانية بل هم جمادات متحركة شريرة سجّلوا لأنفسهم في التاريخ أكبر العار، وأسوء الأعمال، وأفظع الأفعال عامَلهم اللّه بجرائمهم أشد العقاب.[٤]

ويقول الشيخ عبد الوهاب النجّار من علماء الأزهر في مصر تنديداً بقتلة الحُسَين عليه السلام: «لعنَ اللّه الفسق والفسّاق لقد سَودوا صحائف التاريخ وسجّلوا علىٰ أنفسهم الجرائم الكبرىٰ الّتي لاتغتفر ولاتنسىٰ مدىٰ الدهر فإنا للّه وإنا إليه راجعون، ولاحول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم».[٥]

ويقول العلّامة باقر شريف القرشي: «ولم تُشاهد أمة من الأمم محنة أوجع ولا

---

(١) تاريخ العراق للخربوطلي: ص١٢٣.

(٢) من أخلاق الإمام الحُسَين(ع) لعبدالعظيم المهتدي البحراني: ص٢٦٧ - ٢٦٨.

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

أفجع من كارثة كربلاء، فلم تبق رزية من رزايا الدهر، ولا فاجعة من فواجع الدنيا إلا جرت علىٰ سبط رسول اللّه وريحانته... وقد ألهبت رزاياه العواطف حزناً وأسىٰ وأثارت اللوعة حتىٰ عند أقل النّاس إحساساً وأقساهم قلباً...»[1] وقد وصفها الإمام الرضاعليه السلام: «إنَّ يوم الحُسَين أقرحَ جفوننا وأذلَ عزيزنا...».[2]

نعم. أليس ذلك من قوة الأخلاق العظيمة وأثرها البنّاء الذي علّمه الحُسَينعليه السلام أصحابه؟

رأي المستشرقين

يقول البروفسور «براون»: لم يكن للشيعة أو الموالين لعلي الحماس والإيثار الكافي، إلا أنه وبعد حادثة كربلاء تغيَّر الأمر وأصبح ذِكر أرض كربلاء الملطّخة بدم حفيد الرسول صلى الله عليه وآله وإستذكار عطشه وأشلاء أهله وأصحابه حوله كافياً لتجييش عواطف أضعف النّاس وأحزان القلوب إلى حد عدم الإعتناء بالمشقّة والمخاطرة المؤدية للموت».[3]

ويقول الأستاذ «نيكلسون»: «لقد أصبحت حادثة كربلاء من دواعي الندم لدىٰ بني أُميّة لأنها تسببت في وحدة الشيعة ودعوتهم إلى الثأر لدم الحُسَينعليه السلام والسعي لإسماع صوتهم إلى جميع أنحاء المعمورة لاسيما إلى العراق وأهل فارس الساعين إلى التخلص من سيطرة العرب».[4]

«تجدر الإشارة إلى أن سياسة الفصل العنصري والممارسات الظالمة الّتي إتُبعت

---

(١) من أخلاق الإمام الحُسَين(ع) لعبدالعظيم المهتدي البحراني: ص٢٦٧ - ٢٦٨.

(٢) نفس المصدر .

(٣) تاريخ سياسي إسلام: ترجمة باينده: ج١، ص٣٥٢. تاريخ الإسلام السياسي لحسن ابراهيم: ج١، ص٤٠٠.

(٤) نفس المصدر .

من جانب بني أُميّة ضد المسلمين من غير العرب، كانت قد أدت إلى غضب المسلمين لاسيما أهل فارس الّذين عُرِفوا بالثقافة العريقة والحضارة القديمة وممن تلقوا الإسلام برحابة صدر وذلك لعدله ومساواته والّذين لم يألوا جهداً في الدفاع عنه بكل غالٍ ونفيس. إلا أنهم شعروا بأن سياسة التميز الّتي إتُبعت بين العرب وغير العرب منذ تولي الخليفة الثاني لزمام الأمور، والّتي شكّلت مقدمة لوصول هذا النهج إلى ذروته في زمن حكم الأمويين، كانت لها الأثر المهم في دفعهم نحو الإتحاد والإعتراض علىٰ الأمويين ليس لإحساسهم بالأفضلية العرقية بل لمطالبتهم بالعدالة الإسلامية».[١]

عاشوراء بداية حركة الشيعة

لقد تجلّىٰ عمق الجرائم الّتي إرتكبها أعداء الإسلام في حادثة كربلاء، وهي الّتي شكّلت البداية لصحوة أُمة الإسلام والشيعة منهم خاصة. وكان لإستشهاد الحُسَين عليه السلام وأصحابه وإراقة دمائهم المقدَّسة في كربلاء ظلماً، كالماء الذي جرىٰ في عروق الأجسام اليابسة واليائسة، والذي شكّل الأساس والروح للثورات والإنتفاضات اللاحقة. ومنذ ذلك الحين بدأ الجهاد الشيعي الدموي ضد الطغاة.

يقول «فيليب حتّي»: «وكان لمأساة كربلاء أثرها في نمو روح الشيعة وإزدياد أنصارها حتىٰ يمكن القول: بأن الحركة الشيعية بدأ ظهورها في العاشر من المحرم.»[٢]

نعم، إنَّ فاجعة كربلاء حدثت بأمر من يزيد بن معاوية وبزعامة إبن زياد وقيادة عمر بن سعد والآخرين من قادة النفاق في الكوفة وأشراف الشام وذلك في

(١) تاريخ سياسي إسلام: ترجمة باينده، ج١، ص٣٥٢. تاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم: ج١، ص٤٠٠.
(٢) تاريخ العرب لفليب حتي: ج٢، ص٢٥٣.

العاشر من محرم سنة (٦١) هجرية. ولم تكن هذه الجريمة الكبرىٰ الوحيدة الّتي إرتكبها يزيد خلال مدة حكمه الّتي إستمرت ثلاث سنوات وأشهر. لقد جسَّدت هذه الجرائم في الواقع السعي الحثيث ليزيد في الإنتقام من الإسلام وثورة النبي ﷺ فكان أهل بيت النبوّة عليهم السلام علىٰ رأس قائمة ضحايا جرائم الحكم الأموي المتخلف.

وللتعرف أكثر علىٰ ثورات وإنتفاضات الشيعة وخاصةً ثورة المختار لابد من تسليط الضوء علىٰ شخصية وسلوك يزيد للإطلاع ولو بشكل مختصر علىٰ جرائم هذا الكائن القذر. ومن خلال هذا سوف يتضح وبشكل جلي العوامل الّتي أدّت إلى نضوج الشيعة وتبلورهم، وإيقاظ النّاس وصحوتهم وإلتحاقهم بثورة المختار.

صورة عن ملامح يزيد[١]

كان ضخماً كثير الشعر[٢] شديد الأدمة[٣] بوجهه أثر جدري[٤]. أُمه[٥]: ميسون

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب إبن أُميّة بن عبد شمس أبو خالد الأموي. بويع له بالخلافة بعد أبيه بعهد، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٦٥، ص٣٩٤.

(٢) وجعودة شعر يزيد رغم بياض والده وزرقة والدته، تفتح الباب لإحتمال صدق شهادة النسّابة الكلبي القريب من عصره، بأن أمه كان لها علاقة مع عبد أبيها، وأن يزيداً منه ! قال إبن راشد في إلزام الناصب، ص١٦٩: رووا أن أمه بنت بجدل الكلبية أمكنت عبد أبيها من نفسها فحملت بيزيد، وإلى هذا المعنىٰ أشار النسابة الكلبي يقول:

فقد قَتَل الدعي وعبد كلب بأرض الطف أولادَ النبي

أراد بالدعي عُبيد اللّه بن زياد. ومراده بعبد كلب: يزيد بن معاوية لأنه من عبد بجدل الكلبي. جواهر التاريخ للشيخ علي الكوراني العاملي: ج٣، ص٤٠٢.

(٣) وقال الذهبي الأموي في سيَّر أعلام النبلاء: ج٤، ص٣٥: «كان ضخماً كثير الشعر شديد الأدمة بوجهه أثر جدري فقال النّاس: هذا الأعرابي الذي ولىٰ أمر الأمة».

(٤) في تاريخ الخلفاء، ص١٦١: «كان ضخماً كثير اللحم كثير الشعر».

(٥) قال مؤلف كتاب إلزام النواصب وغيره: إن ميسون بنت بجدل الكلبية أمكنت عبد أبيها عن نفسها، فحملت يزيد لعنه اللّه، وإلى هذا أشار النسّابة الكلبي بقوله: فإن يكن الزمان أتىٰ علينا ـ بقتل الترك والموت ←

بنت بجدل الكلبية[١] وحَكَمَ ثلاث سنوات وثمانية أشهر. وهلكَ سنة (٦٤)هجرية.[٢]

قال المسعودي: «وكانَ يزيد صاحبُ طرب وجوارحَ وكلاب وقُرود وفُهود ومنادمةٍ علىٰ الشراب، وجلس ذات يوم علىٰ شرابه وعن يمينه إبن زياد وذلك بعد قتل الحُسَين.»[٣] ورویٰ إبن كثير: «... أنَّ يزيد كان قد إشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصيد وإتخاذ الغلمان والقيان والكلاب والنطاح بين الكباش والدِباب والقرود، وما من يوم إلا يصبح فيه مخموراً، وكان يشد القرد علىٰ فرس مسرجة بحبال ويسوق به، ويُلبس القرد قلانس الذهب ، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه. وقيل: إنَّ سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقزها فعضته»[٤].

← الوحيي فقد قتل الدعي وعبد كلب ـ بأرض الطف أولاد النبي. أراد بالدعي عُبيد اللّه بن زياد لعنه اللّه فإن أباه زياد إبن سمية كانت أمه سمية مشهورة بالزنا، وولد علىٰ فراش أبي عبيد عبد بني علاج من ثَقيف فادّعى معاوية أن أبا سفيان زنى بأم زياد فأولدها زياداً، وأنه أخوه، فصار إسمه الدعي وكانت عائشة تسميه زياد بن أبيه لأنه ليس له أب معروف، ومراده بعبد كلب: يزيد بن معاوية، لأنه من عبد بجدل الكلبي. بحار الأنوار للعلاّمة المجلسي: ج ٤٤، ص٣٠٩.

(١) زوج معاوية بن أبي سفيان أُم يزيد؛ بقيَت عنده مدة مديدة فسئمته وحنّت إلى وطنها فأنشأت تقول:

لبيت تخرق الأرواح فيه ... أحب إليَّ من قصر منيف
وكلب ينبح الطراق عني ... أحب إليَّ من قط ألوف
وبكر يتبع الأظعان صعب ... أحب إليَّ من بغل زفوف
ولبس عباءة وتقرَّ عيني ... أحب إليَّ من لبس الشفوف
وخرق من بني عمي نحيف ... أحب إليَّ من علج عليف
وأصوات الرياح بكل فج ... أحب إليَّ من نقر الدفوف
خشونة عيشتي في البدو أشهىٰ ... الىٰ نفسي من العيش الطريف
فما أبغي سوىٰ وطني بديلا ... فحسبي ذاك من وطن شريف

فقال معاوية جَعلتني علجاً! وطلّقها وألحقها بأهلها. تاريخ مدينة دمشق: ج ٧٠، ص١٣٣ – ١٣٤.

(٢) الكامل لابن الأثير: ج ٤، ص١٢٥ والبداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص١٤٦ وص٢٢٧.

(٣) مروج الذهب: ج٣، ص٧٧، طبعة بيروت.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٢٥٨.

وقال العقّاد: «وكان أعوان يزيد جلّادين وكلاب طرادٍ في صيدٍ كبير.»[١]

وقال الشهيد الأستاذ مطهري: «... أصحاب يزيد وأعوانه قوم مُسخت فطرتهم البشرية كاملة.»[٢]

إشاعة الفساد والفحشاء في زمن يزيد

وقال المسعودي: «وغَلَبَ علىٰ أصحاب يزيد وعُمّاله ما كان يفعله من الفسوق وفي أيامه ظهر الغناء بمكّة والمدينة واستُعمِلت الملاهي وأظهرَ النّاس شرب الشراب، وقال: وسيرُته سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه في رعيته وأنصف منه لخاصته وعامته».[٣]

وأضاف المسعودي: وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة شراب، وجلس ذات يوم علىٰ شرابه وعن يمينه إبن زياد وذلك بعد قتل الحُسَينعليه السلام فأقبل علىٰ ساقيه فقال:

إسقني شربةً تُروي مُشاشي ثُمَّ ملْ، فاسقاً مثلها، إبن زياد

صاحبُ السِّرِ والأمانَةِ عندي ولتسديدِ مَغنمي و جَهادي

ثمّ أمر المغنين فغنوا.[٤]

قرد يزيد الخاص

قال المسعودي: «كان له قرد يُكنىٰ بأبي قيس يُحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ، وكان قرداً خبيثاً وكان يحمله علىٰ أتان وحشية قد رُيضت وذُللت لذلك

(١) أبو الشهداء للعقاد: ص ٨٨.

(٢) الملحمة الحُسينية، لآية الله الشهيد مرتضى مطهري: ج٣، ص١٤٧.

(٣) الكنىٰ والألقاب للشيخ عبَّاس القُمّي: ج١، ص٩١.

(٤) نفس المصدر: ج١، ص٩١.

بسرج ولجام، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء في بعض الأيام سابقاً فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل ! وعلىٰ أبي قيس قباءٌ من الحرير الأحمر والأصفر مُشمَّر، وعلىٰ رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق، وعلىٰ الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش مُلمّع بأنواع من الألوان ! فقال في ذلك بعض شعراء الشام في ذلك اليوم:

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت ضمان

ألا من رأىٰ القرد الذي سبقت به جياد أمير المؤمنين أتان[١]

تُرى كيف وصل حال حكّام الإسلام والمسلمين إلى هذه الحالة المزرية ولم يمض نصف قرن علىٰ حكومة النبي ﷺ في حين كان المسلمون في أرجاء البلاد الإسلامية حينها ينامون جياعاً ولم تكن عليهم ملابس مناسبة ويلبس قرد «أمير المؤمنين يزيد» بهذا الشكل الأميري ويعيش حياة الترَف الملوكي. هذا جانب من نفسية وصفات يزيد النتنة.

فلم يكن في زمن يزيد أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر، إذ كان الفساد علنياً وكان «أمير المؤمنين يزيد» مروِّجاً ومتظاهراً بالفحشاء والفساد ويسعىٰ لطمس معالم الإسلام المحمدي ﷺ الأصيل؛ في هذه الحقبة ظهر الإمام الحُسَين مُصلحاً وأُسوة حسنة وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وحافظاً للمقدسات الإسلامية ودين جده ﷺ المقدّس. وقد دخل معترك الكفاح وشمَّر عن ساعديه وبذل المال والنفس والأحبة دفاعاً عن كيان الإسلام، ومنحَ الإسلام الحقيقي روحاً وحياة جديدة.»[٢]

---

(١) مروج الذهب: ج٣، ص٦٧.

(٢) للإطلاع علىٰ فلسفة ثورة الحُسَين أكثر يمكن مراجعة الكتاب القيّم (حماسه حسيني) باللغة الفارسية، في ثلاثة أجزاء بقلم العلّامة الشهيد مرتضىٰ مطهري شهيد الثورة الإسلامية الإيرانية.

الباب الثاني
تمـرُّد في الحـجاز

يظن البعض أن جرائم يزيد تتلخص في واقعة كربلاء، في حـين نـرىٰ خـلال طوال الحكم المشؤوم لهذا الكائن المفترس والذي إستمر لثلاث سنوات حدوث جرائم كبرىٰ يخجل التاريخ من ذكرها. فبالرغم من أن فاجعة كربلاء وقتل أفضل أبناء رسول اللّه ﷺ والأحداث الّتي تلتها هي أكبر من جميع جرائمه الأخرىٰ، إلا أنه لم يكتف بذلك بل ذهب لإستباحة مدينة النبي ﷺ وقتلَ أهلها بسبب مطالبتهم للحق والوعي المتنامي لديهم وعدم الرضوخ لبيعته.

وفي السنة التالية، قام بمحاصرة مكّـة وإشـعال النـيران في الكـعبة المـشرَّفة، (وسوف نأتي علىٰ ذكر ذلك لاحقاً). لقد تمرَّدت أرض الحجاز بأكـملها وتحـرَّك مركز ثقل الإسلام (مكَّة والمدينة) بعد إستشهاد الإمام الحُسَينعليه السلام مظلوماً ووقف أهلها رافعي الهامة أمام الطغاة الأمويين.

الإبادة الجماعية في المدينة أو «واقعة الحرّة»

تناقلت جميع كتب التواريخ المعتبرة هـذه الجـرائم والمجـازر مـثل: الطـبري[1]

(١) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٤٨٢.

واليعقوبي[١] وإبن الأثير[٢] والمسعودي[٣] نذكر منها وبشكل مختصر: وإمتد ظلم وجور وفسق يزيد إلى كل مكان ونهض النّاس. وكان في المدينة مركز الوحي وعاصمة الرسول ﷺ عدد كبير من المهاجرين والأنصار وكانوا يبدون حساسية بالغة من أفعال وجرائم يزيد خاصة بعد مقتل إبن بنت النبي ﷺ الحُسَين عليه السلام وأصحابه. حيث أضحىٰ الفسق والفجور وشرب الخمر علانية وأصبحت سيرته سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه في رعيته وأنصف منه لخاصته وعامته.

وجاءت ثورة النّاس نتيجة لعوامل عدة، أهمها فاجعة كربلاء وفساد الحكومة الأموية ومحاصرة المدينة سياسياً منذ زمن معاوية والعمال السوء الّذين نصبهم معاوية على المدينة، والّتي أدَّت بمجموعها إلى إشعال فتيل غضب النّاس وإعتراضهم علىٰ سوء المعاملة والحكم في الحجاز. فباتوا ينتظرون الفرصة المؤاتية لتنفيذ أهدافهم العملية. ومن هنا، فإن واقعة كربلاء غيّرت مجرىٰ الأحداث ودفعت النّاس إلى التحرك ضد الطغمة الفاسدة الحاكمة. فثار النّاس وطردوا والي يزيد وإسمه عثمان بن محمّد بن أبي سفيان من المدينة فتولّىٰ بعض كبار المهاجرين والأنصار والتابعين زمام الأمور وشكّلوا حُكماً ذاتياً للمدينة. ولم تقبل المدينة المهادنة ولم يكن لها خياراً سوىٰ الثورة علىٰ الحكم الأموي. وبتشكيل إجتماع موسّع لهم في مسجد المدينة، خرجوا عملياً عن طاعة يزيد وخلعوه من الخلافة.[٤]

ومن أبرز الوجوه في هذه الحركة المطالِبة بالحق كان «عبد اللّه إبن حنظلة غسيل الملائكة».[٥] حيث بايعه النّاس بصورة مؤقتة حتىٰ يتبيَّن لهم الأمر. فطردوا

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٥١.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير.

(٣) مروج الذهب: ج٣، ص٧٨.

(٤) مقتبس من مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص٧٩، والبداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٢١٦.

(٥) عبداللّه إبن حنظلة بن الراهب، أبي عامر وإسم أبي عامر عبد عمرو بن صيفي إبن زيد بن أُميّة إبن

سكّان القصور من بني أُميّة المجتمعين في بيت كبيرهم مروان إبن الحكم إلى خارج المدينة. وبذلك خرجت عاصمة الإسلام الأولىٰ من نفوذ بني أُميّة. وبمجرد وصول النبأ إلى يزيد أرسل إليهم أخطر وأحقر أصحابه وهو «مسلم إبن عقبة» علىٰ رأس جيشٍ جرّار قوامه خمسة آلاف رجل(١) لِقمع أهل المدينة. ووصل مع قوّاتـه إلى الحرَّة وخيَّموا هناك. فخرج إليهم أهل المدينة بقيادة «عبد اللّه إبن حنظلة» و«عبد اللّه بن مطيع» للدفاع عن مدينة رسول اللّه ﷺ وقدسيّتها، إلا أنَّ أهـل المـدينة العُزّل إنكسروا أمام جيش يزيد الهمجي الوحشي، فدَخلَ مسلِم المدينة وأباحها ثلاثاً...

قال المسعودي: وكانت وقعة عظيمة قُتِل فيها خلق كثير من النّاس وبني هاشم وسائر قريش والأنصار.(٢)

قال الطبري: وأباح مسلم المدينة ثلاثاً، يقتلون النّاس ويأخذون الأموال.(٣)

قال اليعقوبي: فلم يبق فيها أحد إلا قُتِلْ، وأباح حُرم رسول اللّه حتىٰ ولدت الأبكار لايُعرف من أولدهن.(٤)

قال إبن كثير: قُتِل «يوم الحرَّة» سبعمائة رجل من حَمَلَة القرآن، وكان قُتِل بَشر

← ضبيعة إبن زيد الأنصاري غسيل الملائكة ولَّته الأوس أمرها يوم الحرَّة وقُتِل في ذلك اليوم وكنيته أبو عبد الرحمن وأبو عامر وكان يُسمى الراهب. قُتل يوم الحرَّة سنة ثلاث وستين وأُمه جميلة بنت عبد اللّه بن أُبي بن سلول قبض النبي(ص) وهو إبن سبع سنين. الثقات: ج٣، ص٢٢٦.

(١) من فلسطين ألف رجل عليهم روح إبن زنباع الجذامي، ومن الأردن ألف رجل عليهم حبيش إبن دلجة القيني، ومن دمشق ألف رجل عليهم عبد اللّه بن مسعدة الفزاري، ومن أهل حمص ألف رجل عليهم الحصين إبن نمير السكوني، ومن قنسرين ألف رجل عليهم زفر بن الحارث الكلابي. وكان المُدبِّر لأمر أهل المدينة والرئيس في محاربة أهل الشام عبداللّه إبن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري. تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٥١.

(٢) مروج الذهب: ج٣، ص٧٩، البداية والنهاية: ج٨، ص٢١٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج٧، ص١١، وإبن الأثير: ج٣، ص٤٧، وإبن كثير: ج٨، ص ٢٢٠.

(٤) أنظر تاريخ اليعقوبي: ج٦، ص٢٥١.

كثير حتىٰ كاد لايفلت أحد من أهلها.[١]

وروي عن هشام، قال: وَلَدت ألف إمرأة من أهل المدينة بعد «وقعة الحَرَّة» من غير زوج.[٢]

وروي عن الزهري أنّه قال: كان القتلىٰ سبعمائة من وجوه المهاجرين والأنصار ووجوه الموالي، وممن لا أعرف من حُر أو عبد وغيرهم عشرة آلاف.[٣]

وقال السيوطي: وكانت وقعة الحَرَّة بباب طيبة قُتِل فيها خلق كثير من الصحابة ونُهبت المدينة، وإفتض فيها ألف بِكر.[٤]

قال الدينوري والذهبي: قال رأيت أبا سعيد الخدري ولحيته بيضاء، وقد خفَّ جانباها، وبقي وسطها فقلت: يا أبا سعيد ما للحيتك؟

فقال: هذا فعِل ظَلَمة أهل الشام «يوم الحَرَّة»، دخلوا علىٰ بيتي فانتهبوا ما فيه حتىٰ أخذوا قدَحي الذي كنت أشرب فيه الماء، ثمّ خرجوا ودَخلَ عليَّ بعدهم عشرة نفر وأنا قائم أُصلي، فطلبوا البيت فلم يجدوا فيه شيئاً، فأسفوا لذلك، فاحتملوني من مصلّاي، وضربوا بي الأرض، وأقبل كل رجل منهم علىٰ ما يليه من لحيتي فنتفه، فما ترىٰ منها خفيفاً فهو موضع النتف وما تراه عافياً فهو ما وقع في التراب فلم يصِلوا إليه، وسأدعها كما ترىٰ حتىٰ أُوافي ربِّي.[٥]

هذه بعض أفعال مسلم إبن عقبة الذي إدَّخره معاوية لذلك اليوم وأوصىٰ إبنه يزيد بأن يُسلِّمه قيادة الجيش!!!

وهذه أفعال «جيش الإسلام» الذي بناه معاوية، فهل يُعقل أن يتصرّف تافه

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٦، ص٢٣٤.

(٢) نفس المصدر، ج ٨، ص ٢٢ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٢٠٩، تاريخ الخميس: ج٢، ص٣٠٢.

(٥) الأخبار الطوال للدينوري: ص٢٦٩، وتاريخ الإسلام للذهبي: ج٢، ص٣٥٧.

مثل مسلم إبن عقبة هذه التصرفات الّتي لم يَعرف بشاعتها التاريخ دون علم ومباركة سيّده ومولاه وصفيّه!!![١]

ولم تكن الكارثة في قتل أهل المدينة فقط، وإنّما كانت الكارثة أيضاً في أنَّ النّاس بايعوا يزيد علىٰ أنَّهم عبيد له.[٢]

روىٰ الطبري أنَّ مسلم إبن عقبة أتىٰ بِقُرشيّان، ومعهم ناس من أهل المدينة، فقال لهم: بايعوا فقال القرشيان: نبايعك علىٰ كتاب اللّه وسنّة نبيه. فقال: لا واللّه لا أقيلكم هذا أبدا، فقدَّمهما فضرب أعناقهما.[٣]

وروي أنَّ إبن عقبة قال لأهل المدينة: أتبايعون ليزيد أمير المؤمنين، ولمن إستخلف بعده علىٰ أنَّ دماءكم، وأموالكم، وأنفسكم، خول له يقضي ما شاء فيها؟ فقال له يزيد بن عبد اللّه إبن زمعة: إنَّما نحن نفر من المسلمين لنا ما لهم وعلينا ما عليهم. فقال مسلم: واللّه لأقتلنك، واللّه لا تشرب البارد أبداً، فأمرَ به فضربت عنقه.[٤]

وهكذا إكتملت الدائرة، بإتخاذ بني أُميّة عُبيد اللّه خولاً، بعد أن إتخذوا دين اللّه دخلاً، ومال اللّه دولاً، ولم يكن هذا بعد وفاة النبي ﷺ بألف عام! بَل أنَّ هذه الأحداث جرت عام (٦٣) للهجرة، ورواها أصحاب التواريخ والتراجم والسِيَر، وأجمعوا علىٰ أن يزيد أباح المدينة ونهب الأموال وهتكَ الأعراض وقتلَ النفس الّتي حرَّم اللّه قتلها إلا بالحق، وبايعه النّاس علىٰ أنَّهم عبيد له![٥]

---

(١) كربلاء، الثورة والمأساة لأحمد حُسين يعقوب: ص٨١ - ٨٣.

(٢) فتح الباري: ج١٣، ص٧٠، مروج الذهب: ج٣، ص٨٥، كتاب المحن: ج١، ص١٥٥، تاريخ الطبري: ج٧، ص١٣.

(٣) البداية والنهاية: ج ٨، ص٢٣٩، الخصائص الكبرىٰ: ج٣، ص٢٤٠.

(٤) كتاب المحن: ج١، ص١٥٩.

(٥) معالم الفتن لسعيد أيوب: ج٢، ص٣١٨ - ٣١٩.

وفي إجمالي أحداث «يوم الحَرَّة» يقول إبن حـزم: قَـتَلَ يـزيد بجـيوشه بـقايا المهاجرين والأنصار «يوم الحَرَّة»، وهي أكبر مـصائب الإسـلام وخـرومه. لأن أفاضل المسلمين وبقيّة الصحابة وخيار المسلمين من جلَّة التابعين؛ قُتِلوا جـهراً؛ ظلماً في الحرب وصبراً. وجالت الخيل في مسجد رسول اللّه ﷺ، وراثت وبالت في الروضة بين القبر والمنبر، ولم تُصَلَّ جماعة في مسجد النبي ﷺ... وأُكرِه النّاس علىٰ أن يبايعوا يزيد بن معاوية علىٰ أنَّهم عبيد له إن شاء باع وإن شاء أعتق، وذكر له بعضهم البيعة علىٰ حكم القرآن وسنّة رسول اللّه ﷺ، فأمرَ بقتله، فَضُرب عـنقه صبراً. وهتكَ مُسرف[1]، أو مجرم الإسلام هتكاً، وأنهب المدينة ثـلاثاً، وإسـتخف بأصحاب رسول اللّه ﷺ، ومُدَّت الأيادي إليهم وانتهبت دُورهم.[2]

وبذلك ثارت المدينة وأعلنت غضبها بسبب قتل إبن بـنت رسـول اللّـه ﷺ وإعتراضها علىٰ السياسات الفاسدة لطغمة بني أُميّة الحاكمة. إلّا أن إطفاء جذوة غضب أهل المدينة لم تعني القضاء علىٰ الثورة والإنتفاضة، بل إنتقلت رايات الثورة إلى مكّة وشهدت تلك المدينة المقدَّسة ثورة أعظم.

إنتفاضة في مكّة

وفي مكّة بلغَ التحرّك بُعداً أشد خطورة، بإعلان عبد اللّه بن الزبير عن حركته ورفضه الإعتراف بخلافة يزيد. وقد جاء توقيت هذه الإنـتفاضة بـعد إسـتشهاد الحُسَين عليه السلام في كربلاء، ليضعها في إطار التحرُّك العام الذي شمل المـنطقة بكـاملها إستنكاراً للمأساة ورد فعل مباشر لها.

وبالرغم مما كان لمقتل الحُسَين من تأثير كبير علىٰ هـذه الانـتفاضة، إلّا أنـنا

---

(١) إشارة إلى إبن عقبة.

(٢) معالم الفتن لسعيد أيوب: ج٢، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

لانستطيع أن نربط حركة إبن الزبير بثورة الحُسَين والثورات الأخرىٰ الّتي كانت إمتداداً لها.

ذلك أنَّ إبن الزبير كان يرىٰ نفسه بمعزل عن الحُسَين عليه السلام وكان يقف حائلاً أمام وصول الإمام الحُسَين عليه السلام إلى الحكم المتعلق به، لاسيّما وأنَّ الإمام الحُسَين عليه السلام كان يحتل مكانة عظيمة بين النّاس، والّتي لم تدع أي مجال للمنافسة.[١]

ونتيجة لذلك كان علىٰ إبن الزبير أن يصبر ويتصرَّف طبقاً للظروف المؤاتية إلى أن يتبلور الموقف وتتوضح الأمور. وهو في ذات الوقت لم يدَّخر جهداً في دفع الحُسَين عليه السلام للإستجابة إلى نداء الكوفيين في الذهاب إلى العراق وإعلان الثورة من هناك علىٰ خلافة يزيد.

علىٰ أننا نخطئ إذا إنزلقنا في تصوّرنا لمدىٰ تأثير الحملة النفسية الّتي قام بها إبن الزبير إزاء منافسه الرئيسي الحُسَين عليه السلام لدفعه علىٰ الخروج، لأنَّ إبن الزبير كان يعمل وفق خطة مرسومة وفي إطار من الحذر[٢] وسلامة الرؤية. وكان يدرك جيداً ما وراء هذا التشجيع[٣] لتحديد موقفه والإسراع في مغادرة الحجاز بقولِه للحسين: «لو كان لي في الكوفة مثل شيعتك ما عدلت عنها»[٤].

---

(١) نقل الطبري: ...قال عبد اللّه بن مطيع للحسين(ع): «... إلزم الحرَم فإنك سيّد العرب لا يعدل بك واللّه أهل الحجاز أحداً ويتداعىٰ إليك النّاس من كل جانب لا تفارق الحرم فداك عمّي وخالي، فو اللّه لئن هلكت لانستقرنَّ بعدك. فأقبل حتىٰ نزل مكّة فأقبل أهلها يختلفون إليه ويأتونه ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق. وإبن الزبير بها قد لزم الكعبة فهو قائم يصلي عندها عامّة النهار ويطوف، ويأتي حسيناً فيمن يأتيه فيأتيه، اليومين المتواليين ويأتيه بين كل يومين مرة ولا يزال يشير عليه بالرأي وهو أثقل خلق اللّه على إبن الزبير قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً مادام الحُسَين بالبلد وأنَّ حسيناً أعظم في أعينهم وأنفسهم منه وأطوع في النّاس» ـ تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٦١.

(٢) تاريخ الطبري: ج٦، ص١٨٩.

(٣) البداية والنهاية لإبن كثير: ج٨، ص١٦٣.

(٤) البداية والنهاية لإبن كثير: ج٨، ص ١٦٠.

فوجوده في هذا الإقليم كان ثقيلاً علىٰ إبن الزبير الذي عَرَف أن أهل الحجاز لايبايعونه ولايتابعونه أبداً مادام الحُسَين بالبلد، وأن حسيناً أعظم في أعيّنهم وأنفسهم منه وأطوع في النّاس منه.[١]

إنَّها حقيقة أدركها الحُسَين بكل أبعادها، ومع ذلك إتخذ الطريق إلى العراق للقيام بمسيرته التاريخية، وهي الثورة علىٰ الظلم ودَكْ صروح الطغيان[٢]، وإقامة مجتمع عادل متحرر من الطبقية والقهر والإستغلال.[٣]

ولمّا خرج الحُسَين عليه السلام من مكّة إلى العراق، ضرب عبد اللّه بن عبَّاس بيده علىٰ منكب إبن الزبير وقال:

يا لك من قبرة بمعمر!	خلا لك الجو فبيضي واصفري!
ونقري ما شئت أن تنقري	هذا الحُسَين سائر فأبشري

خلا الجو واللّه لك يا إبن الزبير ! وسار الحُسَين إلى العراق. فقال إبن الزبير: يا إبن عبَّاس، واللّه ما ترون هذا الأمر إلّا لكم، ولا ترون إلّا أنّكم أحق به من جميع النّاس. فقال إبن عبَّاس: إنّما يرىٰ من كان في شك، ونحن من ذلك علىٰ يقين. ولكن أخبرني عن نفسك بماذا تروم هذا الأمر؟ قال: بِشَرَفي. قال: وبماذا شُرِّفت إن كان لك شَرَف؟ فإنّما هو بِنا، فنحن أشرف منك، لأنَّ شَرَفك مِنّا...[٤]

وذَكر محمّد بن جرير الطبري في تاريخه، أنَّ أوّل ما إبتدأ به الشيعة من أمرهم سنة إحدىٰ وستين وهي السنة الّتي قُتِل فيها الحُسَين، فما زالوا في جمع آلة الحرب

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص١٦٩– ١٩٧.

(٢) جاء في وصية الحُسَين(ع) لأخيه محمّد إبن الحنفيّة: إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدِّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق، فاللّه أولىٰ بالحق، ومن رد عليَّ هذا إصبر حتىٰ يقضي اللّه بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين.

(٣) التوابون للدكتور إبراهيم بيضون: ص٨٢ – ٨٣.

٤) مواقف الشيعة لأحمد الميانجي: ج١، ص١٩٨– ١٩٩.

والإستعداد للقتال، ودعاء الشيعة بعضهم لبعض في السر للطلب بدم الحُسَينعليه‌السلام حتىٰ مات يزيد بن معاوية، وكان بين مقتل الحُسَينعليه‌السلام وهلاك يزيد ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام، وكان أمير العراق عُبيد اللّه، وخليفته بالكوفة عمرو بن حريث المخزومي، وكان عبد اللّه بن الزبير قبل موت يزيد يدعو النّاس إلى طلب ثأر الحُسَين وأصحابه، ويغريهم بيزيد، ويوثبهم عليه، فلمّا مات يزيد، أعرَض عن ذلك القول، وبانَ أنّه يطلب المُلك لنفسه لا للثأر.[١]

الهجوم علىٰ المسجد الحرام

وبعد الإبادة الجماعية الّتي جرت في مدينة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله وإستباحتها ثلاثاً ونهبها وتدميرها، أمَرَ مُسرف[٢] إبن عقبة لعنه اللّه، قوّاته بالتحرّك نحو مكّة لقمع إبن الزبير. ولم يمهله البارئ تعالىٰ إذ مرض في الطريق مرضاً شديداً وأهلكه اللّه به وهو في الطريق إلى مكّة ودفن في القديد.[٣] وتولّىٰ زمام الجيش مجرم سفّاح آخر من الجناة المعروفين والمجرمين المشهورين ومن السفلة الفاسقين ومن الّذين إشتركو في قتل الحُسَينعليه‌السلام ألا وهو «الحصين إبن نمير».[٤]

حاصر الحصين مكّة من جميع الأطراف، وإستقرَ في المراكز الإستراتيجية،

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٥٦.

(٢) غَيّرَ التاريخ إسم هذا الجاني الفاجر من مسلم إلى مسرف لشدة ما أسرف في البغي والقتل والجريمة.

(٣) خَرج مسلم إبن عقبة من المدينة يريد مكّة لمحاربة إبن الزبير، فلمّا صار بثنية المشلل إحتضر، وإستخلف الحصين بن نمير، وقال له: يا بردعة الحمار ! لولا حبيش إبن دلجة القيني لما وليّتك، فإذا قَدِمت مكّة، فلا يكون عملك إلا الوقاف ثمّ الثقاف، ثمّ الإنصراف، ثمّ قال: اللّهم إن عذبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية وقتل أهل الحرة، فإنّي إذاً لشقي. ثمّ خرجت نفسه فدُفِن بثنية المشلل، وجاءت أم ولد يزيد بن عبداللّه إبن زمعة، فنبشته وصلبته علىٰ المشلل، وجاء النّاس فرجموه، وبلغ الخبر الحصين بن نمير فرجع فدفنه، وقتل جماعة من أهل ذلك الموضع، وقيل لم يدع منهم أحداً. تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٥١.

(٤) قتله المختار شر قتلة إنتقاماً وثأراً للحسين(ع).

ونصبَ المنجنيق علىٰ جبل أبي قبيس. ولمّا رأىٰ إبن الزبير نفسه غير قادر علىٰ قتال الحصين إلتجأ إلى الكعبة وتعَلَّق بأستارها وجعلها ملجأه. وحاصر الحصين وجيشه المسجد ونصبو المنجنيق حول الكعبة. وأغلق إبن الزبير أبواب المدينة وتحصَّنَ أتباعه داخلها؛ وإلتحق بالزبير جمع من الهاربين من معركة الحرَّة وبعض من الخوارج النجديين والأزارقة[١] والمختار بن عبيد الثقفي. وكان للمختار مع إبن الزبير عهد مشروط سنشير إليه في هذا الكتاب مفصّلاً.

حَرق الكعبة

وجَّهَ يزيد بن معاوية جيش الخزي والعار من المدينة المنوَّرة إلى الكعبة المشرَّفة فنصبَ المجانيق علىٰ مكّة والمسجد الحرام من الجبال والفجاج دون إلتفاتة إلى حلال أو حرام نابذين قول اللّه: (وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً)[٢] وراءَ ظهورهم. بل المسجد الحرام نفسه لم يعد آمناً فضلاً عمّن دخل فيه أو تعَلَّقَ بأستاره، فأمرَ الحصين بن نمير السكوني جيشه بقصفه فتواردت الأحجار تقذف الكعبة المشرَّفة بلا دين ولا وازع من ضمير.[٣]

ولقد وصف المسعودي تلك الكارثة بقوله: (ورمىٰ ـ أي الحصين ـ مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتّان وغير ذلك من المحرقات وإنهدمت الكعبة وإحترقت البنية ووقعت صاعقة فإحترق من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلاً

---

(١) البداية والنهاية: ج٨، ص٢٣٩.

(٢) القرآن الكريم: سورة آل عمران ـ الآية ٩٧.

(٣) وكان عبداللّه بن عمير الليثي قاضي إبن الزبير، إذا تواقف الفريقان قام علىٰ الكعبة، فنادى بأعلىٰ صوته: يا أهل الشام! هذا حرم اللّه الذي كان مأمناً في الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد، فاتقوا اللّه، يا أهل الشام! فيصيح الشاميّون: الطاعة الطاعة ! الكرّة الكرّة ! الرواح قبل المساء! فلم يزل علىٰ ذلك حتىٰ أُحرقت الكعبة. تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٥١ ـ ٢٥٢.

وقيل أكثر من ذلك، وذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الأول من سنة أربع وستّين؛ قبل موت يزيد بأحد عشر يوماً. وإشتدَّ الأمر بأهل مكّة وإبن الزبير وإتصل الأذىٰ بالأحجار والنار والسيف. ففي ذلك يقول أبو وجزة المديني:

إبــن غـير بـئس مـا تـولّىٰ قد أحرَقَ المـقام والمـصلّىٰ[1]

ونقل السيوطي عن الذهبي قوله:

وإحترقت من شرارة نيرانهم أستار الكعبة وسقفها وقَرنا الكبش الذي فـدىٰ اللّه به إسماعيل وكانا في السقف.[2]

ووصف إبن الأثير كارثة هدم الكعبة بقوله: رموا البـيت بـالمجانيق وحـرقوه بالنار وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خــطارة مـثل الفـنيق المـزبد نرمي بها أعواد هذا المسجد[3]

وقال بعض أهل الشام[4]: إنَّ الحُرمة والطاعة إجتمعتا فغلبت الطاعة.[5]

وقال المسعودي في حرق البيت: نصبَ أهل الشام المجانيق، والعرّادات[6]، علىٰ مكّة والمسجد من الجبال والفجاج... فتواردت أحجار المجانيق، والعرّادات، عـلىٰ البيت ورُمي مع الأحجار، بالنار والنـفط ومشـاقات الكـتّان، وغـير ذلك مـن المحرقات وإنهدمت الكعبة[7] وإحترقت البنية.[8]

لقد بدأ يزيد شق الطريق إلى مكّة الّتي كان إبن الزبير فيها، وفي هذا الحـصار

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص٨١.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٩٥.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص١٢٤.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٥٢.

(٥) دفاع من وحي الشريعة ضمن دائرة السنّة والشيعة للسيّد حُسين الرجا: ص٣٠٩ - ٣١٠.

(٦) العرادات: آلة حربية لدك الحصون.

(٧) مروج الذهب: ج٣، ص٨٦.

(٨) معالم الفتن لسعيد أيوب: ج٢، ص٣٢٣.

إحترقت الكعبة، وإحترق فيها قرنا الكبش، الذي فُدي به إسماعيل إبن إبراهيم. ودام الحصار إلى أن مات يزيد.[١]

عندها تفرَّق جند الشام وإرتبكت الأوضاع وتصالح الحصين مع إبن الزبير، فتسلَّط إبن الزبير علىٰ الحجاز ثانية.

لقد نُقِلت وقائع جرائم يزيد وخاصة إستباحته المدينة ومكّة بعد واقعة عاشوراء بشكل مفصّل في كتب التاريخ المعتبرة، مثل الطبري واليعقوبي وإبن الأثير والمسعودي، فيمكن للمتتبعين مراجعتها. هذه الجرائم وحصراً جريمة فاجعة كربلاء المؤلمة، أدّت إلى إشعال جذوة الصحوة لدىٰ عامّة النّاس وجعلتهم يندفعون نحوالتمرّد والإنتفاضة ضد بني أُميّة وحكمها الجائر، فيما إستطاع المختار من إستغلال هذا الوضع وتجييره لصالح ثورته القادمة علىٰ أفضل مايكون.

وبوصول خبر هلاك يزيد إلى مكّة، توقَّفت العمليات العسكرية فيما دخل الحصين بن نمير مع إبن الزبير في مفاوضات في منطقة «أبطح» خارج مكّة للوصول إلى حل سياسي. وعَرَض الحصين علىٰ إبن الزبير أن يذهب معه إلى الشام ويبايعه علىٰ الخلافة لكنَّ إبن الزبير رفض ذلك وعاد مسرعاً إلى مكّة. إن إمتناع الزبير عن ذلك أفقده فرصة تولّيه الخلافة، إذ كان من الممكن أن يصل إليها بموت يزيد وتوتر الأوضاع في دمشق.

بعد هلاك يزيد

هلك يزيد سنة (٦٤ هجرية) بعد حُكم دموي وجرائم مشينة دامت ثلاث سنوات وتسعة أشهر، بعده حَدَثت فوضىٰ حول من يخلف يزيد. وإلتفَّ النّاس

---

(١) أسد الغابة: ج٣، ص٢٤٣.

حول معاوية بن يزيد بن معاوية ليبايعوه؛ فلم يقبل وخلع نفسه[١] ولمّا خلع نفسه صعد المنبر، فجلس طويلاً ثمّ حَمَد اللّه تعالىٰ وأثنىٰ عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء، ثمّ ذكر النبي ﷺ بأحسن ما يُذكر به. ثمّ قال: أيُّها النّاس، ما أنا بالراغب في الإئتمار عليكم، ما أكرهه منكم وإنّي أعلم أنّكم تكرهونا أيضاً، لأنّا بُـلينا بكـم وبُليتم بنا، ألا أنَّ جدّي معاوية نازع هذا الأمر مَن كان بهذا أولىٰ منه ومِن غيره، لقرابته من رسول اللّـه ﷺ، وعـظيم فـضله وسـابقته، أعـظم المـهاجرين قـدراً، وأشجعهم قلباً، وأكثرهم علماً، وأولهم إيماناً، وأشرفهم منزلة، وأقدمهم صُحبة، إبن عم رسول اللّه ﷺ، وصهره وأخوه، زوّجه رسول اللّه ﷺ إبنته، وجعَله لها بعلاً بإختياره لها، وجعلها له زوجة بإختيارها له، أبو سبطيه سيّدا شباب أهل الجنّة وأفضلا هذه الأُمّة بعد الرسول ﷺ، وإبنا فاطمة البتول عليها السلام، من الشجرة الطـيّبة الطاهرة الزكيّة، فركب جدّي منه ما تعلمون، وركبتم مـنه مـالا تجـهلون، حـتّىٰ إنتظمت لجدّي الأمور. فلمّا جاءَ القدر المحتوم، وإختارته أيدي المنون، بقي مرتهناً بعمله، فريداً في قبره، ووجدَ ما قدَّمت يداه، ورآىٰ ما إرتكبه وإعتداه، ثمّ إنتقلت الخلافة إلى يزيد أبي، فتقلّد أمركم لهواء كان أبوه فيه، لقد كان أبي يزيد بسوء فعله وإسرافه علىٰ نفسه غير خليق بالخلافة علىٰ أُمّة محمّد ﷺ، فَرَكبَ هواه وإستحسن

---

(١) عدّة الداعي لابن فهد الحلي: ص١١٤ ـ قيل: إن السبب الموجب لنزول معاوية بن يزيد بن معاوية عن الخلافة، أنّه سمع جاريتين له تتباحثان وكانت إحديهما بارعة الجمال، فقالت الأخرى لها قد أكسبك جمالك كبر الملوك، فقالت الحسناء: وأي مُلك يضاهي مُلك الحسن؟ وهو قاض على الملوك فهو الملك حقاً، فقالت لها الأخرىٰ: وأي خير في الملك؟ وصاحبه إمّا قائم بحقوقه، وعامل بشكر فيه فذاك مسلوب اللذة والقرار منغص العيش، وإمّا منقاد لشهواته ومؤثر للذاته مضيّع للحقوق، ومضرِب عن الشكر فمصيره إلى النـار، فوقعت الكلمة في نفس معاوية موقعاً مؤثراً، وحملته للإنخلاع من الأمر فقال له أهله: أعهد إلى أحد يقوم بها مكانك فقال: كيف أتجرَّع مرارة فقدّها؟ وأتقلّد تبعة عهدها، ولو كنت مؤثراً بها أحداً لآثرت بها نفسي، ثمّ إنصرف وأغلق بابه ولم يأذن لأحد، فلبث بعد ذلك خمس وعشرين ليلة ثمّ قبض، وروي أن أمه قالت له عندما سمعت منه ذلك: ليتك كنت حيضة فقال: ليتني كنت كما تقولين، ولا أعلم أنَّ للناس جنّة ونار.

خطأه، وأقدَم علىٰ ما أقدم من جرأته علىٰ اللّه تعالىٰ، وبغيهِ علىٰ من إستحلَ حرمته من أولاد رسول اللّه ﷺ، فقلّت مُدّته، وإنقطع أثره، وضاجع عمله، وصارَ حليف حفرته، رهين خطيئته، وبَقِيَت أوزاره وتبعاته، وحصل علىٰ ما قَدَّم ونَدِمَ حيث لا ينفعه الندم، وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه، فليت شعري ماذا قال وما قيل له، فهل عوقِبَ بإساءته، وجوزيَ بعمله، وذلك ظني. ثمّ إختنقته العَبرة، فبكىٰ طويلاً وعلا نحيبه، ثمّ قال: وصرت أنا ثالث القوم، والساخط عليَّ أكثر من الراضي، وما كنت لأتحمَّلَ آثامكم، ولا أراني اللّه تعالىٰ جلَّت قدرته متقلداً أوزاركم، وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم أمركم، فخذوه ومَن رضيتم به عليكم فولّوه، فقد خَلعتُ بيعتي عن أعناقكم، والسلام.

فإعترض عليه مروان بن الحكم وكان تحت المنبر، فردَّ عليه معاوية بن يزيد فقال: عِد عنّي أعَن ديني تخدعني، فواللّه ماذقت حلاوة خلافتكم فأتجرَّع مرارتها، واللّه لئن كانت الخلافة نعياً، لقد نالَ أبي منها مغرماً ومأثماً، ولئن كانت شرّاً، فحسبه منها ما أصابه. ثمّ نزل، فدخل عليه أقاربه وأُمه، فوجدوه يبكي، فقالت له أُمه: ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك، فقال: وددت واللّه ذلك، ثمّ قال: ويلي إن لم يرحمني ربي. ثمّ أنَّ بني أُميّة قالوا لمؤدّبه عمر القصوص: أنت عَلَّمته هذا ولقّنته إيّاه، وصددته عن الخلافة، وزَيّنتَ له حُب علي وأولاده، وحملته على ما وسمنا به من الظلم، وحسّنت له البدع حتىٰ نطق بما نطق وقال بما قال، فقال: واللّه ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع علىٰ حُب عليعليه‌السلام، فلم يقبلوا منه ذلك، وأخذوه ودفنوه حيّاً حتىٰ مات. وتوفي معاوية بن يزيد بعد خلع نفسه بأربعين ليلة، وقيل: تسعين ليلة، وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة، وقيل: إحدىٰ وعشرين سنة، وقيل: ثمانية عشر سنة، ولم يعقب رحمة اللّه عليه ورضوانه.[1]

---

(١) كتاب الأربعين لمحمد طاهر القمّي الشيرازي: ص٥٠٢ ـ ٥٠٣، أنساب الأشراف: ج٤، ص٦١.

وأُختلفَ في سبب وفاته فقيل: إنَّه مات حتف أنفه، وقيل سُقيَ شربة مسمومة، وقيل: إنّه طُعِنْ وقُبِضَ من ذلك. وصلّى عليه الوليد إبن عتبة بن أبي سفيان ليكون الأمر له بَعده، فلمّا كبَّر الثانية طُعِنْ وسقط ميّتاً قبل إتمام الصلاة فتقدّم عثمان إبن عتبة بن أبي سفيان وصلّىٰ عليه: وزال الأمر عن آل أبي سفيان فلم يكن فيهم من يرومها ولا يرتجي أحد منهم لها. فعند ذلك قام عبد اللّه بن الزبير ودعىٰ النّاس إلى نفسه ومبايعته بمكّة. وكان مروان بن الحكم لمّا نظر إلى إطباق النّاس وهم علىٰ مبايعة علىٰ إبن الزبير وإجابتهم له، أراد أن يلحق بإبن الزبير ويُبايعه، فمنَعهُ عُبيد اللّه بن زياد وقال: إنّك شيخ بني عبد مناف فلاتعجل. ثمّ دخل عليه عمرو بن سعيد بن العاص فقال لمروان: هل لك فيما أقول فهو خير لي ولك، قال مروان: وما هو؟ قال: إدعوا النّاس إليك وخذها لك علىٰ أن تكون لي من بعدك فقال مروان: لا بَعَد خالد بن يزيد بن معاوية، فرضي عمرو بن سعيد.

قال المسعودي في مروج الذهب: وبويع مروان[١] وتمّت بيعته، وكان مروان أوّل من أخذها بالسيف كرهاً بغير رضا من عصبة النّاس بل لخوف[٢]، وولّيّ «مروان[٣] بن الحكم[٤] بن أبي العاص إبن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأُموي، يُكنّىٰ أبا عبد الملك بإبنه عبد الملك، وهو إبن عم عثمان بن عفان بن أبي العاص، ولِدَ سنة إثنتين من الهجرة ولم يَر النبي ﷺ لأنّه خرج إلى الطائف

---

(١) إشتهرت مقولة رسول اللّه(ص) في مروان بن الحكم وأبيه ـ طريد رسول اللّه ـ «اللّهم إلعن الوزغ بن الوزغ»؛ مستدرك الحاكم: ج ٤، ص٤٧٩.

(٢) شجرة طوبىٰ للشيخ محمّد مهدي الحائري: ج ١، ص١١٨.

(٣) عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتىٰ به النبي(ص) فدعا له، فأدخل عليه مروان إبن الحكم فقال: هو «الوزغ إبن الوزغ الملعون بن الملعون». هذا حديث صحيح الإسناد؛ المستدرك للحاكم النيسابوري: ج ٤، ص٤٧٩، كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي: ص٧٣.

(٤) إنّ الحكم قَدِم المدينة بعد الفتح، فطرده النبي(ص) ولعنه، لتظاهره بعداوته، والوقيعة فيه، والعيب بمشيته، وصار إسم الطريد عَلَماً عليه. كتاب الأربعين لمحمد طاهر القمّي الشيرازي: ص٥٨٢.

طفلاً لايعقل لمّا نفىٰ النبي ﷺ أباه الحكم لمّا ذكرناه في ترجمة أبيه وكان مع أبيه بالطائف حتىٰ إستخلف عثمان فردّهما وإستكتب عثمان مروان وضمّه إليه. ونظر إليه علي يوماً فقال: ويلك وويل أُمّة محمّد منك ومِن بنيك. وكان يقال لمروان خيط باطل، وضُرِب يوم الدار علىٰ قفاه فقُطِعَ أحد علياويه فعاش بعد ذلك أوقص، والأوقص الذي قصرت عنقه. ولمّا مات معاوية بن يزيد بن معاوية ولم يعهد إلى أحد بايع بعض النّاس بالشام مروان بن الحكم بالخلافة. وبايع الضحّاك بن قيس الفهري بالشام أيضاً لعبد اللّه بن الزبير، فإلتقيا وإقتتلا بمرج راهط عند دمشق فقُتِل الضحّاك وإستقام الأمر بالشام ومصر لمروان وتزوّج مروان أم خالد بن يزيد ليضع من خالد. وقال يوماً لخالد: يا إبن «الرطبة الاست» فقال له خالد: أنت مؤتمن خائن. وشكىٰ خالد ذلك يوماً إلى أُمه فقالت: لا تُعلمه إنّك ذكرته لي، فلمّا دخل إليها مروان قامت إليه مع جواريها فغمّته حتىٰ مات. وكانت مدّة ولايته تسعة أشهر وقيل عشرة أشهر ومات وهو معدود فيمن قتله النساء»[1] «وأقام مروان في خلافته تسعة أشهر ومات[2]، وصار الأمر من بعده إلى إبنه عبد الملك بن مروان».[3]

وهكذا إحتفظ بنو أُميّة بالخلافة فيما كادت أن تخرج من بين أيديهم وتنتقل إلى الحجاز، وإستمر الحكم الأموي في الفرع المرواني.

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير: ج ٤، ص٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٢) في سبب موته أقوال منها، أن أمرأته أم خالد سقته السم فلمّا أحس بالموت جمع بني أُميّة وأشراف أهل الشام فبايع لابنه عبدالملك؛ الأخبار الطوال: ص٢٨٥. وفي مروج الذهب: ج٣، ص١٠٧. وضعت علىٰ نفسه وسادة وقعدت فوقها مع جواريها حتىٰ مات. وقيل: أعدت له لبناً مسموماً. وأنظر إبن الأثير، ج٢، ص٦٤٧؛ وتاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٧. والإمامة والسياسة: ج٢، ص٢٣. والبداية والنهاية: ج٨، ص٢٨٢. ومات في شهر رمضان سنة ٦٥ بدمشق.

٣) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج ٥، ص ١٧٣.

الباب الثالث

أوضاع العراق المتوتّرة

لاشك أنَّ هلاك يزيد المفاجئ قد أربك الحكم الأموي وأضعفه. وعلىٰ أثر ذلك تمرّد العراق الذي كان من قبل تحت السيطرة الأموية، ليصبح خارجاً عنها وموضعاً لأحداث متتالية.

فوضىٰ في البصرة

كانت البصرة محتاطة قِبال الحكم الأموي، لكنّها هذه المرّة أُجبرت علىٰ إتخاذ قرار صارم في مواجهة هذه المسألة. لقد أراد «عُبيد اللّه بن زياد» من إغتنام الفرصة وأخذ البيعة لنفسه بإسم الأمويين وذلك بعد وصول خبر هلاك يزيد. إلّا أنّه فشل في ذلك. عند ذاك بايعت البصرة أحد الشخصيات الهاشمية المعروفة بإسم «عبد اللّه بن حارث بن نوفل»[1] لكن الأخير لم يفلح في مهمّته بسبب دخول عشائر البصرة في صراعات قبلية وإزدياد ضغط الخوارج. فإضطر أهل البصرة

(١) هو عبداللّه بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ولقبه «بَبَه» لان أمه كانت تناديه في صغره بهذا الإسم فبقي عليه. ولد في زمن النبي(ص) وتوفي سنة ٧٩ هجرية مسموماً ودفن بالأبواء. وبويع له بعد موت يزيد. له ثلاثة أولاد هم عبد اللّه وعُبيد اللّه وإسحاق. ذوب النضار لابن نما، وحاشية تنزيه المختار للمقرم، ص٥.

مراسلة إبن الزبير ومبايعته عبرها والطلب منه تعيين الوالي عليهم لإبعاد خطر الخوارج. وكانت البصرة آنذاك قد وصلت إلى أقصىٰ حدود التوتر، مما دعا أهلها للخضوع إلى حكومة خليفة الحجاز. فأرسل لهم إبن الزبير أوّلاً، الحارث بن عبد اللّه بن ربيعة فسعىٰ إلى إحلال الأمن في هذه المدينة إلى أن وصلها مُصعَب بن الزبير وتولّىٰ الأمر كوالي علىٰ البصرة.

الكوفة

إختارت الكوفة بعد إستشهاد الإمام الحُسَينعليه السلام وإثرَ غرقها في مستنقع الإثم والتقصير، منحاً وموقفاً صعباً لاسيّما بعد إتخاذ الأمويين أساليبهم التقليدية في إقصاء الآخرين، كالاغتيالات وممارسة الضغوط المختلفة حيال هذه المدينة ذات الميول العلوية.

ومن البديهي الإشارة إلى أنّ هذه المدينة كانت تحتل النواة المركزية للحركات الشيعية وذات المواقف المختلفة عن البصرة إزاء الأمويين. وذلك لإتخاذ البصرة موقفاً مهادناً مع الأمويين قياساً إلى مواقف الكوفة المتشددة والثورية. ولذا فقد قامت الكوفة بطرد والي الأمويين «عمر بن حريث» وإحلال «عامر بن مسعودي» مكانه. ثمّ قام البعض من أهالي هذه المدينة بمراسلة إبن الزبير للإعلان عن الوفاء بسبب إدعائه بالثأر لدم الحُسَينعليه السلام وعدائه الشديد للأمويين.

وهكذا خرج العراق من سلطة الأمويين وإلتحق بإبن الزبير، فكانت الكوفة كالبركان يقترب من فورانه لإحساسها بثقل الإثم والندم أكثر من سواها. فأهالي هذه المدينة هم الّذين دعوا الإمام الحُسَينعليه السلام إلى أرض العراق ومن ثمّ تركوه وحيداً في أصعب الظروف وأحلكها.

وعندما إنتبهت هذه المدينة لنفسها وقد عمَّها الحزن والغضب والإحساس بالذنب، إتّجهت مسرعة نحو البحث عن مخرج للخلاص من تبعات ثقل هذا الذنب الكبير. هذا في وقت كان يمكن لأي قائد أو مرشد وبكل سهولة من إستغلال أحاسيس ومشاعر النّاس وتثويرها ضد النظام الأموي الغاصب. إلاّ أنَّ الكوفة وعلىٰ الرغم من شعورها بالغضب والإستياء العام لم تستطع أن تُشكِّل جبهة موحّدة للتحرك بسبب التركيبة الإنسانية والسياسية، والّتي كانت مقسَّمة آنذاك إلى ثلاث كُتل وقوىٰ:

١ ـ الشيعة المخلصين والعناصر الثورية الّتي كانت تسعىٰ وبجد لإتخاذ مواقف مستعجلة ومتشددة؛ وبنيان هذا الجناح هم «قبائل اليمن» و«الموالي»[1] و«أبناء فارس».

٢ ـ الموالين للحكم الأموي؛ وأكثرهم من زعماء العراق ومن قبيلة «مُضر» وكان لإغلبهم الدور المهم في فاجعة عاشوراء وجرائمها.

٣ ـ أتباع المقاومة السلبية، وكانوا علىٰ الرغم من معارضتهم للحكم الأموي يشعرون بالقلق من المواجهة.

لقد إجتمع زعماء حركة «التوّابين» الأوفياء الّذين أُطلِق عليهم «أنصار الثورة» أو «الثوريون» من أبناء اليمن وذلك بعد إستشهاد الإمام الحُسَينعليه السلام سراً ولاموا أنفسهم بشدّة وشعروا بالإحباط والخجل جراء القيام بدعوة الإمام الحُسَينعليه السلام مراراً للقدوم إلى مدينتهم وتركه وحيداً عند المناصرة. لذا قرّروا تطهير أنفسهم من وصمة العار الّتي لحقت بهم بأي شكل ووسيلة ممكنة.

---

(١) الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي: ج٢، ص٤٩٩: كان علي(ع) أميَل إلى الموالي وألطف بهم، وكان عمر أشد تباعداً منهم.

إعتراف المؤرّخ الإسلامي الكبير المسعودي

قال أبوجعفر: وفي هذه السنة تحرّكت الشيعة بالكوفة وأعدّوا الإجتماع بالنُخيلة في سنة (٦٥ للهجرة) للمسير إلى أهل الشام للطلب بدم الحُسَين إبن علي وتكاتبوا في ذلك. لمّا قتل الحُسَين بن علي ورجع إبن زياد من معسكره بالنُخيلة[١]، فدخل الكوفة وتلاقت الشيعة بالتلاوم والتنادم ورأت أنّها قد أخطأت خطأً كبيراً بدعوتهم الحُسَين إلى النصرة وتركهم إجابته ومقتله إلى جانبهم ولم ينصروه ورأوا أنّه لايُغسل العار والإثم عنهم في مقتله إلّا بقتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا بالكوفة إلى خمسة أنفار من رؤوس الشيعة، هم:

١ ـ سليمان بن صرد الخزاعي وكانت له صحبة مع النبي ﷺ.

٢ ـ المسيَّب إبن نجية الفزاري وكان من أصحاب علي وخيارهم.

٣ ـ عبد اللّه بن سعد بن نفيل الأزدي.

٤ ـ عبد اللّه بن وائل التميمي.

٥ ـ رفاعة بن شدّاد البجلي.

ثمّ أنّ هؤلاء النفر الخمسة إجتمعوا في منزل سليمان بن صرد وكانوا من خيار أصحاب علي[٢] وسُمّيت الحركة بـ«التوّابين» ونقلَ الطبري الرواية كاملة.[٣]

نعم، إنّ السبب الأساسي لإنتفاضة أهل الكوفة وثورتهم هو إستعدادهم لأخذ الثأر لدماء الشهداء، كالشهيد الحُسَين عليه السلام وأصحابه المظلومين.

---

(١) النُخيلة: تصغير نخلة، موضع قرب الكوفة علىٰ جهة الشام.

(٢) الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي: ج٢، ص٧٧٤ ـ ٧٧٥، مروج الذهب: ج٣، ص١٠٠ ـ ١٠١.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥، ص٥٦٣.

ثورة «التوّابين»

«التوّابين» إصطلاح أُطلِق علىٰ جماعة من الشيعة تلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قُتل الحُسَين عليه السلام فلم يغيثوه، ورأوا أنّهم قد أخطأوا خطأً كبيراً بعدم نصرة الحُسَين عليه السلام حين دعاهم وتركهم إياه ولم يجيبوه، ولمقتله إلى جانبهم. ورأوا أنّه لايغسل عنهم ذلك العار والإثم إلّا قتل من قتله أو القتل فيه.

إنّ واقعة «التوّابين» بحاجة إلى تحليل مستقل ودقيق[1]، إلّا أننا سنشير هنا بصورة مختصرة إلى هذه الواقعة التاريخية المهمة.

لقد حدثت ثورة المختار بعد إنتفاضة «التوّابين» مباشرة، وكان المختار يُهيأ نفسه للثورة أثناء خروج هؤلاء المنتفضين من مدينة الكوفة. لكنَّ شيعة العراق كانوا قد بايعوا «سليمان بن صرد» وأربعة زعماء شيعة آخرين. حيث أنَّ هؤلاء كانوا قد بدؤوا حركتهم أوائل سنة (٦٥ هجرية). وتجدر الإشارة إلى أنَّ جميع المؤرّخين متّفقون علىٰ أنّ المختار كان موافقاً للتوّابين في إنتفاضتهم ضد بني أُميّة بالكامل، إلّا أنه كان يختلف معهم في الإسلوب. لأنّهم كانوا يدعون إلى القتال بروحية إستشهادية محضة؛ أي: (النَيل من الأعداء قدر المستطاع والقتال حتىٰ الشهادة). وكان المختار لايحبِّذ هذا الأُسلوب ويشكك في قيادة وكفاءة سليمان في إدارة المعارك، ولذا لم يشترك في هذه الإنتفاضة. بالإضافة إلى أنّه وأثناء إنتفاضة هؤلاء المضحّين كان قد أُعتقِل مرة أخرىٰ من قِبل عناصر وأفراد حكومة إبن الزبير المتواجدين في الكوفة وأُودع السجن.[2] سنتطرّق وبشكل مختصر إلى حيثيّات ثورة «التوّابين»، هؤلاء الأبطال الشيعة العظام.[3]

---

(١) يأمل المؤلف مستعيناً بالله أن يقوم بهذا الأمر في القريب العاجل.

(٢) وكان المختار قد بعث إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب: أما بعد، فإني حُبست مظلوماً، وظنَّ بي الولاة ظنوناً كاذبة، فاكتب فيّ - يرحمك الله - إلى هذين الظالمين، وهما: عبد الله بن يزيد، وإبراهيم بن محمّد كتاباً عسىٰ الله أن يُخلّصني من أيديهما بلطفك ومنّك، والسلام عليك.

(٣) للتفصيل راجع الكتب التاريخية المعتبرة مثل الكامل والطبري واليعقوبي والمسعودي و...

خلاصة ثورة «التوّابين»

يقول أحمد بن أعثم الكوفي[١]: أدلج سليمان بالناس ليلة الجمعة من شهر ربيع الآخر لخمس مضين منه[٢] حتىٰ نزل علىٰ شاطىء الفرات بموضع يقال له أقساس[٣] من بني مالك، ثمّ أنّه عرض النّاس هنالك فإذا به قد نقص منهم ألف ومائة رجل ـ زيادة أو نقصاناً، فقال سليمان بن صرد: واللّه ما أُحب من تخلّف عنكم أن يكون معكم، لأنهم لو كانوا معكم ما زادوكم إلّا خبالاً، فاحمدوا اللّه علىٰ رجعتهم عنكم. وسار القوم من ليلتهم تلك إلى أن أصبحوا وأشرفوا علىٰ قبر الحُسَين بن علي رضي اللّه عنهما، فلمّا عاينوه رفعوا أصواتهم بالبكاء والنحيب، ثمّ أنّهم رموا أنفسهم عن دوابهم وجعلوا يقولون: اللّهم ! إنّا خذلنا إبن بنت نبيّنا وقد أسأنا وأخطأنا، فاغفر لنا ما قد مضىٰ من ذنوبنا، وتُب علينا إنّك أنت التوّاب الرحيم، اللّهم إرحم الحُسَين الشهيد إبن الشهيد.

فأقاموا عند القبر يومهم ذلك وليلتهم يُصلّون ويبكون ويتضرّعون، فنادىٰ فيهم سليمان بن صرد بالرحيل، فجعل الرجل بعد الرجل يأتي القبر فيودّعه ويترحّم علىٰ الحُسَين ويستغفر اللّه له، ثمّ أنّهم إزدحموا علىٰ القبر كازدحامهم علىٰ الحجر الأسود وهم يقولون: اللّهم! إنّا قد خرجنا من الديار والأموال، وفارقنا الأهلين والأولاد، نريد جهاد الفاسقين الـمُحلّين لحُرَم الله، الّذين قتلوا إبن بنت نبيّك، فتُب علينا وارزقنا الشهادة ياأرحم الراحمين. وسار القوم من منزل قبر الحُسَين عليه السلام ولزموا الطريق الأعظم، حتىٰ بلغوا إلى موضع يقال له القيّارة وإذا

---

(١) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢١٤ - ٢١٧.

(٢) سنة خمس وستين للهجرة؛ تاريخ الطبري: ج٥، ص٥٨٨.

(٣) أقساس بني مالك: قرية بالكوفة وكورة يقال لها: أقساس مالك، منسوبة إلى مالك بن عبد هند بن لجم، مراصد الاطلاع: ج١، ص١٠٤.

كتاب[1] أمير الكوفة[2] قد ورد على سليمان بن صرد. فلمّا قرأ سليمان بن صرد الكتاب أقبل على أصحابه وقال: واللّه لاأرىٰ لكم الرجوع عمّا عزمتم عليه، إمّا الشهادة أو الفتح ونحن نريد الآخرة. وردُّ الجواب.[3] فلمّا ورد الكتاب علىٰ عبد اللّه بن يزيد وقرأه أقبل علىٰ جُلسائه فقال: إستمات القوم ورب الكعبة! وأوّل خبر يأتيكم عنهم أنّهم قُتلوا بأجمعهم، واللّه لايقتلوا حتىٰ يكثر القتل بينهم وبين عدوّهم. فساروا حتىٰ أتوا هيت، ثمّ خرجوا حتىٰ إنتهوا إلى قرقيسياء.[4] وبلغهم أنَّ أهل الشام في عدد كثير، فساروا سيراً مغذاً[5] حتىٰ أتوا ووردوا «عين الوردة» عن يوم وليلة. وقام سليمان بن صرد فوعظهم وذكَّرهم الدار الآخرة وقال: إن قُتلت فأميركم المسيَّب إبن نجية، فإن أُصيب المسيّب فالأمير عبد اللّه بن سعد بن نفيل، فإن أُصيب فأخوه خالد بن سعد، فإن قُتلَ خالد فالأمير عبد اللّه بن وائل، فإن قُتلَ إبن وائل فأميركم رفاعة بن شدّاد. ثمّ بعثَ سليمان المسيّب إبن نجية في أربعة آلاف فارس رائداً، وأن يشن عليهم الغارة.

فقام عبد اللّه بن الأحمر بتحريض النّاس علىٰ الإنتفاضة والإستشهاد فأنشد

---

١) «بسم اللّه الرحمن الرحيم، من عبد اللّه بن يزيد إلى سليمان بن صرد وأصحابه المؤمنين، أمّا بعد فإن كتابي إليكم كتاب ناصح لكم مشفق عليكم، أنكم تريدون المسير، بالعدد اليسير، إلى الجمع الكثير، والجيش الكبير، وقد علمتم أنَّ من أراد أن يقلع الجبال من أماكنها تكل معاوله ولا يظفر بحاجته، فيا قومنا ! لا تُطمعوا عدوّكم في أهل بلدكم. فإنكم خيار قومكم، ومتى ظفر بكم عدوّكم طمع في غيركم من أهل مصركم وهلاككم ومن خلفكم،...»

(٢) عبداللّه بن يزيد الأنصاري.

(٣) للأمير عبداللّه بن يزيد من سليمان بن صرد وأصحابه؛ أمّا بعد فقد قرأنا كتابك أيُّها الأمير وعلمنا ما نويت، فنعم أخو العشيرة أنت ما علمناك في المشهد بالمغيب. وأُعلمك أيُّها الأمير أنَّ القوم قد استبشروا ببيعتهم الذي بايعوه وقد تابوا إليه وتوكّلوا عليه من عظيم ذنوبهم ـ والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته ـ

(٤) قرقيسياء: بلد علىٰ الخابور عند مصبه، وهي على الفرات، جانب منها علىٰ الخابور، وجانب على الفرات، فوق رحبة مالك بن طوق. مراصد الاطلاع: ج٣، ص١٠٨٠.

(٥) أغذ في السير: أسرع.

قائلاً:

صَحُوتُ ووَدَّعْتُ الصّبٰا والْغَوانـيا ... وقلتُ لأصْحٰابي: أُجـيبُوا الْمُـنٰاديٰا

وقُولُوا لَهُ إِذْ قٰامَ يَدْعُو اِلىَ الهُـدىٰ ... وقبل الدُعا: لَبَّيكَ، لَبَّيك، دٰاعـيٰا

وصلَ عسكر «التوّابـين» إلىٰ حـدود قـرقيسياء بـالقرب مـن شـط الفـرات فاستراحوا هناك مدة من الزمن، ثمّ انطلقوا باتجاه منطقة «عـين الوردة» المـهمّة. حيث جاءت الأخبار عن قرب وصول جيش العدو من الشام وقوامه (٣٠) ألف مقاتل بقيادة «إبن زياد» إلى هذه المنطقة.[١]

واقعة «عين الوردة»[٢]

قال حميد بن مسلم: كنت معهم فسرنا يومنا كلّه وليلتنا، حتىٰ إذا كان السحر نزلنا تهومنا[٣] ثمّ ركبنا وقد صلّينا الصبح ففرق العسكر وبقي معه مائة فـارس، فلقي أعرابياً فقال: كم بيننا وبين أدنىٰ القوم؟ فقال: ميل[٤]، وهذا عسكر شرحبيل بن ذي الكلاع من قبل عُبيد اللّه معه أربعة آلاف، ومن ورائهم الحُصين بن نمير السكوني في أربعة آلاف، ومن ورائهم الصلت إبن ناجية الغلابي في أربعة آلاف، وجمهور العسكر مع عُبيد اللّه بن زياد بالرقّة.[٥] فساروا حتىٰ أشرفوا علىٰ عسكر الشام، فقال المسيّب لأصحابه: كرّوا عليهم، فحملَ عليهم عسكر العراق فإنهزموا، فقُتلَ منهم خلق كثير، وغنموا منهم غنيمة عـظيمة، وأمـرهم المسـيّب بـالعودة، فرجعوا إلى سليمان بن صرد، ووصل الخبر إلى عُبيد اللّه بن زياد، فـسرّح إليهـم

(١) مروج الذهب للمسعودي، ج ٣، ص ١٠٠ ـ ١٠٣، طبعة بيروت.

(٢) عين الوردة: رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة. (مراصد الاطلاع: ج٢، ص٩٧٩).

(٣) التهوم: هز الرأس من النعاس.

(٤) الميل: أربعة آلاف ذراع، وكل ثلاثة أميال فرسخ.

(٥) الرقّة: مدينة مشهورة علىٰ الفرات من جانبها الشرقي، في بلاد الشام.

الحصين بن نمير وأتبعه بالعساكر حتىٰ نزل في عشرين ألفاً، وعسكر العراق يومئذ ثلاثة آلاف ومائة لاغير. ثمّ تهيأت العساكر للحرب، فكان علىٰ ميمنة أهل الشام عبد اللّه بن الضحّاك بن قيس الفهري، وعلى ميسرتهم ربيعة بن مخارق[1] الغنوي، وعلىٰ الجناح شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، وفي القلب الحصين بن نمير السكوني. ثمَّ جَعلَ أهل العراق علىٰ ميمنتهم المسيّب إبن نجية الفزاري، وعلىٰ ميسرتهم عبد اللّه بن سعد بن نفيل الأزدي، وعلىٰ الجناح رفاعة بن شدّاد البجلي، وعلىٰ القلب الأمير سليمان بن صرد الخزاعي، ووقف العسكر، فنادىٰ أهل الشام: إدخلوا في طاعة عبد الملك بن مروان، ونادىٰ أهل العراق: سلِّموا إلينا عُبيد اللّه بن زياد، وأن يخرج النّاس من طاعة عبد الملك وآل الزبير، ويُسلَّم الأمر إلى أهلبيت نبيّنا ﷺ. فأبىٰ الفريقان، وحملَ بعضهم علىٰ بعض، وجعل سليمان بن صرد الخزاعي يحرّضهم علىٰ القتال، ويبشّرهم بكرامة اللّه تعالىٰ، ثمّ كسرَ جفن سيفه وتقدَّم نحو أهل الشام، وهو ينشد ويقول:

إليك ربي تُبت من ذنوبي ... وقد علاني في الورىٰ مشيبي
فإرحم عُبيداً عرما[2] تكذيب ... وإغفر ذنوبي سيّدي وحَوبي[3]

قال حميد بن مسلم: حَملَت ميمنتنا علىٰ ميسرتهم، وحَملَت ميسرتنا علىٰ ميمنتهم، وحَملَ سليمان في القلب فهزمناهم وظفرنا بهم، وحُجزَ بيننا وبينهم، ثمّ قاتلناهم في الغد وبعده حتىٰ مضت ثلاثة أيام، ثمّ أمرَ الحُصين بن نمير أهل الشام برمي النبل، فأتت السهام كالشرار المتطاير. فقُتِلَ سليمان بن صرد رحمه اللّه، فلقد بذلَ في أهل الثأر مهجته، وأخلص للّه توبته، ولقد قُلت هذين البيتين، حيث مات

(١) مخارق ابن ربيعة.

(٢) عرم: أتّهمَ بما لم يجن.

(٣) الحَوب: الاثم.

مُبرّءاً من العيب والشين:

قضىٰ سليمان نحبه فغدا إلى جنانٍ ورحمة الباري
مضىٰ حميداً في بذل مهجته وأخذِهِ للحسين بالثأر

ثمّ أخذَ الراية المسيّب إبن نجية، فقاتل قتالاً خرّت له الأذقان، وأثـر في ذلك الجيش الجم الطعان ثلاث مرات، وكان من أعظم الشجعان قتالاً، وأكبرهم[1] علىٰ الأعداء نكالاً، وهو يقول:

قَد عَلِمَت مَيالة الذوائبِ واضحةَ الخدَين والترائب
أنّي غَداة الرَوعِ والتغالبِ أشجع مَن ذي لبدة مواثب
قصاع[2] أقران مخوف الجانب[3]

فلم يزل يكر عليهم فيفرون بين يديه حتىٰ تكاثروا عليه فقتلوه. ثمّ أخذَ الراية عبد اللّه بن سعد بن نفيل، ثمّ حَمَلَ علىٰ القوم وطعن، وهو يرتجز ويقول:

إرحم إلهي عبدك التوابا ولا تؤاخذه فقد أنابا
وفارق الأهلين والأحبابا يرجو بذاك الفوز والثوابا

فلم يزل يُقاتل حتىٰ قُتِل. ثُمَّ تَقدَّم أخوه خالد بن سعد بالراية، وحرَّضهم علىٰ القتال، ورغّبهم في حميد المآل، فقاتل أشد قتال، ونكّل بهم أي نكال، حتىٰ قُتِل. وَتقدَّم عبد اللّه بن وائل فأخذ الراية، وقاتل حتىٰ قُطعت يده اليسرىٰ، ثمّ إستند إلى أصحابه ويده تشخب دماً، ثمّ كرَّ عليهم، وهو يقول:

نفسي فداكم إذكروا الميثاقا وصابروهم وإحذروا النفاقا
لا كوفة نبغي ولا عراقا لا بل نريد الموت والعتاقا

---

(١) وأكرّهم.

(٢) وقصعت الرجل قصعاً: صغّرته وحقّرته، وقصعت هامته إذا ضربتها ببسط كفّك.

(٣) تاريخ الطبري: ج٥، ص٦٠٠.

وقاتلَ حتىٰ قُتِل. فبينما هم كذلك إذ جاءتهم النجدة مع المثنّى إبن مخربة العبدي من البصرة ومن المدائن مع كثير بن عمرو الحنفي، فاشتدَّت قلوب أهل العراق بهم، وإجتمعوا وكبَّروا وإشتدَّ القتال، فتقدَّم رفاعة بن شدّاد نحو صفوف أهل الشام، وهو يرتجز ويقول:

يارب إنّي تائب إليكا ... قد إتّكلت سيّدي عليكا
قُدما أرجي الخير من يديكا ... فاجعل ثوابي أملي إليكا

قال عبد اللّه بن عوف الأزدي: وإشتدَّ القتال حتىٰ بان في أهل العراق الضعف والقلّة، وتحدَّثوا في ترك القتال، فبعضهم يوافق، وبعضهم يقول: إنْ وليّنا رَكِبنا السيف، فلا نمشي فرسخاً حتىٰ لايبقىٰ منّا واحد، وإنّما نقاتل حتىٰ يأتي الليل ونمضي، ثمّ تَقدَّم عبد اللّه بن عوف إلى الراية فرفعها، وإقتتلوا أشد قتال، فقتُل جماعة من أهل العراق، وإنفلَّت الجموع، وإفترق النّاس، وعادَ العسكر حتىٰ وصلوا قرقيسياء من جانب البر، وجاءَ سعد إبن حذيفة إلى هيت[١]، فلقيه الأعراب فأخبروه بما لقي النّاس. ثمّ عادَ أهل المدائن وأهل البصرة وأهل الكوفة إلى بلادهم، والمختار محبوس وكان يقول لأصحابه: «عدّوا لغارتكم[٢] هذه أكثر من عشر، ودون الشهر، ثمّ يجيئكم نبأ هتر[٣]، من طعن بَتَر، وضَرَب هَبَر،[٤] وقَتَل جَم وأمرهم، فمن لها؟ أنا لها، لا تكذّبن أنا لها،[٥] وكان المختار علم بالرجز[٦] والفراسة والخُدع وحُسن السياسة.

---

(١) هيت: سُميّت بإسم بانيها، وهو هيت بن البندي، ويقال: البلندي، بلدة علىٰ الفرات فوق الأنبار.

(٢) في الطبري: لغازيكم هذا.

(٣) الهتر: العجب والداهية.

(٤) وضرب هبر: أي قاطع.

(٥) تاريخ الطبري: ج٥ ص٦٠٥ – ٦٠٦.

(٦) وكان المختار يأخذ أفعاله بالرجز.

قال المرزباني في كتاب الشعراء: «كان للمختار غلام يقال له جبرئيل، وكان يقول: قال لي جبرئيل، وقلت لجبرئيل، فيتوهَّم الأعراب وأهل البوادي أنّه جبرئيل عليه السلام، فاستحوذ عليهم بذلك حتىٰ إنتظمت له الأمور، وقام بإعزاز الدين ونصره، وكسرَ الباطل وقصرَه. ولمّا قدم أصحاب سليمان إبن صرد من الشام، كتب إليهم المختار من الحبس: أما بعد، فإن اللّه أعظمَ لكم الأجر، وحطَّ عنكم الوزر، بمنازلة القاسطين، وجهاد المُحلّين، إنّكم لن تنفقوا نفقة، ولم تقطعوا عقبة، ولم تخطو خطوة إلّا رفعَ اللّه لكم بها درجة وكتبَ لكم بها حسنة، فأبشروا فإنّي لو خرجت إليكم جرّدتُ فيما بين المشرق والمغرب من عدوِّكم بالسيف بإذن اللّه، فجعلتهم ركاماً، وقتلتهم فذاً وتوأماً، فرحب اللّه لمن قارب واهتدىٰ، ولا يبعد اللّه إلّا من عصىٰ وأبىٰ، والسلام عليكم يا أهل الهدىٰ».[1]

هذه الملحمة الكبرىٰ وعلىٰ قصر مدّتها إلّا أنّها جسَّدت بوضوح أهم المشاهد الحماسية النبيلة الطاهرة لنجباء الشيعة.

سياسة التفرقة العنصرية لبني أُميّة

بالإضافة إلى الجرائم الّتي كان يرتكبها بنو أُميّة. فإنّ سياساتهم وطريقة إدارتهم للحكم كانت سبباً في إزدياد نقمة النّاس وسخطهم، مما مهّد ذلك الوضع إلى تبلور إندلاع الثورة. وكانت سياسات بني أُميّة مبنية على أساس التفرقة العنصرية إذ كانوا يُقسّموا النّاس إلى:

١ ـ عرب؛ مُقدّمون علىٰ غيرهم ولهم إمتيازات خاصة.

٢ ـ الموالي (غير العرب)؛ وكانوا محتقرين وليس لهم أي إمتياز.

---

(١) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٩٢ - ٩٣.

ولايخفىٰ أنَّ مؤسس سياسة التفرقة العنصرية[١] في الإسلام هو الخليفة الثاني؛ عُمر بن الخطّاب.[٢]

يذكر الفيلسوف والمفكّر الإسلامي الكبير الأستاذ الشهيد مرتضىٰ مطهّري أبرز سمات السياسة الأموية القائمة علىٰ أساس تحريض العصبيات العرقية والقبلية وتأجيج نارها فيقول: «كان الأمويون يحاولون الترويج لبعض الأمور والقضاء علىٰ الأخرىٰ؛ فكان مما يُروجون له تأجيج نار العصبية العرقية والقبلية. مثلاً يكتب الحجّاج إلى عامله بالبصرة: إذا وصلك كتابي هذا فأبعد النبطية عنك، فإنّهم مَفسَدة للدين والدنيا».[٣]

يقول جورجي زيدان: إنَّ النّاس في نظر بني أُميّة ثلاث طبقات:

١ ـ الزعماء؛ وهم العرب نفسهم.

٢ ـ الموالي؛ أي العبيد أو المحررين من المسلمين.

٣ ـ أهل الذمّة؛ الكفّار الّذين يدفعون الجزية للحكومة الإسلامية.

يقول معاوية في أهل مصر: «إنَّ أهلها ثلاث طبقات؛ ناس وشبه ناس ونسناس أو لاناس. فالطبقة الأولىٰ: العرب والثانية: الموالي والثالثة: أهل الذمّة من القبط».[٤]

لقد إستُؤصِلت سياسة التفرقة العنصرية كاملة في زمن النبي الأكرم ﷺ بسبب

---

(١) «روي أن عمر أطلق تزويج قريش في سائر العرب والعجم وتزويج العرب في سائر العجم، ومنعَ العرب من التزويج في قريش ومنعَ العجم من التزويج في العرب. فأنزل العرب مع قريش والعجم مع العرب منزلة اليهود والنصارىٰ». البحار: ج٨، طبعة قديمة، ص٢٨٧ و٢٨٨. والغدير: ج٦، ص١٨٧. عن موطأ مالك عن سعيد بن المسيّب أنه قال: أبىٰ عمر بن الخطّاب أن يورث أحداً من الأعاجم إلا من ولد في العرب.

(٢) للتأكد من هذا الأمر يمكن مراجعة الكتب التاريخية المعتبرة الشيعية منها أو السنيّة.

(٣) الملحمة الحسينيّة (حماسه حسيني): ج٣، ص ٧٦.

(٤) نفس المصدر.

التعاليم الإسلامية السمحاء، لكنّها عادت إلى الظهور في زمن عُمَر الذي أحياها ورعاها وإستمرت إلى خلافة أمير المؤمنين عليعليه السلام حيث قاومَ هذه السياسة لحظة إستلامه مقاليد الأمور، وبالإستناد إلى الكتاب والسنّة ألغيٰ العمل بها ولم يكن يُفرِّق قيد أنملة بين المسلمين عرباً وعجماً.

وكان والي الشام مِن قبل عمر هو معاوية بن أبي سفيان، متمسّكاً بها أشدّ التمسّك وأحياها أيما إحياء.[1] وفي الفترة الّتي كان يرىٰ فيها نفسه خليفة للمسلمين روّج لهذه السياسة وأحكمها[2] من خلال إرسال الكتب إلى عمّاله يأمرهم بإتباع التفرقة العنصرية في إدارة الحكم، مثل كتابه إلى عمر بن العاص بخصوص غير العرب في مصر وأخرى إلى زياد بن أبيه حول عجم العراق يقول فيها:

«... وانظر إلى الموالي ومن أسلمَ من الأعاجم، فخذهم بسنّة عمر بن الخطّاب، فإنَّ في ذلك خزيهم وذلّهم، أنْ تنكح العرب فيهم ولاينكحوهم وأنْ تَرثهم العرب ولا يرثوهم[3] وأنْ تَقصر بهم في عطائهم وأرزاقهم، وأنْ يُقدّموا في المغازي

(١) أمر معاوية بإهانة الأعاجم ولعمري يا أخي، لو أن عُمر سنَّ دية المولىٰ نصف دية العربي لكان أقرب إلى التقوىٰ، ولو وجدت السبيل إلى ذلك ورجوت أن تقبله العامّة لفعلت ولكني قريب عهد بحرب فأتخوّف فرقة النّاس وإختلافهم عليّ. وبحسبك ما سنّه عمر فيهم فهو خزي لهم وذل. فإذا جاءك كتابي هذا فأذل العجم وأهنهم وأقصهم ولاتستعن بأحد منهم ولاتقض لهم حاجة.ـ كتاب سليم بن قيس: تحقيق محمّد باقر الأنصاري، ص٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(٢) ولم يكتف معاوية بالتفرقة العنصرية بين العرب والعجم بل تسرّىٰ ذلك إلى العرب أنفسهم أَنظر «...أما بعد، فإنّك كتبت تسألني عن العرب، مَن أكرم منهم ومَن أهين ومَن أقرب ومَن أبعد، ومَن آمن منهم ومَن أحذر؟ وأنا أعلم النّاس بالعرب. أُنظر إلى هذا الحي من اليمن، فأكرمهم في العلانية وأهنهم في الخلاء فإني كذلك أصنع بهم، أُقرّب مجالسهم وأريهم أنّهم آثر عندي من غيرهم ويكون عطائي وفضلي علىٰ غيرهم سراً منهم لكثرة من يقاتلني منهم مع هذا الرجل. وأنظر ـ ربيعة بن نزار ـ فأكرم أشرافهم وأهن عامّتهم، فإنَّ عامّتهم تَبع لأشرافهم وساداتهم. وأنظر إلى ـ مضر ـ فاضرب بعضها ببعض فإنَّ فيهم غلظة وكبراً وأُبّهة ونخوة شديدة، وأنك إذا فعلت ذلك وضربت بعضهم ببعض كفاك بعضهم بعضاً، ولا ترض بالقول منهم دون الفعل ولا بالظن دون اليقين». كتاب سليم بن قيس: ص٢٨١ـ٢٨٢.

(٣) روي في البحار: ج٨، طبعة قم، ص٢٨٧. أنَّ عمر أطلقَ تزويج قريش في سائر العرب والعجم وتزويج

يُصلحون الطريق ويقطعون الشجر، ولا يَؤم أحد منهم العرب في صلاة ولا يتقدم أحد منهم في الصف الأوّل إذا حضرت العرب إلّا أن يُتموا الصف. ولا توّل أحداً منهم ثغراً من ثغور المسلمين ولا مصراً من أمصارهم، ولا يلي أحد منهم قضاء المسلمين ولا أحكامهم. فإنّ هذه سنّة عُمر فيهم وسيرته، جزاه اللّه عن أمة محمّد وعن بني أُميّة خاصّة أفضل الجزاء».[1]

وكانت هذه السياسة من الأسباب الّتي دفعت النّاس للإلتحاق بالمختار ونُصرته.

... يقول العلّامة محمّد مهدي شمس الدين (طابَ ثراه): «وللإنصاف فإنّ المختار عدَلَ بين النّاس بعد إنتصاره وألغىٰ النظام الطبقي الذي كان رائجاً منذ زمن عمر مروراً بالأمويين وساوىٰ بين العرب والموالي والفُرس ورفعَ عنهم الغُبن الذي كان سائداً وهو العمل الكثير والأجر القليل ، ولم يُرجِّح عربياً علىٰ أعجمي وأعاد لهم حقوقهم متساوية علىٰ أنّهم مسلمون»[2]

إنّ السياسة العادلة الّتي إتّبعها المختار هي الّتي جعلت المستضعفين والمظلومين من الطبقات المحرومة، من أكثر مناصريه وأتباعه.

قال الدكتور الفيّاض أُستاذ جامعة بغداد في هذا السياق: «ولعل في حركة المختار الّتي إنظم إليها الغلاة كانت غالبيتهم من المستضعفين في الأرض».[3]

← العرب في سائر العجم، ومنعَ العرب من التزويج في قريش ومنعَ العجم من التزويج في العرب. فأنزل العرب مع قريش والعجم مع العرب منزلة اليهود والنصارىٰ. وروي في البحار: ج٨، طبعة قم، ص٢٨٨. وفي الغدير: ج٦، ص١٨٧ عن موطأ مالك عن سعيد بن المسيّب أنه قال: أبىٰ عمر بن الخطّاب أن يورث أحداً من الّاعاجم إلا أحداً وِلدَ في العرب.

(١) كتاب سليم بن قيس: تحقيق محمّد باقر الأنصاري، ص٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) ثورة الحُسَين لمحمّد مهدي شمس الدين، ص٢٧٤.

(٣) تاريخ الإمامية لعبداللّه الفياض: ص١٧٩، طبعة بيروت.

دور أهل فارس في ثورة المختار

كتبَ العلّامة دهخدا في قاموسه: «... كانت السياسة الأموية مبنيّة علىٰ سيادة العرب وتحقير الموالي. وإنّ أهل فارس ولجهة موقعهم الإجتماعي آنذاك والمتمثّل بالشريحة العاملة المؤثرة، وبسبب تذمّرهم من إستمرار الحكم الأموي كانوا الأقرب إلى إعلان المعارضة متىٰ ماتوفّرت الفرصة لذلك. لذا لم تقتصر مشاركتهم إلى جانب المختار وإبراهيم الأشتر في الإنتفاضة بوجه الأمويين فقط، بل ناصروا كذلك عبد الرحمن بن الأشعث ضد الحجّاج. خاصّة وأنّ خلفاء بني أُميّة قاطبة ـ بإستثناء عمر بن عبد العزيز ـ كانوا يتعاملون بخشونة وعنف معهم في أمر الخراج، بل وحتّىٰ أنّ المراقبة علىٰ (ديوان الخراج) الّتي كانت إلى عهد الحجّاج بيَد الكُتّاب من أهل فارس وباللغة والخط الفارسي، تحوّلت إلى يد العرب».[١]

وأضاف أيضاً «لقد أضفىٰ أهل فارس علىٰ إنتفاضة «التوّابين» وثورة المختار وخروج زيد بن علي ويحيىٰ بن زيد لوناً خاصاً».[٢]

قبل عدّة سنوات من إندلاع الثورة، وأثناء تجوال المختار مع «المغيرة بن شعبة» والي العراق الأسبق في سوق الكوفة، والذي كان ذا معرفة بتقاليد وعادات أهل العراق وعلاقتهم الشديدة وخاصة أهل فارس في هذا البلد بأهل بيت النبوّة عليهم السلام، إلتفت إلى المختار قائلاً: «والله إنّي أعلمُ أمراً إذا تمسَّكَ به ذا تدبير، إجتمع النّاس حوله وأطاعوه إلى الموت وخاصّة هؤلاء أهل فارس الّذين يتأثّرون به أكثر من غيرهم. فقال له المختار: وماهو ياعم؟ قال: «يدعوهم إلى نصرة آل محمّد صلى الله عليه وآله والطلب بدمائهم»[٣]

---

(١) قاموس دهخدا: ص٥٨٨، كلمة «إيران».

(٢) نفس المصدر.

(٣) أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٢٢٣، طبعة بغداد.

إذن إنَّ أحد أهم أسباب تقرّب أهل فارس وميلهم نحو أهـل البـيتﷺ هـو مطالبة آل النبي ﷺ بالحق والعدالة.

خلاصة القول: إنَّ جرائم بني أُميّة منذ زمـن مـعاوية بـن أبي سـفيان والّـتي تجسّدت أوّلاً، في العداء لأهل البيتﷺ. وثانياً، في طرد وإبـعاد وسَـجن وقـتل وتهجير الشيعة. إضافة إلى جرائم يزيد بن معاوية والسياسات اللاإسلاميّة للحكّام الأمويين وخاصّة الجرائم الفريدة من نوعها الّتي مُورست في حادثة الطف بكربلاء، كانت عاملاً مهمّاً في بلورة تشكيل الشيعة وتوّحدهم و ثورتهم بوجه بني أُمـيّة. والمختار بدوره إستطاع من خلال هذه البيئة، خلق طاقة هائلة وتوجيه ضربات موجعة وقاصِمة خلال فترة قـصيرة إلى كـيان الحكـم الأمـوي الفـاسد. ولولا العراقيل الّتي ظهرت جرّاء الصِدام مع «عبد اللّه بن الزبير» حاكم الحجاز آنذاك، لإستطاع المختار ومنذ أوائل أيّام حكمه من إجتثات هـذه الشـجرة الخـبيثة مـن جذورها.

أسباب إتّجاه أهل الكوفة نحو ثورة المختار

كتبَ العلّامة الشيخ محمّد مهدي شمس الدين (رحمه اللّه)، مـن عـلماء لبـنان الكبار في هذا المجال يقول: «في سنة (٦٧هجرية) إنتفض المختار بن أبي عبيد الثقفي للثأر والإنتقام لدَم الإمام الحُسَينعليه السلام. (ولمعرفة فلسفة إنحياز أهل العراق إلى ثورة "المختار" يتطلَّب دراسة ظروف ومواقف أهل هذا البلد إزاء هذه الإنتفاضة». لقـد إتّجه أهل العراق و بعد حكم يزيد نحو «عبد الله بن الزبير» رغبةً منهم في إصلاح الأوضاع الإجتماعية للمسلمين، وكذلك دعماً له إزاء ما أظهره مِن عداء لبني أُميّة وأتباعهم وزعمه بالإنتقام لدَم الإمام الحُسَـينعليه السلام مـن جـهة، وتـظاهره بـالزهد

والصلاح من جهة أخرىٰ.

وبهدف تحقيق آمالهم في (الإصلاح والإنتقام) إلتحق النّاس بـإبن الزبـير. ولم يمض طويلاً حتىٰ إكتشفَ العراقيون زيف إدعاءات إبن الزبير وبأنّه ليس بأفضل من حكّام بني أُميّة. فهو وإن قامَ بطرد عمّال الأمويين من العراق، فقد أبقىٰ عـلىٰ مسببي فاجعة كربلاء بالقرب منه ومن حكمه، كما كانوا عليه في عهد يـزيد بـن معاوية. أمّا أولئك أمثال «شمر بن ذي الجوشن»[1] و«شبث إبن ربعي» و«عُمر بن سعد» و«عُمر بن حجّاج» وباقي جُناة واقعة عاشوراء، فقد أمسـوا مـرة أخـرىٰ أصحاب الأمر والنهي كما كانوا في عهد حكم بني أُميّة، وقد توّلوا ذات المـناصب السابقة في عهد إبن الزبير.

لقد أدرك أهل العراق وخاصّة أهل الكوفة أنَّ العدالة الإجـتماعية الّـتي كـانوا يبغونها ليست في آل الزبير. سيّما وأنّهم كانوا يبحثون عن أحد يسير بهم مـنحىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه‌السلام في هذا الإتجاه، وذلك بعد أن ذاقوا طعم العدالة الإجتماعية في عهد حُكم عليعليه‌السلام. لذا فإنّ هؤلاء النّاس عندما «إستعمل إبن الزبير عبد اللّه بن مطيع العدوي علىٰ الكوفة خطبَ بهم فقال: إنّ أمير المؤمنين أمرني أن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلّا برضاً منكم وأن أتّبع وصية عُمر بن الخطّاب الّتي أوصىٰ بها عند وفاته وسيرة عثمان بن عفّان. فقامالسايب بن مالك الأشعري فقال: أيُّها الأمير: قد سمعنا كلامك؛ أمّا حمل فيئنا برضانا فإنّا نشهد بـأنّا لانـرضىٰ أن يُحمل عنّا فضله وأن لايقسَّم إلّا فينا وأن لايُسار فينا إلّا بسيرة علي بن أبي طالب الّتي سارَ بها في بلادنا هذه ولاحاجة لنا في سيرة عثمان في فـيئنا ولا في أنـفسنا ولافي سيرة عمر بن الخطّاب فينا...».[2]

(١) إنّما سُمي أبوه «ذو الجوشن» لأنَّ صدره كان ناتئاً؛ الوافي بالوفيات للصفدي: ج١٦، ص١٠٥.

(٢) الكامل لابن الأثير: ج٤، ص١٠٤، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٢٥، أعيان الشـيعة

وجاء في كتاب ثورة الحُسَين عليه السلام، أنّه وبعد إزالة النقاب عن ماهية حكم عبد الله إبن الزبير للعراقيين، إبتعد النّاس عن والي إبن الزبير. وكان ذلك سبباً في إلتحاقهم بإنتفاضة المختار. لاسيمّا وأنَّ المختار كان قد أعلن نفسه ممثلاً عن رجل من أهل البيت عليهم السلام أي: محمّد إبن الحنفيّة بن علي بن أبي طالب عليه السلام. فإستبشر النّاس به خيراً، وتمنّوا أن يخط المختار بسيرة العدل والإصلاح، أي بسيرة أهل البيت عليهم السلام. وكان لشعار إنتفاضة المختار «يالثارات الحُسَين» الأثر المهم والفاعل في إنحياز شيعة العراق إليه، إذ أنّ مضمون هذا الشعار شكّلَ الهدف الأهم لشيعة العراق آنذاك. لقد إستطاع المختار وخلال دعوته هذه كسب دعم عامة النّاس إليه ومقاتلة والي الزبير والإنتصار عليه. وكان لإعتماد «إبن المطيع» علىٰ العناصر المناهضة، أي تلك الّتي تسببت في وقوع فاجعة كربلاء، الحافز المؤثّر لإصرار أهل الكوفة في الوقوف إلى جانب المختار ونصرته في هذا الصراع.

لم يستطع أشراف الكوفة والعناصر المناهضة والّذين تلطّخت أيديهم بدم الإمام الحُسَين وأهل بيته عليهم السلام من تحمّل سيرة المختار هذه، لذا عمدوا إلى مواجهته ودخول الحرب ضدّه. إلّا أنّ المختار إستطاع مِن تصفية وإبادة جميع الّذين شاركوا في حادثة كربلاء وكذلك العنصريين وأشراف الكوفة وزعمائهم وموارات البعض منهم هرباً.[١]

← للسيّد محسن الأمين: ج٧، ص١٨٢، مقتل الإمام الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣١٦.

(١) ثورة الحُسَين لمحمد مهدي شمس الدين: ص٢٧٣ ـ ٢٧٤.

الباب الرابع
فـلسـفـة الـثـورة

يمكن إستنتاج فلسفة وهدف ثورة المختار عبر أحاديث وسيرة هـذا الرجـل. وخلافاً لتصوّر غير المحققين أو المخالفين لسيرة أهل البيت عليهم السلام، لم يكن المختار طالباً للرئاسة ولاسفّاكاً للدماء ولا محتالاً. إذ لاتوجد في كلماته وتصرّفاته أيّة جملة أو عمل يدل علىٰ ذلك. فمن خلال الروايات الواردة في شخصية هذا الرجل وفكره وإعتقاده وجهاده ومواقفه السياسية الـمُستخرجة من النصوص التاريخية نجد أن هدف المختار الأوّل هو الإنتقام لدماء شهداء كربلاء. وأنّ أُمنيته القلبية الوحـيدة كانت في إجتثاث عناصر وأيادي فاجعة عاشوراء من الوجود. ومـن ثمّ إجـراء العدالة وإحقاق الحق المستباح لأهل‌البيت عليهم السلام وحماية المحرومين والمستضعفين في المجتمع وتشكيل حكومة علىٰ أساس العدل والعدالة العَلويّة.

سنشير إلى أحاديث المختار وآراء العظماء حول هـدف وفـلسفة ثـورته كـي يتوضّح الأمر جلياً وكاملاً:

١ ـ قال المختار في معرض حديثه عندَ لقائه زعماء شيعة الكوفة موضِّحاً هدف دعوته وقيامه: «... أمّا بعد فإنّ المهدي إبن الوصي محمّد بن علي بعَثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرَني بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن

الضعفاء...»[١]

٢ ـ وفي لقاء آخر مع أهل الكوفة يبين أنّه، «يُظهر الإنتصار لأهل البيت عليهم السلام وأنّه ما جاء إلّا بصدد أن يُقيم شعارهم، ويُظهر منارهم ، ويستوفي ثأرهم...»[٢]

٣ ـ وفي مقام آخر قال: «... إنّي قد جئتكم مِن قِبل ولي الأمر، ومعدن الفضل، ووصي الرضي، والإمام المهدي، بأمر فيه الشفاء، وكشف الغطاء، وقتل الأعداء، وتمام النعماء،...»[٣]

٤ ـ وكان المختار علىٰ هذه العقيدة عندما كان في الحبس[٤] إذ قال حينها: «أمّا وربّ البحار، والنخل والأشجار، والمهامة والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لأقتلنَّ كل جبّار، بكل لدن[٥] خطّار[٦] ومهنّد بتّار،[٧] في جموعٍ من الأنصار، ليسوا بميل،[٨] ولا أغمار[٩] ولا بعُزّل[١٠]، أشرار، إذا أقمت عمود الدين، ورأبت صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت ثأر النبيين، لم يكبر عليَّ زوال الدنيا، ولم أحفل بالموت إذا أتى[١١]».[١٢]

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٤٩، الكامل لابن الأثير: ج٤، ص١٧٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ج٥، ص٦٢، أمتاع الأسماع للمقريزي: ج١٢، ص٢٥٠.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ج ٨، ص٢٧٤.

(٣) نفس المصدر .

(٤) تاريخ الطبري: ج٥، ص٥٨٠ – ٥٨١.

(٥) اللدن: اللين من كل شيْ.

(٦) خطر الرجل بسيفه ورمحه: رفَعه مرّة ووضعه أخرىٰ، والرمح إهتز فهو خطار.

(٧) هنّد السيف: شحذه، والبتر: القطع.

(٨) الميل: جمع أميل وهو الكسل الذي لا يحسن الركوب والفروسية.

(٩) الأغمار: جمع غمر ـ بالضم ـ وهو الجاهل الغر الذي لم يجرّب الأمور.

(١٠) العزّل ـ بالضم ـ جمع الأعزل، وهو الذي لا سلاح معه.

(١١) تاريخ الطبري: ج٥، ص٥٨١ – ٥٨٢، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٧٣.

(١٢) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٨٠ – ٨١.

٥ ـ وفي رسالة سرّية إلى من بقي من «التوّابين» الّذين عادوا من المعركة سالمين قال: «فأبشروا فإني لو خرجت إليكم جرَّدت فيما بين المشرق والمغرب من عدوّكم بالسيف بإذن اللّه، فجعلتهم ركاماً، وقتلتهم فذّاً وتوأماً، فرحَّب اللّه لمن قارب وإهتدىٰ، ولايُبعد اللّه إلّا من عصىٰ وأبىٰ، والسلام عليكم يا أهل الهدىٰ».(١)

٦ ـ قول المختار حين دعوة المثنّىٰ إبن مخربة زعيم شيعة البصرة وتأكيده لدعوة البصريين لأخذ الثأر للحسينعليه‌السلام «... فبايعه المثنّىٰ سرّاً، وقال له المختار إلحق ببلدك بالبصرة فأرع النّاس وأسرَّ أمرك فقدِم البصرة فدعا فأجابه رجال من قومه وغيرهم...».(٢)

٧ ـ وفي سياق لقاء زعماء الشيعة بمحمد إبن الحنفيّة والإمام السجَّاد: «...وقد قدم المختار يزعم أنّه جاء مِن قِبلِكم وقد دعانا إلى كتاب اللّه وسنّة نبيِّه، والطلب بدماء أهل البيت، فبايعناه علىٰ ذلك. فإن أمرتنا بإتباعه إتّبعناه وإن نهيتنا إجتنبناه... قال لهم: ـ قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي إبن الحُسَين، فلمّا دخل ودخلوا عليه أخبر خبرهم الذي جاؤوا لأجله، قال: يا عم لو أنّ عبداً زنجياً تعصَّب لنا أهل البيت، لوجب علىٰ النّاس مؤازرته».(٣)

٨ ـ وعند عودة زعماء الشيعة من المدينة إلى الكوفة قال: «يا معشر الشيعة، إنّ نفراً أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به، فخرجوا إلى إمام الهدىٰ، والنجيب المرتضىٰ، وإبن المصطفىٰ المجتبىٰ ـ يعني زين العابدينعليه‌السلام ـ فعرَّفهم أنّي ظهيره ووزيره، وأمركم بإتباعي وطاعتي...»(٤)

---

(١) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص ٩٢ - ٩٣.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٣٦.

(٣) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج ٤٥، ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

(٤) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٩٨، تاريخ الطبري: ج٦، ص ١٥، الكامل: ج ٤، ص ٢١٥.

٩ ـ «فخرج المختار إلى الحجاز فلقيه إبن الغرق وراء واقصة... أن الفتنة أرعدت وأبرقت وكان قد إنبعث فإذا سمعت بمكان قد ظهرت به فقل إنّ المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدَم الشهيد المظلوم المـقتول بالطف سيّد المسلمين وإبن بنت سيّد المرسلين الحُسَين بن علي فوربك لأقتلنَّ بقتله عدد من قُتل علىٰ دم يحيىٰ بن زكريا».[1]

١٠ ـ في اللقاء السرّي الذي جرىٰ بين زعماء الشيعة وإبراهيم بن مالك الأشتر يدعونه للإلتحاق بهم: «... أجبتكم إلى الطلب بدم الحُسَين وأهل بيته... هذا المختار قد جاءنا مِن قِبل المهدي وهو المأمور بالقتال... هذا كتاب من المهدي محمّد بن علي أمير المؤمنين وهو خير أهل الأرض اليوم وإبن خير أهلها قبل اليـوم بَـعدَ أنبياء اللّه ورسله وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا».[2]

١١ ـ وفي الرسالة الّتي أرسلها محمّد إبن الحنفيّة إلى إبراهيم الأشتر نرىٰ هذه الجملة: «سلامٌ عليك فإني أحمـد اللّه إليك الذي لا إله إلا هو. أمّا بعد، فإنّي قـد بعثت إليكم وزيري وأميني الذي إرتضيته لنفسي وأمرته بقتال عدوّي والطـلب بدماء أهل بيتي فإنهض معهم بنفسك وعشيرتك».[3]

١٢ ـ إنَّ الشعار في أي مذهب وثورة يدل علىٰ هدفها، وكان شعار المختار في جميع مراحل ثورته «يالثارات الحُسَين».[4]

١٣ ـ عند إستيلاء المخـتار علىٰ الكوفة، خطب في النّاس خطبة غرّاء وأوضح

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٦٩ – ١٧٠.

(٢) نفس المصدر: ج٤، ص٢١٥.

٣) نفس المصدر .

(٤) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٥٢ و٤٩٨، الكـامل في التـاريخ: ج٤، ص١٧٥، الأخـبار الطـوال للـدينوري ص٢٩١، تاريخ دمشق: ج٣٣، ص٣٥٤، تاريخ الإسلام: ج٥، ص٤٦.

هدفه للناس بهذه الجملة بجلاء: «... ألا فهلمُّوا عباد اللّه إلى بيعة الهدىٰ، ومجاهدة الأعداء، والذبِّ عن الضعفاء من آل محمّد المصطفىٰ، وأنا الـمُسلّط علىٰ الـمُحلِّين، المطالِب بدم إبن نبيّ ربِّ العالمين...».[1]

وأوضح وأظهر كلام يدل علىٰ أهداف المختار وفلسفة نهوضه وثورته هو حديثه للناس عند أخذ البيعة منهم وهو: «تبايعوني علىٰ كتاب اللّه وسنّة نبيّه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلّين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتَلنا وسلم من سالَمنا والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولانستقيلكم، فإذا قال الرجل نعم بايعه».[2]

أقوال العظماء حول هدف المختار

يقول العلّامة الأميني (رحمه اللّه) في الإشادة وتجليل المختار وبيان منزلته وأهدافه: «... وأنّ نهضته الكريمة لم تكن إلّا لإقامة العدل بإستئصال شأفة الملحدين، وإجتياح جذوم الظلم الأموي...»[3]

ويقول العلّامة باقر شريف القرشي حول فلسفة خروج المختار: «... وقد سعىٰ جاهداً للإستيلاء علىٰ الحكم، لا لرغبة فيه وإنمّا ليأخذ ثأر آل البيت وينتقم من قَتَلَتهم...».[4]

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٣٢، كتاب الفتوح: ج٦، ص٢٤٠، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٦٩، أصدق الأخبار: ص٥٥.

٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٨ و ج٦ ص٣٣، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢٢٦، و ج٢، ص٦٧٢، تاريخ الكوفة للسيّد البراقي: ص٣٥٦، كتاب الفتوح: ج٦، ص٢٤١، الأخبار الطوال: ص٢٩٢.

(٣) الغدير للعلّامة الأميني: ج٢، ص٣٤٣.

(٤) حياة الإمام الحُسَين: ص٤٥٤.

◘ الفصل السادس

التحضير للثورة

الباب الأوّل

المختار الـمُدافع عن أهل البيت عليهم السلام

وكما أسلفنا فإنَّ المختار كان من الشخصيّات البارزة في الكوفة ومـن المـوالين بشدّة لأهل البيت والإمام الحُسَين عليه السلام. وعلىٰ الرغم من ذلك لم نرَ إسمه في قـائمة الّذين دعوا الإمام الحُسَين عليه السلام إلى الكوفة. ربما كان ذلك لذكـائه وفـطنته وقـوّة تحليله، أو لقيام كبار القوم وشيوخهم أمثال: «سليمان بن صرد الخزاعي» و «هاني إبن عروة» وآخرين بهذا الأمر مِن قبل، ولم يجد المختار ضرورة إلى الكتابة للإمام الحُسَين عليه السلام بعد هؤلاء القوم.

إلّا أنَّ المسلَّم به هو عمله المتواصل والدؤوب والإصرار الشديد أكثر من غيره علىٰ تشكيل حكومة الإمام الحُسَين عليه السلام في العراق. وبعد المراسلات والإتّصالات المتعددة لزعماء الكوفة، أرسل الإمام الحُسَين عليه السلام أولاً مسلم بن عقيل عليه السلام بالنيابة عنه إلى الكوفة.

مسلم بن عقيل في بيت المختار

طبقاً للروايات التاريخية وما ذكره الشيخ المفيد والطبري فإنَّ مسلم بن عقيل بعد وصوله الكوفة «نزلَ دار المختار بن أبي عبيد الثقفي، وإختلفت إليه الشيعة»[1]،

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٦٤، أنساب الأشراف للبلاذري: ص ٧٧، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٢٠.

وحفا به ودافع عنه وناصره.

يُستخلص من النصوص التاريخية أنَّ مسلم لم يكن ينوي إعلان الثورة فجأة، بل أنَّ المختار وبالتشاور مع زعماء الكوفة الموالين لأهل البيتعليهم السلام قد أعدّوا لهذا الأمر مسبقاً. وكانت دعوة العشائر والقبائل في أطراف الكوفة من جملة هذه الإستعدادات. لكن وبدخول «عُبيد اللّه بن زياد» إلى الكوفة إنقلبت الأمور رأساً علىٰ عقب، فتركَ مسلم بيت المختار وإنتقل إلى بيت «هاني إبن عروة» وهو من الشخصيّات المرموقة ومن زعماء الشيعة وحماة الحُسَينعليه السلام. إستغلَ المختار هذه الفرصة وخرج لترغيب القبائل القاطنة أطراف الكوفة.

يقول البلاذري في هذا المجال: «فلمّا بعثَ الحُسَين بن علي، مسلم بن عقيل نزلَ دار المختار فبايعه المختار في من بايعه سراً... وخرج إبن عقيل يوم خرج والمختار في ضيعة له بخطرانيّة ولم يكن خروج مسلم، عن مواعدة لأصحابه، إنّما خرج بداهة حين كان من أمر هاني ماكان و قدِم المختار الكوفة مسرعاً».[١]

عودة المختار

بدخول إبن زياد إلى الكوفة أنقلبت الأمور رأساً علىٰ عقب وبتسلّط عمّال حكومة يزيد علىٰ الكوفة، إستشهد مسلم، (وقد جاء شرح ذلك مفصّلاً في كتب التواريخ والمقاتل). وبعد سيطرة إبن زياد علىٰ الأوضاع وحسم الموقف لصالحه وقمعه لأصحاب مسلم والشيعة وأتباع أهل البيتعليهم السلام، كان المختار ضمن القائمة السوداء المطلوبين لإبن زياد.

إعتقل إبن زياد جميع الّذين إحتملَ أن يكون لهم علاقة بمسلم أو مِن محبّي

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ج ٥، ص ٢١٤.

الإمام الحُسَينعليه السلام، فقَتل البعض منهم وسجَن الآخرين.

قال إبن الأثير: «كان المختار في قرية له بخطرانيّة تدعىٰ لفغا أو لقفا ـ لجمع التبرعات وكسب المناصرين علىٰ الأرجح ـ فجاءه خبر إبن عقيل عند الظهر أنّه قد ظهر ولم يكن خروجه عن ميعاد كما سبق فأقبل المختار في مواليه فإنتهىٰ إلى باب الفيل بعد المغرب وقد أقعدَ عُبيد اللّه بن زياد عمرو إبن حريث بالمسجد ومعه راية فوقف المختار لا يدري ما يصنع فبلغ خبره عمراً فإستدعاه وآمنه فحضر عنده.»[1]؛ فلقىٰ المختار مجموعة مسلّحة قرب المدينة فسألهم؛ من أي قبيلة أنتم؟ ولمن توالون؟ الحُسَين أو يزيد؟ فأجابوه بعصبيّة وغرور نحن جنود إبن زياد ونعرف أنّك المختار وتسعىٰ لنصرة الحُسَين؟! إعلم أنّ مسلم قد قُتل. ومنعوا المختار من دخول المدينة فدارت معركة بينهم قُتلَ علىٰ إثرها قائد تلك المجموعة وتفرّق أفراده. وبعدها قال المختار لأصحابه المذهولين: جزاكم اللّه خيراً، أما أنَّ مسلم قد قُتل فلاحاجة لكم، عودوا إلى قبائلكم. ودخل المدينة وحده.

الكوفة المرتبكة

لدىٰ وصول المختار إلى الكوفة وجدَها مرتبكة وقد خيّم عليها الرعب والموت. فهذا مسلم بن عقيل قد أُعتقلَ وإستُشهد. وهذا إبن زياد يدعو النّاس إلى الإجتماع في مسجد الكوفة بعدما سيطر علىٰ هذه المدينة فاتحاً منتصراً لإعلان إنتصار يزيد وحكومته؛ يقول الطبري: «إنّ المختار بن أبي عبيد وعبد اللّه بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم. خرجَ المختار براية خضراء وخرجَ عبد اللّه براية حمراء وعليه ثياب حمر وجاء المختار برايته فركزها علىٰ باب عمرو بن حريث وقال: إنّما

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٦٩.

خرجت لأمنع عمراً».[١]

الجدير بالذكر أنَّ عمرو بن حريث كان له دور مهم في قمع نهضة مسلم، ولذا أراد المختار أن يمنع دخوله المعركة بأي شكل كان كي لايواجه قيام مسلم أي مانع يذكر. ويضيف الطبري بعد نقله إندحار مسلم ويقول: «وإنّ عُبيد اللّه أمر أن يُطلب المختار وعبد اللّه بن الحارث وجعلَ فيهما جعلا فأُتيَ بهما فحُبسا».[٢]

ويشهد التاريخ أنّ المختار كان من جملة الحماة المتشددين لمسلم بن عقيل ودخل معه المعترك ووقف معه بكامل قواه لنصرته....

القبض علىٰ المختار

قال أبومخنف: «... فلم يكن خروجه يوم خرج علىٰ ميعاد من أصحابه إنّما خرج حين قيل له أنّ هاني إبن عروة المرادي قد ضُرب وحُبس فأقبل المختار في موال له حتىٰ إنتهىٰ إلى باب الفيل بعد الغروب وقد عقد عُبيد اللّه إبن زياد لعمرو بن حريث راية علىٰ جميع النّاس وأمرَه أن يقعد لهم في المسجد، فلمّا كان المختار فوقف علىٰ باب الفيل مرَّ به هاني بن أبي حيّة الوادعي فقال للمختار ما وقوفك هٰهنا لا أنت مع النّاس ولا أنت في رحلك قال: أصبحَ رأيي مرتجّاً لعظم خطيئتكم فقال له: أظنك واللّه قاتلاً نفسك ثمّ دخلَ علىٰ عمرو بن حريث فأخبره بما قال للمختار وما ردَّ عليه المختار.

وأضاف أبومخنف: فأخبرني النضر بن صالح عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي قال: كنت جالساً عند عمرو بن حريث حين بلّغه هاني بن أبي حيّة عن

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٢٨٦.

٢) نفس المصدر.

المختار هذه المقالة فقال لي: قم إلى إبن عمك فأخبره إنّ صاحبه لا يدري أين هو فلا يجعلن علىٰ نفسه سبيلاً، فقمت لآتيه ووثب إليه زائدة إبن قدامة بن مسعود فقال له: يأتيك علىٰ إنّه آمن فقال له عمرو بن حريث: أمّا منّي فهو آمن إن رقيَ إلى الأمير عُبيد اللّه بن زياد شيء من أمره أقمت له بمحضره الشهادة وشفعت له أحسن الشفاعة. فقال له زائدة إبن قدامة: ليكونن مع هذا إن شاء اللّه الأخير. قال عبدالرحمن فخرجت وخرج معي زائدة إلى المختار فأخبرناه بمقالة إبن أبي حية وبمقالة عمرو بن حريث وناشدناه باللّه ألّا يجعل علىٰ نفسه سبيلاً فنزل إلى إبن حريث فسلّم عليه وجلس تحت رايته حتىٰ أصبح.»[1]

تعامُل إبن زياد مع المختار

تمكّن إبن زياد وبعد أن تلطّخت يداه بدم مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني إبن عروة وإعتقاله لعدد من الشيعة وزعمائهم، وعبر طرح نفسه كوالي منتصر من السيطرة علىٰ الأوضاع المتفجّرة في هذه المدينة. ولأجل إبراز إقتداره وترسيخ موقعه، أعلن عن الإستئذان العام للقاء الأمير. وكان المختار وبإقتراح من عمرو بن الحريث (مساعد الوالي) من ضمن الّذين أُدخِلوا علىٰ إبن زياد في ذلك اليوم.

وما أن وقعت عين إبن زياد علىٰ المختار ظهرَ وكأنّه قد ظفرَ بألد أعدائه. قال أبومخنف عن هذه الحادثة: «وتذاكر النّاس أمر المختار وفِعله فمشىٰ عمارة إبن عقبة بن أبي معيط بذلك إلى عُبيد اللّه بن زياد فذكرَ له، فلمّا إرتفع النهار فُتح باب عُبيد اللّه بن زياد وأُذنَ للناس فدخل المختار فيمن دخل فدعاه عُبيد اللّه فقال له: أنت المقبل في الجموع لتنصر إبن عقيل فقال له: لم أفعل ولكنّي أقبلت ونزلت تحت

(١) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٥، الكامل: ج٤، ص١٦٩، مقتل الحُسَين(ع): ص٢٦٨ - ٢٧١.

راية عمرو بن حريث وبت معه وأصبحت، فقال له عمرو: صدق أصلحك اللّـه. قال فرفع القضيب فإعترض به وجه المختار فخبطَ به عينه فشترها. وقال: أولىٰ لك، أما واللّه لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك».[١]

المختار في سجن إبن زياد

كان أمل المختار أن يبقىٰ حياً كي يقف إلى جانب الحُسَين عليه السلام ويقارع الطغيان، إلّا أنّ أيادي الجور ألقت به في غياهب السجن لإحساسهم الخطر من وجوده. فقد أمرَ إبن زياد في حينه بإيداع المختار السجن قائلاً: «إنطلقوا به إلى السجن فإنطلقوا به إلى السجن فحُبس فيه. فلم يزل في السجن حتىٰ قُتل الحُسَين».[٢]

وإنتهىٰ أمر نهضة مسلم بن عقيل بالفشل بسبب خيانة أهل الكوفة وغَدرهم به. حيث إستشهد مسلم في الثامن من ذي الحجة سنة (٦٠) للهجرة.[٣] وفي هذا اليوم أُلقي بالمختار في السجن وفي ذات زنزانات بعض كبار الشيعة أمـثال «مـيثم التّمار» و «عبد الله بن الحارث» والكثير من الشيعة ومحبي أهل البيت عليهم السلام.

وفي السجن بشّرَ «ميثم التّمار» هذا الصحابي الجليل الوفي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المختار وقالَ له: «إنّك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحُسَين عليه السلام فتَقتُل هذا الجبّار الذي نحن في حبسه وتطأ بقدمك هذا علىٰ جبهته وخدّه».[٤]

قال البلاذري: «حلفَ إبن زياد ليقتُلنَ المختار، فسمع ذلك أسماء إبن خارجـة

---

(١) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٥، الكامل: ج٤، ص١٦٩، مقتل الحُسَين(ع): ص٢٦٨ - ٢٧١.

(٢) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٥؛ طبعة بغداد، الكامل لابن الأثير: ج٤، ص١٦٩، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي ص٢٦٨ - ٢٧١.

(٣) تاريخ الطبري ج٥، ص٣٨١ وبحار الأنوار: ج٤٥، والكامل لابن الأثير: ج٤، ص٣٦.

(٤) الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي: ج٢، ص٧٩٩، بحار الأنوار للـعلّامة المجـلسي: ج٤١، ص٣٤٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢، ص٢٩٣.

وعروة إبن المغيرة، فدخلا عليه وأخبراه وقالا: أوصنا في مالك، فقال ـ وبكل شهامة ـ: كذبَ واللّه إبن مرجانة الزانية! واللّه لأقتلنّه ولأضعنَّ رجلي على خدِّه! فنهضا مستحمقين له»[١].

ثمّ أنَّ المختار بعثَ إلى «زائدة إبن قدامة» ـ أحد أبناء عمومته وثقته ـ فسأله أن يسير إلى عبد اللّه بن عمر بالمدينة فيسأله أن يكتب إلى يزيد بن معاوية فيأمر عُبيد اللّه بن زياد بتخلية سبيله. وكان عبد اللّه بن عمر بن الخطّاب زوج صفيّة أُخت المختار، ولكونه كان راوياً للحديث ومعتزلاً للسياسة فقد كان الأمويّون يحترمونه ويطيعون أمره. فركب زائدة إلى عبد اللّه بن عمر بن الخطّاب فقدِم عليه فبلّغه رسالة المختار.

كتاب عبداللّه بن عمر إلى يزيد

في المدينة؛ وعندما كان عبد اللّه بن عمر وصفيّة يتهيآن لتناول الطعام إذ طُرقِ الباب؛

ـ من هناك؟

ـ أنا، رسولٌ من العراق

ـ ماذا تريد؟

ـ عندي لكم رسالة مستعجلة

ـ رسالة ممن؟!

وبمجرد أن قرأ عبد اللّه الرسالة عبُست أساريره وطوىٰ الكتاب.

حيث جاء فيه: «أمّا بعد، فإني حُبست مظلوماً، وظنَّ بي الولاة ظنوناً كاذبة،

---

(١) أنساب الأشراف: ج٥، ص٤١٣، طبعة دار الفكر - بيروت.

فاكتب فيَّ ـ يرحمك اللّه، كتاباً عسىٰ اللّه أن يُخلّصني من أيديهما بلطفك ومَنّك، والسلام عليك»، وعلِمت صفيّة أُخت المختار بمحبس أخيها وهي تحت عبد اللّه بن عمر فبكت وجزعت فلمّا رأىٰ ذلك عبد اللّه بن عمر كتب ـ برغم عدم ميله للأمر ـ مع زائدة إلى يزيد بن معاوية: «أمّا بعد فإنّ عُبيد اللّه بن زياد حَبسَ المختار وهو صهري وأنا أحب أن يعافىٰ ويصلح من حاله فإن رأيت رحمنا اللّه وإيّاك أن تكتب إلى إبن زياد فتأمره بتخليته، فعلت والسلام عليك». فمضىٰ زائدة علىٰ رواحله بالكتاب حتىٰ قدِم به علىٰ يزيد بالشام فلمّا قرأه ضحك ثمّ قال يشفع أبوعبد الرحمن وأهلُ ذلك هو. فكتب له إلى إبن زياد. أمّا بعد فخلِ سبيل المختار بن أبي عبيد حين تنظر في كتابي والسلام عليك».[1]

المختار علىٰ أعتاب الموت

«فلمّا دعا عُبيد اللّه بن زياد بالمختار ليقتله، طلعَ البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عُبيد اللّه بن زياد يأمره بتخلية سبيله»[2]

فأخرجه ثمّ قال له: قد أجّلتك ثلاثاً فإن أدركتك بالكوفة بعدها قد برئت منك الذمّة فخرج إلى رحله.[3]

---

(١) قاموس الرجال للشيخ محمّد تقي التستري: ج١٠، ص١٣، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي ص٢٦٨ـ ٢٧١، تعليقات كتاب الغارات للثقفي: ج٢، ص٧٩٧، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٢١٠، طبعة قديمة.

(٢) الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي: ج٢، ص٧٩٩، بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤١، ص٣٤٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢، ص٢٩٣، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج١٨، ص٢٩٧، تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٤٢، مقتل الحُسَين(ع) أبو مخنف الأزدي: ص٢٧٠.

(٣) قاموس الرجال للشيخ محمّد تقي التستري: ج١٠، ص١٣، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٢٦٨ – ٢٧١، تعليقات كتاب الغارات للثقفي: ج٢، ص٧٩٧ و شرح نهج البلاغة: ج١، ص٢١٠، طبعة قديمة.

طبع المختار الحُر

بعد الأحداث الّتي تلت إستشهاد الإمام الحُسَين عليه السلام وسيطرة إبن زياد علىٰ الكوفة وقمع محبي أهل البيت عليهم السلام و نَيله من علي وبنيه عليهم السلام من علىٰ منبر مسجد الكوفة وإعتراض النّاس عليه ومنهم عبد اللّه بن عفيف علىٰ فعله هذا. وبعد مرور عدّة أيّام علىٰ إطلاق سراح المختار، جاء إبن زياد إلى مسجد الكوفة وكالمعتاد صعدالمنبر وبدأ في النَيل من أمير المؤمنين وأبنائه. وبسبب إستشهاد إبن عفيف في اليوم الماضي، لإعتراضه علىٰ إبن زياد لتلك الإهانات، فلم يجرؤ أحداً علىٰ الإعتراض علىٰ هذا المجرم الفتّاك. وبعد أن عمَّ الصمت والسكون في المكان، سُمع فجأة صوت المختار يُدوّي كالأسد الغاضب وهو يقول: ويلك يا إبن زياد أتَسُب عليّاً والحُسَين وتُهينهم، حطمَ اللّه فمك فمن أنت؟ ألستَ أنت ذلك إبن الزنا المعروف. إنَّ هذه التُهم لاتليق سوىٰ بك أنت وبأميرك يزيد وليس بالحسين وأهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

كان وقع كلام المختار علىٰ إبن زياد كبيراً جداً، فردَ إبن زياد بإلقاء عصاه عليه من فوق المنبر فشجَ وجه المختار.[1] ولولا وصول رسالة يزيد تلك بشأن المختار إليه لأصدر الأوامر بقتله في الفور. حين ذلك شعرَ المختار أنّ بقاءه في الكوفة في غير صالحه.

(١) «قال إبن العرق: رأيت المختار أشتر العين، فسألته، فقال: شترها إبن زياد اللعين، يا إبن العرق إنّ الفتنة أرعدت وأبرقت، وكأنّ قد أينعت، وألقت خطامها، وخطبت وشمست، وهي رافعة ذيلها، وقائلة ويلها، بدجلة وحولها...» تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٤٢، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٦٩، الخوارج والشيعة لعبد الرحمن بدوي: ص١٢٣، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٢٧١، قاموس الرجال للشيخ محمّد تقي التستري: ج١٠، ص١٢، أصدق الأخبار للسيّد محسن الأمين: ص٣٣ ـ عوالم العلوم، الإمام الحُسَين(ع) للشيخ عبداللّه البحراني: ص٦٧٣، بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٥٤، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٧٠.

كان المختار خارجاً لتوه من سجن إبن زياد، وكان شديد الحزن علىٰ إستشهاد الإمام الحُسَينعليه السلام وأصحابه الأبطال، متأثّراً بواقعة عاشوراء الّتي حدثت أثناء وجوده في السجن، وبجرائم الغدر الّتي إرتكبها الحكم الأموي. وكان يُمني نفسه لو أنّه شارك في واقعة كربلاء ولم يترك الحُسَينعليه السلام وحيداً، بل وياحبذا لو كان قد أفدىٰ بروحه من أجل الحُسَينعليه السلام، وياليته لو...، إلّا أنّ الوضع قد تغيّر والمختار علىٰ أساس الروايات الواردة الّتي سمعها عن أمير المؤمنين والأئمة الأطهارعليهم السلام وأصحابهم، أمثال: ميثم التّمار وغيرهم، بأنه سيبقىٰ حيّاً لينتقم لدماء الشهداء. وبقلب مفعم بالأمل والإطمئنان إنطلق نحو تحقيق أهدافه.

والآن وبعد خروجه من السجن إلى أين يتّجه لتحقيق أهدافه. هكذا بدأ يخطط، فهل يبقىٰ في الكوفة؟ وهي حالياً ليست مكاناً آمناً له! أم إلى الشام؟ كلا، فهي مركز الحكم الأموي. أم إلى بلاد فارس؟ وهي غير مناسبة لبعدها عن مركز إتّخاذ القرار. أم إلى مصر أو اليمن البعيدتين واللتين لاتخدمان أهدافه. إذن أين هو المكان الأفضل؟ هل الحجاز! نعم إنّه الحجاز. مركز التوحيد والوحي ومركز أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام والإمام السجّادعليه السلام وبقايا أهل بيته في المدينة. سيَّما وأنّ عبد اللّه بن الزبير هو حاكم مكّة والعدو اللدود لبني أُميّة. إذن فليذهب إلى الحجاز الخارجة عن سلطة الأمويين، ولربما سايره وناصَره إبن الزبير علىٰ تصفية بني أُميّة والقضاء عليهم. ومن جهة أخرىٰ فإنّه سيلتقي عندئذٍ بأهل بيت النبوّة عليهم السلام ويزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وقبور أهل بيته عليهم السلام. وفي مكّة سيزور أيضاً الكعبة المشرَّفة ويلتقي إبن الزبير ويُطلعه علىٰ أهدافه وخططه ويضعه في صلب مجريات الأُمور ومايرغب في القيام به. أوليس أهدافهما مشتركة؟!

إلى الحجاز

وفي النهاية توصّل المختار إلى أنّ الحجاز هي أفضل مكـان لتـحقيق أهـدافـه المقدّسة، ولربما إستطاع إقناع إبن الزبير الذي لايُستهان بقدرته، في المشاركة بمهمة الدفاع عن أهل‌بيت الرسول ﷺ. إذن عليه التحرك. ولذا وبعد مرور ثلاثة أيام من خروجه من السجن ودَّع أصدقائه وتحرَك نحو مكّة تاركاً العراق الذي عاش فيه لسنوات طوال.

قال أبو مخنف: «ولمّا كان اليوم الثالث خرج المختار إلى الحجاز قال: فحدَّثني الصقعب بن زهير عن إبن العرق مولىٰ لثقيف قال: أقبلت من الحجاز حتىٰ إذا كنت بالبسيطة من وراء واقصة إستقبلت المختار بن أبي عبيد خارجاً يريد الحجاز حين خلّىٰ سبيله إبن زياد فلمّا إستقبلته رحّبت به وعطفت إليه، فلمّا رأيت شتر عـينه إسترجعت له وقلت له بعد ما توجّعت له: ما بال عينك صرف اللّه عنك السوء قال: خبط عيني إبن الزانية بالقضيب خبطة صارت إلى ما ترىٰ فـقلت له: مـاله شُلّت أنامله فقال المختار: قتلني اللّه إن لم أقطع أنامله وأباجله وأعضاءه إرباً إرباً قال: فعجبت لمقالته، فقلت له: ما عِلمُك بذلك رحمك اللّه؟ فقال لي: ما أقول لك فإحفظه عنّي حتىٰ ترىٰ مصداقه».[1]

قال: «ثمّ طفق يسألني عن عبد اللّه بن الزبير فقلت له لجأ إلى البيت فقال: إنّما أنا عائذ برب هذه البنيّة، النّاس يتحدثون أنّه يبايع سرّاً ولا أراه إلّا لو قد إشتدت شوكته وإستكثف من الرجال إلّا سيُظهر الخلاف».[2]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٤٤٢ ـ ٤٤٧، الكامل في التاريخ لإبن الأثـير: ج ٤، ص١٦٩، قـاموس الرجـال للشيخ محمّد تقي التستري: ج ١٠، ص١٢، الخوارج والشيعة لعبد الرحمن بدوي: ص١٢٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٢٧١.

٢) نفس المصدر .

قال: أجل لاشك في ذلك أما إنّه رجل العرب اليوم، أما أنّه إن يخطط في أثري ويسمع قولي، أكفه أمر النّاس وإلّا يفعل فواللّه ما أنا بدون أحد من العرب يا إبن العرق. إنّ الفتنة قد أرعدت وأبرقت وكأنّ قد إنبعثت فوطئت في خطامها فإذا رأيت ذلك وسمعت به بمكان قد ظهرت فيه فقيل: إنّ المختار في عصابة من المسلمين يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطف سيّد المسلمين وإبن سيّدها الحُسَين بن علي فوَربك لأقتلنَّ بقتله عدد القتلىٰ الّتي قُتلت علىٰ دم يحيىٰ بن زكريا عليه السلام».[١]

«فقلت له: سبحان اللّه وهذه أعجوبة مع الأحدوثة الأُولىٰ، فقال: هو ما أقول لك فاحفظه عنّي حتىٰ ترىٰ مصداقه ثمّ حرَّك راحلته فمضى ومضيت معه ساعة أدعو اللّه له بالسلامة وحسن الصحابة. قال: ثمّ إنّه وقف فأقسم عليَّ لما إنصرفت فأخذت بيده فودَّعته وسلَّمت عليه وإنصرفت عنه فقلت في نفسي هذا الذي يذكر لي هذا الإنسان، يعني المختار مما يزعم أنّه كائن أشيئ حدَّث به نفسه فواللّه ما أطلعَ اللّه علىٰ الغيب أحداً وإنّما هو شي يتمناه فيرىٰ أنّه كائن فهو يوجب رأيه فهذا واللّه الرأي الشعاع، فواللّه ما كل ما يرىٰ الإنسان أنّه كائن يكون، قال: فواللّه ما مُت حتىٰ رأيت كل ما قاله. قال: فواللّه لئن كان ذلك من عِلم أُلقي إليه لقد أثبت له ولئن كان ذلك رأياً رآه وشيئاً تمنّاه لقد كان».[٢]

قال أبو مخنف: «فحدّثني الصقعب بن زهير عن إبن العرق قال فحدَّثت بهذا الحديث للحجّاج بن يوسف فضحك ثمّ قال لي إنّه كان يقول أيضاً:

ودافعة ذيلها وداعية   ويلها بدجلة أو حولها

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٤٢ ـ ٤٤٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٦٩، قاموس الرجال للشيخ محمّد تقي التستري: ج١٠، ص١٢، الخوارج والشيعة لعبد الرحمن بدوي: ص١٢٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٢٧١.

(٢) نفس المصدر.

فقلت له: أترىٰ هذا شيئاً كان يخترعه وتخرّصاً يتخرَّصه أم هو من عِلمٍ كان أُوتيه فقال: واللّه ما أدري ما هذا الذي تسألني عنه ولكن للّه دَرُّه أي رجل ديناً ومسعِّر حرب ومُقارع أعداء كان».[1]

(١) تاريخ الطبري: ج٤ ص٤٤٢ـ٤٤٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٦٩، قاموس الرجال للشيخ محمّد تقي التستري: ج١٠، ص١٢، الخوارج والشيعة لعبد الرحمن بدوي: ص١٢٤، مقتل الحُسَين(ع)؛ لأبي مخنف الأزدي: ص٢٧١.

الباب الثاني
المختار وإبن الزبير

قبل البحث في أسباب فشل التعاون بين إبن الزبير والمختار والكشف عن تداعياته، لابدَّ من الإشارة بدايةً ولو بشكل مختصر إلى شخصية ومكانة إبن الزبير وحركته وأهدافها. لاسيّما وأنَّ ثورة المختار كانت قد تزامنت مع فتنة إبن الزبير وحكمه وتبلور العلاقة المهمّة والتعامل المتعدد الجوانب بين الإثنين خلال تلك المرحلة والّتي من الضروري التطرّق إليها بما يتناسب مع بحثنا هذا.

مَن هو عبد اللّه بن الزبير؟[1]

هو: أبوخُبيب[2] ـ ويقال له «أبو بكر» ـ عبد اللّه بن الزبير[3] بن العوّام إبن خويلد بن أسد بن عبد العزّىٰ بن قصي الأسدي، وأُمه أسماء بنت أبي بكر[4] وهو أوّل مولود ولِد للمسلمين بعد الهجرة. ولِد بعد عشرين شهراً من الهجرة وقيل في

---

(١) المجموع النووي: ج٣، ص٣٧١، المستدرك للحاكم النيسابوري: ج٣ ص٥٤٧، عون المعبود لعظيم آبادي: ج١٠، ص١٦٥، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٢١١.

(٢) بضم الخاء المعجمة .

(٣) كان إبن عمة النبي(ص) ومن صحابته.

(٤) وأُمها قيلة بنت عبدالعزّيٰ بن عبد أسد بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، وعبداللّه يكنىٰ أبا بكر. وأُ مأبيه «صفيّة» عمة النبي(ص) وأمير المؤمنين(ع).

السنة الأولىٰ منها، شهدِ اليرموك؛ وكان قاضي مكّة زمن أبيه وخليفته إذا حج؛ وبويع بعد موت يزيد وغلبَ علىٰ اليمن والحجاز والعراق وخراسان ودامت دولته تسع سنين، قَتله الحجّاج بمكّة سنة ثلاث وسبعين وقيل سنة إثنتين وسبعين.

عند وفاة النبي كان أبوه الزبير من المعارضين للمجتمعين في سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر. وكان في بيت الإمام علي عليه السلام مع جَمع من الأصحاب وعلىٰ إستعداد تام لمنازلة أبي بكر وعُمر وعصابتهم.

وإصطدم مع عمر بشدّة وإعترض علىٰ خلافة أبي بكر، وعندما هجم عمر وعصابته علىٰ بيت أمير المؤمنين ـ لإجبار المتحصّنين علىٰ البيعة لأبي بكر ـ منعَهم الزبير شاهراً سيفه، فأخذ عمر سيف الزبير وكسره، لكنّه بعد أن تم الأمر لأبي بكر ومن ثمّ عمر، هادَنهم وحصل علىٰ إمتيازات مهمّة. وخاصة في زمن عثمان حيث حصل على أموال طائلة. ويعتبره أهل السنّة من الصحابة الكبار ويمتدحونه. لكنّه وبعد مقتل عثمان بيَد النّاس وبيعة المهاجرين والأنصار لعلي بن أبي طالب عليه السلام، جاء الزبير مع طلحة إلى الإمام وعلىٰ الرغم من البيعة له، إلّا أنهما طلبا منه مناصب والإبقاء علىٰ إمتيازاتهم الماليّة السابقة لكنَّ الإمام عليه السلام لم يقبل بذلك.

ومع علمهم بعدل علي عليه السلام وعدم قبوله المصالحة علىٰ الحق، وتجنبه أي نوع من المساومات السياسية علىٰ حساب الأُمّة، إعتبروا الأمر نوعاً من التمييز ضدّهم ومالوا عنه، وكان لهم دور مهم في تحريض النّاس علىٰ قتل عثمان أملاً في الحصول علىٰ الخلافة بعده. لكنَّ إجماع النّاس علىٰ أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وتسلّمه الخلافة، تبددت آمالهم يأساً وعرَّجوا يطالبون بدم عثمان بقيادة عائشة ـ بعد ماكانوا محرِّضين علىٰ قتله ـ

فخرجوا عن طاعة الإمام ونكثوا بيعتهم علناً، معلنين الحرب عليه ليشعلوا

فتنة الجمَل وحربه. فجهّز لهم عليعليه السلام جيشاً جراراً وخرجَ لمقابلتهم. وبعد أن فشلت المفاوضات والدعوات الخيّرة للإمام عليعليه السلام وتعنُّت عائشة وطلحة والزبير، إنتهت الحرب بإنهزام جيشهم شرَّ هزيمة ومقتل طلحة وإغتيال الزبير.(١)

جدير بالذكر أنّ الزبير وقبل إندلاع المعركة بين الفريقين تراجع عن موقفه المعادي لأمير المؤمنينعليه السلام وقصدَ العودة إلى أهله، إلّا أنَّ إبنه المشؤوم «عبداللّه» حرّضه ومنعه من ذلك فعاد مجدداً للحرب ضد عليعليه السلام.

الإبن المشؤوم

يصف الإمام عليعليه السلام الزبير قائلاً: «مازال الزبير رجلاً منّا أهل البيت، حتىٰ نشأ إبنه المشؤوم عبداللّه».(٢)

و«كان عبداللّه بن الزبير هو الذي صلّىٰ بالجُند في أيام الجَمَل، لأنَّ طلحة والزبير تدافعا علىٰ الصلاة، فأمرت عائشة عبداللّه أن يُصلّي قطعاً لمنازعتهما، فإن ظفروا كان الأمر إلى عائشة، تستخلف مَن شاءت»(٣).

«وكان عبداللّه بن الزبير يزعم أنّه أحق بالخلافة من أبيه ومن طلحة، ويزعم أنَّ عثمان أوصىٰ بها إليه يوم الدار».(٤)

---

(١) مقتبس من «أنساب الأشراف للبلاذري: ج٥، ص٢٥٤».

(٢) الأصول الستة عشر: ص٢٣، الخصال للشيخ الصدوق: ص١٥٧، القول الصراح للأصبهاني: ص١٩٣، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٢٢ ـ ٢٣، معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ج١١، ص١٩٩، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج١٨، ص٤٠٤، أسدالغابة لابن الأثير: ج٣، ص١٦٢، أنساب الأشراف للبلاذري: هامش ص٢٥٥، الوافي بالوفيات للصفدي: ج١٧، ص٩٣، الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني: ج١، ص١٨، ينابيع المودّة للقندوزي: ج١، ص٤٥٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢، ص١٦٦.

(٤) نفس المصدر.

و«برزَ عليعليه السلام بين الصفّين حاسراً، وقال ليبرز إليَّ الزبير، فبرز إليه مدجّجاً ـ فقيل لعائشة: قد برزَ الزبير إلى عليعليه السلام، فصاحت: وا زبيراه ! فقيل لها: لا بأس عليه منه، إنّه حاسِر والزبير دارع[1]. فقال له: ما حملكَ يا أبا عبدالله علىٰ ما صنعت! قال: أطلب بدم عثمان، قال: أنت وطلحة وليتماه، وإنّما نوبتك من ذلك أن تُقيّد به نفسك وتُسلِّمها إلى ورثته، ثمّ قال: نَشدتُكَ اللّه! أتذكر يوم مررت بي ورسول اللّه صلى الله عليه وآله متكئ علىٰ يدك، وهو قد جاء من بني عمرو بن عوف، فسلَّمَ عليَّ وضحك في وجهي، فضحكت إليه، لم أزده علىٰ ذلك، فقلت: لايترك إبن أبي طالب يا رسول اللّه زهوه! فقال لك: «مه إنّه ليس بذي زهو، أما أنّك ستُقاتله وأنت له ظالم»! فإسترجع الزبير وقال: لقد كان ذلك، ولكنَّ الدهر أنسانيه، ولأنصرفنَّ عنك، فرجع، فأعتق عبده سرجس تحللاً من يمين لزمته في القتال، ثمّ أتىٰ عائشة، فقالَ لها: إنّي ما وقفت موقفاً قط، ولا شهدت حرباً إلّا ولي فيه رأي وبصيرة إلّا هذه الحرب، وإنّي لعلىٰ شك من أمري، وما أكاد أبصر موضع قدمي. فقالت له: يا أبا عبداللّه، أظنك فَرَقتَ سيوف إبن أبي طالب، إنّها واللّه سيوفُ حِداد، معدَّة للجِلاد، تحملها فئة أنجاد، ولئن فَرقتها لقد فَرقَها الرجال قبلك ! قال: كلّا، ولكنّه ما قلت لكِ. ثمّ إنصرف».[2]

وأيضاً: «قال الزبير: واللّه ما كان أمر قط إلّا عرفت أين أضع قدمي فيه، إلّا هذا الأمر، فإنّي لا أدري: أمقبل أنا فيه أم مدبر ! فقال له إبنه عبداللّه: كلا ولكنّك فَرَقتَ[3]! سيوف إبن أبي طالب، وعَرفتَ أنَّ الموت الناقع تحت راياته. فقال الزبير: ما لكَ أخزاك اللّه من وَلد ما أشأمك.[4]

---

(١) الحاسر: من لا درع له ولامغفر، والدارع: لابس الدرع.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢، ص١٦٦ – ١٦٧.

(٣) فرقت: خفت.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج٢، ص١٦٦ ـ ١٦٧، كتاب الفتوح: ج٢، ص٤٧٠، مناقب آل أبي طالب لابن شهر

وكان عبدالله بن الزبير يُحب خالته حبّاً جمّاً وكانت أُمنية عائشة[١] أن تراه يوماً خليفة، وقد ترك بغض عائشة لأهل بيت النبي ﷺ أثراً عجيباً على عبدالله بن الزبير حيث حمل هذا الكُره والبغض منذ صباه وكان مظهراً للعداوة المعلنة والبغضاء والحقد لأهل بيت الرسالة عليهم السلام إلى آخر لحظات حياته.

وكان من أكبر آمال عبدالله بن الزبير تولّي الخلافة والحكم. وقد وجد إبن الزبير الفرصة مناسبة لتحقيق مايصبو إليه، وذلك عند هلاك معاوية بن أبي سفيان وتَحرّك أهل العراق للتخلّص من الحكم الأموي، إضافة إلى بدء أهل الحجاز للتحرّك بذات الإتجاه. إلّا أن وجود شخصية فريدة في كل أبعادها نظير شخصية الإمام الحُسَين عليه السلام والّتي كانت تستقطب إهتمام العالم الإسلامي آنذاك وقفت مانعاً أمام طموحات إبن الزبير للوصول إلى الخلافة.[٢]

وحانت فرصته الكبرىٰ سنة (٦١ للهجرة) حيث ثار الإمام الحُسَين عليه السلام وإستَشهدَ في كربلاء، فعمّت أرجاء العالم الإسلامي موجة من الوعي والإعتراض والتحرّك والثورات، ولأجل خداع النّاس أظهر إبن الزبير نفسه عابداً زاهداً يُضرَب به المثل في الصوم والصلاة، وإستطاع بذلك جلب ثقة عوام النّاس. فيما سعىٰ بدايةً إلى طرح نفسه كمُطالب بدم الإمام الحُسَين عليه السلام.

لقد أدّت الجرائم الّتي إرتكبها يزيد ومن أهمها فاجعة كربلاء وبعد ذلك الإبادة الجماعية في المدينة المنوّرة وإستباحتها، إلى إيجاد موجة من الرفض الشعبي العام ضد يزيد وحكم بني أُميّة في كل مكان. إضافة إلى ذلك فإن بروز روح الإنتقام

← آشوب: ج٢، ص٣٤٠، بحار الأنوار: ج٣٢، ص١٧٤، الإحتجاج للشيخ الطبرسي: ج١، ص٢٣٨، رسائل المرتضىٰ للشريف المرتضىٰ: ج٤، ص٧٢.

(١) كانت أسماء بنت أبي بكر أم عبدالله بن الزبير وأُخت عائشة.

(٢) تاريخ الخلفاء، ص٢١١، (إقتباس بتصرّف).

والثأر لدم الإمام الحُسَينعليه السلام لدىٰ عامّة المسلمين قد هيأت الأرضيّة الخصبة لقيام عبدالله بن الزبير ضد الحكم الأموي. وعلىٰ الرغم من عداء إبن الزبير لأهل البيتعليهم السلام، إلّا أنه إستطاع وعبر خطوة إستغلالية من إبراز نفسه كمنتقم لدم الإمام الحُسَينعليه السلام. ومن ثمّ كسب الكثير من الثوّار إلى جانبه، ومن ضمنهم المختار بن أبي عبيد الثقفي.

وقد لقىٰ إبن عبَّاس عبدالله بن الزبير فقال له:

يـــا لك مـــن قـــبرة بمـــعمر | خلا لك الجو فبيضي واصـفري
ونـــقري مـا شـئت أن تـنقري | هذا الحُسَين خارجاً فاستبشري

قد خرجَ الحُسَين وخلت لك الحجاز.[1]

وكان عبدالله بن الزبير قبل موت يزيد يدعو النّاس إلى طلب ثأر الحُسَينعليه السلام وأصحابه، ويغريهم بيزيد، ويوثبهم عليه، فلمّا مات يزيد ـ لعنه الله ـ أعرضَ عن ذلك القول، وبان بأنه يطلب المُلك لنفسه لا للثأر.[2]

خرجَ عبدالله بن الزبير من المدينة قاصداً مكّة، وإتخذ العبادة والزهد غطاءً له والتجأ إلى الكعبة ولقَّبَ نفسه «العائذ بالبيت».[3]

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٤٥، شرح نهج البلاغة: ج٢٠، ص١٣٤، تاريخ مدينة دمشق لإبن عساكر: ج١٤، ص٢١١ وج٥٠، ص٢٣٣، تهذيب الكمال للمزي: ج٦، ص٤٢١، سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣، ص٢٩٧، الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٣٩، تاريخ الإسلام للذهبي: ج٥، ص٩، البداية والنهاية لإبن كثير: ج٨، ص١٧٣، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٥، ص٦٦، تاريخ دمشق لإبن عساكر: ص٢٩٨، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ص٧٣.

(٢) ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص٧٧، بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٥٦، عوالم العلوم، الإمام الحُسَين(ع) للشيخ عبدالله البحراني: ص٦٧٥، مستدركات علم رجال الحديث للشيخ علي نمازي الشاهرودي: ج٥، ص١٨، تاريخ الكوفة للسيّد البراقي: ص٣٤٨.

(٣) لاذ بالبيت الحرام وأظهر الزهد في الدنيا والعبادة مع الحرص علىٰ الخلافة وقال: إنما بطني شبر فما عسىٰ أن ←

والجذب إنتباه النّاس وخداعِهم تَركَ الدنيا من أجل الدنيا بحيث أضحت صلاته وصومه حديث النّاس ومضرب الأمثال، ولم يهادن يزيد حتىٰ مات. وفي سنة (٦٤هجرية) وبعد إبادة أهل المدينة علىٰ يد جيش يزيد وإستباحتها، إتّجه هذا الجيش نحو مكّة للقضاء علىٰ إبن الزبير. فقام قائده «الحصين بن نمير» وبعد دخوله مكّة بمحاصرة إبن الزبير وقوّاته في المسجد الحرام بشكل كامل.

لقد سعىٰ إبن الزبير إلى جمع الشخصيات المعروفة حوله بطرق مختلفة مطالباً إيّاهم بالتعاون معه وتقديم البيعة له. إلّا أنه لم يفلح في تحقيق هدفه المنشود. بالإضافة إلى إبتعاد بني هاشم عنه وهم سادة قريش وكذلك الكثير من شخصيات مكّة والمدينة.

يقول إبن أبي الحديد: «توسَّل عبدالله بن الزبير إلى إمرأة عبدالله بن عمر ـ وهي أُخت المختار بن أبي عبيد الثقفي ـ في أن تُكلم بعلها عبدالله بن عمر أن يبايعه. فكلمته في ذلك، وذكرت صلاته وقيامه وصيامه، فقال لها: أما رأيتِ البغلات الشهب الّتي كنّا نراها تحت معاوية بالحِجر إذا قَدم مكّة؟ قالت: بلىٰ، قال: فإيّاها يطلب إبن الزبير بصومه وصلاته!»[1]

المختار في مكّة

قال أبومخنف: «قدِم المختار علينا مكّة فجاء إلى عبدالله بن الزبير وأنا جالس عنده فسلَّم عليه فرد عليه إبن الزبير ورحَّب به وأوسع له».[2]

← يسع ذلك من الدنيا وأنا العائذ بالبيت والمستجير بالرب وفيه يقول الشاعر:

تخبر من لاقيت أنك عائذ ... وتكثر قتلا بين زمزم والركن

وسمىٰ نفسه العائذ بالبيت. شجرة طوبىٰ للشيخ محمّد مهدي الحائري: ج١، ص١١٣.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١، ص٣٢٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٤٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٢٧٣.

وحيث أنّ إبن الزبير كانَ سياسياً وفطناً، فقد كانَ جَذب المختار إلى صفه يُعد أمراً مهماً، لاسيّما وأنه كان يعلم جيداً مدىٰ ثورية المختار وشجاعته وحكمته وعدائه لبني أُميّة. وإنّ مرافقة المختار يُشكل له نجاحاً ونصراً مهماً.

«ثمّ قال: حدثني عن حال النّاس بالكوفة يا أبا إسحاق، قال: هم لسلطانهم في العلانية أولياء وفي السر أعداء. فقال له إبن الزبير: هذه صفة عَبيد السوء، إذا رأوا أربابهم خَدَموهم وأطاعوهم، فإذا غابوا عنهم شتموهم ولعنوهم».[1]

وكان المختار مطّلعاً علىٰ نفسية أهل الكوفة وملماً بأوضاع العراق وأحـواله إذ عاشرَ أهل العراق سنوات طوال، وقد عرضَ علىٰ إبن الزبير أن يـتدخل هـناك ويُعيّن والياً قوياً ومجرباً لهذا البلد. لكن إبن الزبير ومع معرفته بالمختار والعراق ـ بأنّهم موالون لأهل البيت ـ رفض ذلك.[2]

إعلان تعاون المختار مع إبن الزبير

كتب المؤرّخون بإختصار عن التعاون الذي جرىٰ بين المخـتار وإبـن الزبـير؛ «وذكر المدائني عن رجاله، أن المختار لمّا قدِم علىٰ عبدالله بن الزبير لم ير عنده ما يريد، فقال:

ذو مخاريق[3] وذو مـندوحة ... وركابي حـيث وجـهت ذلل

لاتـــبيتن مـــنزلاً تكـــرهه ... وإذا زلت بك النعل فـزل[4]

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٤٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٢٧٣.

(٢) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٦.

(٣) الرجل الحسن الجسم والمتصرف في الأمور، والمنديل يلف ليضرب به، وهو مخراق حرب: أي صـاحب حروب.

(٤) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٧٨، بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٥٦.

المختار في الطائف

إتضح للمختار أنّ إبن الزبير لن يعطيه مجالاً وموقعاً كي يتحرك من خلاله. فخرج إلى الطائف ـ أرض آبائه وأجداده ـ وبقيَ هناك سنة وكان مشغولاً بكيفية تدبّر أُموره. بل ولم يكن يخفي أهدافه في الطائف»... أنه قدِم عليهم الطائف وهو يزعم أنه صاحب الغضب ومبير الجبّارين، قال: قاتَله اللّه لقد إنبعث كذّاباً متكهّناً إنّ اللّه إن يهلك الجبّارين يكن المختار أحدهم.[١]

فسمع به إبن الزبير فقال: «ما له قاتَله اللّه لقد إنبعث كذّاباً متكهّناً إن يُهلك اللّه الجبّارين يكن المختار أولهم»[٢] يقول المدائني:

كان المختار يجلس في الليل ويتحدث إلى النّاس، وفي ليلة رفع رأسه إلى السماء وأنشد:

ذو منادح وذو ملتبط ... وركاب حيث وجهت ذلل

لاتدمن بلداً تكرهه ... وإذا أزلت بك النعل فزل

أراد المختار ومن خلال إنشاده هذه الأبيات تذكير الآخرين بأنّ أمراً كبيراً يدور في خلده، ألا وهو، الرغبة في الإنتفاضة والثورة. وإلتفت إلى مَن حوله وقال: واللّه إنّ يزيد قد هلك. ومالبث حتىٰ وصل خبر هلاك يزيد.[٣]

هلك يزيد سنة (٦٤هجرية) وعاد المختار في تلك السنة من الطائف إلى مكّة، وما نقله إبن الأثير يتعارض مع ما قاله بقية المؤرّخين، بأنَّ المختار كان مع إبن الزبير في واقعة حصار المسجد الحرام ومعركة مكّة عند وصول خبر هلاك يزيد.

---

(١) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٦، تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٤٤، مقتل الحُسَين(ع): ص٢٧٣.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٧٠.

(٣) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٢٣.

العودة إلى مكّة

وبعد مرور عام علىٰ إبتعاده عن السياسة والتخطيط لترتيب الأولويات لديه، عادَ المختار مرة أُخرىٰ إلى مكَّة[١]. ولم يرتح له بال وذلك لإنشغاله بهدف كبير والذي لايمكن تحقيقه والوصول إليه عبر الجمود والإنزواء. ولذلك فقد عادَ إلى مكَّة، أو (لربما كانت عودته لأداء فريضة الحج). «وبعد توقُف في الطائف دام سنة عاد إلى مكّة وذهب إلى المسجد الحرام للتدبّر في أمر إبن الزبير، فأتىٰ البيت فاستقبل الحجر ثمّ طاف بالبيت إسبوعاً ثمّ صلّىٰ ركعتين عند الحجر ثمّ جلس فما لبث أن جلس في إحدى زوايا المسجد إلّا وإجتمع إليه قوم يسلّمون عليه».[٢]

قال العبّاس بن سهل بن سعد: «وإستبطأ إبن الزبير قيامه إليه، فقال: ما ترىٰ شأنه لايأتينا، قلت: لا أدري وسأعلم لك علمه فقال: ما شئت. وكان ذلك أعجبه؛ قال: فقمت فمررت به كأني أُريد الخروج من المسجد ثمّ ألتفت إليه فأقبلت نحوه ثمّ سلّمت عليه ثمّ جلست إليه وأخذت بيده، فقلت له: أين كنت وأين بلغت بعدي. أبالطائف كنت، فقال لي: كنت بالطائف وغير الطائف وعمس أمره فملت إليه فناجيته، فقلت: له مثلك يغيب عن مثل ما قد إجتمع عليه أهل الشرف وبيوتات العرب من قريش والأنصار وثَقيف. لم يبق أهل بيت ولا قبيلة إلّا وقد جاء زعيمهم وعميدهم فبايع هذا الرجل، فعجباً لك ولرأيك ألا تكون أتيته فبايعته وأخذت بحظّك من هذا الأمر؟ قال لي: وما رأيتني أتيته العام الماضي فأشرت عليه بالرأي فطوىٰ أمره دوني وأني لمّا رأيته إستغنىٰ عنّي أحببت أن أُريه أني مستغنٍ عنه، إنّه والله لهو أحوج إليَّ منّي إليه.»[٣]

---

(١) الكامل لابن الأثير: ج ٤، ص ١٧٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٤٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص ٢٧٣.

(٣) نفس المصدر.

فقلت له: إنّك كلّمته بالذي كلّمته وهو ظاهر في المسجد وهذا الكلام لا ينبغي أن يكون إلّا والستور دونه مرخاة والأبواب دونه مُغلقة، إلقه الليلة إن شئت وأنا معك فقال لي: فإني فاعل إذا صلّينا العتمة أتيناه. وإتّعدنا الحجر، قال: فنهضت من عنده فخرجت ثمّ رجعت إلى إبن الزبير فأخبرته بما كان من قولي وقوله فَسُرَّ بذلك. فلمّا صلّينا العتمة إلتقينا بالحجر ثمّ خرجنا حتىٰ أتينا منزل إبن الزبير فاستأذنّا عليه فأذن لنا فقلت: أخليكما، فقالا جميعاً لا سر دونك فجلست، فإذا إبن الزبير قد أخذ بيده فصافحه ورحّب به فسأله عن حاله وأهل بيته وسكتا جميعاً غير طويل.[1]

البيعة المشروطة

وأضاف العبّاس بن سهل بن سعد: «قال له المختار: وأنا أسمع، بعد أن بدأ في أوّل نطقه، فحمدَ اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال: إنّه لا خير في الإكثار من المنطق ولا في التقصير عن الحاجة. إني قد جئتك لأُبايعك علىٰ ألّا تقضي الأمور دوني وعلىٰ أن أكون في أوّل من تأذن له وإذا ظهرت إستعنت بي علىٰ أفضل عملك».[2]

أُنظر إلى شروط المختار بدقّة، وإلى همته العالية وهدفه السامي في كلامه، فهو يبحث عن الإقتدار والقوّة الّتي يستطيع بواسطتها تحقيق أهدافه، لكنَّ إبن الزبير يجيبه بدهاء: «أُبايعك علىٰ كتاب اللّه وسنّة نبيه ﷺ».

فقال المختار: «وشر غلماني أنت مبايعه علىٰ كتاب اللّه وسنّة نبيه ﷺ، مالي في هذا الأمر من الحظ ما ليس لأقصىٰ الخلق منك. لا واللّه لا أُبايعك أبداً إلّا علىٰ

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٤٤ ـ ٤٤٥، مقتل الحُسَين(ع)؛ لأبي مخنف الأزدي: ص٢٧٣.

(٢) نفس المصدر .

هذه الخصال».(١)

«... ومعه المختار بن أبي عبيد الثقفي داخلاً في جملته، مضافاً إلى بيعته، منقاداً إلى إمامته، علىٰ شرائط شرطها عليه، لايخالف له رأياً ولا يعصي له أمراً».(٢)

«قال عبَّاس بن سهل: فإلتقمت أُذن إبن الزبير، وقلت له: إشترِ منه دينه حتىٰ ترىٰ من رأيك».

فقال له إبن الزبير؛ فإنَّ لك ما سألته، فبسطَ يده فبايعه.

لقد بايع المختار إبن الزبير بما يؤمن به وقَبِل الآخر البيعة بحيلة ومكر.

فمدَ إبن الزبير يده إلى المختار وهو صامت، عندئذٍ صافحه المختار للمبايعة. وبذلك تعاونَ الرجلان فيما بينهما. المختار بأفكاره الفريدة وإبن الزبير بخططه ودهائه.

قال المسعودي في هذا السياق:

«ودخلَ المختار بن أبي عبيد في جملته منقاداً بإمامته علىٰ شرائط شَرَطها عليه لايخالفه رأياً ولا يعصي له أمراً»، وبقي المختار مع إبن الزبير عدّة أشهر حيث حاصر «الحصين بن نمير» مكّة لقتل إبن الزبير أو أسره.

المختار وإبن الزبير في الحصار

مكثَ المختار مع إبن الزبير حتىٰ شاهدَ الحصار الأوّل علىٰ المسجد الحرام حين قدِم الحصين بن نمير علىٰ مكّة فقاتل في ذلك اليوم فكان من أحسن النّاس يومئذ بلاءً وأعظمهم بأساً... ونادىٰ المختار يا أهل الإسلام إليَّ إليَّ أنا إبن أبي عبيد بن

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٤٤ ـ ٤٤٥، مقتل الحُسَين(ع)؛ لأبي مخنف الأزدي: ص٢٧٣.

(٢) شجرة طوبىٰ للشيخ محمّد مهدي الحائري: ج١، ص١١٣.

مسعود وأنا إبن الكرّار لا الفرّار أنا إبن المُقدمين غير المحجمين إليَّ يا أهل الحفاظ وحماة الأوتار فحمىٰ النّاس يومئذ وأبلىٰ وقاتلَ قتالاً حسناً. ثمّ أقام مع إبن الزبير في ذلك الحصار حتىٰ كان يوم أُحرِق البيت. فإنه أُحرق يوم السبت لثلاث مضيَن من شهر ربيع الأوّل سنة (٦٤) للهجرة فقاتلَ المختار يومئذ في عصابة معه نحو من ثلثمائة، أحسن قتال قاتَله أحد من النّاس. إذ كان ليقاتل حتىٰ يتبلّد ثمّ يجلس ويحيط به أصحابه فإذا إستراح نهضَ فقاتل فما كان يتوجّه نحو طائفة من أهل الشام إلّا ضاربهم حتىٰ يكشفهم.[1]

قال أبومخنف:... تولّىٰ قتال أهل الشام يوم تحريق الكعبة عبدالله بن مطيع وأنا والمختار فما كان فينا يومئذٍ رجل أحسن بلاءً من المختار وقاتلَ قبل أن يطّلع أهل الشام علىٰ موت يزيد بن معاوية بيوم، قتالاً شديداً وذلك يوم الأحد لخمس عشرة ليلة مضت من ربيع الآخر سنة (٦٤) للهجرة. وكان أهل الشام قد رجوا أن يظفروا بنا وأخذوا علينا سكك مكّة... والمختار في عصابة أُخرىٰ يُقاتل في جمعيّة من أهل اليمامة في جانب وهم خوارج وإنّما قاتلوا ليدفعوا عن البيت... فقاتلهم المختار يومئذٍ وأخذَ يقول رجل لرجل ولا والت نفس أمري يفر.... وأقام المختار مع إبن الزبير حتىٰ هلكَ يزيد بن معاوية وإنقضىٰ الحصار ورجعَ أهل الشام إلى الشام.

تنحّي المختار عن إبن الزبير

هناك رأيان في سبب تنحّي المختار عن إبن الزبير وعودته إلى الكوفة حسب ما نقلته بعض كتب التاريخ:

١ ـ «إقترح المختار علىٰ عبدالله بن الزبير أن يتخذ قراراً بشأن العراق ويرسل

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٤٧، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٢٧٥ – ٢٧٧.

أحداً والياً علىٰ الكوفة».

قال المسعودي وإبن الأثير: «إنّ المختار قال لإبن الزبير وهو عنده: إني لأعلم قوماً لو أن لهم رجلاً له فقه وعِلم بما يأتي ويذر لإستخرجَ لك منهم جُنداً تقاتل بهم أهل الشام. قال: مَن هم، قال: شيعة علي بالكوفة. قال: فكن أنت ذلك الرجل فبعثه إلى الكوفة».(١)

٢ ـ إنّ المختار لم يخرج إلى الكوفة بأمر إبن الزبير والدليل الواضح علىٰ هذا الأمر أنّ إبن الزبير عَيّن «عبداللّه بن يزيد» و«إبراهيم بن عبداللّه» ولاة من قِبله علىٰ العراق، وذهبوا إلى الكوفة. وإذا تتبعنا القضية بدقة من الناحية التاريخية نلاحظ أنّ المختار تركَ إبن الزبير، إستياءً وسخطاً لأنه لم يُعيّنه والياً علىٰ العراق كما إشترط عليه عند بيعته له. يقول إبن الأثير: «فلمّا هلك يزيد بن معاوية وأطاع أهل العراق إبن الزبير، أقامَ ـ المختار ـ عنده خمسة أشهر فلمّا رآه لايستعمله جعل لايقدم عليه أحد من أهل الكوفة إلّا سأله عن حال النّاس. فأخبره «هاني إبن جبة الوداعي» بإتساق أهل الكوفة علىٰ طاعة إبن الزبير. إلّا أنّ طائفة من النّاس هم عدد أهلها، لو كان لهم من يجمعهم علىٰ رأيهم أكلَ بهم الأرض إلىٰ يوم [ما]. فقال المختار: أنا أبوإسحاق، أنا واللّه لهم أن أجمعهم وألقي بهم ركبان الباطل وأهلك بهم كل جبّارٍ عنيد ثمّ ركب راحلته نحو الكوفة».(٢)

---

(١) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج ٤، ص١٧٣، مروج الذهب للمسعودي: ج ٣، ص٨٣، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ج ٢٠، ص ١٤٤.

(٢) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج ٤، ص ١٧١، ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص٧٨، بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج ٤٥، ص٣٥٦، أصدق الأخبار للسيّد محسن الأمين: ص ٣٤.

الباب الثالث
بداية التحرُّك

«وكان المختار معه ـ إبن الزبير ـ فلمّا رأىٰ تفننه وتخليطه تَـركَهُ وإنـصرف إلى الكوفة».[1]

وكان المختار يتابع أخبار العراق، فأخبروه أنّ أهل الكوفة نقضوا بـيعة الشـام وأخرجوا «عمرو بن الحريث» والي إبن زيـاد مـن المـدينة وبـايعوا «عـامر بـن مسعود» حاكماً لهم.

عندما سمع المختار هذا الخبر أدرك أنّ الوقت قد حان وأنّ الأرضـيّة مـناسبة لثورته فقال لمن حوله: «أنا أبوإسحاق، أنا لها إذ ليس لها أحد غيري، أنا راعيها إذا ضلّ راعيها...».[2]

ثمّ إتّصلَ بأهل‌البيت عليهم السلام وإستأذنَهم لتنفيذ أهدافه المقدَّسة وإلتقىٰ محـمّد إبـن الحنفيّة بن علي بن أبي طالب عليه السلام وإستأذنه في أمر خـروجه وركب راحـلته نحـو الكوفة.

---

(١) أنساب الأشراف: ج ٤، ص٢٨.

(٢) أنساب الأشراف: ج ٥، ص٢١٨، الكامل لابن الأثير: ج ٤، ص١٤٧.

حقد إبن الزبير الشديد علىٰ أهل بيت النبي ﷺ

من الأسباب المهمة الّتي حالت دون بقاء المختار مع إبن الزبير عَداء الأخير الشديد لأهل بيت النبوّة والرسالة عليهم السلام والذي كان يخفيه أوائل أيّامه. لكنه وبعد توّليه السلطة وإعلان نفسه خليفة للمسلمين، كشفَ حقده الباطني وأظهره؛ يقول إبن أبي الحديد:

«وقطعَ عبدالله بن الزبير في الخطبة ذكر رسول الله ﷺ فإستعظم النّاس ذلك فقال: إنّي لا أرغب عن ذكره، ولكن له أهيل سوء، إذا ذكرته أطلعوا أعناقهم فأنا أُحب أن أكبتهم».[١]

«لمّا كاشفَ عبدالله بن الزبير بني هاشم وأظهر بُغضهم، وعابهم وهم بما هم به في أمرهم، ولم يذكر رسول الله ﷺ في خطبته، لا يوم الجمعة ولا غيرها، عاتَبهُ علىٰ ذلك قومٌ من خاصّته، وتشاءموا بذلك منه، وخافوا عاقبته. فقال: والله ما تركت ذلك علانية إلّا وأنا أقوله سرّاً وأُكثر منه؛ لكنّي رأيت بني هاشم إذا سمعوا ذِكره إشرأبوا وإحمَّرت ألوانهم، وطالت رقابهم والله ما كنت لآتي لهم سروراً وأنا أقدر عليه، والله لقد هممت أن أُحظِّرَ لهم حظيرة ثمّ أضرمها عليهم ناراً!! فإني لا أقتل منهم إلّا آثماً كفّاراً سحّاراً، لا أنماهُم[٢] الله، ولا بارك عليهم، بيت سوءٍ، لا أوّل لهم ولاآخر، والله ما تَركَ نبي الله فيهم خيراً، إستفرغَ نبي الله صدقهم فهم أكذب النّاس».[٣]

«فقام إليه محمّد بن سعد بن أبي وقّاص فقال: وفّقك الله يا أمير المؤمنين! أنا أوّل من أعانك في أمرهم، فقام عبدالله بن صفوان إبن أُميّة الجمحي، فقال: والله

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢٠، ص١٢٧، القول الصراح للأصبهاني: ص١٩٣.

(٢) لا أكثرَ عددهم.

(٣) القول الصراح للأصبهاني ص١٩٣ـ ١٩٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢٠، ص١٢٧.

ما قُلتَ صواباً، ولا هممتَ برُشد، أَرهط رسول اللّه ﷺ تعيب، وإيـاهم تَـقتل، والعرب حولك! واللّه لو قتلتَ عدّتهم أهل بيت من الترك مسلمين ما سوّغه اللّه لك، واللّه لو لم ينصرهم النّاس منك لنصرهم اللّه بنصره. فقال: إجلس أبا صفوان فلست بناموس.[١]

فبلغَ الخبر عبداللّه بن العبّاس، فخرج مغضباً ومعه إبنه أتىٰ المسـجد فـقصدَ المنبر فحمد اللّه فأثنىٰ عليه، وصلّىٰ علىٰ رسول اللّه ﷺ ثمّ قال: أيّها النّاس إنّ إبن الزبير يزعم أن لا أوّل لرسول اللّه ﷺ ولا آخر، فيا عجباً كل العجب من قريش لإفترائه ولكذبه! واللّه إنّ أوّل من أخذ الإيلاف، وحمىٰ عيرات[٢] لهاشم، وإنّ أوّل من سقىٰ بمكّة عذباً، وجعلَ باب الكعبة ذهباً لعبد المطّلب، واللّه لقد نشأت ناشئتنا مع ناشئة قريش، وإن كنّا لقالتهم إذا قالوا، وخطباءهم إذا خطبوا، وما عُدَّ مجـد كمجد أوّلنا، ولا كان في قريش مجد لغيرنا؛ لأنها في كفرٍ ماحق، ودِيـنٍ فـاسق، وضِلةٍ وضلالة في عشواء[٣] عمياء، حتّىٰ إختار اللّه تعالىٰ لهـا نـوراً، وبـعثَ لهـا سراجاً فإنتجبه طيّباً من طيّبين، لا يَسبَّه بمَسَّبة، ولايبغي عليه غائلة، فكان أحدنا ووَلدنا، وعمّنا وإبن عمّنا، ثمّ إنّ أسبق السابقين إليه منّا وإبن عمّنا[٤] ثمّ تلاه في السبق، ثمّ أهلنا ولحمتنا واحداً بعد واحد. ثمّ إنّا لخير النّاس بعده وأكرمهم أدباً، وأشرفهم حَسَباً، وأقربهم منه رَحِـماً. واعجباً كلَّ العجب لإبن الزبير! يَعيب بـني هاشم، وإنمّا شُرِّفَ هو وأبوه وجده بمصاهرتهم؛ أما واللّه إنّه لمسـلوب قـريش، ومتىٰ كان العوّام بن خويلد يطمع في صفيّة بنت عبدالمطلب! قيلَ للبغل: من أبوك

---

(١) الناموس: الحاذق.

(٢) العير ـ بالكسر: الإبل تحمل الميرة، بلا واحد من لفظها، وجمعه عيرات.

(٣) وهو سوء البصر بالليل والنهار.

(٤) علي بن أبي طالب(ع).

يا بغل؟ فقال: خالي الفرس، ثمّ نزل.»[١]

و«خطبَ إبن الزبير بمكّة علىٰ المنبر، وإبن عبَّاس جالس مع النّاس تحت المنبر، فقال: إنّ هٰهنا رجلاً أعمىٰ اللّه قلبه كما أعمىٰ بصره، يزعم أنّ متعة النساء حلال من اللّه ورسوله، يفتي في القملة والنملة، وقد إحتملَ مال البصرة بالأمس، وترك المسلمين بها يرتضخون[٢] النوىٰ، وكيف ألومه في ذلك وقد قاتلَ أم المؤمنين وحواري رسول اللّه ﷺ ومَن وقاه بيده. فقال إبن عبَّاس لقائده سعد بن جبير بن هشام مولىٰ بني أسد إبن خزيمة: إستقبل بي وجه إبن الزبير، وإرفع من صدري؛ وكان إبن عبَّاس قد كُف بصره فإستقبلَ به قائده وجه إبن الزبير، وأقام قامته فحسرَ عن ذراعيه، ثمّ قال: يا إبن الزبير:

قد أنصف القارة من راماها	إنّا إذا ما فئة نلقاها
يرد أولاها علىٰ أُخراها	حتى تصير حرضاً دعواها

يا إبن الزبير، أمّا العمىٰ فإنّ اللّه تعالىٰ يقول: «فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَىٰ ٱلْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَي ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُور»[٣]، وأمّا فتياي في القملة والنملة؛ فإن فيها حُكمين، لاتعلمها أنت ولا أصحابك. وأمّا حمل المال فإنه كان مالاً جبيناه فأعطينا كل ذي حقٍّ حقّه، وبَقيت بقيّة وهي دون حقّنا في كتاب اللّه فأخذناها بحقّنا. وأمّا المتعة: فسل أُمك أسماء إذا نزلت عن بردي عوسجة. وأمّا قتالنا أُم المؤمنين: فبنا سُميّت أمالمؤمنين لابك ولا بأبيك؛ فإنطلقَ أبوك وخالك إلىٰ حجابٍ مدّه اللّه عليها فهتكاه عنها، ثمّ إتخذاها فتنة يقاتلان دونها، وصانا حلائلها في بيوتها، فما

---

(١) القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع للأصبهاني، ص١٩٤ - ١٩٥.

(٢) يكسرونه.

(٣) القرآن الكريم: سورة الحج ـ الآية ٤٦.

أنصفا اللّه ولا محمّداً من أنفسهما، أن أبرَزا زوجة نبيّه وصانا حلائلهما. وأمّا قتالنا إيّاكم: فإنّا لقيناكم زحفاً، فإن كنّا كُفّاراً فقد كفرتم بفراركم منّا، وإن كنّا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيّانا، وأيمَّ اللّه لولا مكان صفيّة فيكم، ومكان خديجة فينا لما تركت لبني أسد بن عبدالعزّىٰ عظماً إلّا كسرته. فلمّا عاد إبن الزبير إلى أُمه سألها عن بردي عوسجة؟ فقالت: ألم أنهك عن إبن عبّاس وعن بني‌هاشم! فإنهم كعم[١] الجواب إذا بدهوا، فقال: بلىٰ وعصيتكِ، فقالت: يا بُني إحذر هذا الأعمىٰ الذي ما أطاقته الانس والجن، وإعلم أن عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها؛ فإيّاك وإيّاه آخر الدهر.

وهذه القضية تشهد علىٰ إبن‌الزبير بالكفر من وجوه عديدة لاتخفىٰ، وليتَ شعري لِمَ لمْ يوجب هذا التكاذب والتخاصم سقوط أخبارهما عن درجة الحجّية والاعتبار عند العامّة، وأوجب مجرّد رد هشام بن الحكم علىٰ هشام بن سالم مع عدم العلم بحقيقة سقوط أخبارهما جميعاً عن الإعتبار والحجّية، كما ذكره المتعصّب الكابلي. وفيها أيضاً شهادة علىٰ أنَّ إبن عبّاس المُلقَّب بترجمان القرآن عند القوم، والذي عقدَ البخاري باباً في مناقبه وروىٰ في حقّه: أنّ النبي ﷺ دعا له بأن يُعلّمه اللّه الحكمة، يرىٰ حلّية المتعة».[٢]

إذن كيف يستطيع المختار الذي يحمل هذا الهدف المقدّس أي الثأر للحسين عليه السلام والعشق والمحبة الشديدة لأهل البيت عليهم السلام أن يساير رجلاً خبيثاً وحقيراً كإبن الزبير وأن يتعاون معه.

---

(١) كعم البعير: شد فاه لئلا يعض أو يأكل؛ والكعام: ما يجعل علىٰ فمه، والجمع: كعم، والمعنىٰ أنّهم ذوو أجوبة مسكتة مخرسة، تلجم أفواه مناظريهم.

(٢) القول الصراح للأصبهاني: ص١٩٥ ـ ١٩٧، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ج٢٠، ص ١٢٨.

لقاء المختار مع محمّد إبن الحنفيّة

كان للمختار هدفاً محدداً؛ وكان علىٰ ثقة كاملة بأنّه وطبقاً للروايات وأحاديث الأئمةالمعصومين وبشارة أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، سوف ينتقم من قتلة الإمام الحُسَينعليه السلام وسيثور مطالباً بدم أهل‌البيت عليهم السلام. هذا الهدف الأساسي والمحدد كان من أولويات حركة المختار. وبما أنّ قتلة الإمام الحُسَينعليه السلام هم في الشام وأنّ الكوفة هي مركز الشيعة وأتباع عليعليه السلام وأهل بيته عليهم السلام. إذن، فإنّ الفرصة مؤاتية لتنفيذ أهدافه ولاوقت للتأخير. وبما أن مسألة الثأر مرتبطة بأولياء الدم الحقيقيين، فإنّ أولياء دم الحُسَينعليه السلام وشهداء الطف هم أهل‌البيت عليهم السلام. لذا يجب أن يستشيرهم ويستأذنهم ويستفتيهم.

لهذا وقبل توجهه إلى العراق ذهب إلى أبناء أمير المؤمنينعليه السلام. فقد ورد في كتب التاريخ: أنه جاء محمّد إبن الحنفيّة وإستأذنه ولم يأتوا علىٰ ذكر لقائه مع الإمام السجّادعليه السلام الذي هو في الحقيقة إمام المسلمين وإبن الإمام الحُسَينعليه السلام والولي الحقيقي لشهداء كربلاء.

وفي هذا الأمر إحتمالين:

الإحتمال الأول: ربمّا حدثَ مثل هذا اللقاء، لكنّ حساسية الظروف المحيطة بالإمام السجّادعليه السلام ومقتضيات ماهية وأساس التقيّة والمنهجية والتدّبر المتَّبع لدىٰ الإمام، كان السبب في إجراء هذا اللقاء سرّاً وخفاءً. ولذا لم يتسنَّ لأحد في نقل تفاصيله.

الإحتمال الثاني: بما أنّ الإمام السجّادعليه السلام كان في المدينة، وظروف المختار كانت بشكل تُحتِّم عليه الخروج من مكّة بإتجاه العراق مباشرة. لذا لم يوفَّق في الذهاب إلى المدينة. لكن محمّد إبن الحنفيّة كان في حينه بمكّة وعندها قام المختار

بالإستئذان منه لأداء الواجب. لاسيّما وأنه إبن علي بن أبي طالبعليه السلام وأخو الإمام الحُسَينعليه السلام وموضع إحترام جميع أبناء بني هاشم وشيخهم وكبيرهم ـ بإستثناء مقام الإمامة الخاصّة بالإمام السجّادعليه السلام ـ وعليه كان المختار يعتبر رأي محمّد إبن الحنفيّة هو ذات رأي الإمام السجّادعليه السلام في هذا الأمر. هذا بالإضافة إلى مدىٰ إلتزام محمّد إبن الحنفيّة وكما أسلفنا سابقاً بموقفه إزاء قضية إمامة السجّادعليه السلام وشهادة الحجر الأسود لصالح هذه الإمامة بعد واقعة إستشهاد الإمام الحُسَينعليه السلام مباشرة سنة (٦١)للهجرة وإمتثاله للإمام السجّاد وإتّباعه وإطاعته بشكل كامل في جميع الأمور. إذن كيف يمكن لمحمّد إبن الحنفيّة الإكتفاء برأيه إزاء مسألة بهذه الأهميّة دون الرجوع مسبقاً إلى الإمام والإطلاع علىٰ رأيه. فالأقوىٰ أنّ محمّد إبن الحنفيّة وبدافع علمه المسبق برأي الإمام السجّاد حيال الثأر لشهداء كربلاء أجاز للمختار مهمّة القيام بقيادة الثورة. والأهم من كل هذا، فإنّه وبعد بدء حركة المختار الثورية في الكوفة. إتّجه مايقارب الخمسون من زعماء ووجهاء شيعة الكوفة نحو الحجاز والإلتقاء بمحمّد إبن الحنفيّة طلباً في تبيان رأيه حول الجواب الشرعي إزاء حركة المختار، فيجيبهم قائلاً: «قوموا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحُسَينعليه السلام».[١]

في الوقت الذي يُشاهد فيه أنّ محمّداً إبن الحنفيّة لايقدم علىٰ إتخاذ أي قرار بشأن هذه المسألة دون إستشارة الإمام السجّادعليه السلام. فكيف إذن يمكنه تحريض وترغيب المختار علىٰ الإنتفاضة والثورة خلافاً لرغبة الإمام السجّادعليه السلام في هذا الأمر. إن هذه المقولة تُعارض الإستنباط الظاهري والصريح لتاريخ ثورة المختار.

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٦٤ - ٣٦٥.

الإستئذان

قال البلاذري: جاء المختار إلى محمّد إبن الحنفيّة قبل خروجه إلى الكوفة وقال له: إنّي عازم علىٰ الأخذ بثأركم ومؤازرتكم فما تقولون؟ عندها سكتَ محمّد. فلم يأمره ولم ينهه، إلّا أنّ المختار إعتبر سكوته دليلاً علىٰ الرضا فقال في نفسه: بسكوته هذا قد أذنَ لي. وودعَ محمّد إبن الحنفيّة وتوجّه إلى العراق.[1] لكنّ المؤرِّخ نفسه يقول في موضع آخر: فقبِلَ محمّد إبن الحنفيّة وقال له: عليك بتقوىٰ اللّه ما إستطعت، وأضاف: «إنّي لأُحب أن ينصرنا ربّنا ويُهلك مَن سفكَ دماءنا ولست آمراً بحرب ولا إراقة دم، فإنّه كفىٰ باللّه لنا ناصراً ولِحقّنا آخذاً، وبدمائنا طالباً»[2]

وهذا هو مجمل الجواب الذي نقله بعض المؤرِّخين عن محمّد إبن الحنفيّة. ونستنتج من هذا الجواب أنّ أساس مؤازرة أهل‌بيت الرسول صلى الله عليه وآله والثأر لشهدائهم كان يُمثّل رغبة أهل البيت عليهم السلام ومحمّد إبن الحنفيّة. إلّا أنّ جملة «ولستُ آمراً بحرب ولا إراقة دم» فهي موضع تأمُّل.

فهل قال محمّد إبن الحنفيّة هذه الجملة علىٰ أساس التقيّة، وكان يحتمل وجود جواسيس وأعداء في هذا المكان يمكنهم من تسريب الأمر وكشفه؟ أم أنّه حقاً لم يرغب في القتل؟

يُستشَف من كلام محمّد إبن الحنفيّة، ورضاء أهل‌بيت النبي صلى الله عليه وآله وخاصة أهل‌بيت الإمام السجّاد عليه السلام بأنّ القصاص من قاتلي الإمام الحُسَين عليه السلام هو الهدف المطلوب والمراد عندهم. وإلّا فكيف يعقل أن يُطالب محمّد إبن الحنفيّة بالثأر لدم أخيه الإمام الحُسَين عليه السلام ويشترط في المقابل عدم إراقة الدماء ونشوب الحرب. إنّه قول متناقض وغير ممكن.

---

(١) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٨، طبعة بغداد.

٢) نفس المصدر.

إذن نستنتج عقلاً ونقلاً بأنَّ هذه الجملة أو العبارة لوكانت صادرة من محمّد إبن الحنفيّة فيجب حَمله علىٰ أساس التقيّة والتدبُّر. ويقيناً أن الثأر لأهـل البـيت عليهم السلام لايتحقق دون الإنتقام من أعداء الإمام الحُسَـين عليه السلام. لكـن بـعض الرواة السـنّة يقولون: إنّ أساس ثورة المختار كان بإذن من محمّد إبن الحنفيّة، إلّا أنّ أفعال المختار لم تكن مطابقة لأوامره.

ويُنقل عن الشعبي أنّه سُئل: «هل كان عمل المختار بأمر من محمّد إبن الحنفيّة؟ فقال: نعم، إنَّ قيام المختار كان بترغيب ودعم من محمّد إبن الحنفيّة، إلّا أنَّ أفعال المختار لم تكن بأمر منه».[1]

وهذا هو رأي أهل السنّة. لكن من البديهي أنه عندما أعطىٰ الإمام السجّاد عليه السلام ومحمّد إبن الحنفيّة الإذن بالخروج وقالا: إنتقم من قتلة واقعة الطف. فلاضرورة لإعطاء الأوامر في تفاصيل وجزئيات الأمور المتعلقة بهذا الحدث. أي مثلاً، كيف يَقتل أو طريقة القضاء علىٰ عمر بن سعد وماشابه ذلك. فـهذه التـفاصيل ليست بحاجه إلى إصدار الأوامر والتوصيات. وعلىٰ ذلك نرىٰ أنَّ الإمام السجّاد عليه السلام وأهل بيتالرسول صلى الله عليه وآله كانوا فرحين بشدّة من أفعال المختار ويدعون له بالخير. ومما يؤيد هذا الكلام هو أنَّ محمّداً إبن الحنفيه، ذات مرة إنتقد المختار وقال له: لماذا لاتقتل عمر بن سعد بأسرع مما هو كائن (وسوف يأتي ذكر هذا لاحقاً). والأوضح من كل هذا، فإنّ أوامر محمّد إبن الحنفيّة الصريحة للمختار بضرورة إلتحاق أهل العـراق وإبراهيم بن مالك الأشتر وقبيلته بالإنتفاضة والثورة، خير دليل علىٰ تأييد سلامة أفعال المختار في هذا الصدد من جانب أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وخاصة محمّد إبـن الحنفيّة.

---

(١) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٨.

◘ الفصل السابع

الوقائع قبل الثورة

الباب الأوّل
المختار في الكوفة

بعد إنفصال المختار عن إبن الزبير وإتصاله بأهل بيت النبي ﷺ تركَ مكّة قاصداً العراق لهدف عظيم. «ثمّ سار المختار حتىٰ إنتهىٰ إلى نهر الحيرة وهو في يوم الجمعة، فنزل وإغتسل ولبس ثيابه وتقلّد سيفه وركب فرسه ودخل الكوفة نهاراً، ولا يمر بمساجد القبائل ومجالس القوم ومجتمع المحال إلّا وقفَ وسلَّمَ، وقال: أبشروا بالفرَج، فقد جئتكم بما تُحبّون، وأنا المسلَّط علىٰ الفاسقين، والطالب بدم إبن بنت[1] نبي ربالعالمين. ثمّ دخلَ الجامع وصلَّىٰ فيه، فرأىٰ النّاس ينظرون إليه، ويقول بعضهم لبعض، هذا المختار ما قدِم إلّا لأمر، ونرجوا به الفرج. وخرجَ من الجامع، ونزل داره ـ ويُعرف قديماً بدار سالم بن المسيّب ـ ثمّ وجّه إلى وجوه الشيعة، وعرّفهم أنه جاء من محمّد إبن الحنفيّة للطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام، وهذا أمر لكم فيه الشفاء، وقتل الأعداء».[2]

«ولقيّه عبيدة بن عمرو البدئي الكندي وكان من أشجع النّاس وأشعرهم وأشدُّهم تشيُّعاً وحبّاً لعلي عليه السلام فقال له: أبشر بالنصر والفرَج» وكان «سليمان إبن صرد وأصحابه في ذلك الوقت يستعدّون للطلب بثأر الحُسَين عليه السلام».[3]

---

(١) بدم أهل بيت النبي(ص).

(٢) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٧٨ ـ ٧٩، بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٥٧.

(٣) أصدق الأخبار للسيّد محسن الأمين: ص٣٥.

«ومرَّ ببني بداء فلقيَ عبيدة بن عمرو البدئي من كندة فسلَّم عليه وقال له: أبشر بالنصر واليسر والفرَج إنّك أبوعمرو[١] علىٰ رأيٍ حسَن لن يدع اللّه لك معه إثماً إلّا غفره لك ولا ذنباً إلّاستره.[٢] وكان عبيدة من أشجع النّاس وأشعرهم وأشدُّهم تشيُّعاً وحبّاً لعلي؛ فقال له: بَشَّرك اللّه بالخير فهل أنت مُبيِّن لنا، قال: نعم إلقني الليلة.»[٣]

«ثمّ مرَّ ببني هند فلقيٰ إسماعيل بن كثير فرحَّب به وقال له: إلقني أنت وأخوك الليلة فقد أتيتكم بما تحبون. ومرَّ علىٰ حلقة من همدان فقال: قد قدمت عليكم بما يُسرَّكم ثمّ أتىٰ المسجد وإستشرف له النّاس فقام إلى سارية فصلّىٰ عندها حتىٰ أُقيمت الصلاة وصلّىٰ مع النّاس ثمّ صلّىٰ ما بين الجمعة والعصر ثمّ إنصرف إلى داره».[٤]

ولبست الكوفة حُلّة جديدة بورود المختار إليها في بداية سنة (٦٥هـجرية) وسعدَ العراقيون وأملوا خيراً وطردوا عامل بن زياد من بني أُميّة، ولم يولوا وكلاء إبن الزبير في الكوفة أي إهتمام، وأغرب النّاس بهذا الرجل الثوري وشخُصت أبصار آماهم به. وإلتحق به جمع كثير من النّاس الّذين لم تتلطخ أيديهم بدماء شهداء كربلاء وسُمّوا: «الحسينيّة».[٥]

---

(١) من سياق كلام المختار يُعلم أن أبوعمرو هذا من علماء الكوفة وله مسجد ومريدون وعشيرة وقبيلة، يقول الشيخ الطوسي فيه: من أصحاب علي(ع) ويقول البرقي ذلك أيضاً، وهو من المحدّثين وروايته منقولة في كامل الزيارات باب ١٤، ح٥؛ يقول إبن حجر في تقريبه: عبيدة بن عمرو بن سلمان الكوفي؛ معروف ومن التابعين، وأضاف: "ثقة ثبت" وكان شريح القاضي يرجع إليه كلما واجه مشكلة توفي سنة ٦٩هجرية ـ معجم رجال الحديث للخوئي، ج١١، ص٩٤.

(٢) إشارة منه إلى الأحاديث الكثيرة الواردة في أنّ ولاية علي(ع) ساترة للعيوب وسبب لغفران الذنوب.

(٣) ألقني رحمك اللّه وأهل مسجدك الليلة، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢١٦، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٧١ ـ ١٧٢، بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٥٧.

(٤) الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٧١ـ ١٧٢، تاريخ الطبري: ج٥، ص٥٧٩، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٥٧.

(٥) مروج الذهب: ج٢، ص١١٧، طبعة قديمة.

لقاء زعماء الكوفة

بموت يزيد وطَرد حاكم إبن زياد «عمرو بن حريث» من الكوفة، خرجت هذه المدينة الإستراتيجيّة فعلياً من سيطرة سلطة الأمويين وتحررت فيها الأجواء السياسية وحانت الفرصة لتحقيق آمال الشيعة وأهدافهم بقيادة الداهية المختار. لقد أتىٰ أبوعمر وعبيدة بن عمرو وهو من كبار شيعة الكوفة مع «إسماعيل بن كثير» وهو من أعيان الشيعة أيضاً في هذه المدينة يصاحبه أخوه أحد زعماء الكوفة في عدد من الشخصيات الشيعية المعروفة في الكوفة ليلاً إلى المختار، فتباحثوا عن أوضاع العراق الّتي فارقها طويلاً وخاصة أوضاع الكوفة.

خبرٌ هام

«واختلف إليه الشيعة وأتىٰ إسماعيل بن كثير وأخوه وعبيدة بن عمرو فسألهم فأخبروه خبر سليمان بن صرد وأنّه علىٰ المنبر، فحمد اللّه ثمّ قال: إنَّ المهدي بن الوصي بَعثني إليكم أمينا ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرَني بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء فكونوا أوّل خلق اللّه إجابة؛ فضربوا علىٰ يده وبايعوه».[1]

وأُستقبِل المختار إستقبالاً حارّاً وكان يدعو النّاس إلى محمّد إبن الحنفيّة[2] ومناصرة أهل‌البيت عليهم السلام ويقول في معرض حديثه عند لقائه زعماء الكوفة

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص ١٧١ ـ ١٧٢، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٥٨٠.

(٢) أثبتنا في أوّل هذا الكتاب أنّ المختار كان قائداً ميدانياً لهذه الحركة وإدّعىٰ أنه ممثل ومُرسل، لكنّ أغلب كتب السنّة يؤكدون علىٰ هذه الجملة أنّ المختار كان يدعو الناس إلى محمّد إبن الحنفيّة، ولكننا ومن تتبُعنا للتاريخ لاحظنا أنَّ المختار أعلن عن هدفه وهو الثأر لأهل بيت النبي(ص) لا إلى دعوة جديدة ولا إلى التأكيد بإمامة محمد إبن الحنفيّة ولا إلى تأسيس مذهب جديد.

موضحاً هدف دعوته وقيامه: «... أمّا بعد فإنّ المهدي إبن الوصي محمّد بن علي بعثَني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته والدفع عن الضعفاء...»[1] وأنّه: «... ويظهر الإنتصار لأهل البيت، وأنّه ما جاءَ إلّا بصدد أن يقيم شعارهم، ويظهر منارهم، ويستوفي ثأرهم،...»[2]

وعندما طلب النّاس منه سبب مهمّته قال: «... إنّي قد جئتكم من قِبل ولي الأمر، ومعدن الفضل، ووصي الرضي، والإمام المهدي، بأمر فيه الشفاء، وكشف الغطاء، وقتل الأعداء، وتمام النعماء...»[3]

«وبعثَ إلى الشيعة وقد إجتمعت عند سليمان بن صرد وقال لهم نحو ذلك، وقال لهم: إنّ سليمان ليس له بصر بالحرب ولا تجربة بالأمور وإنّما يُريد أن يُخرجكم فيقتلكم ويقتُل نفسه وأنا أعمل علىٰ مثالٍ مُثِّلَ لي وأمرٍ بُيّن لي أعين وليّكم وأقتل عدوّكم وأشفي صدوركم فاسمعوا قولي وأطيعوا أمري ثمّ إنتشروا. وما زال بهذا ونحوه حتىٰ إستمال طائفة من الشيعة وصاروا يختلفون إليه ويعظّمونه وعظماء الشيعة مع سليمان لا يعدلون به أحداً وهو أثقل خلق اللّه علىٰ المختار وهو ينظر إلى ما يصير إليه أمر سليمان».[4]

مؤامرة ضد المختار

دعا المختار النّاس سرّاً لأهدافه وهيأهم للخروج، وكان التوّابون وبالتزامن يتهيأون للخروج أيضاً. فذهبَ «عمر بن سعد ـ وهو القائد العام لقوّات يزيد في

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٤٩، الكامل لابن الأثير: ج٤، ص١٧٢، تاريخ الإسلام للذهبي: ج٥، ص٦٢، أمتاع الأسماع للمقريزي: ج١٢، ص٢٥٠.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ج ٨، ص٢٧٤.

(٣) نفس المصدر .

(٤) الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٧١ـ ١٧٢، تاريخ الطبري: ج٥، ص٥٧٩، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٥٧.

كربلاء والمجرم الأوّل في عرصات الطف ـ وشمر بن ذي الجوشن ـ قاتِل الحُسَين عليه السلام وأمير رجّالة يزيد ـ وشبث بن ربعي ـ المجرم المعروف ـ وزيد بن الحارث من المجرمين وعمّال وعناصر الإجرام يوم عاشوراء ـ إلى عاملَي إبن الزبير في الكوفة وقالوا: إنّ المختار أشد عليكم لأنّ سليمان إنّما خرجَ يقاتل عدوّكم، والمختار إنّما يريد أن يثب عليكم، فسيروا إليه وأوثقوه بالحديد، وخلِّدوه السجن، حتّىٰ يستقيم أمر النّاس»، فقام عبداللّه بن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمّد وكان الأوّل مسؤولاً عن صلاة الجمعة والأُمور الدينيّة، والثاني مسؤولاً عن الأُمور التنفيذيّة والعسكريّة من قِبل إبن الزبير علىٰ الكوفة، ومع معرفتهما بروحية المختار وموقعه وشخصيّته، إزداد قلقهم وما زاد في إضطرابهم التقارير الواردة من أنّ النّاس يميلون إلى المختار ويبايعونه فقبلو إقتراح الخوَنة المجرمين؛ «فما شعرَ ـ المختار ـ حتّىٰ أحاطوا بداره، وإستخرجوه،».[1]

المختار في السجن مرَّةً أُخرىٰ

نفّذَ عناصر حكومة إبن الزبير في الكوفة وبالتعاون مع الأيادي الداخلية المناوئة للثورة هجوماً مباغتاً علىٰ منزل المختار وإقتادوه إلى حاكم الكوفة إبراهيم بن محمّد.

«فلمّا رأىٰ جماعتهم قال: ما بالكم فواللّه بعدما ظفرت أكفكم».[2]

«فقال إبراهيم بن محمّد إبن طلحة بن عُبيد اللّه لعبد اللّه بن يزيد: شدَّه كتافاً ومشِّه حافياً. فقال له عبداللّه بن يزيد: سبحان اللّه ما كنت لأُمشِّيه ولا لأُحفِّيه ولا كنت لأفعل هذا برجل لم يُظهر لنا عداوة ولا حرباً وإنّما أخذناه علىٰ الظن،

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٥٠، بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٥٧ – ٣٥٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٥٠، الكامل لابن الأثير: ج٤، ص١٧٣.

فقال له إبراهيم إبن محمّد: ليس هذا بغشك فادرجي، ما أنت وما يبلغنا عنك يا إبن أبي عبيد فقال له: ما الذي بلغكَ عنّي إلّا أباطيل وأعوذ باللّه من غشٍ كغش أبيك وجدِّك قال: قال فضيل فواللّه إنّي لأنظر إليه حين أخرج وأسمع هذا القول حين قال له: غير أنّي لا أدري أسمِعه منه إبراهيم أم لم يَسمعه فسكت حين تكلّم به، قال وأتىٰ المختار ببغلةٍ دهماء يركبها، فقال إبراهيم لعبد اللّه بن يزيد: ألا تشد عليه القيود، فقال: كفىٰ له بالسجن قيداً».(١)

حديث المختار في السجن

كان المختار كالأسد في القفص، ولم تؤثّر فيه هذه الضغوط ولا علىٰ قراره بأخذ الثأر. وكان يقول كلاماً منثوراً ومسجعاً؛ قال يحيىٰ بن أبي عيسىٰ: إنّه قال دخلت عليه مع حميد بن مسلم الأزدي نزوره ونتعاهده فرأيته مقيّداً، قال: فسمعته يقول: أما ورب البحار والنخيل والأشجار والمهامة والقفار والملائكة الأبرار والمصطفين الأخيار لأقتلنَّ كل جبّار بكل لدنٍ خطّار ومهنّدٍ بتّار في جموعٍ من الأنصار ليسوا بميل أغمار ولا بعُزّل أشرار حتىٰ إذا أقمت عمود الدين ورأبت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت بثأر النبيين، لم يكبر عليَّ زوال الدنيا ولم أحفل بالموت إذا أتىٰ. قال: فكان إذا أتيناه وهو في السجن ردَّد علينا هذا القول حتىٰ خرج منه.»(٢)

وهكذا أُودِع المختار في سجن عمّال إبن الزبير حين قيام «التوّابين».

فما السر وراء وقوع المختار في السجن، أوّلاً عندما أراد أن يقاتل إلى جنب الحُسَين عليه السلام، وثانياً عندما أراد أن يكون مع «التوّابين»؟!

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٥٠ - ٤٥١، الكامل لابن الأثير، ج ٤، ص ١٧٣.

(٢) نفس المصدر .

إلتحاق بقايا «التوّابين» بالمختار

عَلِم المختار بخروج سليمان بن صرد الخزاعي و«التوّابين»، كما ذكرنا وهو في السجن. «لقد تولىٰ التوّابون توجيه ضربات قاصمة لجيش بني أُميّة وقاتلوا قتالاً شديداً وببسالة منقطعة النظير إستُشهد فيها سليمان بن صرد مع الكثير ممن خرجوا معه ورجع عدّة قليلة منهم مثخنين بجراحهم ومصممين علىٰ أخذ الثأر للحسين عليه السلام. فأرسل المختار إليهم رسالة مع سيحان بن عمرو من بني ليث من عبد القيس قد أدخله في قلنسوته فيما بين الظهارة والبطانة فأتىٰ بالكتاب رفاعة بن شدّاد والمثنّىٰ إبن مخربة العبدي وسعد إبن حذيفة إبن اليمان ويزيد بن أنس وأحمر بن شُميط الأحمسي وعبداللّه بن شدّاد البجلي وعبداللّه بن كامل، فقرأ عليهم الكتاب».[1]

نص كتاب المختار

«أمّا بعد فإن اللّه أعظمَ لكم الأجر وحَطَّ عنكم الوزر بمفارقة القاسطين وجهاد المحلّين. إنّكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة إلّا رفعَ اللّه لكم بها درجة وكتب لكم بها حسنة إلى ما لا يحصيه إلّا اللّه من التضعيف، فأبشروا فإنّي لو قد خرجت إليكم قد جرّدت فيما بين المشرق والمغرب في عدوّكم السيف بإذن اللّه فجعلتهم باذن اللّه ركاماً وقتلتهم فذّاً وتؤاماً فرّحب اللّه بمن قارب منكم وإهتدىٰ ولايُبعد اللّه إلّا من عصىٰ وأبىٰ والسلام عليكم يا أهل الهدىٰ.»[2]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٤٨٧ – ٤٨٨، ذوب النضار: ص٩٢ ـ ٩٦، الكامل لابن الأثير: ج ٤، ص٢١١.

(٢) نفس المصدر.

جواب «التوّابين»

لمّا علِمَ بقية التوّابين هدف المختار وغايته وقراره «بعثوا إليه إبن كامل فقالوا قل له: قرأنا كتابك ونحن حيث يسرَّك، فإن شئت أن نأتيك حتىٰ نخرجك من الحبس فعلنا. فأخبره الرسول، فسرَّ بإجتماع الشيعة له، وقال: لا تفعلوا هذا، فإنّي أخرج في أيامي هذه».[1]

خروج المختار من السجن

وأُطلق سراح الأسد. كان للمختار غلاماً إسمه «زربيا» أعطاه كتاباً وأرسله خفية إلى زوج أُخته «عبداللّه بن عمر» وفيه: «أمّا بعد، فإنّي حُبست مظلوماً، وظنَّ بي الولاة ظنوناً كاذبة، فاكتب فيَّ ـ يرحمك اللّه ـ إلى هذين الظالمين، وهما: عبداللّه بن يزيد، وإبراهيم بن محمّد كتاباً عسىٰ اللّه أن يُخلّصني من أيديهما بلطفك ومنِّك، والسلام عليك»[2]، ولايخفىٰ أنّ عبداللّه بن عمر كان معتزلاً السياسة ومحافظاً من جهة وإبن الخليفة الثاني من جهة أُخرىٰ وله منزلة في العلم ورواية الحديث، وكان مُطاعاً وذا حظوة لدىٰ الأمويين: إضافة إلى أنَّ زوجته كانت أُختاً للمختار، وبينهما صلة رحم وقرابة.

كتاب عبداللّه بن عمر لتحرير المختار

فكتب عبداللّه بن عمر إلى عبداللّه بن يزيد، وإبراهيم بن محمّد: أمّا بعد، فقد علمتما الذي بيني وبين المختار من المصاهرة، والذي بيني وبينكما من الود، فأقسمت

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٨٧ – ٤٨٨، ذوب النضار: ص٩٢ – ٩٦ الكامل لابن الأثير: ج٤، ص٢١١.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٨٨، ذوب النضار: ص٩٣، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٦٣، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣١٥، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢١٩.

عليكما لمّا خليتما سبيله، حين تنظران في كتابي هذا، والسلام عليكما ورحمة اللّه وبركاته».[١]

كفالة الخروج من السجن

فلمّا قرأ ـ عبداللّه بن يزيد، وإبراهيم بن محمّد ـ الكتاب، طلبا من المختار كفلاً، فأتاهما بجماعة من أشراف الكوفة، فإختارا منهم عشرة ضمنوه، وحلّفاه أن لايخرج عليهما، فإن هو خرج فعليه ألف بدنة[٢] ينحرها لدىٰ رتاج[٣] الكعبة، ومماليكه كلهم أحرار، فخرج وجاء داره.

الإلتزام أم الثورة؟!

«قال حميد بن مسلم: سمعت المختار يقول: قاتلهم اللّه ما أجهلهم وأحمقهم حيث يرون[٤] أنّي أفي لهم بأيمانهم هذه، أما حلفي باللّه فإنّه ينبغي إذا حلفت يميناً ورأيت ما هو أولىٰ منها أن أتركها وأعمل الأولىٰ، وأُكفِّر عن يميني، وخروجي خير من كفّي عنهم، وأمّا هدي[٥] ألف بدنة فهو أهون عليَّ من بصقة، وما يهولني ثمن ألف بدنة، وأمّا عتق مماليكي فواللّه لوددت أنّه إستتب لي أمري من أخذ الثأر، ثمّ لم أملك مملوكاً أبداً».[٦]

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٨٨، ذوب النضار: ص٩٣، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٦٣، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣١٥، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢١٩.

(٢) البدنة: الناقة أو البقرة المسمنة.

(٣) الرتاج: الباب العظيم، وقيل: هو الباب المغلق. (لسان العرب: ج٢، ص٢٧٩ - رتج -).

(٤) في (نسخة): ما أجهلهم حيث يروني.

(٥) الهدي: هو ما يُهدىٰ إلى البيت الحرام من النعم لتنحر، فأُطلق علىٰ جميع الابل وإن لم تكن هدياً. (البداية والنهاية لابن كثير: ج٥، ص٢٥٤ ـ هدي ـ).

(٦) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٨٨، ذوب النضار: ص٩٤، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٦٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣١٦.

زيارات ولقاءات

«ولمّا إستقر في داره، إختلفت الشيعة إليه، وإجتمعت عليه، وإتفقوا علىٰ الرضا به، وكان قد بويع له وهو في السجن، ولم يزالوا يكثرون وأمرهم يقوىٰ ويشتد حتىٰ عزلَ عبدالله بن الزبير الواليين اللذين من قِبله، وهما عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمّد إبن طلحة».[1]

أقرب الأصحاب

عندما كان المختار في السجن لم تُقطع الإتصالات السرّية بينه وبين أتباعه ومناصريه. حيث كان يعتمد علىٰ خمسة من أصدق أصحابه وأكثرهم ثقة في نقل الرسائل والأخبار منه وإليه. إضافة إلى أخذهم البيعة من النّاس سرّاً علىٰ قيادة المختار للثورة المرتقبة. قال الطبري: «فلمّا نزلَ المختار داره عند خروجه من السجن إختلف إليه الشيعة وإجتمعت عليه وإتفق رأيها علىٰ الرضىٰ به وكان يبايع له النّاس وهو في السجن خمسة نفر هم:

١. السائب بن مالك الأشعري؛ من زعماء شيعة العراق وخليفة المختار في الكوفة.[2]

٢. يزيد بن أنس؛ الذي أضحىٰ لاحقاً من القادة الكفوئين في الذود عن الإنتفاضة.

٣. أحمر بن شُميط؛ أحد قيادات الإنتفاضة.

٤. رفاعة بن شدّاد الفتياني؛ من زعماء شيعة العراق وأحد قيادات «التوّابين».

---

١) المصدر السابق.

(٢) مستدركات علم رجال الحديث للشيخ علي نمازي الشاهرودي: ج٤، ص٣.

٥. عبدالله بن شدّاد البجلي؛ من زعماء شيعة العراق وأحد قيادات «التوّابين».

فلم يزل أصحابه يكثرون وأمره يقوىٰ ويشتد».[١]

وعليه وأثناء خروج المختار من السجن، كان قد تم تحضير أغلب الإستعدادات بما فيها إنضمام الراغبين إلى صفوف الثوّار. ولمجرد إطلاق سراحه بدأ المختار بتنظيم الخلايا المقاومة والجماعات المقاتلة ووصلَ بعضهم بالبعض الآخر. فإزدادت أعداد الجموع المنظوية تحت لواء المختار وقد إكتملت جميع التمهيدات المتعلّقة بالثورة.

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٨٨ – ٤٨٩.

الباب الثاني
تغيير الكادر السياسي في الكوفة

بعد هلاك يزيد سنة (٦٤هجرية) أعلن إبن الزبير نفسه خليفة للمسلمين وبسط نفوذه علىٰ الحجاز والعراق واليمن وبلاد فارس. «عزلَ عبداللّه بن الزبير عبداللّه بن يزيد عن الكوفة وولّاها عبداللّه بن مطيع ونزع عن المدينة أخاه عبيدة بن الزبير وولّاها أخاه مُصعَب بن الزبير».[1]

و«دعا إبن الزبير عبداللّه بن مطيع أخا بني عدي بن كعب والحارث بن عبداللّه بن أبي ربيعة المخزومي، فبعثَ عبداللّه بن مطيع علىٰ الكوفة وبعثَ الحارث بن عبداللّه بن أبي ربيعة علىٰ البصرة، قال: فبلغ ذلك بجير بن ريسان الحميري فلقيهما، فقال لهما: يا هذان إنّ القمر الليلة بالناطح فلا تسيرا فأمّا إبن أبي ربيعة فأطاعه فأقام يسيراً ثمّ شخص إلى عمله فسلِمْ وأمّا عبداللّه بن مطيع فقال له: وهل نطلب إلّا النطح، قال: فلقىٰ واللّه نطحاً وبطحاً».[2]

والي الكوفة الجديد

أدىٰ تحرُّر المختار من السجن وتحرُّك العراقيين خاصة شيعة الكوفة إلى حدوث

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٤٨٣، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣١٩.

٢) نفس المصدر.

حالة من الرعب الشديد لدىٰ حكومة الشام بزعامة عبدالملك بن مروان وحكومة الحجاز بزعامة إبن الزبير. فأرسل إبن الزبير من جانبه إلى الكوفة والياً محنَّكاً هو عبدالله بن مطيع؛ «قدِم عبدالله بن مطيع الكوفة في رمضان سنة (٦٥ هجرية) من يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان فقال لعبد الله بن يزيد: إن أحببت أن تُقيم معي أحسنتُ صحبتك وأكرمت مثواك وإن لحقت بأمير المؤمنين عبدالله بن الزبير فيك عليه كرامة وعلىٰ من قبله من المسلمين، وقال لإبراهيم بن محمّد إبن طلحة: إلحَق بأمير المؤمنين فخرج إبراهيم حتىٰ قدِم المدينة وكسر علىٰ إبن الزبير الخراج وقال: إنّما كانت فتنة فكفَّ عنه إبن الزبير. قال: وأقام إبن مطيع علىٰ الكوفة علىٰ الصلاة والخراج وبعثَ علىٰ شُرطته إياس بن مضارب العجلي وأمره أن يحسن السيرة والشدّة علىٰ المريب».[1]

خطبة الوالي الجديد

«قال: حصيرة بن عبدالله بن الحارث بن دريد الأزدي ـ وكان قد أدرك ذلك الزمان وشهدِ قتل مُصعَب بن الزبير ـ إنّي لشاهد المسجد حيث قدِم عبدالله بن مطيع فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: أمّا بعد فإنّ أمير المؤمنين عبدالله بن الزبير بَعثني علىٰ مصركم وثغوركم وأمرَني بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلّا برضىٰ منكم ووصية عمر بن الخطّاب الّتي أوصىٰ بها عند وفاته وبسيرة عثمان بن عفّان الّتي سار بها في المسلمين فإتقوا الله وإستقيموا ولا تختلفوا وخذوا علىٰ أيدي سفهائكم وألا تفعلوا فلوموا أنفسكم ولا تلوموني فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي ولأقيمن درأ الأصعر المرتاب».[2]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٤٨٩، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣١٩.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٤٨٩ - ٤٩١، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣١٩.

الإعتراض علىٰ الوالي الجديد

«فقام إليه السائب بن مالك الأشعري فقال: أمّا أمر إبن الزبير إيّاك أن لا تحمل فضل فيئنا عنّا إلّا برضانا فإنّا نشهدك أننا لا نرضىٰ أن تحمل فضل فيئنا عنّا وأن لا يُقسم إلّا فينا وأن لايُسار فينا إلّا بسيرة علي بن أبي طالب الّتي سار بها في بلادنا هذه حتىٰ رحل رحمة اللّه عليه ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا فإنّها إنّما كانت أثرة وهوىٰ ولا في سيرة عمر بن الخطّاب في فيئنا وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرّاً وقد كان لا يألوا النّاس خيراً. [1]

«فقال يزيد بن أنس: صدقَ السائب بن مالك وبر، رأيَنا مثل رأيه وقولنا مثل قوله. فقال إبن مطيع: نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها وهويتموها ثمّ نزل؛ فقال يزيد بن أنس الأسدي: ذهبت بفضلها ياسائب لايعدمك المسلمون أما واللّه لقد قمت وإنّي لأريد أن أقوم فأقول له نحواً من مقالتك وما أحب أن اللّه ولّىٰ الرد عليه رجلاً من أهل المصر ليس من شيعتنا». [2]

دسيسة أُخرىٰ ضد المختار

وجاء إياس بن مضارب إلى إبن مطيع فقال له: إنّ السائب بن مالك من رؤوس أصحاب المختار ولست آمن المختار فإبعث إليه فليأتك فإذا جاءك فأحبسه في سجنك حتىٰ يستقيم أمر النّاس، فإنَّ عيوني قد أتتني فخبَّرتني أنَّ أمره قد إستجمع له وكأنه قد وثب بالمصر، قال فبعث إليه إبن مطيع زائدة إبن قُدامة وحُسين بن عبداللّه البرسمي من همدان فدخلا عليه فقالا: أجب الأمير فدعا بثيابه وأمر بإسراج دابّته وتخشخش للذهاب معهما. [3]

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٨٩ – ٤٩١، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣١٩.

٢) نفس المصدر .

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٨٩ ـ ٤٩١، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢١٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢٠.

إحباط الدسيسة

لمّا رأىٰ زائدة إبن قُدامة ذلك قرأ قول اللّه تبارك وتعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ)(١)، ففهمها المختار فجلس ثمّ ألقىٰ ثيابه عنه ثمّ قال: ألقوا عليَّ القطيفة ما أراني إلّا قد وعكت إنّي لأجد قفقفة شديدة ثمّ تمثّلَ قول عبدالعزىٰ بن صهل الأزدي:

إذا ما مَعشرٌ تركوا نَدَاهُم ... ولم يأتوا الكريهة لم يُهابُوا

إرجعا إلى إبن مطيع فأعلماه حالي الّتي أنا عليها فقال له زائدة إبن قُدامة: أمّا أنا ففاعل وأنت يا أخا همدان فاعذرني عنده فإنّه خير لك.(٢)

يُعلم من إلتفاتة زائدة إبن قُدامة أنّه علىٰ الرغم من كونه من جلاوزة الوالي إلّا أنّه شيعي ومن محبي المختار قلباً وباطنه نقي، هذا بالإضافة إلى أنّ زائدة من ثَقيف ومن بني أعمام المختار.

«قال أبومخنف: فحدَّثني إسماعيل بن نعيم الهمداني عن حُسين بن عبداللّه قال: قلت في نفسي واللّه إن أنا لم أُبلِّغ عن هذا ما يرضيه ما أنا بآمن من أن يظهر غداً فيهلكني، قال: فقلت له نعم أنا أصنع عند إبن مطيع عذرك وأُبلغه كل ما تحب فخرجنا من عنده فإذا أصحابه علىٰ بابه وفي داره منهم جماعة كثيرة قال فأقبلنا نحو إبن مطيع فقلت لزائدة إبن قُدامة: أما إنّي قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية وعلمت ما أردت بها وقد علمت أنّها هي ثبّطته عن الخروج معنا بعد ما

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٨٩ ـ ٤٩١، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢١٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢٠.

كان قد لبس ثيابه وأسرج دابته وعلمت حين تمثَّل البيت الذي تمثَّل إنّما أراد يخبرك أنّه قد فهم عنك ما أردت أن تُفهمه وأنّه لن يأتيه قال فجاحدني أن يكون أراد شيئاً من ذلك فقلت له: لاتحلف فواللّه ما كنت لأُبلِّغ عنك ولا عنه شيئاً تكرهانه ولقد علمت أنّك مشفق عليه تجد له ما يجد المرء لابن عمّه، فأقبلنا إلى إبن مطيع فأخبرناه بعلّته وشكواه فصدّقنا ولهىٰ عنه».[1]

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٨٩ ـ ٤٩١، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢١٤، مقتل الحسين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢٠.

الباب الثالث
الدعوة إلى الثورة

كان المختار علىٰ إتصال دائم بالشيعة وبعد إندحار إنتفاضة «التوّابين»، دعا النّاس إلى الخروج وبشكل سرّي. وبعد أن خرج من السجن زاد من نشاطه في جذب القوّات والبيعة للثورة إذ بايعه سرّاً سبعة عشر ألف قبل إعلانه الخروج[1]، وبعثَ المختار إلى أصحابه فأخذ يجمعهم في الدور حوله وأراد أن يثب بالكوفة في المحرم سنة(٦٦) للهجرة.[2]

المثنّىٰ إبن مخربة يدعم المختار

دعا المثنّىٰ إبن مخربة العبدي النّاس في البصرة إلى بيعة المختار. يُعتبر المثنّىٰ إبن مخربة العبدي من زعماء وكبار أهل البصرة ومن خواص الشيعة ومحبي أهل البيتعليهم السلام. كان قد دعا إلى مناصرة أمير المؤمنين الإمام عليعليه السلام ضد معاوية بن أبي‌سفيان. وأثناء قيام معاوية بإرسال أحد أنصاره «إبن الحضرمي» إلى البصرة، وقف المثنّىٰ إبن مخربة في وجهه وأجبره علىٰ العودة إلى حيث أتىٰ. «لمّا نزل إبن

---

(١) الأعلام لخيرالدين الزركلي: ج٧، ص١٩٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩١، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢١٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢٠.

الحضرمي في بني تميم أرسل إلى الرؤوس فأتوه، فقال لهم: أجيبوني فقام إليه إبن ضحّاك، فقال: أي والذي له أسعىٰ، وإيّاه أخشىٰ، لننصرنَّك بأسيافنا وأيدينا. وقام المثنّىٰ إبن مخربة[١] العبدي فقال: لاوالذي لا إله إلّا هو، لئن لم ترجع إلى مكـانك الذي أقبلت منه لنجاهدنّك بأسيافنا وأيدينا، ونبالنا وأسنّة رماحنا. نحن ندَع إبن عم رسول اللّه ﷺ وسيّد المسلمين، وندخل في طاعة حزب من الأحزاب طـاغٍ! واللّه لايكون ذلك أبداً حتىٰ نسير كتيبة، ونفلق السيوف بالهام».[٢]

المثنّى إبن مخربة العبدي من «التوّابين» الّذين خرجوا مع سليمان بـن صرد في ثلاثمائة من أهل البصرة ثمّ رجع بعد ذلك ودعا لبيعة المخـتار بـن أبي عـبيد في البصرة. وردَّ علىٰ كتاب سليمان بن صرد فكتب: أمّا بعد فقد قرأت كتابك وأقرأته إخوانك فحمدوا رأيك وإستجابوا لك فنحن موافوك إن شاء اللّـه للأجـل الذي ضربت وفي الموطن الذي ذكرت والسلام عليك. وكتب في أسفل كتابه:

تـبصر كأني قـد أتـيتك مـعلماً … عـلي أتـلع الهـادي أجش هـزيم
طويل القرىٰ نهد الشـواء مـقلص … مـلح عـلىٰ فأس اللـجام أزوم
بكـل فـتى لايمـلأ الروع نحـره … محس لعض الحـرب غـير سؤوم
أخـي ثـقة يـنوي الإله بسـعيه … ضروب بنصل السيف غير أثيم[٣]

ووفىٰ المثنّىٰ بوعده وإلتحق بركب سليمان و«التوّابين» بثلاثمائة رجل لكنّه وصل إليهم متأخراً وحين وصل كان سليمان وأكثر أصحابه «التوّابين» قـد إستُشهِدوا،

(١) من وجوه التوّابين قد خرج مع سليمان بن صرد وأقرانه لكنه لم يستشهد فرجع إلى البصرة بـعد شهـادة التوّابين فلمّا خرج المختار بايع له سراً ووجهه المختار إلى البصرة ليدعو الشيعة هناك إلى الخروج معه وخرج معه وتفصيل خروجه ومواقفه في تأريخ الطبري في أحداث سنة ست وستين.

(٢) الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٦١، مستدركات أعـيان الشيعة لمحسـن الأمـين: ج٢، ص٧٤، الغـارات لابراهيم إبن محمّد الثقفي: ج٢، ص٣٨٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٤، ص٤٠ - ٤١.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٣١، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٦١، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٥٦.

فرجع المثنّىٰ ورجاله إلى الكوفة وكان المختار حينها في السجن. وإستطاع المثنّىٰ أن يتّصل سرّاً بالمختار ويبايعه متى خرج من السجن أن يناصره بكل ما أوتي من قوّة. وأرسل إلى المختار رداً علىٰ رسالته يُعلمه بوفائه ومعاونته له.

البيعة في البصرة

دعا المثنّىٰ إبن مخربة العبدي إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها؛ فحدَّثني أحمد بن زهير عن علي بن محمّد عن عبداللّه إبن عطية الليثي وعامر بن الأسود، أنَّ المثنّىٰ إبن مخربة العبدي كان ممن شَهد «عين الوردة» مع سليمان إبن صرد ثمّ رجع مع من رجع ممن بقىٰ من «التوّابين» إلى الكوفة والمختار محبوس فأقام حتىٰ خرج المختار من السجن فبايعه المثنّىٰ سرّاً وقال له المختار: إلحق ببلدك بالبصرة فـإرعَ النّاس وأسر أمرك فقدِم البصرة فدعا فأجابه رجال من قومه وغيرهم.[1]

إلى الكوفة

فلمّا أخرجَ المختار إبن مطيع من الكوفة ومنعَ عمر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام من الكوفة، خرجَ المثنّىٰ إبن مخربة فإتخذ مسجداً وإجتمع إليه قومه ودعا إلى المختار ثمّ أتىٰ مدينة الرزق فعسكرَ عندها وجمعوا الطعام في المدينة ونحروا الجزر.[2]

معركة المثنّىٰ مع عمّال إبن الزبير

«فوجَّه إليهم القباع عباد بن حصين وهو علىٰ شُرطته وقيس بن الهيثم في

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٣٦، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص١٦١، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص٣٥٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٣٦.

الشُرط والمقاتلة فأخذوا في سكة الموالي حتىٰ خرجوا إلى السبخة فـوقفوا ولزم النّاس دورهم فلم يخرج أحد فجعل عباد ينظر هل يرىٰ أحداً يسأله فلم ير أحداً فقال: أما هٰهنا رجل من بني تميم.[1]

فقال خليفة الأعور مولىٰ بني عدي الرباب: هذه دار وراد مولىٰ بني عبد شمس قال، دُقْ الباب فدقَّه فخرج إليه وراد فشتمه عباد وقال: ويحك أنا واقف هُهنا لم تخرج إليَّ قال: لم أدر ما يوافقك. قال، شد عليك سلاحك وإركب ففعل، ووقفوا وأقبل أصحاب المثنّىٰ فواقفوهم فقال عباد لوراد: قف مكانك مع قيس، فـوقف قيس بن الهيثم ووراد ورجع عباد فأخذ في طريق الذبّاحين والنّـاس وقـوف في السبخة حتىٰ أتىٰ الكلأ، ولمدينة الرزق أربعة أبواب باب مما يلي البصرة وباب إلى الخلالين وباب إلى المسجد وباب إلى مهب الشمال فأتىٰ الباب الذي يلي النهر مما يلي أصحاب السقط وهو باب صغير فوقف ودعا بسلَّم فوضعه علىٰ حائط المدينة فصعدَ ثلاثون رجلاً وقال لهم ألزموا السطح فإذا سمـعتم التكـبير فكـبِّروا عـلى السطوح. ورجع عباد إلى قيس بن الهيثم وقال لوراد: حـرِّش القـوم نـطاردهم. فدخل وراد القتال فقتل أربعون رجلاً مـن أصـحاب المـثنّىٰ وقـتل رجـل مـن أصحاب عباد وسمع الّذين علىٰ السطوح في دار الرزق الضجَّة والتكبير فكـبَّروا فهرب من كان في المدينة وسمع المثنّىٰ وأصحابه التكـبير مـن ورائـهم فـانهزموا وأمَر عباد وقيس بن الهيثم النّاس بالكف عن إتّباعهم وأخذوا مدينة الرزق وما كان فيها.[2]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٣٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٣٦ - ٥٣٧.

فشل دعوة المثنّىٰ

وأتىٰ المثنّىٰ وأصحابه عبد القيس ورجعَ عباد وقيس ومن معهم إلى القباع فوجههما إلى عبد القيس فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر وأتاهم عباد من طريق المربد فإلتقوا فأقبلَ زياد بن عمرو العتكي إلى القباع وهو في المسجد جالس علىٰ المنبر فدخل زياد المسجد علىٰ فرسه فقال: أيُّها الرجل لتردنَّ خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنها فأرسل القباع الأحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومي ليصلحا أمر النّاس فأتيا عبد القيس فقال الأحنف لبكر والأزد وللعامّة: ألستم علىٰ بيعة إبن الزبير، قالوا: بلىٰ ولكنّا لا نُسلِّم إخواننا قال: فروهم فليخرجوا إلى أي بلاد أحبوا ولا يفسدوا هذا المصر علىٰ أهله وهم آمنون فليخرجوا حيث شاؤوا؟ فمشىٰ مالك بن مسمع وزياد بن عمرو ووجوه أصحابهم إلى المثنىٰ فقالوا له ولأصحابه: إنّا واللّه ما نحن علىٰ رأيكم ولكنّا كرهنا أن تُضاموا إلحقوا بصاحبكم فإنَّ من أجابكم إلى رأيكم قليل وأنتم آمنون فقبِل المثنّىٰ قولهما وما أشارا به وإنصرف ورجع الأحنف وقال: ما غبنت رأيي إلّا يومي هذا إني أتيت هؤلاء القوم وخلّفت بكراً والأزد ورائي ورجع عباد وقيس إلى القباع وشخص المثنّىٰ إلى المختار بالكوفة في نفر يسير من أصحابه.[١]

المثنّىٰ مع المختار

وأخبر المثنّىٰ المختار حين قدِم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع وزياد إبن عمرو ومسيرهما إليه وذبّهما عنه حتىٰ شخص عن البصرة فطمع المختار فيهما فكتب إليهما، أمّا بعد فأسمعا وأطيعا أوتكما من الدنيا ما شئتما وأضمن لكما الجنّة،

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٣٧ - ٥٣٨.

فقال مالك لزياد: يا أبا المغيرة قد أكثرَ لنا أبو إسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة، فقال زياد مازحاً لمالك: يا أبا غسّان أمّا أنا فلا أُقاتل نسيئة، مَن أعطانا الدراهم قاتلنا معه. وكتب المختار للأحنف بن قيس، من المختار إلى الأحنف ومَن قبله فسلم أنتم أمّا بعد فويل أم ربيعة من مضر فإنَّ الأحنف مُورد قومه سقر حيث لايستطيع لهم الصَّدَر وإنّي لاأملك ما خُطَ في القدر وقد بلغني أنّكم تُسموني كذّابا وقد كُذّبَ الأنبياء من قبلي ولست خيراً منهم وكتب إلى الأحنف:

إذا إشتريتَ فرساً من مالكا ... ثمّ أخذتَ الجَوبَ في شِمالِكا

فاجعل مِصاعاً حذماً من بالِكا[1]

كتاب آخر للمختار

كتبَ المختار أيضاً إلى الأحنف بن قيس «عن الشعبي قال: دخلت البصرة فقعدت إلى حلقةٍ فيها الأحنف بن قيس، فقال لي بعض القوم: مَن أنت قلت رجل من أهل الكوفة، قال: أنتم موال لنا، قلت: وكيف، قال: قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار، قلت أتدري ما قال شيخ همدان فينا وفيكم؟

فقال الأحنف بن قيس: وما قال؟ قلت: قال:

أفخرتم أن قتلتم أعبُداً ... وهزمتم مَرَّةً آلَ عزَل

وإذا فاخرتُمونا فاذكُروا ... ما فعلنا بكم يومَ الجَمَل

بينَ شيخٍ خاضبٍ عُثْنونهُ ... وفتى أبيض وضّاح رِفَل

جاءنا يهدجُ في سابغةٍ ... فذَبحناه ضُحىً ذَبحَ الحمَل

وعفونا فنسِيتمُ عفونا ... وكفرتُم نِعمةَ اللّه الأجَلّ

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٣٧ - ٥٣٨.

فغضب الأحنف فقال: يا غلام هات تلك الصحيفة فأتى بصحيفة فيها بسم اللّه الرحمن الرحيم من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس أمّا بعد: فويل أُم ربيعة ومضر فإنَّ الأحنف مُورد قومه سقر حيث لا يقدرون علىٰ الصَّدَر وقد بلغني أنكم تكذّبوني وإن كُذّبتُ فقد كُذِّبَ رُسلٌ من قبلي ولست أنا خيراً منهم فقال: هذا مِنّا أو مِنكم.(١)

ودارت بينهما مشاجرة وإنتهىٰ المجلس. ولم يناصر أهل البصرة المختار كما أحب وأصبحت البصرة وكراً للمتمردين والهاربين من أشراف الكوفة؛ وهؤلاء هم الّذين حَرَّكوا إبن الزبير كي يقاتل المختار.

إجتماع زعماء الكوفة

كان عبد الرحمن بن شريح من الأصحاب الموثوقين عند المختار وله نفوذ وهيبة وشخصيّة وإحترام بين النّاس. يقول الطبري: «فجاء رجل من أصحابه من شُبام وكان عظيم الشرف يُقال له عبد الرحمن بن شريح فلقي سعيد بن منقذ الثوري وسعر بن أبي سعر الحنفي والأسود بن جراد الكندي وقُدامة بن مالك الجشمي فإجتمعوا في منزل سعر الحنفي فحمد اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أمّا بعد فإنَّ المختار يريد أن يخرج بنا وقد بايعناه ولا ندري أرسله إلينا إبن الحنفيّة أم لا فانهضوا بنا إلى إبن الحنفيّة فلنخبره بما قدِمَ علينا به وبما دعانا إليه فإن رخصَ لنا في إتّباعه إتّبعناه وإن نهانا عنه إجتنبناه، فواللّه ما ينبغي أن يكون شئ من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا فقالوا له: أرشدك اللّه فقد أصبت ووفقت أُخرج بنا إذا شئت فأجمع رأيهم علىٰ أن يخرجوا من أيامهم.»(٢)

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٣٨ - ٥٤٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٤٩٢، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤ ص ٢١٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص ٣٢٠، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٩٦.

لقاء مع ممثل قائد الثورة

«فخرجوا فلحقوا بإبن الحنفيّة وكان أمامهم عبد الرحمن بن شريح فلمّا قدِموا عليه سألهم عن حال النّاس فخبَّروه عن حالهم وما هم عليه؛ قال أبومخنف: فحدَّثني خليفة بن ورقاء عن الأسود بن جراد الكندي قال قلنا لإبن الحنفيّة: إنَّ لنا إليك حاجة، قال: فسِر هي أم علانية، قال: قلنا لا بل سِر، قال: فرويداً إذاً، قال: فمكث قليلا ثمّ تنحّى جانباً فدعانا فقمنا إليه فبدأ عبد الرحمن بن شريح فتكلّم فحمدَ اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أمّا بعد فإنّكم أهل بيت خصَّكم اللّه بالفضيلة وشرَّفكم بالنبوّة وعَظمَ حقكم علىٰ هذه الأُمّة فلا يجهل حقكم إلّا مغبون الرأي مخسوس النصيب قد أُصِبتم بحسين رحمة اللّه عليه عظمت مصيبة ما قد خصَّكم بها فقد عمَّ بها المسلمون وقد قدِم علينا المختار بن أبي عبيد يزعم لنا أنّه قد جاءنا من تلقائكم وقد دعانا إلى كتاب اللّه وسنّة نبيه ﷺ والطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضعفاء فبايعناه علىٰ ذلك ثمّ إنّا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه وندَبنا له فإن أمرتنا باتّباعه إتّبعناه وإن نهيتنا عنه إجتنبناه، ثمّ تكلَّمنا واحداً واحداً بنحو مما تكلَّم به صاحبنا وهو يسمع».[1]

حديث محمّد إبن الحنفيّة

«حتى إذا فرغنا حمدَ اللّه وأثنىٰ عليه وصلّىٰ علىٰ النبي ﷺ ثمّ قال: أمّا بعد فأمّا ما ذكرتم مما خصصنا اللّه به من فضل فإنَّ اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم فللّه الحمد وأمّا ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين فإن ذلك كان في الذكر الحكيم

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٢، الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٢١٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢٠، ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص٩٦.

وهي ملحمة كُتبت عليه وكرامة أهداها اللّه له رفع بما كان منها درجـات قـوم عنده ووضع بها آخرين وكان أمر اللّه مفعولاً وكان أمر اللّه قدراً مقدوراً وأما ما ذكرتم من دُعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا فواللّه لوددت أنَّ اللّه إنتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه والسلام».(١)

قبول الإمام السجَّادعليه السلام بالخروج

روىٰ العلّامة المجلسي عن فقيه الشيعة الكبير العلّامة جعفر بن نما قـال: قـد رويت عن والدي رحمة اللّه عليه أنّ ـ محمّد إبن الحنفيّة ـ قال لهم: ـ قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحُسَين، فلمّا دخل ودخلوا عـليه أخـبر خـبرهم الذي جاؤوا لأجله، قال: يا عم لو أنَّ عبداً زنجياً تعصَّب لنا أهل البيت، لوجب عـلىٰ النّاس مؤازرته، وقد وليّتك هذا الأمر، فإصنع ما شئت، فخرجوا وقد سمعوا كلامه وهم يقولون: أذِنَ لنا زين العابدينعليه السلام ومحمّد إبن الحنفيّة.(٢)

ويتضح من جملة محمّد إبن الحنفيّة: «قوموا بنا إلىٰ إمامي وإمامكم عـلي إبـن الحُسَينعليه السلام مدىٰ حدود طاعته وإنـصياعه المـطلق عـملياً للإمـام السـجَّادعليه السلام وإعتقاده الراسخ بالإمامة. وفيما يتعلّق بمسألة الثورة وطلب الثأر لدماء الشهـداء كان يرىٰ أنّ الإمام أولىٰ من غيره وهو ولي الأمر. والإمامعليه السلام كان يعلم بأنّه سوف يطلب من الشيعة الإستئذان منه، فيوكل الأمر برمّته إلى محمّد إبن الحنفيّة ويمنحه الصلاحية المطلقة لإدارة هذه الثورة.

قالَ العلّامة المامقاني، المتخصص في علم الرجال: «فإنّ سلطنته برخصة مـن

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٢، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢١٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢٠، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٩٦.

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٦٤ - ٣٦٥.

الإمام...»[١]

وقَبِل العلّامة إبن نما الرواية السابقة وصرَّح بإذن الإمام.

وكذلك قال السيّد الخوئي: «ويظهر من بعض الروايات أنّ هذا كان بإذن خاص من الإمام السجّاد عليه السلام».[٢]

القرار النهائي

«قال عبد الرحمن بن شريح: فجئنا وأنّاس من الشيعة ينتظرون لقدومنا ممن كنّا قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه علىٰ ذات أنفسنا ممن كان علىٰ رأينا من إخواننا وقد كان بلغَ المختار مخرجنا فشقَ ذلك عليه وخشي أن نأتيه بأمر يخذل الشيعة عنه فكان قد أرادهم علىٰ أن ينهض بهم قبل قدومنا فلم يُهيأ ذلك له فكان المختار يقول: إنَّ نفيراً منكم إرتابوا وتحيَّروا وخابوا فإن هم أصابوا أقبلوا وأنابوا وإن هم كبوا وهابوا وإعترضوا وإنجابوا فقد ثُبروا وخابوا».[٣]

لم يشأ محمّد إبن الحنفيّة والمختار أن يشيع الأمر قبل إعلانه، وكان المختار يحتمل أن يخرج نفر من الكوفة إلى المدينة للإطمئنان والإستئذان من محمّد إبن الحنفيّة الذي ربما قد لايثق بهم ولايعتمد عليهم، وأن لايؤيد خروجه من باب التقيّة. فإذا رجعَ هؤلاء بهذا التصوّر يمكن أن يُشكل ذلك خللاً في عمل المختار ومن المحتمل أن يؤدي بالتالي إلى فشل ثورته قبل قيامها.

---

(١) تنقيح المقال: ج٣، ص٢٠٦.

(٢) معجم رجال الحديث، ج١٨، ص١٠١.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٢ ـ ٤٩٣، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٢١٤، الخوارج والشيعة لعبدالرحمن بدوي: ص١٢٧، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢١، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٢٨، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٩٦.

الخبر السار

«فلم يكن إلّا شهراً وزيادة شيئ حتىٰ أقبلَ القوم علىٰ رواحلهم ودخلوا علىٰ المختار قبل دخولهم إلى رحالهم فقال لهم: ما وراءكم فقد فُتنتم وإرتبتُم فقالوا له قد أُمِرنا بنصرتك فقال: اللّه أكبر أنا أبو إسحٰق إجمعوا إليَّ الشيعة فجمع له منهم من كان منه قريباً فقال: يا معشر الشيعة إنَّ نفراً منكم أحبوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا إلى إمام الهدىٰ والنجيب المرتضىٰ إبن خير من طشىٰ ومشىٰ حاشا النبي المجتبىٰ فسألوه عمّا قدِمت به عليكم فنبّأهم أنّي وزيره وظهيره ورسوله وخليله وأمرَكم باتّباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلّين والطلب بدماء أهل بيت نبيِّكم المصطفين، فقامَ عبدالرحمن بن شريح فحمدَ اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أمّا بعد يا معشر الشيعة فإنّا قد كنّا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصّة ولجميع إخواننا عامّة فقدمنا علىٰ المهدي بن علي فسألناه عن حربنا هذه وعن ما دعانا إليه المختار منها فأمَرنا بمظاهرته ومؤازرته وإجابته إلى ما دعانا إليه فأقبلنا طيِّبةً أنفسنا منشرحةً صدورنا قد أذهبَ اللّه منها الشك والغِل والريب وإستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدوِّنا فليُبلِّغ ذلك شاهدكم غائبكم وإستعدوا وتأهبّوا».[1]

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٢ ـ ٤٩٣، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢١٤، الخوارج والشيعة لعبد الرحمن بدوي: ص١٢٧، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢١، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٢٨، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٩٦.

الباب الرابع
دور إبراهيم بن مالك الأشتر

بعدما تبيَّن لشيعة الكوفة صدق المختار وأنَّه مأمور من جانب أهل البيت عليهم السلام، بالثأر لدم الإمام الحُسَين عليه السلام وأصحابه الأبرار. وأن محمّداً إبن الحنفيّة قد أعطاه الأمر علانية للقيام بذلك. حينها تأهَّبوا وعبَّأوا القوّات للإلتحقاق به وإطاعة أوامره.

حديث المختار في جمع من الشيعة

لمّا رجعَ القوم من المدينة؛ «دخلوا علىٰ المختار قبل دخولهم إلى رحالهم فقال لهم: ما وراءكم فقد فتنتم وإرتبتم فقالوا له قد أُمِرنا بنصرتك فقال: اللّه أكبر أنا أبو إسحاق إجمعوا إليَّ الشيعة فجمع له منهم من كان منه قريباً فقال: يا معشر الشيعة إنَّ نفراً منكم أحبّوا أن يعلموا مصداق ما جئت به فرحلوا إلى إمام الهدىٰ والنجيب المرتضىٰ إبن خير من طشىٰ ومشىٰ حاشا النبي المجتبىٰ فسألوه عمّا قدِمت به عليكم فنبّأهم أنّي وزيره وظهيره ورسوله وخليله وأمرَكم باتّباعي وطاعتي فيما دعوتكم إليه من قتال المحلِّين والطلب بدماء أهل بيت نبيّكم المصطفين».[1]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٩٣.

فقام عبد الرحمن بن شريح فحمد اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال «أمّا بعد يا معشر الشيعة فإنّا قد كنّا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصّة ولجميع إخواننا عامّة فقدمنا علىٰ المهدي بن علي فسألناه عن حربنا هذه وعن ما دعانا إليه المختار منها فأمرَنا بمظاهرته ومؤازرته وإجابته إلى ما دعانا إليه فأقبلنا طيبةً أنفسنا منشرحةً صدورنا قد أذهبَ اللّه منها الشك والغِل والريب وإستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدوِّنا فليبلِّغ ذلك شاهدكم غائبكم وإستعدوا وتأهّبوا ثمّ جلسَ وقمنا رجلاً فرجلاً فتكلّمنا بنحو من كلامه فاستجمعت له الشيعة وحدبت عليه».[1]

ربما كان سبب عدم ذكر عبد الرحمن بن شريح لإسم الإمام السجّادعليه‌السلام في خبره والإكتفاء فقط بإسم محمّد إبن الحنفيّة هو إمتثالاً لرغبة الإمامعليه‌السلام في عدم التطرّق لإسمه بشكل علني في هذه الثورة، وهو مايجسّد جوهر التدبُّر والتقيّة. ويُحتمل أيضاً أن يكون الإمامعليه‌السلام قد أوضحَ من قبل لزعماء الشيعة موضوع عدم ذكر إسمه في هذه القضية. بالإضافة إلى أنّه وطبقاً لأوامر الإمامعليه‌السلام فإنَّ محمّد إبن الحنفيّة كان الممثل الخاص له وذات الصلاحيّة الكاملة في قيادة الثورة وهذا يكفي.

«إبراهيم» بطل ساحات الوغىٰ

كان لوجهاء الشيعة وزعمائهم دور مهم و فاعل في ثورة المختار للثأر من قتلة الإمام الحُسَينعليه‌السلام وأهل بيته وأصحابه المظلومين. إلّا أن شخصيّة إبراهيم بن مالك الأشتر. الذي كان والده اليد الضاربة لأمير المؤمنينعليه‌السلام، كانت الأكثر تأثيراً في هذه الثورة. وبالتأكيد ولولا وقوف هذه الشخصية إلى جانب المختار لكان مصير هذه الثورة مجهولاً. لاسيّما وأنَّ وجهاء الشيعة كانوا يعتبرون إبراهيم شخصاً رفيع

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٤٩٣.

المستوىٰ وأنَّ دوره المهم والمصيري في إنتصار ثورة المختار أمر لايخفىٰ علىٰ أحد.

كتبَ السيّد محسن الأمين يقول: «كان إبراهيم فارساً شجاعاً شهماً مقداماً رئيساً عالي النفس بعيد الهمة وفيّاً شاعراً فصيحاً موالياً لأهل البيت عليهم السلام كما كان أبوه متميزاً بهذه الصفات ومن شابَهَ أباه فما ظَلم».[١]

وكان أفضل أهل العراق في شهامته وشجاعته وسخاوته ورجولته وإيمانه وإخلاصه لأهل البيت عليهم السلام؛ يقول صاحب مرآة الجنان: «كان سيّد النخع وفارسها. وكان مع أبيه يوم صفّين مع أمير المؤمنين عليه السلام وهو غلام وأبلىٰ فيها بلاءً حسناً وبه إستعان المختار حين ظهر بالكوفة طالباً بثأر الحُسَين عليه السلام وبه قامت إمارة المختار وثبتت أركانها».[٢]

ويقول العلّامة المجلسي: كان «إبراهيم رحمه اللّه تعالىٰ ظاهر الشجاعة واري زناد الشهامة نافذ حد الصرامة مشمّراً في محبة أهل البيت عن ساقيه متلقّياً غاية النصح لهم بكلتا يديه فجمع عشيرته وإخوانه ومن أطاعه وأقبل يختلف إلى المختار كل عشية عند المساء في نفر من مواليه وخدمه يدبّرون أمورهم فيبقون عامة الليل».[٣]

يقول البلاذري: «كان إبراهيم فتىً حدثاً شجاعاً فكان لا يكره أن يلقاهم...»[٤]

وكان إبراهيم أمل المختار ومحط أنظار جميع شيعة العراق، الّذين إطمأنوا للنصر إذا ما إلتحق بهم هذا الرجل المقاتل الصنديد والبطل الشجاع وصاحب المنزلة العظيمة. فصبُّوا جل إهتمامهم ليميل إبراهيم إلى المشاركة في الأمر.

---

(١) أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين: ج٢، ص٢٠٠.

(٢) نفس المصدر.

(٣) أصدق الأخبار للسيّد محسن الأمين: ص٤٣ – ٤٤.

(٤) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٧، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢٨.

دعوة «إبراهيم بن مالك الأشتر» للإلتحاق بالثوّار

إنَّ الشخصية الفذَّة لإبراهيم الأشتر وسمو أفكاره وشجاعته ودرايته في الأمور العسكرية من جهة، ومحبته وإخلاصه لأهل بيت النبي ﷺ من جهة أخرى، بالإضافة إلى سائر الصفات البارزة الأخرىٰ المجتمعة فيه، جعلت منه عند الشيعة أملاً وظهيراً قوياً وقائداً كيّساً ومحنّكاً لتدبير أمورهم وقضاياهم الصعبة. لذا قرر المنتفضون اللقاء به ودعوته للخروج معهم.

قال الشعبي: «كنت أنا وأبي أوّل من أجاب المختار، قال فلمّا تهيأ أمره ودنا خروجه قال له أحمر بن شُميط ويزيد بن أنس وعبداللّه بن كامل وعبداللّه بن شدّاد إنَّ أشراف أهل الكوفة مجتمعون علىٰ قتالك مع إبن مطيع فإن جامعنا علىٰ أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن اللّه القوة علىٰ عدوّنا وأن لا يضرَّنا خلاف من خالفنا فإنه فتىً بئيس وإبن رجل شريف بعيد الصيت وله عشيرة ذات عز وعدد. قال لهم المختار: فإلقوه فإدعوه وأعلِموه الذي أمَرنا به من الطلب بدم الحُسَين وأهل بيته».[1]

وأضاف: «فخرجوا إليه وأنا فيهم وأبي فتكلَّم يزيد بن أنس فقال له: إنّا قد أتيناك في أمرٍ نعرضه عليك وندعوك إليه فإن قبلته كان خيراً لك وإن تركته فقد أدَّينا إليك فيه النصيحة ونحن نحب أن يكون عندك مستوراً».[2]

جواب إبراهيم

«فقال لهم إبراهيم بن الأشتر وإنَّ مثلي لا تخاف غائلته ولا سعايته ولاالتقرُّب

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٣ - ٤٩٤، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢٣، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٩٧ - ١٠٤.

(٢) نفس المصدر .

إلى سلطانه بإغتياب النّاس إنما أولئك الصغار الأخطار الدقاق هماً، فقال له: إنما ندعوك إلى أمرٍ قد أجمعَ عليه رأي الملأ من الشيعة إلى كتاب اللّه وسنّة نبيه ﷺ والطلب بدماء أهل البيت وقتال المحلّين والدفع عن الضعفاء».[1]

وتكلّم أحمر بن شُميط فقال له: «إنِّي لك ناصح ولحِظك محب وأنَّ أباك قد هلك وهو سيِّد وفيك منه إن رعيت حق اللّه خلف، قد دعوناك إلى أمرٍ إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أبيك في النّاس وأحييت من ذلك أمراً قد مات إنما يكفي مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية الّتي لامذهب وراءها أنه قد بنىٰ لك أو لك فتحرىٰ؛ وأقبلَ القوم كلّهم عليه يدعونه إلى أمرهم ويُرَغبونه فيه».[2]

المشاركة بشرط

فقال لهم إبراهيم بن الأشتر: «فإني قد أجبتكم إلى ما دعوتموني إليه من الطلب بدم الحُسَين وأهل بيته علىٰ أن تولّوني الأمر. فقالوا: أنت لذلك أهل ولكن ليس إلى ذلك سبيل، هذا المختار قد جاءنا من قِبل المهدي وهو الرسول والمأمور بالقتال وقد أمرَنا بطاعته، فسكتَ عنهم إبن الأشتر».[3] «وإنصرفوا وعرّفوا المختار».[4]

لقاء المختار مع إبراهيم

«فبقي ثلاثاً ثمّ أنَّ المختار دعا جماعة من وجوه أصحابه قال عامر الشعبي: وأنا وأبي فيهم، فسار وهو أمامنا يقدمنا بيوت الكوفة، لا ندري أين يريد حتىٰ وقف

(١) المصدر السابق .

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٣ - ٤٩٤، مقتل الحُسَين(ع): ص٣٢٣، ذوب النضار: ص٩٧ - ١٠٤.

(٣) نفس المصدر .

(٤) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٩٧ ـ ١٠٤.

علىٰ باب إبراهيم، فأذن له وأُلقيت الوسائد فجلسنا عليها وجلس المختار معه علىٰ فراشه»[١]

كتاب محمّد إبن الحنفيّة إلى إبراهيم

قال المختار لإبراهيم: هذا كتاب محمّد بن أمير المؤمنينعليه السلام يأمرك أن تـنصرنا فإن فعلت إغتبطت، وإن إمتنعت فهذا الكتاب حجة عليك وسيغني اللّـه محـمّداً وأهل بيته عنك، ثمّ قال للشعبي إدفع الكـتاب إليـه فـدفعه إليـه الشـعبي فـدعا بالمصباح وفضَّ خاتمه وقرأه. ـ وكان المختار قد سلَّم الكتاب إلى الشعبي ـ».[٢]

نص الكتاب

«بسم اللّه الرحمن الرحيم من محمّد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر سـلام عليك فإني أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلاهو أمّا بعد فإني قد بعثت إليكم وزيري وأميني الذي إرتضيته لنفسي وقد أمرته بقتال عدوّي والطلب بدماء أهـل بـيتي فإنهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك فإنك إن نصرتني وأجـبت دعـوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة ولك أعنّة الخيل وكل جيش غاز وكل مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصىٰ بلاد الشام علىٰ الوفاء بذلك علىٰ عهد اللّه فإن فعلت ذلك نلت به عند اللّه أفضل الكرامة وإن أبـيت هـلكت هـلاكـاً لاتستقيله أبداً والسلام عليك»، فلمّا فرغ إبراهيم من قراءة الكتاب قال: قد كتب إليّ إبن الحنفيّة قبل اليوم وكتبت إليه فلم يكتب إليّ إلّا بإسمه وإسم أبيه فما باله يقول في هذا الكتاب المهدي؟ قال المختار: ذلك زمان وهذا زمان».[٣]

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٥، بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٦٦.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٥، أصدق الأخبار للسيّد محسن الأمين: ص٤٢.

بيعة إبراهيم للمختار

ثمّ «قال إبراهيم فمن يعلم أنَّ هذا الكتاب كتاب إبن الحنفيّة إليّ؟ قال يزيد بن أنس وأحمر بن شُميط وعبدالله بن كامل وغيرهم: نحن نعلم ونشهد أنـه كـتاب محمّد إليك، قال الشعبي: إلّا أنا وأبي لانعلم، فعند ذلك تأخّر إبراهيم عـن صـدر الفراش، وأجلسَ المختار عليه، وقال: إبسط يدك فبسط يده فبايعه، ودعا بفاكهة وشراب من عسل فأصبنا منه فأخرجنا معنا إبراهيم إلى أن دخل المختار داره».[1]

قال الشعبي: «نهضنا وخرج معنا إبن الأشتر فركب مع المختار حتىٰ دخل رحله فلمّا رجع إبراهيم منصرفاً أخذ بيدي فقال: إنصرف بنا يا شعبي قال فـإنصرفت معه ومضىٰ بي حتىٰ دخل بي رحله فقال يا شعبي إنّي قد حفظت أنك لم تشهد أنت ولا أبوك، أفترىٰ هؤلاء شهدوا علىٰ حق، قال: قلت له قد شهدوا علىٰ ما رأيت وهم سادة القرّاء ومشيخة المصر وفرسان العرب ولا أرىٰ مثل هؤلاء يقولون إلّا حقاً. قال: فقلت له هذه المقالة وأنا والله لهم على شهادتهم مُتهِم، غير أني يعجبني الخروج وأنا أرىٰ رأي القوم وأحب تمام ذلك الأمر فلم أطلعه علىٰ ما في نفسي من ذلك، فقال لي إبن الأشتر أُكتب لي أسماءهم فإني ليس كلهم أعرف ودعا بصحيفة ودواة وكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه السائب، إبن مالك الأشعري ويزيد بن أنس الأسدي وأحمر بن شُميط الأحمسي ومالك إبن عمرو النهدي حتىٰ أتىٰ علىٰ أسماء القوم ثمّ كتبَ شهدوا أن محمّداً بن علي كتب إلى إبراهيم إبن الأشتر يأمـره بمؤازرة المختار ومظاهرته علىٰ قتال المحلِّين والطلب بدماء أهل‌البيت وشهد عـلىٰ هؤلاء النفرالّذين شهدوا علىٰ هذه الشهادة شراحيل إبن عبد وهو أبوعامر الشعبي

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٥، أصدق الأخبار للسيّد محسن الأمين: ص٤٢.

الفقيه وعبدالرحمن بن عبدالله النخعي وعامر إبن شراحيل الشعبي»فقلت له ما تصنع بهذا رحمك‌الله فقال دعه يكون»[١]

الإنتصار الكبير قبل الثورة

شكّل إلتحاق بطل متميّز وفريد نظير إبراهيم بن مالك الأشتر إلى صفوف الثائرين، أكبر إنتصار للمختار وأصحابه. ومن سياق لقاء المختار مع الأشتر ونص رسالة محمّد إبن الحنفيّة ـ ممثل قائد الثورة ـ يتوضح بأن الأخير كان يعقد آمالاً كبيرة علىٰ هذه الشخصية. ولذا نجده يحرص علىٰ دعوته برسالة خاصة والطلب منه الإلتحاق بثورة المختار. ويُستشف من نص الرسالة أنّ محمّداً إبن الحنفيّة والمختار كانا يؤكدان وبشكل جاد علىٰ إنضمام إبراهيم الأشتر إلى صفوف الثوّار. وهذا خير دليل علىٰ أهمية شخصية إبراهيم الأشتر ومكانته القيِّمة في أوساط الشيعة. لقد حصل المختار علىٰ أقوىٰ مناصر له وأفضل شخصية عسكرية مِن خلال هذه الخطوة الإيجابية.

تاريخ بدء الثورة

قال الشعبي: «ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومَن أطاعه وأقبل يختلف إلى المختار، وكان حميد بن مسلم الأسدي صديقاً لإبراهيم بن الأشتر وكان يختلف إليه ويذهب به معه وكان إبراهيم يروح في كل عشية عند المساء فيأتي المختار فيمكث عنده حتىٰ تصوب النجوم ثمّ ينصرف فمكثوا بذلك يُدبِّرون أُمورهم حتىٰ اجتمع

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٥ ـ ٤٩٦، تاريخ الطبري: ج٥، ص١٧٨، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٩٢، كتاب الفتوح: ج٦، ص٢٣٠، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢٥.

رأيهم علىٰ أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأوّل سنة ٦٦ هجرية»[١] ووطن علىٰ ذلك شيعتهم ومن أجابهم؛ وقد أتىٰ إياس بن مضارب عبداللّه بن مطيع فقال: إنَّ المختار خارج عليك إحدىٰ الليلتين».[٢]

«فلمّا كانت ليلة الثلاثاء وقيل الأربعاء عند المغرب قام إبراهيم فأذّن وصلّىٰ المغرب بأصحابه ثمّ خرج يريد المختار وعليه وعلىٰ أصحابه السلاح»[٣] وفي المقابل كانت قد فشلت جميع الإستعدادت وإجراءات الحكومة الرامية إلى قمع ثورة المختار في مهدها.

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٦ وج٥، ص١٧٨، البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٢٩٢، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٣٠، مقتل الحسين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٦.

(٣) أصدق الأخبار للسيّد محسن الأمين: ص٤٣ - ٤٤.

◘ الفصل الثامن

الـثـــورة

الباب الأوّل
معركة الكوفة وإعلان الثورة

خلال جلسات التشاور الّتي جرت بين المختار وإبراهيم بن مالك الأشتر كانت قد تحددت الجهوزية الخاصة بالثورة وتاريخها فيما كان الشيعة علىٰ أهبة الإستعداد للتحرُّك. «فلمّا كانت ليلة الثلاثاء وقيل الأربعاء عند المغرب قام إبراهيم ـ الرجل الثاني في الثورة وبالتناغم مع المختار ـ فأذَّن وصلّىٰ المغرب بأصحابه ثمّ خرج يريد المختار وعليه وعلىٰ أصحابه السلاح».(١)

المناورة المسلّحة للثوار

فلمّا كان عند غروب الشمس قام إبراهيم بن الأشتر فأذَّن ثمّ أنه إستقدم فصلّىٰ المغرب ثمّ خرج وهو يريد المختار وعليهم السلاح «وقد أتىٰ إياس بن مضارب ـ رئيس الشُرط ـ إلى عبدالله بن مطيع فقال: إنَّ المختار خارج عليك إحدىٰ الليلتين».(٢)

فأصبحت الثورة علنية وقد عَلمَ العدو بما يجري حوله. لاسيّما وأنَّ الأخبار المختلفة الّتي تواترت علىٰ دار الإمارة حيال الأمر، كانت قد حفّزت أزلام الحكومة

---

(١) أصدق الأخبار للسيّد محسن الأمين: ص٤٣ ـ ٤٤، الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٢١٧.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٦، الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٢١٧.

علىٰ إحكام قبضتهم علىٰ هذه المدينة بشكل كامل. (تم التنويه سابقاً إلى أنَّ حكومة الكوفة في بدايات الثورة كانت بيد أفراد إبن الزبير وكان إبن المطيع واليه علىٰ الكوفة). كانت خطَّة المختار تتضمن أوَّلاً تحرير الكوفة وتطهيرها لاحقاً من المناوئين للثورة والإنتقال أخيراً إلى مرحلة الحرب مع حكومة الشام.

إعلان الحكم العُرفي

قبل يومين من تحديد تاريخ البدء بالثورة من قِبل المختار وإبراهيم الأشتر، أي يوم (١٢) ربيع الأوّل سنة (٦٦هجرية). أعلنت الحكومة تطبيق الأحكام العرفية في الكوفة، فقام إياس بن مضارب وبأمر من إبن المطيع بنشر جنده في الكوفة وإعلان حالة منع التجوّل فيها.

«فخرج إياس في الشُرط فبعث إبنه راشداً إلى الكُناسة وأقبل يسير حول السوق في الشُرط ثمّ أنّ إياس بن مضارب دخل علىٰ إبن مطيع فقال له: إني قد بعثت إبني إلى الكُناسة فلو بعثت في كل جبّانة[١] بالكوفة عظيمة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة، هابَ المريب الخروج عليك.[٢] فتدَخّلَ إبن مطيع شخصياً».

١ ـ فبعثَ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى جبّانة السُبيع وقال: أكفني قومك لا أوتين من قبلك وأحكم أمر الجبّانة الّتي وجهتك إليها لايحدثنَّ بها حدث فأولئك العجز والوهن.

٢ ـ وبعثَ كعب بن أبي كعب الخثعمي إلى جبّانة بشر.

---

(١) الجبّانة: ما استوىٰ من الأرض وملس ولا شجر فيه، وكل صحراء جبّانة؛ (لسان العرب ـ جبن ـ ج١٣ ص٨٥) ـ مستدرك الوسائل للميرزا النوري: ج٦، هامش، ص ١٢١.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٤٩٦ـ٤٩٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

٣ ـ وبعث زحر بن قيس إلى جبّانة كِندة.

٤ ـ وبعث شمر بن ذي الجوشن إلى جبّانة سالم.

٥ ـ وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم إلى جبّانة الصائديين.

٦ ـ وبعث يزيد بن الحارث بن رؤيم أبا حوشب إلى جبّانة مراد وأوصىٰ كل رجل أن يكفيه قومه وأن لا يؤتىٰ من قبله وأن يحكم الوجه الذي وجَّهه فيه.

٧ ـ وبعثَ شبث بن ربعي إلى السَّبخة وقال: إذا سمعت صوت القوم فوجِّه نحوهم.[1]

إنَّ الأحكام العرفية كانت قد طُبِّقت يوم الإثنين (يومين قبل إندلاع الثورة) في الكوفة، فيما قام أفراد إبن المطيع بضرب طوق علىٰ جميع أحياء هذه المدينة والطرق والمراكز الحسّاسة فيها تحسباً لأي طارئ ممكن.

الإنطلاق نحو بيت المختار

خرج إبراهيم بن الأشتر من رحله بعد المغرب يريد إتيان المختار وقد بلغهُ أن الجبابين قد حُشيت رجالاً وأنَّ الشُرط قد أحاطت بالسوق والقصر؛ قال حميد بن مسلم: «خرجت مع إبراهيم من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتىٰ مررنا بدار عمر بن حريث ونحن مع إبن الأشتر كتيبة نحو من مائة علينا الدروع قد كفرنا عليها بالأقبية ونحن متقلدوا السيوف ليس معنا سلاح إلّا السيوف في عواتقنا والدروع قد سترناها بأقبيتنا فلمّا مررنا بدار سعيد بن قيس فجزناها إلى دار أُسامة قلنا مُر بنا علىٰ دار خالد إبن عرفطة ثمّ إمض بنا إلى بجيلة فلنمر في دورهم حتىٰ نخرج إلى دار المختار وكان إبراهيم فتىً حدثاً شجاعاً، فكان لايكره أن

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٤٩٦ـ٤٩٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٢١٧ـ ٢١٨.

يلقاهم فقال: والله لأمرَّنَ علىٰ دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق ولأرعبنَّ به عدونا ولأرينَّهم هوانهم علينا، قال: فأخذنا علىٰ باب الفيل علىٰ دار هبَّار ثمّ أخذ ذات اليمين علىٰ دار عمرو بن حريث حتىٰ إذا جاوزها ألفينا إياس إبن مضارب في الشُرط مظهرين السلاح».[١]

أول صِدام مسلَّح

«فقال إياس بن مضارب ـ رئيس الشُرط ـ لنا من أنتم؟ ما أنتم؟!

فقال له ابراهيم: أنا إبراهيم بن الأشتر، فقال له إبن مضارب ما هذا الجمع معك وما تريد والله إنَّ أمرك لمريب وقد بلغني أنّك تمر كل عشية هٰهنا وما أنا بتاركك حتىٰ آتي بك الأمير فيرىٰ فيك رأيه، فقال إبراهيم: لا أباً لغيرك خلِ سبيلنا، فقال: كلا والله لا أفعل».[٢]

مقتل رئيس الشُرط

ويُتمم حميد بن مسلم الواقعة الّتي كان فيها شاهداً عينياً فيقول: «ومع إياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن كان مع إمرة الشرطة فهم يكرمونه ويؤثرونه وكان لإبن الأشتر صديقاً فقال له إبن الأشتر: يا أبا قطن إدن منّي، ومع أبي قطن رمح طويل فدنا منه أبو قطن ومعه الرمح وهو يرى أنَّ إبن الأشتر يطلب إليه أن يشفع له إلى إبن مضارب ليخلّي سبيله، فقال إبراهيم وتناول الرمح من يده: إنَّ رمحك هذا لطويل فحملَ به إبراهيم علىٰ إبن مضارب فطعنه في ثغرة نحره فصرعه وقال لرجل من قومه إنزل فإحتز رأسه فنزل إليه فإحتز رأسه وتفرَّق

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٤٩٦ ـ ٤٩٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

٢) نفس المصدر .

أصحابه ورجعوا إلى إبن مطيع فبعث إبن مطيع إبنه راشد بن إياس مكان أبيه علىٰ الشرطة وبعث مكان راشد بن إياس إلى الكُناسة تلك الليلة سويد بن عبد الرحمن المنقري أبا القعقاع بن سويد».[1]

ضرورة التحرك بسرعة

«وأقبل إبراهيم بن الأشتر إلى المختار ليلة الأربعاء فدخل عليه فقال له إبراهيم: إنّا إتعدنا للخروج القابلة ليلة الخميس وقد حدث أمر لابد من الخروج الليلة، قال المختار: وما هو قال: عرضَ لي إياس بن مضارب في الطـريق ليـحبسني بـزعمه فقتلته وهذا رأسه مع أصحابي علىٰ الباب فقال المختار: بشَّرك اللّه بخير فهذا طير صالح وهذا أوّل الفتح إن شاء اللّه.»[2]

فكان إجتماع قيادة الثورة تلك الليلة ومقتل قائد الشُرط ورأي القائد الشجاع إبراهيم سبباً في البدء بالثورة علانية تلك الليلة وقام المنتفضون بالإستيلاء عـلىٰ الكوفة ليلتها.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٤٩٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٢١٨.

(٢) نفس المصدر .

الباب الثاني
الأهداف الأوَّلية للثورة

كان تطهير الكوفة من العناصر الموالية لحكم إبن الزبير وإيجاد قاعدة قوية للثورة من أهم الأولويات المطلوبة. وكان لابد من إزالة ثلاثة عوائق كبيرة أمام طريق هذه الثورة.

١ ـ بما أنَّ الحكومة في الكوفة كانت بيد والي إبن الزبير، وكان إبن المطيع هو المسؤول عن هذا المنصب. لذا كان يتوجب وقبل كل شيء القضاء أوّلاً علىٰ القوّات الحكومية وإعتقال الوالي أو إجباره علىٰ الهروب.

٢ ـ ضرورة تطهير المدينة من العناصر المعادية للثورة، وهم زعماء الكوفة الّذين كان لهم الدور المباشر وغير المباشر في حادثة كربلاء المروِّعة، والّتي شكَّلت الخطوة الأهم أمام المنتفضين. سيّما وأنَّ هذه الجماعة كانت تمثُل القوة الأخطر أمام الثوّار نظراً لموقعها القَبلي والعشائري. لذا كان يتطلب قمعها بسرعة بعد التخلّص من العناصر الداخلية المناوئة للثورة.

٣ ـ العمل علىٰ تفادي خطر جند الشام الّذين سيقفون عائقاً أمام الثورة، لاسيما وأنّ الشام كانت تُمثِّل قاعدة الحكم الأموي والمسؤول المباشر عن جرائم كربلاء. إضافة إلى إنزعاج حكومة الشام من فقدان منطقة العراق الحسّاسة ومركزها

الكوفة.

في الشام كان يتواجد عناصر مهمّة مناوئة للثورة، والأغـلب مـنهم يـتمتع بمناصب رفيعة أمثال، «عُبيد اللّه بن زياد» الذي كان علىٰ أهبة الإستعداد للهجوم علىٰ الكوفة. سيّما بعد نيله حكومة ولاية العراق من الحكم الأموي القائم في الشام. وكان متوقعاً أيضاً إصطدام الثوّار في أية لحظة مع قوة ثالثة قادمة من الشام.

وكان المختار وإبراهيم الأشتر قد ناقشا من قبل نقاط القوة والضعف، وعناصر النصر والهزيمة، فيما وضعا الخطط الدقيقة والحلول الكـفيلة لنـجاح الثـورة عـبر تجييش الطاقات الشيعية في العراق لهذا الأمر. وطبقاً لأوامر محـمّد إبـن الحـنفيّة المباشرة بإعتباره الممثل الخاص للامام السجّاد عليه السلام في هذه المهمة، كان يـتوجب علىٰ قادة الثورة الإنتقال إلى المرحلة اللاحقة وهي الإيذان بإندلاع الثورة وذلك بعد نجاح مرحلة الإعداد لها. إضافة إلى ضرورة التعرُّف علىٰ كيفية مواجهة ردات فعل العدو المستقبلية.

ولذا فإنّ خطوات الثورة كانت تتلخص في ثلاث مراحل:

١ ـ مرحلة تحرير الكوفة وتشكيل حكومة ثورية في العراق.

٢ ـ قمع العناصر الداخلية المناوئة للثورة.

٣ ـ تجهيز القوّات الكافية لمواجهة جيش الشام.

المرحلة الأولىٰ للثورة

بعد إعلان الحكم العرفي في الكوفة ومقتل رئيس الشرطة. لم يبق هناك مجالاً للتأخير والتباطؤ في إعلان الثورة. وكانت الكوفة قد تحولت إلى معسكر للجيش بشكل كامل، حيث إنقسم فيها المسلّحون إلى قسمين أو مجموعتين:

١ ـ القوّات الحكومية: وكانت في الغالب من العناصر المناوئة للثورة.

٢ ـ القوّات الثورية المنتفضة: وكانت تتشكل في الغالب من عامة النّاس الّذين تم تعبئتهم من قبل، وكانوا في أُمرة المختار وبقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر.

وعليه فإنَّ الوقت كان مناسباً لتحرك القوّات الثورية قبل حدوث أي ردود أفعال من جانب القوّات الحكومية، بغية وضع العدو أمام الأمر الواقع. لذا فقد أصدر قائد الثورة التحرُّك عبر شعار خاص.

الأمر بالثورة

أصدر المختار أمراً بالتحرك وأعطىٰ كل واحد من أصحابه مهمة خاصة. قال حميد بن مسلم: «قال المختار: قم يا سعيد بن منقذ فأشعِل في الهوادي النيران ثمّ إرفعها للمسلمين وقم أنت يا عبدالله بن شدّاد فنادي «يا منصور أمِت»، وقم أنت يا سفيان بن ليل وأنت يا قُدامة بن مالك فناديا «يالثارات الحُسَين». ثمّ قال المختار عليَّ بدرعي وسلاحي فأُتي به فأخذ يلبس سلاحه ويقول:

قَدْ عَلِمَتْ بَيضاءُ حَسناءِ الطلل   وٰاضِحةُ الخَدَينِ عَجْزاء الكَفَلْ
أنّي غَداة الرَّوع مقدامٌ بَطَلْ   لا عاجزٌ فيها ولا وَغْدٌ فَشَل[1]

شعار «يامنصور أمِت»[2]

ردد المسلمون هذا الشعار بادئ ذي بدء في معركة بدر، وجاء في الروايات: «كان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر: يامنصور أمِت».[3]

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢١٨.

(٢) المراد به التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة مع حصول الغرض للشعار، فانهم جعلوا هذه الكلمة علامة بينهم يتعارفون بها لأجل ظلمة الليل.

(٣) تاريخ الطبري، الكامل: ج٤، ص٣٠، البداية والنهاية: ج٤، ص٢٢١.

ومنذ ذلك الحين، إنتخبَ المنتفضون هذه العبارة شعاراً لهم. وكان شعار زيد بن علي[١] هو ذات هذا الشعار. فيما تمسَّك بها أيضاً كل من محـمّد ذوالنـفس الزكـيّة خلال ثورته في المدينة، وكذلك إبراهيم شهيد باخمري خلال ثورته في البصرة.

قال الجزري: «كان شعارنا "يا منصور أمت"، أمر بالموت والمراد به التـفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة مع حصول الغرض للشعار، فإنهم جعلوا هذه الكلمة علامة بينهم يتعارفون بها لأجل ظلمة الليل».[٢]

ثمّ قال المختار: وقم أنت يا سفيان بن ليل وأنت يا قُدامة بن مالك فناديا «يا لثارات الحُسَين».[٣] وكان هذا الشعار أيضاً من شعارات الشيعة المعروفة بعد واقعة كربلاء والّتي إستخدمها «التوّابين» أوّلاً والمختار ثانياً، وتبعهم بقية الثوّار الشيعة في ثوراتهم ضد الأمويين لاحقاً. وكان لهذا الشعار أثـراً شـديداً في قـلوب الشـيعة المفجوعة بهذه الحادثة الأليمة والذي شكّلَ في المقابل حالة من الرعب في قلوب أعدائهم. و لم يكن أثر أهمية هذا الشعار في ثورة المختار أقل وقعاً من أثر ضرب رؤوس الأعداء بالسيف.

تعبئة القوّات

ثمّ أنَّ إبراهيم قال للمختار: إنَّ هؤلاء الرؤوس الّذين وضـعهم إبـن مـطيع في الجبابين يمنعون إخواننا أن يأتونا ويضيِّقون عليهم فلو أني خرجت بمن معي من أصحابي حتىٰ آتي قومي فيأتيني كل من قد بايعني من قومي ثمّ سرت بهـم في نواحي الكوفة ودعوت بشعارنا فخرج إليَّ من أراد الخروج إلينا ومن قدرَ علىٰ

---

(١) مستدرك الوسائل، ج١١، ص١١٣.

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٨٩.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢١٨.

إتيانك من النّاس فمن أتاك حبسته عندك إلى من معك ولم تفرّقهم فإن عوجلت فأتيت كان معك من تمتنع به وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجّلت إليك في الخيل والرجال.[١]

قال له: أمّا الآن فأعجل وإيّاك أن تسير إلى أميرهم تقاتله ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع أن لا تقاتل وأحفظ ما أوصيتك به إلّا أن يبدأك أحد بقتال فخرج إبراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة الّتي أقبل فيها حتىٰ أتىٰ قومه وإجتمع إليه جل من كان بايعه وأجابه ثمّ أنّه سار بهم في سكك الكوفة طويلاً من الليل وهو في ذلك يتجنب السكك الّتي فيها الأُمراء فجاء إلى الّذين معهم الجماعات الّذين وضع إبن مطيع في الجبابين وأفواه الطرق العظام حتّىٰ إنتهىٰ إلى مسجد السكون.[٢]

الإشتباك مع قوّات الحُكم العُرفي

حين وصل إبراهيم حوالي مسجد السكون «عجّلت إليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس لهم قائد ولا عليهم أمير فشدَّ عليهم إبراهيم بن الأشتر وأصحابه فكشفوهم حتىٰ دخلوا جبّانة كندة فقال إبراهيم: مَن صاحب الخيل في جبّانة كندة فشدَّ إبراهيم وأصحابه عليهم وهو يقول اللّهم إنَّك تعلم إنَّا غضبنا لأهل بيت نبيِّك وثرنا لهم فانصرنا عليهم وتمم لنا دعوتنا حتّىٰ انتهىٰ إليهم هو وأصحابه فخالطوهم وكشفوهم فقيل له زحر إبن قيس فقال: إنصرفوا بنا عنهم فركب بعضهم بعضاً كلمّا لقيهم زقاق دخل منهم طائفة فإنصرَفوا يسيرون».[٣]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٤٩٨ ـ ٤٩٩، مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٣٢٩.

(٢) نفس المصدر .

٣) نفس المصدر .

المختار يرتدي لباس الحرب

طغىٰ نشاط وحماس لانظير لهما علىٰ القلوب الثائرة وأضـحت الكـوفة تمـور بأهلها وبتقلُّب أوضاعها وطغيان حالة التوتر فيها.

هذه المدينة المكتظّة بالسكان إرتدت مـرة أُخـرىٰ حُـلة غـير طبيعة وبـدأت تستحضر ماضيها وأحداثها المهمة نظير، الخطب الغرّاء لأمير المؤمنين عليه السلام وتـعبئة القوّات للحرب مع رأس الكفر والنفاق مـعاوية بـن أبي سـفيان وقـتال الإمـام الحسن عليه السلام مع هذا الحاكم الفاسد وضجيج نحـيب النّـاس يـوم إسـتشهاد أمـير المؤمنين عليه السلام.

هذه المدينة الّتي شهدت ذلك الحراك الإستثنائي لدىٰ وصول مسلم بن عقيل مبعوث الإمام الحُسَين عليه السلام و كيفية إستشهاده ومعه هاني إبن عروة. وماشهدته من أسر أبناء وبنات ونساء الإمام الحُسَين عليه السلام يوم كربلاء. فما لازالت أصداء خطبة العقيلة زينب الكبرى(س) تتردد علىٰ مسامع هذه المدينة بكل قوة وبلاهوادة.

هذه المدينة الّتي شهدت خروج «التوّابين» والمضحِّين في طريق الحُسَـين عليه السلام، إضافة إلى المجازر والمذابح الّتي إرتكبها أزلام الحكم الأموي وقائدهم يزيد المجرم، هاهي تحترق هذه المرة في حُمّىٰ الثأر والإنتقام. فما بدأ شعار «يالثارات الحُسَين» يثير حماساً ونشاطاً مختلفاً في هذه المدينة المنكوبة.

فينهض المختار ويرتدي حُلة الحرب ويقول:

قَدْ عَلِمَتْ بَيضاءُ حَسـناءِ الطـلل ... واضِـحةُ الخَـدَينِ عَـجْزاء الكَـفَلْ

أنـّـي غَـداة الرَّوع مـقدامٌ بَـطَلْ ... لا عاجزٌ فيها ولا وَغْـدٌ فَشَـل[1]

نعم، هذه الوجوه الممتلئة عزماً والنـفوس الزاخـرة بـالقوة والعـطاء والإرادة

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٨، الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٢١٨.

الفولاذية تروي قصة وقائع جديدة.

لقد أضحىٰ إسم الحُسَين عليه السلام ومظلوميته والفجائع الّتي ألمَّت بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله يتردد في كل مكان. وقد حانت لحظة خروج رجل عظيم وبطل همام كالمختار وإلى جانبه قائد فذ نظير إبراهيم بن مالك الأشتر وبأمر من الإمام السجّاد عليه السلام ونائبه محمّد إبن الحنفيّة للطلب بالثأر لدماء مظلومي أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله. وهاهم الشيعة فرحين مستبشرين وكلهم عزم وإرادة إستعداداً للقيام بثورة عارمة وعظيمة.

لقد إنتفض أتباع محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحُسَين (عليهم أفضل الصلاة والسلام) وكأنَّ مناجاة زين العابدين عليه السلام وأنين زينب بطلة كربلاء(س) وبنات الحُسَين الثكالىٰ قد أتت أُكلها وآن قطافها.

وتحقق الوعد الإلهي الحق؛ «وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ».[1]

إعلان التعبئة العامّة

والتحق النّاس بصفوف الثوّار المنتفضين.

«ثمّ أنَّ إبراهيم قال للمختار: إنَّ هؤلاء الرؤوس الّذين وضعهم إبن مطيع في الجبابين يمنعون إخواننا أن يأتونا ويضيّقون عليهم فلو أني خرجت بمن معي من أصحابي حتىٰ آتي قومي فيأتيني كل من قد بايعني من قومي ثمّ سرت بهم في نواحي الكوفة ودعوت بشعارنا فخرج إليَّ من أراد الخروج إلينا ومن قدرَ علىٰ إتيانك من النّاس فمن أتاك حبسته عندك إلى من معك ولم تفرِّقهم فإن عوجلت فأتيت كان معك من تمتنع به وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجَّلت إليك في الخيل والرجال، فقال: له أما لا فأعجل وإيّاكَ أن تسير إلى أميرهم تقاتله ولا تقاتل

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

أحداً وأنت تستطيع أن لاتقاتل وإحفظ ما أوصيتك به إلّا أن يبدأك أحد بقتال، فخرج إبراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة الّتي أقـبل فـيها حـتىٰ أتىٰ قـومه وإجتمع إليه جل من كان بايعه وأجابه ثمّ أنّه سار بهم في سكك الكوفة طويلاً من الليل وهو في ذلك يتجنّب السكك الّتي فيها الأُمراء فجاء إلى الّذين معهم الجماعات الّذين وضع إبن مطيع في الجبابين وأفواه الطرق العِظام حـتىٰ إنـتهىٰ إلى مسـجد السكون.

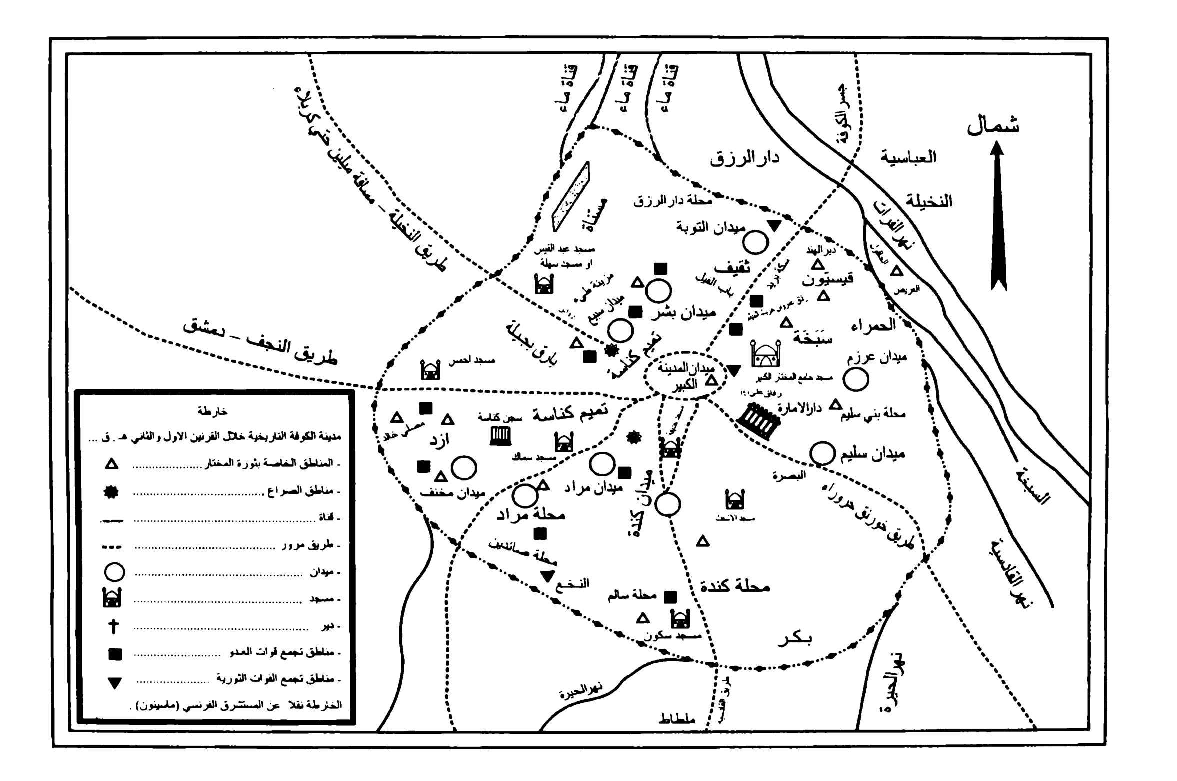
وعجلّت إليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس لهم قائد ولا عـليهم أمير فشدَّ عليهم إبراهيم إبن الأشتر وأصحابه فكشفوهم حتىٰ دخلوا جبّانة كندة، فقال إبراهيم: من صاحب الخيل في جبّانة كندة. فشدَّ إبراهيم وأصحابه عليهم وهو يقول اللّهم إنك تعلم إنّا غضبنا لأهل بيت نبيّك وثرنا لهم فإنصرنا عليهم وتمم لنا دعوتنا حتىٰ إنتهىٰ إليهم هو وأصحابه فخالطوهم وكشفوهم فـقيل له زحـر بـن قيس فقال: إنصرفوا بنا عنهم فركب بعضهم بعضاً كلما لقيهم زقاق دخـل مـنهم طائفة فانصرفوا يسيرون، ثمّ خرج إبراهيم يسير حتىٰ إنتهىٰ إلى جبّانة أثير فوقف فيها طويلاً ونادىٰ أصحابه بشعارهم فبلغَ سويد بن عبد الرحمن المنقري مكانهم في جبّانة أثير فَرجا أن يصيبهم فيحظىٰ بذلك عند إبن مطيع فلم يشعر إبن الأشتر إلّا وهم معه في الجبّانة.

فلمّا رأىٰ ذلك إبن الأشتر قال لأصحابه: يا شُرطـة اللّـه إنـزلوا فـإنكم أولى بالنصر من اللّه من هؤلاء الفسّاق الّذين خاضوا دماء أهل بيت رسول اللّه ﷺ فنزلوا ثمّ شدَّ عليهم إبراهيم فضربهم حتىٰ أخرجهم من الصحراء وولوا منهزمين يركب بعضهم بعضاً وهم يتلاومون فقال قائل منهم: إنَّ هذا الأمر يراد ما يلقون لنا

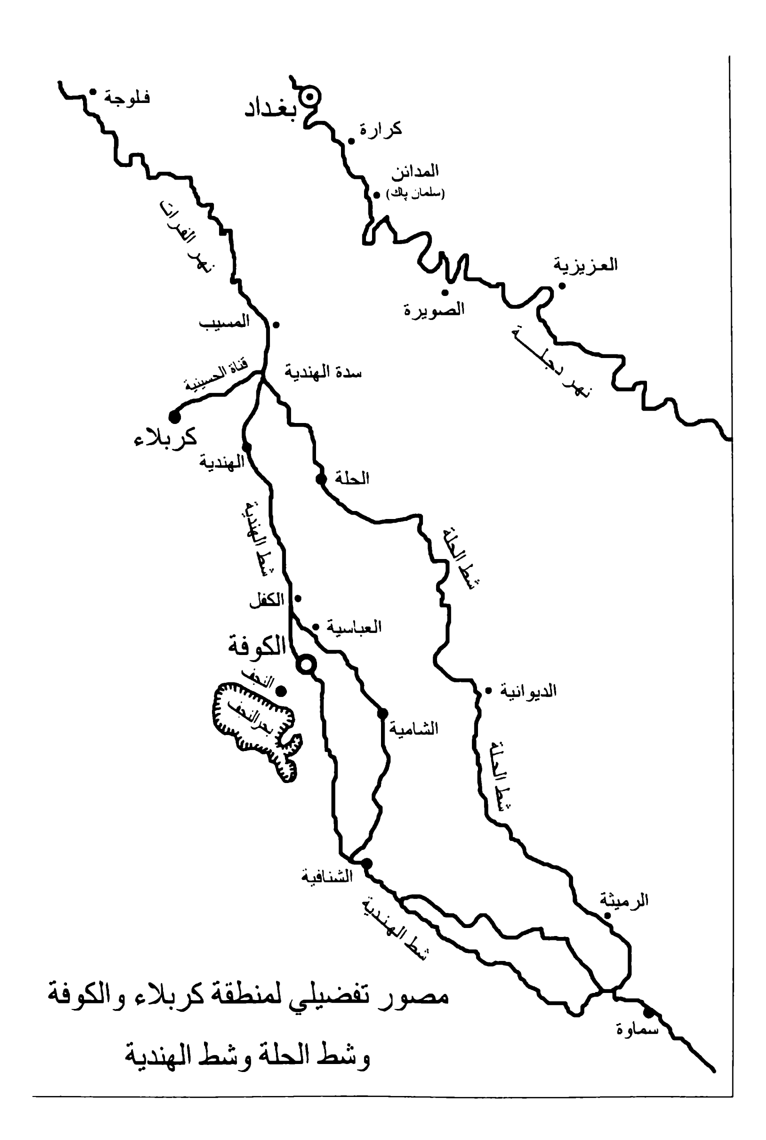
جماعة إلّا هزموهم، فلم يزل يهزمهم حتىٰ أدخلهم الكُناسة. وقال أصحاب إبراهيم لإبراهيم إتبعهم وإغتنم ما قد دخلهم من الرعب فقد علم اللّه إلى من ندعو وما نطلب وإلى من يدعون وما يطلبون. قال: لا ولكن سيروا بنا إلى صاحبنا حتىٰ يؤمن اللّه بنا وحشته ونكون من أمره علىٰ علم ويعلم هو أيضاً ما كان من عنائنا فيزداد هو وأصحابه قوة وبصيرة إلى قواهم وبصيرتهم مع أنّي لا آمن أن يكون قد أتىٰ، فأقبلَ إبراهيم في أصحابه حتىٰ مرَّ بمسجد الأشعث فوقف به ساعة ثمّ مضىٰ حتىٰ أتىٰ دار المختار فوجد الأصوات عالية والقوم يقتتلون وقد جاء شبث بن ربعي من قِبل السَّبخة فعبئَ له المختار يزيد بن أنس وجاءَ حجّار إبن أبجر العجلي فجعلَ المختار في وجههِ أحمر بن شُميط فالناس يقتتلون وجاء إبراهيم من قِبل القصر فبلغَ حجاراً وأصحابه أنَّ إبراهيم قد جاءهم من ورائهم فتفرَّقوا قبل أن يأتيهم إبراهيم وذهبوا في الأزقَّة والسكك وجاء قيس إبن طهفة في قريب من مائة رجل من بني نهد من أصحاب المختار فحملَ علىٰ شبث بن ربعي وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلىٰ لهم الطريق حتىٰ إجتمعوا جميعاً ثمّ أنَّ شبث تركَ لهم السكة وأقبل حتىٰ لقيَ إبن مطيع فقال: إبعث إلى أُمراء الجبابين فأمرهم فليأتوك فاجمع إليك جميع النّاس ثمّ إنهد إلى هؤلاء القوم فقاتلهم وإبعث إليهم من تثق به فليكفك قتالهم فإنَّ أمرَ القوم قد قوىٰ وقد خرجَ المختار وظهر وإجتمع له أمره فلمّا بلغَ ذلك المختار من مشورة شبث علىٰ إبن مطيع، خرجَ المختار في جماعة من أصحابه حتىٰ نزل في ظهر دير هند مما يلي بستان زائدة في السَّبخة».[1]

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٩٨ ـ ٥٠٠.



شمال
العباسية
النخيلة
نهر الفرات
جسر الكوفة
السبخة
نهر القادسية
دار الرزق
محلة دار الرزق
ميدان التوبة
قناة ماء
قناة ماء
قناة ماء
مسناة
طريق النخيلة – مسافة ميلين حتى كربلاء
طريق النجف – دمشق
مسجد عبد القيس
او مسجد سهلة
ثقيف
ميدان بشر
قيسيون
دير الهند
الحمراء
سبخة
ميدان عزرم
مسجد جامع المختار الكبير
ميدان المدينة
الكبير
دارالامارة
محلة بني سليم
ميدان سليم
البصرة
طريق خورنق حروراء
بجيلة
مسجد لحمس
تميم كناسة
سجن كناسة
مسجد سماك
ازد
ميدان مخنف
ميدان مراد
محلة مراد
ميدان كندة
مسجد الاشعث
محلة صائداف
النخع
محلة كندة
محلة سالم
مسجد سكون
بكر
نهر الحيرة
نهر الحيرة
ملطاط
خارطة
مدينة الكوفة التاريخية خلال القرنين الاول والثاني هـ . ق ...
- المناطق الخاصة بثورة المختار
- مناطق الصراع
- قناة
- طريق مرور
- ميدان
- مسجد
- دير
- مناطق تجمع قوات العدو
- مناطق تجمع القوات الثورية
الخارطة نقلا عن المستشرق الفرنسي (ماسينون) .



مصور تفصيلي لمنطقة كربلاء والكوفة

وشط الحلة وشط الهندية

وصول أبوعثمان النهدي

وخرجَ أبو عثمان النهدي فنادىٰ في شاكر وهم مجتمعون في دورهم يخافون أن يظهروا في الميدان لقرب كعب بن أبي كعب الخثعمي منهم وكان كعب في جـبّانة بشر فلمّا بلغه أنَّ شاكر يخرج جاء يسير حتىٰ نزلَ بالميدان وأخذ عليهم بأفـواه سككهم وطرقهم، قال: فلمّا أتاهم أبو عثمان النهدي في عصابة من أصحابه نادىٰ يا لثارات الحُسَين يا منصور أمِت يا أيُّهـا الحـي المـهتدون ألا إنَّ أمـير آل محـمّد ووزيرهم قد خرجَ فنزل دير هند[1] وبعثني إليكم داعياً ومبشِّراً فاخرجـوا إليـه رحمكم اللّه، قال: فخرجوا من الدور يتداعـون يـا لثـارات الحُسَـين ثمّ ضـاربوا كعب بن أبي كعب حتّىٰ خلىٰ لهم الطريق فأقـبلوا إلى المخـتار حـتّىٰ نـزلوا مـعه في عسكره.[2]

«الجند الحمراء»[3] أو الجيش الأحمر

كان العراق وقبل ظهور الإسلام جزءً من أرض بلاد فارس وحكومتها، وكان أكثر أهل العراق من بلاد فارس. وكانت المدائن، وهي من مدن العراق المـعروفة آنذاك عاصمة لسلاطين الفُرس ولسنوات عـديدة، والّـتي فـيها إيـوان كـسرىٰ المشهور.

وبعد ظهور الإسلام شكَّل أيضاً أهل فارس غالبية سكان العراق. وبعدما نقلَ

---

(١) ديرهند الصغرىٰ: بالحيرة، يقارب خطة بني عبداللّه بن دارم بالكوفة، ممايلي الخندق، وهـند هـذه بـنت النعمان إبن المنذر المعروفة بالحرقة.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٠٠.

(٣) الحمراء العجم: والموالي، سُمّوا بذلك لأنَّ الغالب علىٰ ألوان العـرب السُـمرة، والغـالب عـلىٰ ألوان العـجم البياض والحُمرة.

أمير المؤمنين عليه السلام مركز الخلافة الإسلاميّة من الحجاز إلى العراق، أظهرَ أهل العراق الّذين كانوا في الغالب من بلاد فارس وينطقون بالفارسية[١] علاقة خاصة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ولذا كان أغلب شيعة علي عليه السلام في العراق من أهل فارس وأكثرهم من محبي أهل البيت عليهم السلام وأتباع الحكم العلوي.

يقول الدينوري: «كان معظم أنصار المختار من الموالي الفُرس الّذين يُسمَّون الجند الحمراء».[٢]

إنَّ سبب هذه التسمية «الجند الحمراء» يعود إلى غلبة البياض والحُمرة علىٰ العرق الفارسي الساكن في العراق علىٰ نقيض العرب الّذين إتسموا بغلبة السُمرة والسواد علىٰ وجوههم. وكان يُطلق علىٰ سكّان الكوفة من الفُرس بالأحامِرة».[٣]

يقول المؤرخ الشهير «مير سيّد علي»: لقد ألقت مذبحة كربلاء الفزع والهلع في جميع البلاد الإسلامية، كما أذكت في نفوس أهل بلاد الفرس...[٤]

وكتب أكثر المؤرّخين أنَّ ميول أهل فارس في العراق إلى المختار كان أكثر من كل الطوائف الأخرىٰ. وقد بيّنا سبب ذلك في فصل «أسباب الثورة».

---

(١) الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي: ج٢، ص٤٩٩: جاء الأشعث إلى أمير المؤمنين علي(ع) وهو علىٰ المنبر فجعل يتخطّىٰ رقاب النّاس حتىٰ قرب منه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء علىٰ قربك يعني العجم فركز المنبر برجله حتىٰ قال صعصعة بن صوحان: ما لنا وللأشعث؟! ليقولن أمير المؤمنين(ع) اليوم في العرب قولا لايزال يذكر، أفتأمرونني أن أطردهم؟! ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ليضربنكم علىٰ الدين عوداً «كما ضربتموهم عليه بدءا».

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ص٢٩٦.

(٣) لسان العرب لإبن منظور: ج١٢، ص١٨٦: قوماً من العجم خرجوا في أوّل الإسلام فتفرقوا في بلاد العرب، فمن أقام منهم بالبصرة فهم الأساورة، ومن أقام منهم بالكوفة فهم الأحامرة، ومن أقام منهم بالشام فهم الخضارمة، ومن أقام منهم بالجزيرة فهم الجراجمة، ومن أقام منهم باليمن فهم الأبناء، ومن أقام منهم بالموصل فهم الجرامقة، واللّه أعلم.

(٤) تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم: ج١، ص٤٠٦.

الأشعار الحماسيّة

يقول العلّامة والفقيه الكبير الأديب جعفر بن نما في هذا الباب: وفي هذا المعنىٰ[1] هذه الأبيات متأسفاً علىٰ ما فات، كيف لم يكن من أصحاب الحُسَينعليه‌السلام في نصرته، ولا من أصحاب المختار وجماعته؟!

وَ لَمّا دَعا المُختارُ، للثارِ، اقبَلَتْ	كَتائِبُ مِنْ أَشياعِ آلِ محمدٍ
وَقَدْ لَبِسُوا، فوقَ الدروعُ قلوبَهُم	و خاضُوا بِحارَ الموتِ، فى كُلِ مَشْهدٍ
هُمْ نَصروُا سبط النبى وَرَهطَهُ	ودانوا، باخذِ الثار مِنْ كلِّ مُلحدٍ
ففازو بجنّاتِ النعيم و طيّبه	وذلكَ خيرٌ، من لُجينٍ وعَسجُدٍ[2]
ولو اَننّى يومَ الهياج لدى الوغى	لاعلَمتُ حَدَالمُسْر فى المُهَّندِ
فوا اَسَفا، اذ لَمْ اَكُنْ مِنْ حُماته	فاقتُلُ فيهم كُلَّ باغٍ وَ مُعتَدٍ
وأنقع غلي من دما نحورهم	وأتركهم ملقون في كل فدفد[3]

فجر الثورة

وبزغَ ضياء الصباح من الأفق وإستعد الأصحاب للصلاة وتحركوا في جوٍ عبادي حماسي ووقف المختار أمير الثورة وقائدها أمام الصفوف وأمَ هذا البطل الصنديد والعاشق لأهل البيت والمنتقم لدمائهم، الصلاة وأدَّىٰ رجال اللّه، عُبَّاد الليل وأُسود النهار صلاتهم بعظمة وإجلال خاص. فما أروعه من مشهد ترىٰ الشيعة يملأهم الغرور والفخر والعزّة، آملين في تطهير أرض الكوفة وأرض عليعليه‌السلام

---

(١) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٣ ـ ١٠٥.

(٢) اللجين: مصغر الفضة. والعسجد: الذهب.

(٣) الفدفد: الفلاة الّتي لا شيْ بها، و: الأرض الغليظة ذات الحصىٰ، و: المكان الصلب. (لسان العرب، ج٣، ص٣٣٠).

من عار خذلانهم للإمام الحُسَينعليه السلام ومن القتلة الحاقدين علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيتهعليهم السلام. فما أجمله من موقف وما أجلّه أن يتم هذا الأمر جنباً إلى جنب مع المختار بن أبي عبيد الثقفي وقائده الباسل إبراهيم إبن مالك الأشتر. وإكتملت مراسم صلاة الصبح ووصفها مَن إشترك فيها فيقول[١]: خرجنا مع المختار، فواللّه ما إنفجر الفجر حتىٰ فرغ المختار من تعبئة عسكره، فلمّا أصبح تقدَّم وصلّىٰ بنا الغداة فقرأ (والنازعات) و(عبس). «فواللّه ما سمعنا إماماً أفصح لهجةً منه».[٢]

رد فعل الأعداء

قال حصيرة بن عبداللّه: إنَّ إبن مطيع بعثَ إلى أهل الجبابين فأمرهم أن يَنضمّوا إلى المسجد وقال لراشد بن إياس بن مضارب نادِ في النّاس فليأتوا المسجد فنادىٰ المنادىٰ ألا برئت الذمّة من رجل لم يحضر المسجد الليلة فتوافىٰ النّاس في المسجد فلمّا إجتمعوا بعثَ إبن مطيع شبث بن ربعي في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار وبعثَ راشد إبن إياس في أربعة آلاف من الشُرط.[٣]

إجتمع وجهاء الكوفة المنافقين كلاً مع أفراد قبيلته وشكّلوا مجموعات حول إبن المطيع في داخل قصر الإمارة وخارجه وفي مسجد الكوفة. حينها إنتخب إبن المطيع الجماعات المعادية لأهل البيتعليهم السلام والزعماء الّذين تلطّخت أيديهم بدماء الإمام الحُسَين وأهل بيتهعليهم السلام لمواجهة الثورة والثوّار. وهؤلاء بدورهم قاموا بتحريض النّاس علىٰ محاربة المختار والنيل من أصحابه خوفاً من العقاب في حال إنتصار المختار وشيعته في هذه المواجهة. لذا إستغل إبن المطيع هذه الفرصة ونصَّب

---

(١) «الوالبي، وحميد بن مسلم، والنعمان بن أبي الجعد...».

(٢) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص ١٠٥.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٠١.

هؤلاء القتلة ومجرمي العراق ـ الّذين يعتبرون أنفسهم وجهاءً للكوفة ـ قادةً علىٰ قوّاته وعبأهم علىٰ النحو التالي:

١ ـ شبث بن ربعي (من المجرمين القذرين في حادثة كربلاء) بإمرة ٤٠٠٠ عنصر.

٢ ـ راشد بن إياس (من ألد أعداء أهل بيت النبوّة عليهم السلام و من مجرمي حادثة كربلاء) بإمرة ٤٠٠٠ عنصر.

٣ ـ شدّاد بن أبجر (من مجرمي كربلاء) بإمرة ٣٠٠٠ عنصر.

٤ ـ عكرمة بن ربعي (من مجرمي حادثة كربلاء) بإمرة ٣٠٠٠ عنصر.

٥ ـ عبد الرحمن بن سويد (من مجرمي حادثة كربلاء) بإمرة ٣٠٠٠ عنصر وتتابعت العساكر حتّىٰ بلغت نحواً من عشرين ألفاً.[١]

إتّسمت الأوضاع في الكوفة بالفوضىٰ والإنهيار، فيما إنتشرت المجموعات المسلَّحة في كل مكان. وأضحىٰ الثوّار في مقابل القوّات الحكومية مرة أخرىٰ. فسارع أزلام حكومة إبن الزبير إلى إستعجال الأمور والتدخُّل لقمع الثورة بغية الوقوف أمام إستحواذ المختار علىٰ المراكز الحسّاسة والإستراتيجية في المدينة.

قال الطبري: «بعثَ إبن مطيع شبث بن ربعي في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار وبعث راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشُرط».[٢]

ونقلَ أحد أصحاب المختار وهو أبي سعيد الصيقل قائلاً: لمّا صلّىٰ المختار الغداة ثمّ إنصرف، سمعنا أصواتاً مرتفعة فيما بين بني سليم وسكة البريد فقال المختار: من يعلم لنا علم هؤلاء ما هم، فقلت له: أنا أصلحك اللّه، فقال المختار: أما لا فألق سلاحك وإنطلق حتّىٰ تدخل فيهم كأنك نظار ثمّ تأتيني بخبرهم. قال ففعلت فلمّا

(١) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠١، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

دنوت منهم إذا مؤذنهم يقيم فجئت حتىٰ دنوت منهم فإذا شبث بن ربعي معه خيل عظيمة وعلىٰ خيله شيبان بن حريث الضبّي وهو في الرجّالة معه منهم كثرة فلمّا أقام مؤذنهم تقدَّم فصلّىٰ بأصحابه فقرأ (إذا زلزلت الأرض زلزالها) فقلت في نفسي أما واللّه إني لأرجو أن يزلزل اللّه بكم وقرأ (والعاديات ضبحاً) فقال أناس من أصحابه لو كنت قرأت سورتين هما أطول من هاتين شيئاً فقال شبث ترون الديلم قد نزلت بساحتكم وأنتم تقولون لو قرأتَ سورة البقرة وآل عمران، قال: وكانوا ثلاثة آلاف».[١]

وأضاف أبي سعيد الصيقل قائلاً: «فأقبلتُ سريعاً حتىٰ أتيت المختار فأخبرته بخبر شبث وأصحابه وأتاه معي ساعة أتيته سعر بن أبي سعر الحنفي يركض من قِبل مراد وكان ممن بايع المختار فلم يقدر علىٰ الخروج معه ليلة خرج مخافة الحرس فلمّا أصبح أقبل علىٰ فرَسه فمرَّ بجبّانة[٢] مراد وفيها راشد بن إياس فقالوا كما أنت ومن أنت فراكضهم حتىٰ جاء المختار فأخبره خبر راشد وأخبرته أنا خبر شبث».[٣]

تحرُّك قوّات الثورة بإتجاه العدو

وأطرد أبي سعيد الصيقل بقوله: «فسرَّحَ إبراهيم بن الأشتر قِبل راشد بن إياس في تسعمائة ويقال ستمائة فارس وستمائة راجل وبعثَ نعيم إبن هبيرة أخا مصقلة إبن هبيرة في ثلثمائة فارس وستمائة راجل وقال لهما: إمضيا حتىٰ تلقيا عدوّكما فإذا

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠١، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

(٢) والجبّانة بشد الباء مواضع بالكوفة وأهلها يسمون المقبرة جبّانة. منها جبّانة كندة، وجبّانة السَّبيع، وجبّانة ميمون، وجبّانة عرزم، وجبّانة سالم وغيرها وجميعها بالكوفة.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠١، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

لقيتماهم فانزلا في الرجَّال وعجِّلا الفراغ وإبدآهم بالإقدام ولا تستهدفا لهم فإنَّهم أكثر منكم ولا ترجعا إليَّ حتىٰ تظهرا أو تُقتلا».(١)

وكما أشرنا؛ فإنَّ العدو تمركز في جبهتين الأولىٰ بإمرة راشد والثانية بإمرة شبث؛ «فتوجَّه إبراهيم إلى راشد وقدِم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شبث في تسعمائة أمامه وتوجَّه نعيم إبن هبيرة قِبل شبث. قال أبوسعيد الصيقل: كنت أنا فيمن توجَّه مع نعيم إبن هبيرة إلى شبث ومعي سعر بن أبي سعر الحنفي فلمّا إنتهينا إليه قاتلناه قتالاً شديداً فجعل نعيم إبن هبيرة سعر بن أبي سعر الحنفي علىٰ الخيل ومشىٰ هو في الرجّال فقاتلهم حتىٰ أشرقت الشمس وإنبسطت فضربناهم وأدخلناهم البيوت ثمّ أنَّ شبث إبن ربعي ناداهم يا حماة السوء بئس فرسان الحقائق أنتم أمِن عبيدكم تهربون. قال: فثابت إليه منهم جماعة فشدَّ علينا وقد تفرَّقنا فهُزمنا».(٢)

إستشهاد قائد وأسير

«وصبرَ نعيم إبن هبيرة فقُتل ونزل معه سعر فأُسر وأُسرت أنا وخليد مولىٰ حسان بن يخدج فقال شبث لخليد وكان وسيماً جسيماً من أنت فقال خليد مولىٰ حسان بن يخدج الذهلي فقال له شبث يا إبن المتكاء تركت بيع الصحناة بالكُناسة وكان جزاء من أعتقكَ أن تعدو عليه بسيفك تضرب رقابه، إضربوا عنقه فقُتل. ورأىٰ «سعراً الحنفي» فعرَفه فقال: أخو بني حنيفة فقال له نعم فقال: ويحك ما أردت إلى إتباع هذه السبائية(٣) قبَّح اللّه رأيك دعوا ذا، فقلت في نفسي قتلَ المولىٰ

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٠١ ـ ٥٠٢، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص ١٠٥ ـ ١١٢.

٢) نفس المصدر .

(٣) قول هذا الخبيث «بالسبائية»، أي تلك التهمة الملصوقة بالشيعة: وهي إتباعهم لفكر إبن سبأ القائل

وتركَ العربي إن علِم والله إني مولىٰ قتلني فلمّا عُرضت عليه قال: من أنت، فقلت: من بني تيم الله، قال: أعربيٌ أنت أو مولىٰ، فقلت لا بل عربي أنا من آل زياد إبن خصفة، فقال: بخٍ بخٍ ذكرتَ الشريف المعروف إلحق بأهلك، قال: فأقبلت حتىٰ إنتهيت إلى الحمراء وكانت لي في قتال القوم بصيرة فجئت حتىٰ إنتهيت إلى المختار وقلت في نفسي والله لآتين أصحابي فلأُواسيَّنهم بنفسي فقبَّح الله العيش بعدهم، قال: فأتيتهم وقد سبقني إليهم سعر الحنفي.

وأقبلت إليه خيل شبث بن ربعي وجاءه قتل نعيم إبن هبيرة فدخل من ذلك أصحاب المختار أمر كبير، قال فدنوت من المختار فأخبرته بالذي كان من أمري فقال لي أُسكت فليس هذا بمكان الحديث، وجاء شبث حتىٰ أحاط بالمختار وبيزيد بن أنس وبعثَ إبن مطيع يزيد بن الحارث بن رؤيم في ألفين من قِبل سكة لحام جرير فوقفوا في أفواه تلك السكك وولىٰ المختار يزيد بن أنس خيله وخرج هو في الرجّالة.(١)

خطبة القائد قبل الهجوم

قال الحارث بن كعب الوالبي ـ والبة الأزد ـ وكان من أصحاب المختار: حملَت علينا خيل شبث بن ربعي حملتين فما يزول منّا رجل من مكانه فقال يزيد بن أنس لنا: يا معشر الشيعة قد كنتم تُقتلون وتُقطَّع أيديكم وأرجلكم وتُسمل أعينكم وتُرفعون علىٰ جذوع النخل في حب أهل بيت نبيَّكم وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوِّكم فما ظنُّكم بهؤلاء القوم أن ظهروا عليكم اليوم، إذن والله

← بإلوهية علي(ع). فعند مقتل ميثم التمّار الذي يُعد من صحابة أمير المؤمنين(ع) علىٰ يد إبن زياد، خاطبه الأخير قائلاً: «أنت من هذه السبائية الخبيثة المنحرفة!» (رجال الكشي، ص ٨٢، رقم ١٣٨).

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٠٢ ـ ٥٠٣، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

لايدَعون منكم عيناً تطرف وليقتلنكم صبراً ولترونَ منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خيرٌ منه، واللّه لا يُنجيكم منه إلّا الصدق والصبر والطعن الصائب في أعينهم والضرب الدراك علىٰ هامهم فتيسَّروا للشدة وتهيأوا للحملة فإذا حرَّكت رايتي مرتين فأحملوا، قال الحارث: فتهيأنا وتيسَّرنا وجَثونا علىٰ الركب وإنتظرنا أمره.[1]

وقال فضيل بن خديج الكندي: «إنَّ إبراهيم بن الأشتر كان حين توجَّه إلى راشد إبن إياس مضىٰ حتىٰ لقيه في مراد فإذا معه أربعة آلاف فقال إبراهيم لأصحابه: لايهولنكم كثرة هؤلاء فواللّه لرب رجل خير منعشرة ولرب ﴿فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾[2].»[3]

الهجوم الناجح وهلاك قائد قوّات العدو

ثمّ قال إبراهيم بن مالك الأشتر لخزيمة بن نصر ـ وكان شيعياً مخلصاً وقائداً وفدائياً محنَّكاً ـ: سر إليهم في الخيل ونزلَ هو يمشي في الرجّال ورايته مع مزاحم بن طفيل فأخذ إبراهيم يقول له إزدلف برايتك إمض بها قدماً قدماً وإقتتل النّاس فإشتد قتالهم وبصرَ خزيمة بن نصر العبسي براشد إبن إياس فحملَ عليه فطعنه فقتله ثمّ نادىٰ قتلت راشداً ورب الكعبة. ـ بمقتل رئيس الشُرط وقائد القوّات تفككت الأواصر ـ وإنهزم أصحاب راشد، وإنكسروا وأجفلوا إجفال النِعام، وأطلّوا عليهم كقطع الغمام، وإستبشر أصحاب المختار، وحملوا علىٰ خيل الكوفة، فجعلوا صفو حياتهم كدراً، وساقوهم إلى الموت زمرا[4]، حتىٰ أوصلوهم السكك،

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٣، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

(٢) إشارة للآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٣، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

(٤) أي: ساقوهم حتىٰ أوصلوهم إلى الموت.

وأدخلوهم الجامع.[١]

وأقبل إبراهيم بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار وبعثَ النعمان بن أبي الجعد يُبشِّر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد فلمّا أن جاءهم البشير بذلك كبَّروا وإشتدت أنفسهم ودخل أصحاب إبن مطيع الفشل وسرَّح إبن مطيع حسان بن قائد بن بكير العبسي بجيش كثيف نحو من ألفين فإعترض إبراهيم بن الأشتر فُويقَ الحمراء ليردَّه عن مَن في السبخة من أصحاب إبن مطيع فقدَم إبراهيم خزيمة بن نصر إلى حسان بن فائد في الخيل ومشىٰ إبراهيم نحوه في الرجّال فقال: واللّه ما أطعَنَّا برمح ولا أضطربنا بسيف حتىٰ إنهزموا وتخلَّف حسان بن فائد في أُخريات النّاس يحميهم وحملَ عليه خزيمة بن نصر فلمّا رآه عرفه فقال له: يا حسان بن فائد أما واللّه لولا القرابة لعرفت أني سألتمس قتلك بجهدي ولكن النجاء فعثر بحسان فرسه فوقع فقال تعساً لك أبا عبداللّه وإبتدره النّاس فأحاطوا به فضاربهم ساعة بسيفه فناداه خزيمة بن نصر، قال: إنك آمن يا أبا عبداللّه لاتقتل نفسك وجاء حتىٰ وقف عليه ونهنه النّاس عنه ومرَّ به إبراهيم فقال له خزيمة هذا إبن عمي وقد آمنته فقال له إبراهيم: أحسنت فأمر خزيمة بطلب فرسه حتىٰ أتىٰ به فحمله عليه وقال إلحق بأهلك.[٢]

إستطاع شبث بن ربعي والقوّات الّتي بإمرته وعددها (٣٠٠٠) رجل وبعد خسارته لعدد كبير من رجاله، إنزال ضربات في صفوف الثوّار وإلحاق خسائر مؤثرة في قوّات القائد نعيم إبن هبيرة الذي إستشهدَ في تلك المعركة. إستطاع شبث ومن معه التقدم صوب مقر قيادة المختار. فأرسل إليه المختار أحد أكفأ قوّاده وهو «يزيد بن أنس» مع كتيبة من المنتفضين لمنازلته. إلّا أن شبث ظلَّ يتقدم حتىٰ

---

(١) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١٠٧.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٣ ـ ٥٠٤، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

سارع المختار إلى نجدة يزيد بعدد من قوّاته.

تضييق حلقة الحصار

أقبل إبراهيم نحو المختار وشبث محيط بالمختار ويزيد بن أنس فلمّا رآه يزيد بن الحارث وهو علىٰ أفواه سكك الكوفة الّتي تلي السبخة وإبراهيم مقبل نحو شبث أقبل نحوه ليصدَّه عن شبث وأصحابه فبعث إبراهيم طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر فقال أغن عنّا يزيد بن الحارث وصمد هو في بقية أصحابه نحو شبث بن ربعي.[١]

إندحار العدو وإنسحابه

نقلَ الحارث بن كعب الواقعة فقال: «إنَّ إبراهيم لمّا أقبل نحونا رأينا شبثاً وأصحابه ينكصون وراءهم رويداً رويداً فلمّا دنا إبراهيم من شبث وأصحابه حملَ عليهم وأمرَنا يزيد بن أنس بالحملة عليهم فحملنا عليهم فإنكشفوا حتىٰ إنتهوا إلى أبيات الكوفة وحملَ خزيمة بن نصر علىٰ يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه وإزدحموا علىٰ أفواه السكك وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية علىٰ أفواه السكك فوق البيوت وأقبل المختار في جماعة النّاس إلى يزيد بن الحارث فلمّا إنتهىٰ أصحاب المختار إلى أفواه السكك رمته تلك الرامية بالنبل فصدوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ورجع النّاس من السبخة منهزمين إلى إبن مطيع وجاءه قتل راشد بن إياس فأسقط في يده».[٢]

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٣ ـ ٥٠٤، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

٢) نفس المصدر .

العدو يُعيد تأهيل قوّاته

بعد تطهير منطقة السبخة وأكثر مناطق الكوفة من دنس وجود أزلام الحكومة وهروب قوّات إبن المطيع نحو دار الإمارة ومقتل راشد بن إياس ـ رئيس الشُرط ـ بعد مقتل أبيه. شعرَ إبن المطيع بالخوف والرعب والقلق.

قال يحيىٰ بن هاني: قال عمرو بن الحجّاج الزبيدي ـ وهو من وجوه الكوفة القذرين ومن قتلَة الإمام الحُسَين عليه السلام في كربلاء وكان أميراً لكتيبة من المقاتلين ـ لإبن مطيع أيُّها الرجل لايسقط في خلدك ولا تلق بيدك أُخرج إلى النّاس فأندبهم إلى عدوّك فأغزهم فإنَّ النّاس كثير عددهم وركلهم معك إلّا هذه الطاغية الّتي خرجت علىٰ النّاس واللّه مُخزيها ومهلكها ـ ولكي يُطمئن قلبه ويُقوّيه قال ـ وأنا أوّل منتدب فأندب معي طائفة ومع غيري طائفة. فخرج إبن مطيع بعد أن قويَ قلبه ــ فقام في النّاس فحمد اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال: أيُّها النّاس إنَّ من أعجب العجب عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها خبيث دينها ضالة مضلّة ـ لاحظ كيف يقذف هذا الوالي الخبيث أتباع أهل البيت عليهم السلام وكيف يغوي عوام النّاس ويظلهم!؟ ـ إخرجوا إليهم فامنعوا منهم حريمكم وقاتلوهم عن مصركم وإمنعوا منهم فَيئكم وإلّا واللّه ليشاركنكم في فيئكم من لا حق له فيه واللّه لقد بلغني أنَّ فيهم خمسمائة رجل من محرريكم عليهم أمير منهم وإنَّما ذهاب عزّكم وسلطانكم وتغيّر دينكم حين يكثرون؛ ثمّ نزل.(١)

جدير ذكره أنَّ غالبية قوّات المختار وأصحابه كانوا من المستضعفين والموالي والعبيد المحرَرين.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٤ ـ ٥٠٥، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

التحرّك نحو دار الإمارة

ومضىٰ المختار من السبخة حتىٰ ظهر علىٰ الجبّانة.[١] ثمّ إرتفع إلى البيوت، بيوت مزينة وأحمس وبارق فنزل عند مسجدهم وبيوتهم، وبيوتهم شاذّة منفردة من بيوت أهل الكوفة فإستقبلوه بالماء فسقي أصحابه وأبىٰ المختار أن يشرب، قال فظن أصحابه أنه صائم وقال أحمر بن هديج من همدان لإبن كامل أترىٰ الأمير صائماً فقال له نعم هو صائم فقال له فلو أنه كان في هذا اليوم مفطراً كان أقوىٰ له فقال له: إنّه معصوم[٢] وهو أعلم بما يصنع فقال له صدقت أستغفر اللّه.[٣]

وبعد أن نظر المختار إلى المنطقة قال لمن حوله: «نعمَ مكان المقاتل هذا فقال له إبراهيم بن الأشتر قد هزمهم اللّه وفلهم وأدخل الرعب قلوبهم وتنزل هٰهنا سربنا فواللّه ما دون القصر أحد يمنع ولا يمتنع كبير إمتناع.

فاستحسن المختار رأي إبراهيم فصاح بالجمع: «ليَقِم هٰهنا كل شيخ ضعيف وذي علّة وضعوا ما كان لكم من ثقل ومتاع بهذا الموضع حتىٰ تسيروا إلى عدونا، ففعلوا فإستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدي وقدم إبراهيم بن الأشتر أمامه وعبأ أصحابه علىٰ الحال الّتي كانوا عليها في السبخة قال وبعث عبداللّه بن مطيع عمرو بن الحجّاج.[٤] في ألفي رجل فخرج عليهم من سكة الثوريين فبعث المختار إلى إبراهيم أن إطوه.[٥] ولا تقم عليه فطواه إبراهيم ودعا المختار يزيد بن أنس

---

(١) جبّانة: الجبان في الأصل: الصحراء، وأهل الكوفة يُسمون المقبرة جبّانة، وبالكوفة محال تُسمّىٰ بها، فنها جبّانة السَّبيع. (مراصد الإطلاع: ١ ص٣١٠). ـ ذوب النضار لابن نما الحلّي: هامش ص١١٥.

(٢) ليس المقصود من كلمة «معصوم» هنا العصمة الخاصة المنحصرة بالأنبياء والمعصومين الأربعة عشر.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٠٥ ـ ٥٠٦، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

(٤) وكان في كربلاء مسؤولاً عن شريعة الفرات يمنع الماء عن الحُسَين(ع) وأصحابه.

(٥) أي؛ إلتف حوله.

فأمَره أن يصمد لعمرو إبن الحجّاج فمضىٰ نحوه وذهب المختار في إثر إبراهيم فمضوا جميعاً حتىٰ إذا إنتهىٰ المختار إلى موضع مصلّىٰ خالد بن عبداللّه وقف وأمرَ إبراهيم أن يمضي علىٰ وجهه حتىٰ يدخل الكوفة من قِبل الكُناسة فمضىٰ فخرج إليه من سكة إبن محرز وأقبل شمر بن ذي الجوشن.[١] في ألفين فسرَّح المختار إليه سعيد بن منقذ الهمداني فواقَعه وبعث إلى ابراهيم أن إطوه وإمض علىٰ وجهك فمضىٰ حتىٰ إنتهىٰ إلىٰ سكة شبث وإذا نوفل بن مساحق بن عبداللّه إبن مخرمة في نحو من خمسة آلاف وقد أمر إبن مطيع سويد بن عبدالرحمن فنادىٰ في النّاس أن إلحقوا بإبن مساحق، قال واستخلف شبث بن ربعي علىٰ القصر وخرج إبن مطيع حتىٰ وقفَ بالكُناسة.[٢]

ونقلَ حصيرة بن عبداللّه قال: «إني لأنظر إلى إبن الأشتر حين أقبل في أصحابه حتىٰ إذا دنا منهم قال لهم إنزلوا فنزلوا فقال قرِّبوا خيولكم بعضها إلى بعض ثمّ إمشوا إليهم مُصلتين بالسيوف ولا يهولنَّكم أن يقال جاءكم شبث بن ربعي وآل عتيبة بن النهّاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث، قال فسمّىٰ بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ثمّ قال: إنَّ هؤلاء لو قد وجدوا لهم حر السيوف قد إنصفقوا عن إبن مطيع إنصفاق المعزىٰ عن الذئب».[٣]

وأضاف حصيرة قائلاً: «فإنّي لأنظر إليه وإلى أصحابه حين قرَّبوا خيولهم وحين أخذ إبن الأشتر أسفل قبائه فرفعه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود وقد شد بها علىٰ القباء وقد كفر بالقباء علىٰ الدرع ثمّ قال لأصحابه: شدُّوا عليهم فدىٰ لكم عمي وخالي قال فواللّه ما لبثهم أن هزمهم فركب بعضهم بعضاً

---

(١) قاتل الإمام الحُسَين(ع) وهو من حز رأسه الشريف عن جسده.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٠٥ ـ ٥٠٦، ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٠٦، ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

علىٰ فم السكة وإزدحموا وإنتهىٰ إبن الأشتر إلى إبن مساحق فأخذ بلجام دابـته ورفع السيف عليه فقال له إبن مساحق يا إبن الأشتر أنشدك اللّه أتطلبني بثأر! هل بيني وبينك من أحنة فخلّىٰ إبن الأشتر سبيله وقال له إذكرها فكان بعد ذلك إبن مساحق يذكرها لإبن الأشتر».[1]

محاصرة دار الإمارة

أكمل حصيرة كلامه فقال: «وأقبلوا يسيرون حتىٰ دخلوا الكُناسة ثمّ أثار القوم حتىٰ دخلوا السوق والمسجد وحصروا إبن مطيع ثلاثاً»[2] وإستقرت كتائب المختار وإبراهيم وباقي الكتائب الثورية في ميدان الكوفة وأمام المسجد والسوق.

قال النضر بن صالح: «أنَّ إبن مطيع مكث ثلاثاً يرزق أصحابه في القصر حيث حصر الدقيق ومعه أشراف النّاس إلّا ما كان من عمرو بن حريث فإنه أتىٰ داره ولم يلزم نفسه الحصار ثمّ خرج حتىٰ نزل البر وجاء المختار حتىٰ نزل جانب السوق وولي حصار القصر إبراهيم بن الأشتر ويزيد بن أنس وأحمر بن شُميط فكان إبن الأشتر مما يلي المسجد وباب القصر ويزيد إبن أنس مما يلي بني حذيفة وسكة دار الروميين وأحمر بن شُميط مما يلي دار عمارة ودار أبي موسىٰ فلمّا إشتد الحصار علىٰ إبن مطيع وأصحابه، كلّمه الأشراف فقام إليه شبث فقال: أصلح اللّه الأمير أُنظر لنفسك ولمن معك فواللّه ما عندهم غناء عنك ولا عن أنفسهم قال إبـن مـطيع: هاتوا أشيروا عليَّ برأيكم، قال شبث الرأي أن تأخذ لنفسك من هذا الرجل أماناً ولنا وتخرج ولا تهلك نفسك ومن معك، قال إبن مطيع: واللّه إنيِّ لأكره أن آخذ منه أماناً والأمور مستقيمة لأمير المؤمنين بالحجاز كـله وبأرض البـصرة قـال:

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٠٦، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

٢) نفس المصدر .

فتخرج لايشعر بك أحد حتىٰ تنزل منزلاً بالكوفة عند من تستنصحه وتثق به ولايعلَم بمكانك حتىٰ تخرج فتلحق بصاحبك، فقال لأسماء إبن خارجة وعبدالرحمن بن مخنف وعبدالرحمن بن سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة: ما ترون في هذا الرأي الذي أشار به عليَّ شبث، فقالوا ما نرىٰ الرأي إلّا ما أشار به عليك قال فرويداً حتىٰ أمسىٰ.[1]

وفي أيام الحصار لم تحدث أي حادثة تذكر سوىٰ مناوشات بسيطة جرح فيها أحد المحاصرين بشدة. قال أبو المغلس الليثي: «إنَّ عبداللّه بن عبداللّه الليثي أشرفَ علىٰ أصحاب المختار من القصر من العشي يشتمهم وينتحي له مالك بن عمر وأبو نمر النهدي بسهم فيمر بحلقه فقطع جلدة من حلقه فمال فوقع، قال ثمّ إنه قام وبرأ بعد. وقال النهدي: حين أصابه خذها من مالك من فاعل كذا.

هروب والي الكوفة المخزي بزي إمرأة

قال حسان بن فائد بن بكير ـ وهو من أئمة النفاق في الكوفة ومن المحاصَرين في القصر ـ «لما أمسينا في القصر في اليوم الثالث دعانا إبن مطيع وقال: أما بعد فقد علمت الّذين صنعوا هذا منكم مَن هم وقد علمت إنما هم أراذلكم وسفهاؤكم وطغامكم وأخسّاؤكم ما عدا الرجل أو الرجلين وأنَّ أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين وأنا مبلغ ذلك صاحبي ومعلِمه طاعتكم وجهادكم عدوَّه حتىٰ كان اللّه الغالب علىٰ أمره وقد كان من رأيكم وما أشرتم به عليَّ ما قد علمتم وقد رأيت أن أخرج الساعة. فقال له شبث: جزاك اللّه من أمير خيراً فقد واللّه عففت عن أموالنا وأكرمت أشرافنا ونصحت لصاحبك وقضيت

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٠٦ ـ ٥٠٧، ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢.

الذي عليك والله ما كنّا لنفارقك أبداً إلّا ونحن منك في إذن. فقال: جزاكـم اللّـه خيراً أخذ امرؤ حيث أحب ثمّ خرج من نحو دروب الروميين ـ متنكراً بمـلابس النساء ـ حتىٰ أتىٰ دار أبي موسىٰ وخلىٰ القصر وفتح أصحابه الباب فقالوا يا إبن الأشتر آمنون نحن؟، قال: أنتم آمنون فخرجوا فبايعوا المختار.»[1]

وبصيغة أخرىٰ، لمّا ضاق عليه وعلىٰ أصحابه الحصار، وعلموا أنه لا تعويل لهم علىٰ مكر، ولا سبيل إلى مفر، أشاروا عليه أن يخرج ليلاً في زي إمرأة، ويستتر في بعض دور الكوفة، ففعل وخرج حتىٰ صار إلى دار أبي موسىٰ الأشعري فآووه، وأمّا هم فإنهم طلبوا الأمان من المختار فآمنهم، وخرجوا وبايعوه، وصار يمـنّيهم، ويستجر مودتهم، ويحسن السيرة فيهم.[2]

وبهذا سقط آخر معقل من معاقل الأعداء بيد الثوار وخرج المحاصرون مـن القصر زمراً زمراً يلتحقون بالثورة بعد تغيير مواقفهم بشكل كامل معلنين الولاء والبيعة للمختار. إستطاع المختار وأنصاره ومن خـلال المـقاومة والتـدبُّر إجـتياز المرحلة الأولىٰ للثورة والإستيلاء علىٰ مدينة الكوفة المهمة وتحـويلها إلى مـركز الثورة. وبذلك تأسست حكومة المختار الثورية في مـدينة الكـوفة عـلىٰ أسـاس مذهب أهل البيت عليهم السلام وبإذن منهم.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٧، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٤١.

(٢) ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص١٠٥ ـ ١١٢، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٤١.

▣ الفصل التاسع

إنتصار الثورة

الباب الأوّل
الإستيلاء علىٰ الكوفة وسقوط قصر الإمارة

قال موسىٰ بن عامر العدوي من عدي جهينة وهو أبوالأشعر: «لما خرج أصحاب إبن مطيع»[1] «جاء المختار حتىٰ دخل القصر فبات به وأصبح أشراف النّاس في المسجد وعلىٰ باب القصر»[2].

ثمّ خرج إلى الجامع وأمر بالنداء: (الصلاة جامعة)، فإجتمع النّاس ورقي المنبر، والظاهر مصادفة ذلك اليوم ليوم الجمعة فأمَ المختار النّاس للصلاة وخطب خطبتين غرتين شرح فيهما أهداف قيامه وتتلخص جملاته في «يا أهل الكوفة؛ إني مأمور من قبل أهل البيت عليهم السلام بالثأر للإمام المظلوم الحُسَين بن علي عليه السلام وشهداء كربلاء والإنتقام لدمائهم الطاهرة، وأن أُقاتل إلى آخر رمق من أجل هذا الهدف المقدَّس»

خطبة المختار الحماسيّة في الكوفة بعد النصر

نص الخطبة الأولىٰ:

قال: الحمد للّه الذي وعد وليّه النصر، وعدوه الخسر، وعداً مأتياً، وأمراً مفعولاً، وقد خاب من إفترىٰ. أيُّها النّاس، مُدَّت لنا غاية، ورُفعت لنا راية، فقيل

(١) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٧ ـ ١١١، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٤١.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٢٧.

في الراية: إرفعوها ولا تضعوها، وفي الغاية: خذوها ولا تدعوها، فسمعنا دعوة الداعي، وقبلنا قول الراعي، فكم من باغ وباغية، وقتلىٰ في الراعية؟[١] ألا فبعداً لمن طغىٰ وبغىٰ، وجحد ولغىٰ، وكذَّب وتولّىٰ. ألا فهلموا عباد اللّه إلى بيعة الهدىٰ،[٢] ومجاهدة الأعداء، والذب عن الضعفاء من آل محمّد المصطفىٰ ﷺ، وأنا المسلَّط علىٰ الـمُحلِّين، المطالب بدم إبن بنت رسول رب العالمين.[٣] أما ومنشئ السحاب، الشديد العقاب، لأنبشنَّ قبر إبن شهاب[٤] المفتري الكذّاب، المجرم المُرتاب، ولأنفينَّ الأحزاب إلى بلاد الأعراب، ثمّ وربالعالمين لأقتلن أعوان الظالمين،وبقايا القاسطين.[٥]

يتبيّن من كلام المختار وبوضوح مدىٰ حساسية المنتفضين من أعداء أهلالبيت عليهم السلام، لاسيّما أثناء الإنتقام من أجساد أعداء أهل هذا البيت المقدَّس. فما هو إذن حال الأحياء من هؤلاء الأعداء. وفي تاريخ الطبري نلاحظ هذه الجملة: ألا فأدخلوا أيُّها النّاس فبايعوا بيعة هدىٰ فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً والأرض فجاجاً سبلاً ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل علي أهدىٰ منها.[٦]

---

(١) في الطبري والكامل: أن اجروا إليها ولا تعدوها، فسمعنا دعوة الداعي، ومقالة الواعي، فكم من ناع وناعية، لقتلىٰ في الواعية!

(٢) وفي تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٨ هذه الجملة: «ألا فأدخلوا أيها النّاس فبايعوا بيعة هدىٰ فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً والأرض فجاجاً سبلاً ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب وآل علي أهدىٰ منها».

(٣) بدم إبن نبي رب العالمين.

(٤) جاء في كتاب مقتل الحُسَين(ع) ص٤٣: دعا عُبيد اللّه بن زياد كثير بن شهاب بن حصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير بالكوفة ويخذل النّاس عن مسلم بن عقيل ويخوّفهم الحرب ويحذّرهم عقوبة السلطان.. وفي الفصول المهمة ج٢، هامش ص٧٩٢: ولم يبق مع مسلم بن عقيل من الأربعة آلاف إلّا ثلاثمأة ثمّ ثلاثون وهكذا حتى تلاشىٰ العدد بعد أن أمرَ عُبيد اللّه كثير بن شهاب بن حصين الحارث أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج ويسير بالكوفة ويخذل النّاس عن إبن عقيل ويخوفهم الحرب....

(٥) ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص١٠٧ ـ ١١١، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٤١.

(٦) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٢٧.

الخطبة الثانية

ثمّ قعد علىٰ المنبر، ووثب قائماً، وقال: أما والذي جعلني بصيراً، ونوّر قلبي تنويراً، لأحرقنَّ بالمصر دوراً، ولأنبشن بها قبوراً، ولأشفين بها صدوراً، ولأقتلن بها جباراً كفوراً، ملعوناً غدوراً، وعن قليل ورب الحرم، والبيت المحرَّم، وحق النون والقلم، ليرفعنَّ لي علم، من الكوفة إلى أضم[1]، إلى أكناف ذي سلم، من العرب والعجم، ولأتخذنَّ من بني سليم أكثر الخدم».[2]

يلاحظ من خطبتي المختار أنهما علىٰ أقوىٰ الإحتمال أُلقيتا كخطبتي صلاة الجمعة. إلّا أن النصوص التأريخية لم تشر إلى ذلك.

مراسم البيعة

تزامناً مع سقوط دار الإمارة وهروب والي إبن الزبير المشين وإنتصار الثوّار، أضحت مدينة الكوفة بكاملها تحت سيطرة قوّات الثورة وأضحت قاعدة للثورة.

«ثمّ نزل فدخل ودخلنا عليه وأشراف النّاس فبسط يده وإبتدره النّاس فبايعوه وجعل يقول تُبايعوني علىٰ كتاب اللّه وسنّة نبيّه والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلّين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولانستقيلكم فإذا قال الرجل نعم بايعه».[3]

وفي رواية أخرىٰ: «ثمّ نزل عن المنبر فصلّىٰ ركعتين بالناس ودخل إلى قصر الإمارة وإحتفل عليه النّاس بالبيعة، فلم يزل باسطاً يده والنّاس يبايعونه علىٰ كتاب اللّه وسنّة نبيه محمّد ﷺ والطلب بدماء أهل البيت، والمختار يقول: تقاتلون

---

(١) أضم: واد بجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة المنورة.

(٢) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٧ ـ ١١١، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٤١.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٢٧.

مَن قاتلنا، وتسالمون من سالمنا، والوفاء عليكم ببيعتنا، لا نقيلكم ولا نستقيلكم، حتىٰ بايع النّاس من العرب والموالي وغير ذلك من سائر النّاس.»[١]

وفي رواية ثالثة: ثمّ نزل ودخل قصر الإمارة، وإنعكف عليه النّاس للبيعة، فلم يزل باسطاً يده حتىٰ بايعه خلق كثير، من تميم العرب والسادات والموالي.[٢]

مقتل إبن المنذر وولده

نُقل عن موسىٰ بن عامر العدوي أنه قال: فكأني واللّه أنظر إلى المنذر بن حسَّان بن ضرار الضبي إذ أتاه حتىٰ سلَّم عليه بالإمرة ثمّ بايعه وإنصرف عنه فلمّا خرج من القصر إستقبل سعيد بن منقذ الثوري في عصابة من الشيعة واقفاً عند المصطبة فلمّا رأوه ومعه إبنه حيان بن المنذر، قال رجل منهم هذا واللّه من رؤوس الجبّارين فشَدوا عليه وعلىٰ إبنه فقتلوهما فصاح بهم سعيد بن منقذ لاتعجلوا لا تعجلوا حتىٰ ننظر ما رأي أميركم فيه، قال وبلغ المختار ذلك فكرهه حتىٰ رؤي ذلك في وجهه.[٣]

سماحة المختار وسمو أخلاقه

وبعد إنتهاء مراسم البيعة وفتح مدينة الكوفة والسيطرة الكاملة للمختار علىٰ مركز العراق. سعىٰ المختار إلى التعامل مع أهل الكوفة بالرأفة وحسن الأخلاق والسيرة الحسنة. وعندما رأىٰ النّاس ذلك مالوا إليه منبهرين بشخصيته الإسلامية الفذَّة.

---

(١) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٤١.

(٢) ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص١٠٧ ـ ١١١، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٤١.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٨، الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٢٢٧.

«وجاءَه إبن كامل فقال للمختار: أعلمتَ أن إبن مطيع في دار أبي موسىٰ فلم يجبه بشئ فأعادها عليه ثلاث مرات فلم يجبه ثمّ أعادها فلم يجبه فظنَّ إبن كامل أنَّ ذلك لايوافقه وكان إبن مطيع مِن قبل للمختار صديقاً فلمّا أمسىٰ بعث إلى إبن مطيع بمائة ألف درهم[١]، فقال له تَجهَّز بهذه واخرج فإني قد شعرت بمكانك وقد ظننت أنه لم يمنعك من الخروج إلّا أنه ليس في يديك ما يقوِّيك علىٰ الخروج.[٢]

تقسيم بيت المال بين المجاهدين وسائر النّاس

«ووجد في بيت المال بالكوفة تسعة[٣] آلاف ألف[٤]، فأعطىٰ أصحابه الّذين قاتل بهم حين حصر إبن مطيع في القصر وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل كل رجل خمسمائة درهم، وأعطىٰ ستة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة أيام حتى دخل القصر، مائتين مائتين».[٥]

المختار ومراعاة النّاس

ويشهد التاريخ علىٰ أنَّ المختار كان علىٰ خلاف الفاتحين المغرورين؛ إذ أنه كان يعامل النّاس بمنتهىٰ التواضع والرأفة والإحترام وكان يحسن إليهم، يقول الطبري: «وأقبل المختار يُمنِّي النّاس ويستجر مودتهم ومودَّة الأشراف ويحسن السيرة

---

(١) وفي ـ ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٠٧ ـ ١١١: «دعا عبداللّه بن كامل الشاكري ودفع إليه عشرة آلاف درهم، وأمَره بحملها إليه، وأن يقول له: إستعن بها علىٰ سفرك. فإني أعلم أنه ما يمنعك إلا ضيق يدك. فأخذها ومضىٰ إلىٰ البصرة، ولم يمض إلى عبداللّه بن الزبير حياءً مما جرىٰ عليه من المختار».

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٢٧.

(٣) وفي الأخبار الطوال ص٢٩٢ مائة ألف ألف، كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦ ص٢٤١.

(٤) «الالف الف» = المليون، وتسعة آلاف الف = ٩ مليون؛ مائة الف الف = مئة مليون.

(٥) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٠٨ ـ ٥٠٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٢٧.

جهده»[١] وفي موضع آخر يقول: «وإستقبل النّاس بخير ومنّاهم العدل وحُسن السيرة وأدنىٰ الأشراف فكانوا جلساءَه». [٢]

ويستدل من النصوص التاريخية أن البنية الأساسية لحكومة المختار كانت تتشكل من شيعة أهل فارس العراق والموالي وأفراد الطبقة الثالثة والمحرومين. إلّا أن الكثير من زعماء وأشراف الكوفة من الّذين تميزوا بشئ من الماضي السيئ في إرتكاب المظالم ضد أهل البيت عليهم السلام ومن الّذين أعانوا الظالمين، إلتحقوا بالمختار إما خوفاً أونفاقاً أوطمعاً، والمختار بدوره سعىٰ إلى إحتوائهم كلٌ علىٰ قدر إستحقاقه.

ولذا كان يُشاهد حول المختار بعض أشراف الكوفة الإنتهازيين وطلّاب الحياة الّذين كانوا في حاشية إبن زياد عندما كان والياً علىٰ الكوفة ومن حاشية والي إبن‌الزبير علىٰ هذه المدينة عندما إستولىٰ علىٰ العراق. لكن هذه العلاقة لم تدم طويلاً بين هؤلاء والمختار بسبب سعيهم لمد جسور الإرتباط مع أعداء هذه الثورة وذلك لعدم تَحمُّل مساواتهم مع الموالي (المسلمون غير العرب) والغلمان الفقراء.

وكان المختار قد «إستعمل علىٰ شُرطته عبدالله بن كامل الشاكري وعلىٰ حرسه كيسان أبا عمرة مولىٰ عرينة، فقام ذات يوم علىٰ رأسه فرأىٰ الأشراف يُحدِّثونه ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم فقال لأبي عمرة بعض أصحابه من الموالي أما ترىٰ أبا إسحاق قد أقبل علىٰ العرب ما ينظر إلينا، فدعاه المختار فقال له: ما يقول لك أولئك الّذين رأيتهم يكلِّمونك، فقال له وأسرَّ إليه: شقَّ عليهم أصلحك الله صرفِك وجهك عنهم إلى العرب فقال له: قل لهم لا يشقَّن ذلك عليكم فأنتم منِّي وأنا منكم ثمّ سكت طويلاً ثمّ قرأ «إنّا من المجرمين منتقمون» قال فحدَّثني أبو

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٠٨ ـ ٥٠٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٢٢٧.

(٢) نفس المصدر.

الأشعر موسىٰ بن عامر قال ما هو إلّا أن سمعها الموالي منه فقال بعضهم لبعض أبشروا كأنكم واللّه به قد قتلهم».[١]

أشعار إبن همّام

كان عبداللّه بن همّام ـ وهو من شعراء العراق المعروفين، يميل إلى عثمان إبن عفّان ومن بعده إلى الأمويين، وكان معانداً للشيعة ومع هذا أيّد حِجر إبن عدي وأصحابه عندما ألقىٰ معاوية القبض عليهم. وكان أوّل من باركَ للوليد بن عبدالملك توليته العرش وهنأه. لكنه وقبل أن يستولي المختار علىٰ الكوفة ـ سمعَ أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفّان فقنعه بالسوط فلمّا ظهر المختار ـ وقويت شوكته وأصبح أبوعمرة رئيساً لحرسه الخاص فهلع هلعاً شديداً ـ وضلَّ معتزلاً حتىٰ إستأمن له عبداللّه بن شدّاد.[٢] ـ وخلاصة الأمر أنه كان عثماني المسلك، إنتهازي العقيدة وفي باطنه معاند لأهل البيتعليهم السلام وشيعتهم، فجاء إلى المختار ذات يوم وأنشد قصيدة رنّانة في مدحه وثورته وإنتصاراته وقدَّمها تكفيراً عن ما قاله وفعَله قبلها وثُبِتَتْ أشعاره سنداً في تاريخ إنتفاضات الشيعة ـ قال فيها:

وفي ليلة المُختار ما يُذهِلُ الفَتىٰ ... و يُلهيهِ عن رؤد الشباب شموع

دَعا يا لَثاراتِ الحسين ُ فاقبَلَتْ ... كتائبُ من همدانَ بعدَ مزيع

وَمِن مذحج جاء الرئيسُ ابن مالكِ ... يقودُ جموعاً عُبيتْ بجُموع

ومِن أسدٍ وافىٰ يزيدُ لنصره ... بِكُل فتىً حامى الذمارِ منيع

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٠٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٢٢٧.

(٢) وكان من مشاوري المختار الخاصين والأصحاب المقربين لديه.

وجـاء نـعيمٌ خـير شيبان كـلّها — بـأمرٍ لَـدىٰ الهَـيجاء أحـدَّ جمـيع
ومـا إبـن شُمـيط اِذ يُحـرضُ قَـومَهُ — هــناك بِمَــخذولٍ ولا بِمَـضيع
و لا قيس نَهدٍ لا و لا إبـن هـوازنٍ — و كــلُّ أخــو اِخـباتَةِ وَخُشــوع
وســارَ أبـونعمان اللّـه سَـعيُهُ — إلى إبـنَ إيـاس مُـصحراً لوقـوع
بخَـيلٍ عـليها يـومَ هـيجا دُرُوعُـها — واخــرى حُـسوراً غـيرذاتٍ دُروع
فَكَــر الخُــيولُ كـرةً تـقِفَتْهُم — وشــدَّ بــاولاها عــلى ابـنمطيعُ
فَـولى بِـضرب يَشـدُخُ الهـام وَقـعُهُ — وَطـعنٍ غَـداة السَّكـتَّين وجـيع
فَــحُوصِرَ فى دارالامــارةِ بــائياً — بِــذل وارغــامٍ لَـهُ وَ خـضوع
فَمَّــنَ وزيــرُ ابــنُ الوصى عـليهم — وَكـان لهـم فى النـاس خَيرَ شـفيع
وآبَ الهــدى حــقاً الى مُسـتَقره — بخَــير ايــابٍ آبـهُ و رجُــوع
الى الهـاشمى المُـهتَدى المُـهتدى بِـهِ — فَـنَحْنُ لهُ مـن سـامعٍ و مـطيع

فلمّا أنشدها، قال المختار لأصحابه: قد أثنىٰ عليكم كما تسمعون وقد أحسنَ الثناء عليكم فأحسنوا له الجزاء، ثمّ قام المختار فدخل وقال لأصحابه لا تبرحوا حتىٰ أخرج إليكم. قال: وقال عبداللّه بن شدّاد الجشمي: يا إبن همّام إنَّ لك عندي فرساً ومطرفاً. وقال قيس إبن طهفة النهدي وكانت عنده الرباب بنت الأشعث: فإنَّ لك عندي فرساً ومطرفاً وإستحيا أن يعطيه صاحبه شيئاً لايعطىٰ مثله؛ فقال ليزيد بن أنس فما تعطيه، فقال يزيد: إن كان ثواب اللّه أراد بقوله فما عند اللّه خير له وإن كان إنما إعترىٰ بهذا القول أموالنا فواللّه ما في أموالنا ما يَسعه، قد كانت بقيت من عطائي بقية فقويت بها إخواني.[1]

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥١٠ ـ ٥١١، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٣٣، ص ٣٥٥.

جدال بين الشاعر والحضور

«فقال أحمر بن شُميط مبادراً لهم قبل أن يكلِّموه، يا إبن همّام إن كنت أردت بهذا القول وجه اللّه فاطلب ثوابك من اللّه وإن كنت إنما إعتريت به رضىٰ النّاس وطلب أموالهم فأكدم الجندل فواللّه من قال قولاً لغير اللّه وفي غير ذات اللّه، بأهلٍ أن ينحل ولا يوصل. فقال له: عضضت (بكذا) أبيك. فرفع يزيد بن أنس السوط وقال لإبن همام: تقول هذا القول يا فاسق وقال لإبن شُميط إضربه بالسيف. فرفع إبن شُميط عليه السيف ووثب أصحابها يتفلتون علىٰ إبن همام وأخذ بيده إبراهيم بن الأشتر فألقاه وراءه وقال: أنا له جار لم تأتون إليه ما أرىٰ فواللّه إنه لواصل الولاية راض بما نحن عليه حسن الثناء فإن أنتم لم تكافئوه بحسن ثنائه فلا تشتموا عرضه ولاتسفكوا دمه ووثبت مذحج فحالت دونه وقالوا أجاره إبن الأشتر لاواللّه لايوصل إليه قال وسمع لغطهم المختار فخرج إليهم وأومأ بيده إليهم أن أجلسوا فجلسوا فقال لهم: إذا قيل لكم خير فأقبلوه وإن قدرتم علىٰ مكافأة فإفعلوا وإن لم تقدروا علىٰ مكافأة فتنصَّلوا وإتقوا لسان الشاعر فإن شرَه حاضر وقوله فاجر وسعيه بائر وهو بكم غداً غادر فقالوا أفلا نقتله قال لا إنّا قد آمناه وأجرناه وقد أجاره أخوكم إبراهيم بن الأشتر فجلسَ مع النّاس.»(١)

صلة إبراهيم

ثمّ «أن إبراهيم قام فإنصرف إلى منزله فأعطاه ألفاً وفرساً ومطرفاً فرجع بها وقال: لا واللّه لا جاورت هؤلاء أبداً. وأقبلت هوازن وغضبت وإجتمعت في المسجد غضباً لإبن همام فبعث إليهم المختار فسألهم أن يصفحوا عما إجتمعوا له

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥١١ـ٥١٢، تاريخ مدينة دمشق لإبن عساكر: ج٣٣، ص٣٥٥.

ففعلوا وقال إبن همام لابن الأشتر يمدحه:

أطفأ عن نار كلبين ألبا ... علىٰ الكلاب ذو الفعال إبن مالك
فتىً حين يلقىٰ الخيل يفرق بينها ... بطعن دراك أو بضرب مواشك
وقد غضبت لي من هوازن عصبة ... طوال الذرىٰ فيها عراض المبارك
إذا إبن شُميط أو يزيد تعرضا ... لها وقعا في مستحار المهالك
وثبتم علينا يا مَوالىٰ طيئ ... مع إبن شُميط شر ماش وراتك
وأعظم ديار علىٰ اللّه فرية ... وما مفتر طاغ كآخر ناسك
فيا عجبا من أحمس إبنة أحمس ... توثب حولي بالقنا والنيازك
كأنكم في العز قيس وخثعم ... وهل أنتم إلا لئام عوارك

وأقبل عبداللّه بن شدّاد من الغد فجلس في المسجد يقول: علينا توثب بنو أسد وأحمس واللّه لانرضىٰ بهذا أبداً، فبلغ ذلك المختار فبعث إليه فدعاه ودعا بيزيد بن أنس وبإبن شُميط فحمد اللّه وأثنىٰ عليه وقال: يا إبن شدّاد إنَّ الذي فعلت نزغة من نزغات الشيطان فتب إلى اللّه. قال قد تبت وقال: إنَّ هذين أخواك فأقبل إليهما وإقبل منهما وهب لي هذا الأمر قال فهو لك.[1]

أبيات أخرىٰ لإبن همّام

وكان إبن همّام أنشد قصيدة أُخرىٰ في أمر المختار يصف شهامته وشجاعته والهزيمة النكراء الّتي لحقت باعدائه يقول فيها:[2]

اَضْحَتْ سُليمى بعدَ طولِ عِتاب ... وَتَجُّرم ونَفادِ غَربِ شَباب

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥١٢ ـ ٥١٣، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٣٣، ص٣٥٦.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٥٧.

قَد أزمَعَت بَصيرتي و تجَنَبي وَتهُوكَ مُذْ ذاكَ فى أعْتاب

لما رَأَيتُ القَصر أغلَقَ بابُه وَتَوَكلتْ هَمدانَ بالأسباب

وَرأيتُ اصحاب الدقيق كَأنَّهُم حولَ البُيوتِ ثعالبُ الأسراب

وَرأيتُ ابوابَ الأزقهِ حولنا دَرِبَت بِكلٍّ هراوَةٍ و ذُباب

أيقَّنْتُ انَّ خيول شيعة راشدٍ لَم يَبْقِ منها فيشُ أير ذَبابِ

الباب الثاني
تشكيل الحكومة الثورية

بعد سيطرة المختار الكاملة علىٰ الكوفة، أوكل المناصب الحساسة إلى شخصيات موثوقة من أصحابه المنتفضين. وبما أنَّ الكوفة حينها كانت مركز ثقل العراق، فإنَّ السيطرة عليها كان بمثابة الإستيلاء الكامل علىٰ كل أرض العراق والّتي كانت تشمل النواحي الغربية والجنوبية لإيران أيضاً. وبتثبيت أركان الحكم بدأ المختار بإرسال الولاة إلى الإمصار الخاضعة لحكمه. فاستعملَ[1]:

١ ـ رئيس الحرس الخاص: أبوعمرة الكيساني ـ وكان من الموالي ـ نصَّبهُ المختار بعد أن سلَّح شُرط المدينة تسليحاً جيداً ونسَّق تنظيمهم ومن ثمّ نصَّب أبوعمرة أميراً عليهم، وكان رجلاً شجاعاً ومديراً مدبراً وثورياً وحازماً. وكان وجوده في هذا المنصب تفرضه ضرورة حتمية لوجود العديد من وجوه النفاق والخيانة ورؤوسها وقَتلة الإمام الحُسَينعليه السلام والموالين للحكم الأموي وإبن الزبير من جهة، وإشتهاره ببراعته في قمع المعارضين والمجرمين بكل حزم وقوة وإبادتهم من جهة أُخرىٰ؛ لذا إستوجب أن يكون في هذا المنصب الحسَّاس والخطير رجلاً بمواصفاة أبوعمرة.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٠٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٢٢٧ـ ٢٢٨.

٢ ـ القائد العام للقوات المجنَّدة: إبراهيم بن مالك الأشتر. وكان تنصيبه في هذه الرتبة يمثل أفضل إنتخاب لهذا المنصب. لأنه كان رجلاً مقتدراً شجاعاً صلب الايمان ونافذ الكلام في أهل العراق، وكان تمتعه بعشيرة قوية مسلَّحة يشكِّل عنصراً مهماً لنجاحه الكامل في هذا المنصب.

٣ ـ رئيس الشُرط: عبداللّه بن كامل الشاكري. وكان من الشخصيات الشيعية المخلصة والوفية للمختار ومن محبي أهل البيت عليهم السلام وكان رجلاً قوياً وذا نفوذ وبصيرة.

ولاة المختار ووكلائه

١ ـ تعيين عبد الله بن حارث النخَعي والياً علىٰ أرمينيا.

كان «أوَّل رجل عقدَ له المختار راية، عبداللّه بن الحارث أخو الأشتر، عقد له علىٰ أرمينية».[١]

وكان رجلاً عظيماً كأخيه شجاعاً كريماً وموالياً لأهل البيت عليهم السلام. وتجدر الإشارة إلى أنَّ أرمينيا كانت مقاطَعة كبيرة تشمل مناطق شاسعة من شمال العراق، وجاء ذكرها في كتب البلدان بمايلي: «أرمينية: إسم لصقع واسع عظيم في جهة الشمال، وحَدُها من برذعة إلى الأبواب، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم وجبل القبق».[٢]

٢ ـ تولية محمّد بن عمير بن عطارد علىٰ آذربيجان. وكان شيعياً من وجوه بني دارم وهي من قبائل العراق المهمة ويُذكر إسمها بالفخر والعزَّة. «ورويَ أن عبدالملك ذكر يوماً بني دارم، فقال أحد جلسائه: يا أمير المؤمنين، هؤلاء قوم

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٠٩ ـ ٥١٠، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٢) الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي: ج ٢، هامش ص ٦٢٤، (مراصد الإطلاع: ج ١، ص ٦٠).

محظوظون - يعني في كثرة النسل ونماء الذرّية - فلذلك إنتشر صيتهم. فقال عبدالملك: ما تقول ! هذا وقد مضىٰ منهم لقيط إبن زرارة ولم يخلف عقباً، ومضىٰ قعقاع بن معبد بن زرارة ولم يخلف عقباً، ومضىٰ محمّد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة ولم يخلف عقباً! واللّه لاتنسىٰ العرب هذه الثلاثة أبداً.[1] تجدر الإشارة إلى أن محمّد بن عمير وبعد أن ولّاه المختار ولاية آذربيجان ومناطق شاسعة من شمال العراق وشمال غرب إيران، وفي التمرُّد الذي قاده زعماء الكوفة ضد المختار إنحاز إليهم وإنقطع عن المختار.

٣ - تولية عبد الرحمن بن سعيد بن قيس علىٰ الموصل؛ وكان أبوه سعيد إبن قيس الهمداني: التابعي الزاهد، من أصحاب أمير المؤمنين والمجتبىٰ عليهما السلام. وروي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام مدَحه بقوله في همدان: يقودهم حامي الحقيقة ماجد سعيد بن قيس والكريم يحامي...»[2]

وكان من الأُمراء الكبار والمحاربين الأشدَّاء بجنب أمير المومنين علي عليه السلام في حرب صفِّين، وربما بعد مالك الأشتر في صحابته، ولا تجد رجلاً بعظمته بينهم. وقد أبدىٰ في صفِّين شجاعة وبسالة وكان معه إبنه عبدالرحمن علىٰ الرغم من حداثة سنِّه يقاتل بشجاعة فائقة في قتال معاوية. وكان سعيد كبير طائفة «همدان»، وقد أولاه علي عليه السلام قيادة قوّات همدان في موقعة صفِّين.

وفي قضية الحكَمَية، حصل إختلاف بين قواد الأمير، فبدر سعيد إلى الإمام قائلاً: أنا وقواتي من همدان تحت إمرتك والأمر أمرك وإليك. وفي زمن المختار حلَّ عبدالرحمن محل أبيه وأصبح زعيم طائفته، وعُيِّنَ من قبل المختار والياً علىٰ الموصل، لكن وفائه لم يدم طويلاً، وفيالتمرُّد الذي قاده زعماء الكوفة ضد المختار إنحاز إليهم

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٥، ص١٣٣، الكامل: ج١، ص٣٠٨.

(٢) حلية الأبرار للسيّد هاشم البحراني: ج٢، هامش ص٦١.

وإنقطع عن المختار.

ومما يذكر أن «محمّد بن الأشعث بن قيس» وهو من مجرمي حادثة كربلاء وقتلة الإمام الحُسَينعليه‌السلام، كان قد عُيِّنَ من قبل إبن الزبير والياً علىٰ الموصل. ولدىٰ دخول عبدالرحمن إلى الموصل كوالي عليها من قبل المختار، شعرَ إبن الأشعث بضرورة مغادرة هذه المدينة وذلك لضعفه في مواجهة عبدالرحمن. فهرب إلى قرية «تكريت» ومن هناك سعىٰ إلىٰ التآمر مع أصحابه المناهضين للثورة في إنتظار الأحداث اللاحقة.

بعد مكوث عبد الرحمن مدَّة في الموصل، لم يحفظ العهد مع المختار فانحاز إلى تمرّد زعماء الكوفة ضد ثورة المختار. إلّا أنه وبعد أن رأىٰ قدرة المختار وبأنه رجل العراق المنتصر، أرسل إليه كتاباً يتضمن الإعتذار والتوبة وتجديد البيعة له، فدخل الكوفة مع طائفته. ركنَ بعد حادثة التآمر علىٰ المختار وهرب إلى البصرة وإلتحق بمُصعَب بن الزبير، وفي الحرب بين المختار ومُصعَب قُتل فنال جزاء أعماله الخيانية (سوف نتطرق لذلك لاحقاً).

٤ ـ بعثَ إسحاق بن مسعود علىٰ المدائن[1] وأرض جوخىٰ.

٥ ـ بعثَ قُدامة بن أبي عيسىٰ إبن ربيعة النصري وهو حليف لثقيف علىٰ بهقباذ الأعلىٰ؛ «بهقباذ: بالكسر ثمّ السكون، وضم القاف، وباء موحدة، وألف، وذال معجمة: إسم لثلاث كوَر ببغداد من أعمال سقي الفرات، منسوبة إلى قباذ بن فيروز والد أنوشروان بن قباذ العادِل، منها: بهقباذ الأعلىٰ سقيه من الفرات، وهو ستة

---

(١) في تاريخ بغداد، ج١، ص١٢٨عند ذكر خبر المدائن: قيل: إنما سُميت المدائن لكثرة مابنىٰ بها الملوك والأكاسرة وأثروا فيها من الآثار، وهي علىٰ جانبي دجلة شرقاً وغرباً، ودجلة تشق بينهما، وتسمىٰ المدينة الشرقية العتيقة وفيها القصر الأبيض القديم الذي لايدري من بناه، ويتصل بها المدينة الّتي كانت الملوك تنزلها ـ وفيها الإيوان ـ وتعرف بـ (أسبانبر). وأما المدينة الغربية فتسمىٰ (بهر سير) وكان الاسكندر أجَل ملوك الأرض نزلها....

طساسيج[١]: طسوج خطرانية وطسوج النهرين وطسوج عين التمر والفلوجتان العليا والسفلىٰ وطسوج بابل، والبهقباذ الأوسط وهي أربعة طساسيج: طسوج سورا وطسوج باروسما والجبة والبداة وطسوج نهر الملك، والبهقباذ الأسفل خمسة طساسيج: الكوفة وفرات بادقلي والسيلحين وطسوج الحيرة وطسوج نستر وطسوج هرمزجرد».[٢]

٦ ـ تولية محمَّد بن كعب إبن قرظة علىٰ بهقباذ الأوسط؛ المتوفي سنة (١٠٨هجرية) وهو من أكابر علم الحديث ومن التابعين ونقلت عنه كتب الحديث والتاريخ روايات ونقلَ عنه إبن الأثير وإبن أبي الحديد.

٧ ـ تولية حبيب بن منقذ الثوري علىٰ بهقباذ الأسفل.

٨ ـ تولية سعد إبن حذيفة بن اليمان علىٰ حلوان[٣] وكان مع سعد إبن حذيفة ألفا فارس بحلوان، قال: ورزَقه ألف درهم في كل شهر وأمَره بقتال الأكراد[٤] وباقامة الطُرق وكتبَ إلى عمّاله علىٰ الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كورَهم[٥] إلى

---

(١) معجم الصحاح للجوهري: ج١، ص٣٢٧، لسان العرب لابن منظور: ج٢، ص٣١٧: طسج: الطسوج: الناحية. والطسوج: حبتان من الدوانيق. والدانق: أربعة طساسيج، وهما معرَّبان. وقال الأزهري: الطسوج مقدار من الوزن كقوله فربيون بطسوج، وكلاهما معرَّب. والطسوج: واحد من طساسيج السواد، معرَّبة.

(٢) معجم البلدان للحموي: ج١، ص٥١٦.

(٣) وتُسمىٰ اليوم بـ«سربل زهاب» التابعة لمحافظة «كرمانشاه» في إيران تحدها من الشمال «جوانرود» ومن الجنوب «جيلان غرب» ومن الشرق إسلام آباد ومن الغرب «قصرشيرين» وفيها نهر يُسمىٰ «حلوان». نسبة إلى جسر «ذهاب» الأثري الواقع علىٰ نهر «حلوان» الذي يمر عبر المنطقة، ولم يبق من الجسر التاريخي سوىٰ الأطلال» أيضاً: بلد في العراق، آخر حدود السواد مما يلي الجبال، سُميت بإسم حلوان بن عمران إبن قضاعة، وكان أقطعه إياها بعض الملوك، وكانت مدينة عامرة، لم يكن بالعراق بعد البصرة والكوفة وواسط أكبر منها، وحواليها عيون كبريتية ينتفع بها من عدة أدواء.

(٤) للإطلاع أكثر علىٰ أمر «قتال الأكراد» ومدىٰ صحة هذه الجملة في كتب التاريخ راجع كتاب «الكورد الشيعة في العراق» لمؤلفه السيّد حسين الحسيني الزرباطي.

(٥) والكورة: المدينة، والصقع والجمع كوَر، الصحاح للجوهري: ج٢، ص٨١٠، لسان العرب لابن منظور:

سعد إبن حذيفة بحلوان.[١]

قضاة المختار

عن مسلم بن عبداللّه الضبابي قال: «لمّا ظهر المختار وإستمكن ونفىٰ إبن مطيع وبعث عمّاله، أقبل يجلس للناس غدوة وعشية فيقضي بين الخصمين ثمّ قال: واللّه إنَّ لي فيما أُزاول وأُحاول لشغلاً عن القضاء بين النّاس قال فأجلسَ للناس شُرَيحاً وقضىٰ بين النّاس، ثمّ أنه خافهم فتمارض وكانوا يقولون إنه عثماني وأنه ممن شهد علىٰ حِجر بن عدي وأنه لم يُبلِغ عن هاني إبن عروة ما أرسله به وقد كان علي بن أبي طالب عَزَله عن القضاء فلمّا أن سمع بذلك ورآهم يذمُّونه ويسندون إليه مثل هذا القول تمارض وجعل المختار مكانه عبداللّه إبن عتبة بن مسعود ثمّ أنَّ عبداللّه مرض فجعل مكانه عبداللّه بن مالك الطائي قاضياً».[٢]

«... وكان الأمير بالعراق عُبيد اللّه بن زياد... وعلىٰ قضاء الكوفة شُرَيح...»[٣]

«قال إبن أبي الحديد: هو شُرَيح بن الحارث الكندي. وقيل: إسم أبيه معاوية وقيل غيره. إستعمله عمر بن الخطّاب علىٰ القضاء بالكوفة فلم يزل قاضياً ستين سنة وقيلَ خمس وسبعون سنة لم يتعطَّل فيها إلّا ثلاث سنين في فتنة إبن الزبير إمتنع عن القضاء. ثمّ إستعفىٰ الحجّاج من العمل فأعفاه فلزم منزله إلى أن مات وله (١٠٨) سنة. وقيل: مائة. ومات سنة (٨٧) هجرية».[٤]

← ج٥، ص١٥٦، والكورة من البلاد: وهي القرية.

(١) تاريخ الطبري: ج٤ ص٥٠٩ ـ ٥١٠، الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤ ص٢٢٧ـ ٢٢٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥١٠، الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٢٢٧ـ ٢٢٨.

(٣) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص١٠١.

(٤) مستدركات علم رجال الحديث للشيخ علي نمازي الشاهرودي: ج٤، ص٢٠٤.

إبعاد شُرَيح القاضي

عن إبراهيم التميمي قال: «قال عليعليه السلام لشُريح وقد قضىٰ قضية نقم عليه أمرها: واللّه لأنفينَّك إلى مانيقيا شهرين تقضي بين اليهود. قال: ثمّ قُتِل عليعليه السلام ومضىٰ دهر فلمّا قام المختار بن أبي عبيد قال لشُريح: ما قال لك أمير المؤمنين يوم كذا؟ ـ قال: إنه قال لي كذا، قال: فلا واللّه لاتقعد حتىٰ تخرج إلى مانيقيا تقضي بين اليهود، فسيَّرهُ إليها، فقضىٰ بين اليهود شهرين».[١]

فتوىٰ شُريح بقتل الإمام الحُسَينعليه السلام

من المسائل المشهورة والمنقولة عبر المنابر وفي المجالس، هي فتوىٰ شُريح القاضي بشأن قتل الإمام الحُسَينعليه السلام. فإن كان هذا صحيحاً، فكيف إذن يمكن للمختار إختيار هذا الشخص ليكون قاضيه؟ فهل يُعقل ذلك؟ مع علمنا بالحساسية المفرطة الّتي كان المختار يتعامل بها مع قَتلة الإمام الحُسَينعليه السلام وأهل بيته وأصحابه في واقعة الطف. لاسيما وأنه كان يقاضي كل من إشترك بنحو ما في هذه الفاجعة الأليمة دون رحمة، بحيث أنه لم يترك أي صغيرة في هذا الأمر دون عقاب، فما بالك بالأمور الكبيرة. ومع كل هذا كيف يُعقل أن يكون شُريح قاضياً للعراق وبتلك المكانة لسنوات طوال ويصدر فتوىٰ بحلِّية قتل الحُسَينعليه السلام والمختار لايعلم بذلك أو لايعير لذلك أهمية ولايعاقبه علىٰ فعله هذا. بل في المقابل يأتي ويقترح عليه قبول منصب القضاء في الكوفة.

الجواب:

أوّلاً: ليس هناك أدنىٰ شك في أن شُريح القاضي كان رجلاً ذا سمعة سيئة ومحباً

---

(١) الغارات لابراهيم بن محمّد الثقفي: ج٢، ص٩٤٧.

للدنيا ومن الموالين لحكومات الجور والإستبداد، وكذلك في مدىٰ عناده مع شيعة أهل البيت عليهم السلام ـ بدليل شهادته المزيَّفة ضدحِجر بن عدي وخيانتة لهاني إبن عروة ـ وأنه كان من وعَّاظ السلاطين. إلّا أنَّ مايتعلق بعلاقة وصلة شُريح بمجريات حادثة قَتل الإمام الحُسَين عليه السلام وإصداره لفتوىٰ في هذه الجريمة فليس هناك أي دليل معتبر ومقنع في هذا الإتجاه.

وهنا لابد من الإشارة إلى رأي آية اللّه الشهيد قاضي الطباطبائي في هذه القضيَّة، وعدم عثوره علىٰ أية وثيقة أو سند يُثبت هذا الأمر. والمؤلف بدوره لم يحصل علىٰ آية وثيقة تدعم وجود مثل هذه الفتوىٰ.

وعليه فإنَّ جريمة شُريح القاضي تتلخَّص في عناده وعدائه للشيعة من جهة ونصرته لحكَّام زمانه الجبابرة من جهة أُخرىٰ. فالمختار وطبقاً لمقتضيات العدالة وتجسيداً لخطوة الإمام علي عليه السلام قام بإبعاد ونفي هذا الشخص. لاسيا وأنَّ الإمام علي عليه السلام كان قد أقسمَ بتنفيذ هذا الأمر والذي لم يتحقق بسبب إستشهاده.

رئيس شُرط المختار أو «الصقر الصائد»

قِيل «إنَّه ـ المختار ـ سُمي كيسان؛ بكيسان مولىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الذي حَمله علىٰ الطلب بدم الحُسَين عليه السلام ودَلَّه علىٰ قَتلته وكان صاحب سرِّه والغالب علىٰ أمره. وكان لا يبلغه عن رجل من أعداء الحُسَين عليه السلام أنه في دراً أو في موضع إلَّا قصدَه، فهدَم الدار بأسرها وقتلَ كل من فيها من ذي روح، وكل دار بالكوفة خراب فهي مما هدَمها، وأهل الكوفة يضربون به المثل، فإذا إفتقر إنسان قالوا دخلَ أبو عمرة بيته، حتىٰ قال فيه الشاعر:

إبليس بما فيه خير مـن أبي عـمرة يغويك ويطغيك ولا يعطيك كسرة[1]

ويقول الكشي: «لكيسان هذا دور مهم في إنتفاضة وإنتقام المخـتار، خاصة فيما يتعلق بملاحقة قَتلة الإمام الحُسَين عليه السلام وأصحابه الأبرار كالصقر الصائد وتسليمهم للعدالة وقد إنتخبه المختار رئيساً لشُرطته».[2]

(١) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي: ج١، ص٣٤٢ (مما يذكر أن هذا النص المتضمّن لعبارة قتل كل مَن فيها من ذي روح، قد جاء في هذا المصدر فقط ولم يجد المؤلف نصاً مشابهاً له في المصادر الأخرى).

(٢) رجال الكشي: ص ١٢٨، هامش الحديث ٢٠٤. و ج ١، ص ٣٤٢، طبعة بيروت (مجلدين).

الباب الثالث
المختار والجبهات الثلاث

الجبهات هي:

١ ـ جبهة الشام؛ بزعامة الأمويين وقيادة عُبيد اللّه بن زياد، وكانت هذه الجبهة قوية من حيث الكثرة في العدد والعدَّة.

٢ ـ جبهة الحجاز؛ بزعامة عبداللّه بن الزبير وقيادة مُصعَب بن الزبير (الأخ لعبداللّه).

٣ ـ الجبهة الداخلية؛ بزعامة قَتلة الإمام الحُسَين عليه السلام مثل؛ عمربن سعد، شمر بن ذي الجوشن، خولي بن يزيد الأصبحي، سِنان بن أنس النخعي، شبث بن ربعي وباقي منافقي الكوفة المجرمين. وكانت هذه الجبهة أخطر الجبهات.

كان المختار ينوي بعد الإستيلاء علىٰ الحكم في العراق والكوفة التحرُّك بداية نحو تصفية مسببي فاجعة كربلاء ومن ثمّ معاقبة العدو الرئيسي ومركز الفساد في الشام.

لذا وبعد هزيمة إبن المطيع (والي إبن الزبير) علىٰ يد المختار وسيطرة الأخير علىٰ العراق، قرر المختار تطهير الكوفة (مركز الحكومة) من المناوئين والتفرُّغ لتعبئة القوّات لقتال الشام. إلّا أنَّ المناهضين في الداخل ومسببي حادثة كربلاء الّذين

تواجَد أغلبهم في الكوفة إغتنموا الفرصة وتآمروا ضد المختار، مما دفع ذلك به إلى الإنتقام وإجتثات العناصر المعادية للثورة وقاتلي الإمام الحُسَين عليه السلام بأسرع وقت ممكن. وقد شكّلت هذه الخطوة إحدىٰ أهم الأهداف الإستراتيجية للمختار.

«وفي هذه السنة وثبَ المختار بمن كان بالكوفة من قَتلة الحُسَين والمشايعين علىٰ قتله، فقتلَ مَن قدر عليه منهم وهرب من الكوفة بعضهم فلم يقدر عليه. ذكرَ الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية مَن قتل منهم ومن هرب فلم يقدر عليه منهم وكان سبب ذلك فيما ذكره هشام بن محمّد عن عوانة بن الحكم، أنَّ مروان بن الحكم لمّا إستوثقت له الشام بالطاعة بعثَ جيشين أحدهما إلى الحجاز عليه حبيش إبن دلجة القيني وقد ذكرنا أمره وخبر مهلكه من قبل، والآخر منهما إلى العراق عليهم عُبيد اللّه بن زياد وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر «التوّابين» من الشيعة بعين الوردة. وكان مروان جعل لعبيد اللّه بن زياد إذ وجهه إلى العراق ما غلب عليه وأمرَه أن ينهب الكوفة إذا هو ظفرَ بأهلها ثلاثاً، قال: عوانة فمرَ بأرض الجزيرة فإحتبس بها وبها قيس عيلان علىٰ طاعة إبن الزبير وقد كان مروان أصاب قيساً يوم مرج راهط وهم مع الضحّاك بن قيس مخالفين علىٰ مروان وعلىٰ إبنه عبدالملك من بعده فلم يزل عُبيد اللّه مشتغلاً بهم عن العراق نحواً من سنة».[1]

هلاك مروان وتولّي عبدالملك

هلك مروان بن الحكم سنة (٦٦ هجرية) بعد حكم قصير وحلَ محله إبنه عبدالملك، وكان هدف الأخير الإستيلاء علىٰ العراق والحجاز وكان يعقب أهداف أبيه، فأبقىٰ إبن زياد علىٰ حكمه لولاية العراق وأمرَه أن يقضي علىٰ ثورة العراق وأن

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥١٣.

يحكمها وأوصاه بالحزم والشدّة.

وإستقر إبن زياد في الجزيرة شمال العراق لكنه لم يستطع التغلُّب علىٰ أزلام إبن الزبير فإتجه إلى الموصل؛ وخرج عبدالرحمن بن سعيد من الموصل مؤقتاً وإستقر في تكريت، يقول الطبري: «ثمّ إنه ـ عُبيد اللّه بن زياد ـ أقبل إلى الموصل فكتب عبدالرحمن بن سعيد بن قيس عامل المختار علىٰ الموصل إلى المختار أما بعد فإني أُخبرك أيُّها الأمير أنَّ عُبيد اللّه بن زياد قد دخل أرض الموصل وقد وجَّه قبلي خيله ورجاله وإني إنحزت إلى تكريت حتىٰ يأتيني رأيك وأمرَك والسلام عليك. فكتب إليه المختار؛ أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت كل ما ذكرت فيه فقد أصبت بإنحيازك إلى تكريت فلا تبرحنَّ مكانك الذي أنت به حتىٰ يأتيك أمري إن شاء اللّه والسلام عليك.»[1]

وكان هدف المختار وقبل كل شيءٰ القضاء علىٰ قَتلة الإمام الحُسَين وقادة حادثة كربلاء، إذ كانوا يشكِّلون خطراً حقيقياً عليه، ثمّ بعد قمع هؤلاء وإبادتهم يتجه نحو الشام. إلّا أنَّ حركة الشاميين أجبرته علىٰ تغيير الخطة فعمد إلى تجهيز الجيش لقتال الشاميين.

إرسال قوّات الثورة

قال موسىٰ بن عامر: «لما ورد ـ كتاب عبد الرحمن بن سعيد ـ علىٰ المختار، بعثَ إلى يزيد بن أنس فدعاه فقال له يا يزيد بن أنس إنَّ العالِم ليس كالجاهل وإنَّ الحق ليس كالباطل وإني أُخبرك خبرَ من لم يكذب ولم يُكذَب ولم يخالف ولم يرتَب وإنّا المؤمنون الميامين الغالبون المساليم وإنك صاحب الخيل الّتي تجر جعابها وتظفر

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥١٣ ـ ٥١٤.

أذنابها حتىٰ توردها منابت الزيتون غائرة عيونها لاحقة بطونها، أُخرج إلى الموصل حتىٰ تنزل أدانيها فإنّي ممدك بالرجال بعد الرجال فقال له يزيد بن أنس: سرِّح معي ثلاثة آلاف فارس أنتخبهم وخلّني والفرج الذي توجهنا إليه فإن إحتجت إلى الرجال فسأكتب إليك. قال له المختار: فاخرج فإنتخب علىٰ إسم اللّه من أحببت فخرج فإنتخب ثلاثة آلاف فارس فجعل علىٰ رَبع المدينة النعمان بن عوف إبن أبي جابر الأزدي وعلىٰ رَبع تميم وهمدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمداني وعلىٰ مذحج وأسد ورقاء بن عازب الأسدي وعلىٰ ربع ربيعة وكندة سعر بن أبي سعر الحنفي. ثمّ إنه فصلَ من الكوفة فخرج وخرج معه المختار والنّاس يُشيّعونه فلمّا بلغ دير أبي موسىٰ ودَّعه المختار وإنصرف، ثمّ قال له: إذا لقيت عدوك فلا تناظرهم وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخِّرها وليكن خبرك في كل يوم عندي وإن إحتجت إلى مدد فاكتب إليَّ مع أني ممدك ولو لم تستمدد فإنه أشَد لعضدك وأعَز لجندك وأرعَب لعدوك.»[١]

تجدر الإشارة إلى أنَّ الأسماء الّتي وردت كانت من وجهاء العراق وزعاماتها وشجعانها ومن الشيعة المخلصين والموالين لأهل البيت عليهم السلام.

إدعوا لي بالشهادة

«فقال له يزيد بن أنس: لاتمدني إلا بدعائك فكفىٰ به مدداً، وقال له النّاس: صحبك اللّه وأدّاك وأيَّدك وودَّعوه، فقال لهم يزيد سلوا اللّه لي الشهادة وأيّم اللّه لئن لقيتهم ففاتني النصر لاتفتني الشهادة إن شاء اللّه».[٢]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥١٤.

(٢) نفس المصدر.

كتاب المختار

بقلوب مفعمة بحب اللّه ورسوله وأهل بيته عليهم السلام تحـرَّك ٣٠٠٠ آلاف محـارب صنديد بقيادة رجل شجاع وبروحية إستشهادية نحو الموصل حيث يقبع جيش الرجس والنفاق بقيادة إبن زياد. «فكتب المختار إلى عبد الرحمن إبـن سـعيد بـن قيس ـ و اليه علىٰ الموصل ـ أما بعد فخلِ بين يزيد وبـين البـلاد إن شـاء اللّـه والسلام عليك. فخرج يزيد بن أنس بالناس حتىٰ بات بسورا ثمّ غدا بهم سائراً حتىٰ بات بالمدائن فشكا النّاس إليه ما دخلهم من شدة السير عليهم فأقام بهـا يوماً وليلة ثمّ إنه إعترض بهم أرض جوخىٰ حتىٰ خرج بهم في الراذانات حـتىٰ قطع بهم إلى أرض الموصل فنزل ببنات تلي».[1]

تحسُّب العدو

«وبلغ مكانه ومنزله الذي نزل به عُبيد اللّه بن زياد فسأل عن عدَّتهم فأخبرَته عيونه أنه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف فارس. فقال عُبيد اللّه: فأنا أبعث إلى كل ألف ألفين ودعا ربيعة بن المخارق الغنوي وعبداللّه إبن حملة الخثعمي فبعثهما في ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف وبعثَ ربيعة إبن المخارق أولاً ثمّ مكث يوماً ثمّ بـعث خلفه عبداللّه إبن حملة ثمّ كتب إليهما أيّكما سبق فهو أمير صاحبه وإن إنتهيتما جميعاً فأكبركما سناً أمير علىٰ صاحبه والجماعة. قال: فسبقَ ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو ببنات تلي فخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض مضني».[2]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥١٤.

(٢) نفس المصدر: ص ٥١٤ و ٥١٥ .

مرض قائد الجند

ومما يؤسف له أنَّ قائد جند الثورة مرضَ مرضاً شديداً في هذا الوقت العصيب الحسّاس ـ وربما كان ذلك بسبب الإسراع الحثيث وقلة الإستراحة ـ فعن أبي سعيد الصيقل قال: «خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض علىٰ حمار يمشي معه الرجال يمسكونه عن يمينه وعن شماله بفخذيه وعضديه وجنبيه فجعل يقف علىٰ الأرباع ربع ربع ويقول يا شُرطة اللّه إصبروا تؤجَروا وصابروا عدوكم تظفروا وقاتلوا أولياء الشيطان إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفاً، إن هلكت فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي، فإن هلك فأميركم عبداللّه إبن ضمرة العذري، فإن هلك فأميركم سعر بن أبي سعر الحنفي. قال وأنا واللّه فيمن يمشي معه ويمسك بعضده ويده وإني لأعرف في وجهه أن الموت قد نزل به.[1]

إصطفاف قتالي

قال أبوصقيل: «جعلَ يزيد بن أنس عبداللّه إبن ضمرة العذري علىٰ ميمنته وسعر إبن أبي سعر علىٰ ميسرته وجعل ورقاء بن عازب الأسدي علىٰ الخيل ونزلَ هو فوضِع بين الرجال علىٰ السرير، ثمّ قال لهم إبرزوا لهم بالعراء وقدِّموني في الرجال ثمّ إن شئتم فقاتلوا عن أميركم وإن شئتم ففروا عنه. قال فأخرجناه في ذي الحجة يوم عرفة سنة (٦٦) للهجرة فأخذنا نُمسك أحياناً بظهره فيقول: إصنعوا كذا إصنعوا كذا وإفعلوا كذا فيأمر بأمره ثمّ لايكون بأسرع من أن يغلبه الوجع فيوضَع هنيهة ويقتتل النّاس وذلك عند شفق الصبح قبل شروق الشمس، قال: فحملَت ميسرتهم علىٰ ميمنتنا فإشتد قتالهم وتحمل ميسرتنا علىٰ ميمنتهم فتهزمها

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥١٥.

ويحمل ورقاء بن عازب الأسدي في الخيل فهزمهم فلم يرتفع الضحىٰ حتىٰ هزمناهم وحوينا عسكرهم».(١)

هلاك قائد جند العدو

قال موسىٰ بن عامر العدوي: «إنتهينا إلى ربيعة بن المخارق صاحبهم وقد إنهزم عنه أصحابه وهو نازل ينادي يا أولياء الحق ويا أهل السمع والطاعة إليَّ أنا إبن المخارق؛ فأمّا أنا فكنت غلاماً حدثاً فهبته ووقفت ويحمل عليه عبداللّه بن ورقاء الأسدي وعبداللّه إبن ضمرة العذري فقتلاه».(٢)

أوضاع قوّات العدو

وكان إبن المخارق قد صفَّ قواته ونسقهم بصورة كاملة قبل مقتله؛ قال عمرو بن مالك أبو كبشة القيني: «كنت غلاماً حين راهقت مع أحد عمومتي في ذلك العسكر فلمّا نزلنا بعسكر الكوفيين عبأنا ربيعة بن المخارق فأحسنَ التعبئة وجعلَ علىٰ ميمنته إبن أخيه وعلىٰ ميسرته عبد ربه السلمي وخرجَ هو في الخيل والرجال وقال: يا أهل الشام إنكم إنما تُقاتلون العبيد الإباق وقوماً قد تركوا الإسلام وخرجوا منه ليست لهم تقيّة ولا ينطقون بالعربية. قال: فواللّه إن كنت لأحسب أن ذلك كذلك حتىٰ قاتلناهم، قال: فواللّه ما هو إلّا أن إقتتل النّاس إذا رجل من أهل العراق يعترض النّاس بسيفه وهو يقول:

برئت من دين المحكمينا   وذاك فينا شر دين دينا

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥١٥.

(٢) نفس المصدر: ص ٥١٥ ـ ٥١٦.

ثمّ إنَّ قتالنا وقتالهم إشتد ساعة من النهار ثمّ إنهم هزمونا حين إرتفعَ الضحىٰ فقتلوا صاحبنا وحووا عسكرنا فخرجنا منهزمين.[1]

إعادة صفوف العدو والهزيمة المكررة

يضيف القيني إلى حديثه فيقول: «فخرجنا منهزمين حتىٰ تلقّانا عبداللّه إبن حملة علىٰ مسيرة ساعة من تلك القرية الّتي يُقال لها ببنات تلي فردَنا فأقبلنا معه حتىٰ نزل بيزيد بن أنس فبتنا متحارسين حتىٰ أصبحنا فصلَّينا الغداة ثمّ خرجنا علىٰ تعبئة حسنة فجعلَ علىٰ ميمنته الزبير إبن حريمة من خثعم وعلىٰ ميسرته إبن أقيصر القحافي من خثعم وتقدَّم في الخيل والرجال وذلك يوم الأضحىٰ فاقتتلنا قتالاً شديداً ثمّ إنهم هزمونا هزيمة قبيحة وقتلونا قتلاً ذريعاً وحووا عسكرنا وأقبلنا حتىٰ إنتهينا إلى عُبيد اللّه بن زياد فحدَّثناه بما لقينا.»[2]

لقد مُنيَ (٦٠٠٠) من جند العدو أمام (٣٠٠٠) مقاتل مؤمن بهزيمة نكراء بالاضافة إلى مقتل قائدَيها وسقوط العدد الكثير من هؤلاء الجند موتىٰ في هذه المواجهة.

يقول موسىٰ بن عامر: «أقبل إلينا عبداللّه إبن حملة الخثعمي فإستقبله ربيعة بن المخارق الغنوي فردَّهم ثمّ جاء حتىٰ نزل ببنات تلي فلمّا أصبح غادوا وغادينا فتطارت الخيلان من أول النهار ثمّ إنصرفوا وإنصرفنا حتىٰ إذا صلَّينا الظهر خرجنا فاقتتلنا ثمّ هزمناهم. قال: ونزل عبداللّه إبن حملة فأخذ ينادي أصحابه الكرَّة بعد الفرّة: يا أهل السمع والطاعة فحمل عليه عبداللّه بن قراد الخثعمي فقتله وحَوينا عسكرهم وما فيه وأتىٰ يزيد بن أنس بثلثمائة أسير وهو في السوق

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥١٦.

(٢) نفس المصدر .

فأخذ يومئ بيده أن إضربوا أعناقهم فقُتلوا من عند آخرهم».[١]

وبدأت الحرب بين جند الثورة بقيادة يزيد بن أنس وجند الشام بـقيادة إبـن زياد في يوم عرفة من ذي الحجّة سنة (٦٦ هجرية)، وفي اليوم التالي الذي يصادف يوم عيدالأضحىٰ إنتهت المعركة بهزيمة ساحقة لطلائع جيش الشام فكانوا قرابين للنصر الساحق لجند المؤمنين.

موت قائد

«قال يزيد بن أنس: إن هلكت فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي فما أمسىٰ حتىٰ مات ـ رحمه اللّه وأسكنه فسيح جناته ـ نعم لقد رحل هذا القائد العظيم بعد أن أدىٰ رسالته ووقف بجسارة وجرأة أمام جيش بضِعف عدد قواته وهزمهم شرَّ هزيمة وتركَ أجسادهم طعاماً للكواسر ولقَّـن الشـاميين درسـاً بـليغاً في الجـرأة والبسالة ـ فصلّىٰ عليه ورقاء بن عازب ودفنه فلمّا رأىٰ ذلك أصحابه أسقط في أيديهم وكسر موته قلوب أصحابه وأخذوا في دفنه فقال لهم ورقاء: يا قوم ماذا ترون أنه قد بلغني أنَّ عُبيد اللّه إبن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام فأخذوا يتسللون ويرجعون.»[٢]

إجتماع شورىٰ القيادة

وبعد تولّي ورقاء بن عازب الأسدي إمـارة الجـيش وقـيادته «دعـا رؤوس الأرباع وفرسان أصحابه فقال لهم: يا هؤلاء ماذا ترون فيما أخبرتكم إنما أنا رجل منكم ولست بأفضلكم رأياً فأشيروا عليَّ فإنَّ إبن زياد قد جاءكم في جند أهل

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥١٦.

(٢) نفس المصدر: ص٥١٦ ـ ٥١٧.

الشام الأعظم وبجلّتهم وفرسانهم وأشرافهم ولا أرىٰ لنا ولكم بهم طاقة علىٰ هذه الحال وقد هلك يزيد بن أنس أميرنا وتفرَّقت عنَّا طائفة منَّا، فلو إنصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم وقبل أن نَبلُغهم فيعلموا أنّا إنما ردَّنا عنهم هلاكُ صاحبنا فلا يزالوا لنا هائبين لقتلنا منهم أميرهم! ولأنا إنما نعتل لإنصرافنا بموت صاحبنا وإنّا إن لقيناهم اليوم كُنا مخاطرين، فإن هُزِمنا اليوم لم تنفعنا هزيمتُنا إيّاهم من قبل اليوم. قالوا فإنك نعمّا رأيت، إنصرف رحمك اللّه. فإنصرَف».[١]

إنعكاس خبر موت أحد قادة الثوار

إنتشر خبر إنسحاب الجند الثوّار ومقتل أميرهم في الكوفة إنتشار النار في الهشيم، وإستغل المنافقون هذا الخبر أبشع إستغلال وبدأوا يُروجون الشائعات ضد المختار والشيعة وعزوا الموت الطبيعي لأمير الجند الثوار علىٰ أنه قد قُتلَ بعد إندحار جنده؛ «فبلغَ مُنصَرَفُهم ذلك المختار وأهل الكوفة فأرجف النّاس ولم يعلموا كيف كان الأمر أنَّ يزيد بن أنس هلك وأنّ النّاس هُزموا، فبعث إلى المختار عامله علىٰ المدائن عيناً له من أنباط السواد فأخبره الخبر.»[٢]

إرسال إبراهيم بن مالك الأشتر

فلمّا رأىٰ المختار ذلك «دعا إبراهيم بن الأشتر فعقدَ له علىٰ سبعة آلاف رجل ثمّ قال له سر حتىٰ إذا أنت لقيتَ جيش إبن أنس فأرددهم معك ثمّ سِر حتىٰ تلقىٰ عدوّك فُتناجزهم. فخرج إبراهيم فوضع عسكره بحمّام أعيَن.»[٣]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥١٧.

(٢) نفس المصدر . (٣) نفس المصدر .

◘ الفصل العاشر

تمرُّد في الكوفة

الباب الأول
توتُّر في الكوفة

شكّل وصول خبر إستشهاد القائد الميداني «يزيد بن أنس» صاحب المختار الوفي وعودة القوات وإنتشار الشائعات ضد الثوار فرصة مؤاتية لزعماء الفتنة والنفاق للتآمر عملياً ضد المختار والقضاء عليه. سيما وأنَّ الكوفة كانت آنذاك مهيئة عملياً لمثل هذا الخطوة وذلك لإنتساب أكثر قتلة الإمام الحُسَين عليه السلام لهذه المدينة، إضافة إلى رؤية هؤلاء في إنتصار المختار خطراً حقيقياً يحيق بهم. وبالرغم من أنَّ المختار حتّىٰ ذلك الوقت كان قد أخفىٰ حقيقة نيَّته في الإنتقام من قتلة الإمام الحُسَين عليه السلام وإظهار عدم معاداته لمن لايخرج عليه ممن شاركوا في حادثة كربلاء والإيحاء فقط بأنَّ هدفه الأساسي يكمن في محاربة أهل الشام والحكومة المركزية الأموية.

إلّا أنَّ هؤلاء القتلة شرعوا في التقرُّب إليه خوفاً وطمعاً وتارة مبايعته برغم قلقهم المستمر من الوقوع في فخه. ولذا فقد رأوا أنّ الظروف مؤاتية لفتح جبهة جديدة في مواجهة المختار والقضاء عليه ووضع حد لإنتصارات ثورة الشيعة والمطالبين بدم الإمام الحُسَين عليه السلام.

إنَّ قَتلة الإمام الحُسَين عليه السلام ومتآمري الكوفة كانوا متذمِّرين وناقمين علىٰ المختار ويتحيَّنون الفُرص للتمرد عليه لعدة أسباب:

١ ـ كان المختار من الموالين والمتعصبين لأهل بيت النبي ﷺ، وقد ثار إنتقاماً لدمائهم الطاهرة. فإن نفَّذَ هذا الثأر فسيكون من الطبيعي حصر جميع الّذين شاركوا في إراقة دم الإمام الحُسَين عليه السلام وشهداء الطف المظلومين في دائرة المطلوبين للقصاص.

٢ ـ شكّلَ إلتفاف الفقراء ومحرومي الكوفة خاصة الموالي وأهل فارس ـ ممن عانوا إلى ذلك الوقت جميع أنواع الظلم والممارسات العنصرية وحُرموا من أبسط حقوقهم العامة علىٰ يد أزلام الحكم الأموي وولاة إبن الزبير ـ حول ثورة المختار موجة من السخط لدىٰ مترفي وأشراف الكوفة الّذين لم يُخفوا ذلك من خلال أقوالهم وأحاديثهم.

٣ ـ إنَّ إستمرار إنتصارات المختار كان سيزيد في إحتمالات إنتصار المستضعفين والشيعة وبسط نفوذهم وسلطتهم لاحقاً. وهو ما يعني في نظر مترفي وأشراف وزعماء الكوفة والمناوئين للثورة الموت الحتمي لهم.

ولتوضيح النقاط المذكورة نشير إلى بعض نصوص الخطب وإجتماعات زعماء الكوفة المناوئين للثورة. ومن الضروري التذكير هنا بأنّ زعامة المناوئين للثورة في الكوفة خلال هذه المرحلة كانت في عُهدة المنافق والعنصر الأساسي للخيانة «شبث بن ربعي». وسنسعىٰ إلى إزالة القِناع عن وجه هذه الشخصية بُغية التعرُّف علىٰ حقيقة المؤامرة الّتي حِيكت ضد المختار في مركز حكومته.

من هو شبث بن ربعي؟

يُعرّف آية اللّه الخوئي شبث بن ربعي بالوصف التالي: «شبث (شيث) بن ربعي: من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، رجع إلى الخوارج».[1]

(١) معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي: ج١٠، ص١٤.

وقال الباقر عليه السلام: «جُددت أربعة مساجد بالكوفة فرحاً بقتل الحُسَين عليه السلام: مسجد الأشعث ومسجد جرير ومسجد سمّاك ومسجد شبث بن ربعي».[١]

ونهىٰ أمير المؤمنين عليه السلام «بالكوفة عن الصلاة في خمسة مساجد: مسجد الأشعث بن قيس ومسجد جرير بن عبدالله البجلي ومسجد سمّاك إبن محرمة (خرشة) ومسجد شبث بن ربعي ومسجد التيم (الهيثم)».[٢]

وكان ممن أرسلوا كتاباً إلى الإمام الحُسَين عليه السلام يدعوه إلىٰ القدوم؛ فذكّره الحُسَين عليه السلام يوم عاشوراء فنادىٰ: «يا شبث بن ربعي يا حجار بن أبجر يا قيس بن الأشعث يا يزيد بن الحارث ألم تكتبوا إليَّ أن قد أينعت الثمار وإخضر الجناب وإنما تقدِم علىٰ جند لك مجنَّدة؟!»[٣]

وقال له الإمام علي عليه السلام يوماً: «أما والله يا شبث بن ربعي، وأنت يا عمرو بن حريث، ومحمّد إبنك، ويا أشعث بن قيس، لتقتُلَن إبني الحُسَين عليه السلام، هكذا حدَّثني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله. فالويل لمن رسول الله صلى الله عليه وآله خصمه وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله».[٤]

وقال عنه الشيخ محمّد السماوي: «شَبَث بن ربعي[٥] بن حصن التميمي الرياحي، كان مؤذن سجاح المتنبئة فيما ذكره الدارقطني.[٦] ثمّ أسلم وصار من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ تحول بعد صفّين خارجياً...»[٧]

---

(١) تذكرة الفقهاء للعلّامة الحلّي: ج٢، ص٤٢٦، الكافي ج٣، ص٤٩٠، التهذيب: ج٣، ص٢٥٠ و ٦٨٧.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٣، ص٥٢٠.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٩٨.

(٤) مدينة المعاجز للسيّد هاشم البحراني: ج٣، ص١٧١.

(٥) بفتح الشين المعجمة والباء المفردة ثمّ ثاء مثلثة وكسر راء ربعي وسكون بائه المفردة.

(٦) لاحظ تهذيب الكمال: ج٢٣، ص٣٥٢، وتقريب التهذيب: ج١، ص٣٤٤، والمعارف لابن قتيبة: ص٤٠٥.

(٧) أبصار العين في أنصار الحُسَين(ع) للشيخ محمّد السماوي: ص٣٩.

وقال عنه صاحب منهاج البراعة: «... شبث بن ربعي، وهذا الرجل كان مضطرب الحال مشوَّش البال غير ثابت علىٰ الطريق، منافقاً؛ متلوناً؛ متجرياً؛ تابع كل ناعق ومثير كل فتنة»[١]

وبعد إستشهاد الإمام الحسنعليه السلام وإستيلاء معاوية علىٰ الحكم، إلتحق شبث بمعاوية وكان ممن أرسل كتاباً إلى الحُسَين ودعاه إلى العراق وعندما إستولى إبن زياد علىٰ الكوفة، وقف بجانب إبن زياد وقاتلَ مسلم بن عقيل، وكان من جملة قادة جيش إبن زياد لقتال الحُسَينعليه السلام تحت إمرة إبن سعد، ولم يكن يطيع جميع أوامر إبن سعد في المعركة وندمَ بعد عاشوراء ولامَ نفسه وأصبح من أصحاب إبن الزبير عند إستيلاءه علىٰ الكوفة، وكان مخالفاً للتوّابين وكان من جملة قيادات إبن المطيع عند قتاله المختار.[٢]

وبعد إنتصار المختار وإستيلائه علىٰ الكوفة، غيَّرَ شبث جهته درجة وبايَع المختار.[٣]

وكان خائفاً بشدة من إنتصار الشيعة وثورة المختار ومرعوباً منهم. وكان يتحيَّن الفُرص ليغدر بالمختار وأصحابه وقد حظيَ بهذه الفرصة عندما خرجَ جيش المختار بقيادة يزيد بن أنس لقتال قوّات الشام.

وبموت يزيد وعودة الجيش وإنتشار شائعات هزيمة الجيش وإندحار الثورة طبقاً لخطة المنافقين في الكوفة، عندها دخل شبث في مرحلة جديدة من التآمر ضد المختار.

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج١٥، ص٣٨٢.

(٢) أنظر الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٣٦، ٢٠، ٦٢، ٩٨، ١٧٢، ٢١٧.

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج١٥، ص٣٨٢.

الإشاعات المغرضة ضد المنتفضين

يقول الطبري: «لمّا مات يزيد بن أنس التقىٰ أشراف النّاس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا: قتِل يزيد بن أنس ولم يصدّقوا أنه مات وأخذوا يقولون واللّه لقد تأمَّر علينا هذا الرجل بغير رضاً منَّا ولقد أدنىٰ موالينا فحمَلهم علىٰ الدواب وأعطاهم وأطعَمهم فيئنا، ولقد عصانا عبيدنا فحرِب بذلك أيتامنا وأراملنا فاتَّعدوا منزلَ شبث بن ربعي وقالوا: نجتمع في منزل شيخنا؛ وكان شبث جاهلياً إسلامياً».[1]

التآمر في بيت «شبث بن ربعي»

«فاجتمعوا ـ زُعماء ووجوه الأعراب المتآمرين والساكنين في الكوفة والمرعوبين من إنتصار المختار وإنتفاضته علىٰ الرغم من أنَّهم أظهروا له الولاء وبايعوه عند تسلّطه علىٰ الكوفة والعراق، لكنَّهم في الباطن كانوا يضمرون له كل العداء ـ فأتوا منزل ـ شبث بن ربعي ـ فصلّىٰ بأصحابه ثمَّ تذاكروا هذا النحو من الحديث قال: ولم يكن فيما أحدث المختار عليهم شيئ هو أعظم من أن جعل للموالي من الفيئ نصيباً ـ وبعدما إستمع لهم العجوز المنافق بدقة وتأنٍ ـ قال لهم شبث دعوني ألقاه».[2]

لقاء شبث مع المختار

وبصفته قائداً لمنافقي الكوفة وزعيم الأشراف والمناوئين للثورة قصدَ المختار «فلقيه فلم يدع شيئاً مما أنكره أصحابه إلّا وقد ذاكرَه إيّاه فأخذ لايذكر خصلةً إلّا

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥١٧ ـ ٥١٨.

٢) نفس المصدر .

قال له المختار أُرضِيهم في هذه الخَصلة، وآتي كلّ شئ أحبوا؛ قال: فذكر المماليك، قال: فأنا أردّ عليهم عبيدهم، فذكر له الموالي، فقال: عمدتَ إلىٰ موالينا وهم فيٌ أفاءَه اللّه علينا وهذه البلاد جميعاً فأعتقنا رقابهم نأمل الأجرَ في ذلك والثواب والشكر فلم ترض لهم بذلك حتىٰ جعلتهم شركاءنا في فيئنا، فقال لهم المختار: إنْ أنا تركتُ لكم مواليكم وجعلت فيئَكم فيكم، أتقاتلون معي بني أُميّة وإبن الزبير وتعطون علىٰ الوفاء بذلك عهد اللّه وميثاقه وما أطمئن إليه من الأيمان؟ فقال شبث: ما أدري حتىٰ أخرج إلى أصحابي فأُذاكرهم ذلك، فخرج فلم يرجع إلى المختار؛ وأجمع رأي أشراف أهل الكوفة علىٰ قتال المختار».[١]

جهوزية المتمرِّدين

ينقل التاريخ أن مسببي واقعة كربلاء وزعماء و مترفي الكوفة تعبَّأوا لقتال المختار وبدأوا يعدُّون العدَّة والسلاح، يقول الطبري: «وجاء شبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن ومحمّد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس حتىٰ دخلوا علىٰ كعب بن أبي كعب الخثعمي فتكلّم شبث فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ أخبره باجتماع رأيهم علىٰ قتال المختار وسأله أن يجيبهم إلى ذلك وقال فيما يَعيُب به المختار: إنَّهُ تأمَّر علينا بغير رضاً منّا وزعم أنَّ إبن الحنفيّة بعثه إلينا وقد علِمنا أنَّ إبن الحنفيّة لم يفعل، وأطعم موالينا فيئنا وأخذ عبيدنا فحرِب بهم يتامانا وأراملنا وأظهر هو وسَبَئيته.[٢] البراءة من أسلافنا الصالحين. قال: فرحَّب بهم كعب بن أبي كعب

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥١٧ ـ ٥١٨.

(٢) السبئية تقال لعصابة «عبداللّه بن سبأ» وكانت تعتقد بالحلول والتناسخ والغلو في الأئمة، وكانت هذه من الإفتراءات الّتي افتراها المتآمرون علىٰ المختار، ويقذف المغرضون من السنّة بهذه التهمة شيعة أهل البيت (عليهم‌السلام) ويسمونهم السبأية.

وأجابهم إلى ما دَعَوه إليه».[١]

ثمّ انّ: «أشراف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا علىٰ عبدالرحمن بن مخنف فدعَوه إلى أن يجيبهم إلى قتال المختار فقال لهم: يا هؤلاء إنكم إن أبيتم إلّا أن تخرجوا لم أخذلكم وإن أنتم أطعتموني لم تخرجوا. فقالوا: لم قال: لأني أخاف أن تتفرّقوا وتختلفوا وتتخاذلوا، ومع الرجل واللّه شجعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم، أليس معه فلان وفلان! ثمّ معه عبيدُكم ومواليكم وكلمةُ هؤلاء واحدة وعبيدكم ومواليكم أشدّ حَنقاً عليكم من عدوّكم»[٢]. «فهو مقاتلكم بشجاعة العرب وعداوة العجَم، وإن إنتظرتموه قليلاً كُفيتموه بقدوم أهل الشام أو بمجيئ أهل البصرة فتكونوا قد كُفيتموه بغيركم ولم تجعلوا بأسكم بينكم، قالوا ننشدك اللّه أن تخالفنا وأن تُفسد علينا رأينا وما قد إجتمعت عليه جماعتُنا».[٣] قال: «فأنا رجلٌ منكم، فإذا شئتم فاخرجوا. فسار بعضُهم إلى بعض وقالوا: انتظروا حتىٰ يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر، فأمهلوا حتىٰ إذا بلغ إبن الأشتر ساباط وثَبوا بالمختار».[٤]

عناصر التمرُّد

كان أغلب عناصر التمرد من وجهاء الكوفة وممن إشتركوا في قتال الحُسَين عليه السلام، قد عبّئوا قواتهم في ذي الحجة سنة (٦٦هجرية) وتهيأوا لمواجهة المختار في مركز حكومته، وذلك في الوقت الذي كانت فيه قوّات المختار بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر تتجحفل في الساباط لقتال الشاميين خارج مدينة الكوفة. فخرج رؤوس

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥١٨.

٢) نفس المصدر: ص ٥١٨ ـ ٥١٩.

(٣) نفس المصدر.

٤) نفس المصدر .

النفاق كلٌ علىٰ جماعته وإتَّخذَت كل مجموعة منهم أحد مناطق الكوفة المهمة مقراً للقيادة. «فخرج:

١ ـ عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني في همدان في جبَّانة السَّبيع.[١]

٢ ـ زحر بن قيس الجعُفي وإسحاق بن محمّد بن الأشعث في جبّانة كندة.[٢] فخرج إليهما جبير الحضرمي فقال لهما: أُخرُجا عن جبَّانتنا فإنَّا نكره أن نُعَري بشرّ، فقال له إسحاق بن محمّد: وجبانتكم هيَ؟ قال نعم، فانصرفوا عنه؛

٣ ـ كعب بن أبي كعب الخثعمي في جبّانة بشر.

٤ ـ سار بشير بن جرير بن عبدالله إليهم في بجيلة.

٥ ـ وخرج عبدالرحمن بن مخنف في جبّانة مخنف.

٦ ـ وسار إسحاق بن محمّد وزحر بن قيس إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بجبّانة السَّبيع، وسارت بجيلة وخشعَم إلى عبدالرحمن بن مخنف وهو بالأزد.

٧ ـ وخرج شمر بن ذي الجوشن حتىٰ نزل بجبّانة بني سَلول في قيس.

٨ ـ ونزل شبث بن ربعي وحسان بن فائد العبسي وربيعة بن ثروان الضبي في مُضر بالكُناسة.

٩ ـ ونزل حجَّار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رؤيم في ربيعة فيما بين التَّمارين والسبخة.

١٠ ـ ونزل عمرو بن الحجَّاج الزَّبيدي في جبّانة مراد بمَن تبعه من مَذحج، فبعث إليهم أهل اليمن: أن ائتنا فأبىٰ أن يأتيهم وقال لهم: جدّوا فكأني قد

---

(١) جبّانة والجبّانة: الصحراء وتسمى بها المقابر، لأنها تكون في الصحراء تشبيه للشئ بموضعه، ومنه الحديث: إنما الصلاة يوم العيد علىٰ من خرج إلى الجبّانة، والجبان بدون الهاء، الصحراء أيضاً كالجبانة ومنه حديث المباهلة: وأبرز أنت وهو إلى الجبّان (مجمع البحرين، لغة جبن) وتفسير كنز الدقائق: ج٢، هامش ص٩٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥١٨ ـ ٥١٩.

أتيتكم».[١]

يمكنكم مراجعة الخارطة المرفقة بالكتاب للإطلاع علىٰ مواضع المنافقين وإنتشارهم ومناطق الاصطدام، وكان أغلب قيادات قوّات التمرد من قَتلة الحُسَين عليه السلام إستقروا في تسع نقاط حسّاسة في مدينة الكوفة إلّا أنَّ غالبية قوّاتهم كانت في ساحة سَّبيع وكان المختار فَرِحاً من نقطة الضعف هذه وكان يأمل بأن يُحاصرهم بمكان واحد ويقضي عليهم بالكامل ويُبيدهم عن بُكرة أبيهم.

«وبلغ الّذين في جبّانة السِّبيع أنَّ المختار قد عبّأ لهم خيلاً ليسير إليهم فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضاً إلى الأزد وبجُيلة وخشعم يسألونهم باللّه والرحَم لَما عجّلوا إليهم، فساروا إليهم وإجتمعوا جميعاً في جبّانة السِّبيع، ولما أن بلغ ذلك المختار سَرَّه إجتماعهم في مكان واحد».[٢]

رد فعل المختار

فلمّا أحسَ المختار بالمؤامرة ونوايا المتآمرين، «بعثَ رسولاً من يومه يقال له عمرو إبن توبة بالركض إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط؛ أن لا تضع كتابي من يدكَ حتىٰ تُقبِل بجميع من معك إليَّ».[٣] أضحىٰ المختار وأصحابه في محاصرة الأعداء، فيما إتسمت الأوضاع في الكوفة بالحساسية والخطورة الفائقة. فكان القيام بأية خطوة غيرمحسوبة يمكن أن تؤدي إلى نتائج لاتحمد عقباها، كإنزال ضربة قاصمة بالمختار وأتباعه. لذا رأىٰ المختار ضرورة إتخاذ جانب الحذر والعمل علىٰ إلهاء العدو والتمويه عليه لحين وصول قوّات النجدة إليه من جانب القائد إبراهيم

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥١٨ ـ ٥١٩.

(٢) نفس المصدر: ص ٥١٩.

(٣) نفس المصدر: ص٥١٩ ـ ٥٢٠.

الأشتر. وعليه فقد قامَ وقبل إتخاذ أي رد فعل والـتَمترس للـحرب، بمـخاطبة الزعماء المناوئين للثورة، حيث «بعثَ إليهم ـ ممثلين عنه ـ في ذلك اليوم ـ يسألونهم ـ أخبروني ما تريدون؟ فإنّي صانعٌ كل ما أحببتم، قالوا إنّا نُريد أن تعتزلنا فإنّكَ زعمت أن إبن الحنفيّة بعثكَ. ولم يَبعثك. فأرسلَ إليهم المختار أن إبعثوا إليـه مـن قِبلكم وفداً، وأبعث إليه من قِبلي وفداً ثمّ أُنظروا في ذلك حتىٰ تتبيّنوه وهو يُريد أن يُريّثهم بهذه المقالة ليقدِمَ عليه إبراهيم بـن الأشـتر. وقـد أمـرَ أصـحابه فكـفوا أيديهم».[١]

المختار في محاصرة المتمردين

إستولىٰ المتمردون بزعامة أشراف ومترفي الكوفة علىٰ جميع المناطق والمراكـز الحسّاسة والطرق والساحات وبوابات الكوفة. وأصبحت دار الإمارة الساقطة بيد المختار والثوار محاصَرة من جميع الجـهات. يقول الطبري: «وقد أخذَ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك فليس شيءُ يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه مـن المـاء إلا القليل الوتح يجيئهم إذا غفلوا عنه».[٢]

لم يرغب المختار في هذا الوضع الحساس في مواجـهة المـتمردين قـبل عـودة إبراهيم الأشتر وقوّاته إلى الكوفة. إلّا أنَّ ضغوط الحصار أدَّت إلى حدوث بعض المناوشات بين قوّات المختار القليلة العدد مع المتمردين ذات الأكثرية. الأمر الذي مثّل في الواقع الخطوة الذكية من قبل المختار لإدارة المـوقف عسكـرياً والمـناورة لشغل الأعداء إلى حين وصول قوّات إبراهيم الأشتر.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥١٩ـ٥٢٠.

(٢) نفس المصدر .

وكان زعماء التمرُّد من مجرمي واقعة الطف وقتلة الإمام الحُسَينعليه السلام قد جهَّزوا أنفسهم لمحاربة المختار. وكان متوقعاً سقوط دار الإمارة ومقتل المختار وأصحابه في أية لحظة. والمختار بدوره ظل صامداً يُدير الحرب بكياسة وحزم دقيق بُغية منع حدوث مواجهة كبرىٰ مع جند العدو بالرغم من وقوع مناوشات متفرِّقة هنا وهناك.

يقول الطبري عن هذه الواقعة: «خرجَ عبداللّه بن سَّبيع في الميدان فقاتله شاكر قتالاً شديداً فجاءه عقبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتىٰ ردَّ عاديتهم عنه ثمّ أقبلا علىٰ حاميتهما يسيران حتىٰ نزل عقبة بن طارق مع قيس في جبّانة بني سلول وجاء عبداللّه بن سَّبع حتىٰ نزلَ مع أهل اليمن في جبّانة السَّبيع».[1]

ثمّ «أنَّ شمر بن ذي الجوشن أتىٰ أهل اليمن فقال لهم إن إجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنَبتَين ونُقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم وإلاّ فلا واللّه لا أُقاتل في مثل هذا المكان في سكك ضيِّقة ونُقاتل من غير وجه. فانصرف إلى جماعة قومه في جبّانة بني سلول».[2]

عودة إبراهيم بن مالك الأشتر

كانَ لوقع خبر عودة إبراهيم الأشتر والمقاتلين إلى القرب من مدينة الكوفة الأثر الإيجابي والواعد والسار علىٰ قوّات المختار، مقابل إدخال الحُزن والرعب في قلوب المتمردين الأعداء. «لما خرجَ رسول المختار إلى إبن الأشتر بلَغه من يومه عشية، فنادىٰ في النّاس أن إرجعوا إلى الكوفة. فسارَ بقية عشيَّته تلك ثمّ نزلَ حين أمسىٰ فتعشّىٰ أصحابه وأراحوا الدواب ثمّ نادىٰ في النّاس فسار ليلته كلها ثمّ صلّىٰ

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٠.

(٢) نفس المصدر.

الغداة بسورا، ثمّ سارَ من يومه فصلّىٰ العصر علىٰ باب الجسر من الغد، ثمّ أنه جاء حتىٰ باتَ ليلة في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجَلد، حتىٰ إذا كان صبيحة اليوم الثالث من مخرجهم علىٰ المختار؛ خرج المختار إلى المنبر فصعده».(١)

خدعة الأعداء

بدخول إبراهيم والقوّات الّتي بإمرته إلى الكوفة، حبطَت جميع خطط المتمردين من أشراف الكوفة الّذين كانوا يأملون القضاء علىٰ المختار في غياب إبراهيم، وإنقلب السحر علىٰ الساحر وأصبحوا في موقف لايُحسدون عليه. فبدرَ كبير أشراف الكوفة ـ شبث بن ربعي؛ هذا الرجل المتلوّن والخطير في يوم وصول إبراهيم وتَبدُّل الأوضاع لصالح المختار وشيعته ـ إلى خطة لخداع المختار، عبر إيهامه بعدم وجود أية نوايا للحرب وأنَّ ماجرىٰ معه ليس إلّا غوغاء قصير وإنتهىٰ. وذلك أملاً في قيام المختار بإعادة إبراهيم وجيشه بإتجاه الشام، ومن ثمّ حرمان الثوّار من هذه القوة الفاعلة وإتاحة الفرصة ثانية لهم للإنقضاض علىٰ المختار. لهذا: «بعثَ إلى ـ المختار ـ إبنه عبد المؤمن فقال له إنما نحن عشيرتك وكف يمينك، لا واللّه لانُقاتلك فثق بذلك منّا، وكان رأيه قِتاله ولكنه كادَه»(٢)، وكان المختار قد فطِنَ إلى خدعة شبث فوءَدها ولم يُرتِّب عليها أي أثر.

الإختلاف بين المتمردين

وبينما كانت الكوفة تتجه نحو الحرب الأهلية الشاملة بين قتلة الإمام الحُسَينعليه‌السلام من أشراف الكوفة ورجالاتهم وبين المختار وإبراهيم وشيعة أهل

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٢٠.

(٢) نفس المصدر .

البيت عليهم السلام الثوريين المقاوميين. فإنَّ أغلب قوّات زعماء الكوفة كانوا قد إستقروا في ميدان سَّبيع، «ولما أن إجتمع أهل اليمن بجّبانة السَّبيع حضرت الصلاة، فكرَهَ كل رأس من رؤوس أهل اليمن أن يتقدمه صاحبه، فقال لهم عبد الرحمن بن مخـنف: هذا أول الإختلاف قَدِموا الرضىٰ فيكم فإن في عشيرتكم سيّد قُرّاء أهل المُـضر فليُصلِ بكم رفاعة بن شدّاد الفتياني[١] من بجيلة ففعلوا فلم يزَل يُصلّي بهم حتىٰ كانت الوقعة».[٢]

خبر سار

ثمّ «أنَّ أنس بن عمرو الأزدي إنطلق فدخل في أهل اليمن وسمِعهم وهم يقولون: إن سارَ المختار إلى إخواننا من مُضر سِرنا إليهم، وإن سارَ إلينا ساروا إلينا، فسمعِها منهم رجل وأقبل جواداً حتىٰ صعدَ إلى المختار علىٰ المنبر فأخبره بمقالتهم، فقال: أما هم فخُلقاء لو سُرت إلى مضر أن يسيروا إليهم، وأمّا أهل اليمن فأشهَـد لئن سرت إليهم لاتَسير إليهم مُضر؛ فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجل ويُكرِمه».[٣]

---

(١) رفاعة بن شدّاد الفتياني؛ وفتيان بطن من بجيلة من اليمن أبو عاصم كان من أصـحاب الإمـام عـلي(ع) المخلصين ومِن قيادات ثورة التوّابين وثورة المختار وممن، إنقلب من عين الوردة حين قُتلَ سليمان بن صرد في تسعة آلاف من أصحابه فلحقهم عُبيد اللّه بن زياد في أهل الشام فقتلهم عـن آخـرهم، مشـاهير عـلماء الأمصار لابن حبان ص١٧٢. وأيضاً: هو صديق قديم لسليمان بن صرد بيد أنه انزعج انزعاجاً شديداً حينما سمع صيحة الأشراف: (يا لثارات عثمان!) ترِن إلى جانب وفي مقابل صيحة الشيعة: (يا لثـارات الحُسَـين!) فاندفع يائساً إلى هوة الموت، الخوارج والشيعة: ص١٣٥ ـ ١٣٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٠.

(٣) نفس المصدر: ص ٥٢٠ ـ ٥٢٤.

الباب الثاني
حرب في الكوفة

بعد تكامل إستعدادات جند المختار، قام بتقسيمه إلى مجموعتين. وضعَ الأولىٰ تحت إمرة إبراهيم الأشتر، فيما قادَ شخصياً أمر المجموعة الثانية.

«ثمّ أنَّ المختار نزلَ فعبَّأ أصحابه في السوق، والسوق إذ ذاك ليس فيها هذا البناء، فقال لإبراهيم بن الأشتر: إلى أي الفريقين أحبُ إليك أن تسير، فقال: إلى أي الفريقين أحببت. فنظر المختار وكان إذا رأىٰ فكره أن يسير إلى قومه فلا يُبالغ في قتالهم فقال سِر إلى مُضر بالكُناسة وعليهم شبث بن ربعي ومحمّد بن عمير بن عطارد وأنا أسير إلى أهل اليمن».[1]

الإصطفاف للحرب

«فسارَ إبراهيم بن الأشتر إلى الكُناسة وسارَ المختار إلى جبّانة السَّبيع، فوقف المختار عند دار عمر بن سعد بن أبي وقّاص وسرَّح بين يديه أحمر بن شُميط البجلي ثمّ الأحمسي، وسرَّح عبدالله بن كامل الشاكري وقال لإبن شُميط: إلزَم هذه السكّة حتىٰ تخرج إلى أهل جبّانة السَّبيع من بين دور قومك، وقال لعبدالله بن كامل: الزَم

(١) ولم يزل المختار يعرف بشدة النفس وقلة البقيا علىٰ أهل اليمن وغيرهم إذا ظفر.

هذه السكّة حتىٰ تخرج علىٰ جبّانة السِّبيع من دار آل الأخنس بن شريق، ودعاهما فأَسَرَّ إليهما أنَّ شُباماً قد بعثت تُخبرني أنهم قد أتوا القوم من ورائهم.

فمضيا فسلكا الطريقين اللذين أمرَهما بهما وبلغ أهل اليمن مسير هذين الرجلين إليهم فإقتسموا تينك السكّتين، فأمّا السكّة الّتي في دبر المسجد أحمس فإنه وقف فيها عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وإسحاق بن الأشعث وزحر بن قيس، وأما السكّة الّتي تلي الفرات فإنه وقف فيها عبدالرحمن بن مخنف وبشير بن جرير بن عبداللّه وكعب بن أبي كعب».[1]

الإنتصار المؤقت للأعداء

إحتدم القتال وشهدت الكوفة مرة أخرىٰ قتالاً شديداً بين جبهتي الحق والباطل؛ ففي الأولىٰ: الشيعة والقوّات الموالية لأهل البيت عليهم السلام والثائرين لدم الحُسَين عليه السلام وأغلبهم من الموالي والعبيد والمستضعفين من النّاس بقلوب ملؤها الإيمان والإخلاص وحب أهل البيت عليهم السلام والعَزم والبُغض الشديد لقتَلة الحُسَين والأشراف المتنعِّمين الغافلين عن اللّه. وفي الثانية: الأشراف المغرورين المنافقين الّذين فقدوا مناصبهم ومنافعهم وأغلبهم من قَتلتة الإمام الحُسَين عليه السلام ومن المسببين لفاجعة كربلاء، الّذين علىٰ الرغم من مبايعتهم للمختار أول الأمر؛ مالوا لاحقاً إلى نقض البيعة كعادتهم، وهذا ليس بالأمر العجيب، فهو ليس بأوَّل عهد ينقضوه ولاهو بآخر. لقد تكرر هذا الفصل اللا إنساني واللا أخلاقي القبيح عدَّة مرات من قِبل هؤلاء.

«ثمّ أنَّ القوم إقتتلوا كأشد قتال إقتتله قوم، ثمّ أنَّ أصحاب أحمر بن شميم

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٠ ـ ٥٢٤.

إنكشفوا وأصحاب عبداللّه بن كامل أيضاً فلم يُرَع المختار إلّا وقد جاءَهُ الفلُّ قد أقبل، فقال: ما وراءكم، قالوا: هُزمنا قال فما فعلَ أحمر بن شُميط قالوا تركناه قد نزل عند مسجد القصّاص.[1] وقد نزل معه أُناس من أصحابه وقال أصحاب عبداللّه ما ندري ما فعل إبن كامل، فصاح بهم أن إنصرفوا ثمّ أقبل بهم حتىٰ إنتهىٰ إلى دار أبي عبداللّه الجدلي وبعث عبداللّه بن قراد الخثعمي وكان علىٰ أربعمائة رجل من أصحابه فقال سِر في أصحابك إلى إبن كامل فإن يَكُ هلك فأنت مكانه فقاتِل القوم بأصحابك وأصحابه وإن تجده حياً صالحاً، فسر في مائة من أصحابك كلهم فارس وإدفع إليه بقية أصحابك ومرْ بالجد معه والمناصحة له، فإنهم إنما يناصحونني ومن ناصحني فليبشر ثمّ إمضِ في المائة حتىٰ تأتي أهل جبّانة السَّبيع مما يلي حمام قطَن بن عبداللّه، فمضىٰ فوجدَ إبن كامل واقفاً عند حمام عمرو بن حريث معه أناس من أصحابه قد صبروا وهو يقاتل القوم فدفع إليه ثلثمائة من أصحابه ثمّ مضىٰ حتىٰ نزل إلى جبّانة السَّبيع ثمّ أخذ في تلك السكك حتىٰ انتهىٰ إلى مسجد عبد القيس فوقف عنده وقال لأصحابه: ما ترون؟، قالوا: أمرِنا لأمرك تَبع وكل من كان معه من حاشد من قومه وهم مائة، فقال لهم: واللّه إني لأحب أن يظهر المختار وواللّه إني لكاره أن يَهلك أشراف عشيرتي اليوم وواللّه لإن أموت أحب إليَّ من أن يحل بهم الهلاك علىٰ يديّ ولكن قِفوا قليلاً فإنّي قد سَمِعت شُباما يزعمون أنّهم سيأتونهم من ورائهم فلعلَ شِباماً تكون هي تفعل ذلك ونعافىٰ نحن منه.

قال له أصحابه فرأيك. فثبت كما هو عند مسجد عبد القيس، وبعثَ المختار مالك بن عمرو النهدي في مائتي رجل وكان من أشد النّاس بأساً وبعثَ عبداللّه

---

(١) يعنون مسجد أبي داود في وادعة وكان يعتاده رجال أهل ذلك الزمان يقصُّون فيه.

بن شريك النهدي في مائتي فارس إلى أحمر بن شُميط وثبتَ مكانه فإنتهوا إليه وقد علاه القوم وكثروه فإقتتلوا عند ذلك كأشد القتال».[١]

معركة الكُناسة

إستقرت قوّات المتمردين في منطقتين إستراتيجيتين في الكوفة هما:

١ ـ ميدان وجبّانة سَّبيع.

٢ ـ ميدان وجبّانة الكُناسة.

وكما أسلفنا فإنَّ قوّات الثورة إنقسمت بأمر المختار إلى فَيلقين:

الفيلق الأول: بقيادة المختار نفسه لقِمع المتمردين في مناطق وصحراء سَّبيع.

الفيلق الثاني: بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر لقمع المتمردين المُضَريين في مناطق الكُناسة.

أمّا فيلق المختار وبعد تقويته بقوّات الدعم وللتعويض عن هزيمته الأولىٰ الّتي لحقت به، إحتدم مع العدو بحرب ضروس. وأمّا الفيلق الثاني فقد «مضىٰ إبن الأشتر حتىٰ لقي شبث بن ربعي وأُناساً معه من مُضر كثيراً وفيهم حسان بن فائد العبسي فقال لهم إبراهيم: ويحكم إنصرفوا فواللّه ما أُحب أن يُصاب أحد من مضر علىٰ يدي فلا تُهلكوا أنفسكم، فأبوا فقاتَلوه فهزَمهم وأُحتُملَ حسان بن فائد إلى أهله فمات حين أُدخل إليهم وقد كان وهو علىٰ فراشه قبل موته أفاقَ إفاقة فقال: أما واللّه ما كنت أُحب أن أعيش من جراحتي هذه وما كنت أُحب أن تكون مَنيَّتي إلّا بطعنة رمح أو بضربة بالسيف، فلم يتكلم بعدها كلمة حتىٰ مات.»[٢]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٠ ـ ٥٢٣.

(٢) نفس المصدر.

بشارة النصر

«وجاءت البشرىٰ إلى المختار من قِبل إبراهيم بهزيمة مضر، فبعث المختار البشرىٰ من قِبله إلى أحمر بن شُميط وإلى إبن كامل فالناس علىٰ أحوالهم كل أهل سكّة منهم قد أعنت ما يليها.»[1]

دخول قبيلة «شبام» المعركة

وكما ذكرنا من قبل فإنّ أفراد من قبيلة شبام حاولت الهجوم من الخلف علىٰ الثوار المتواجدين عند جبّانة السَّبيع. «فإجتمعت شبام وقد رأسوا عليهم أبا القلوص وقد أجمعوا وإجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم فقال بعضهم لبعض: أما واللّه لو جعلتم جِدَّكم هذا علىٰ من خالفكم من غيركم لكان أصوب، فسيروا إلى مضر أو ربيعة فقاتلوهم».[2]

مناورة «أبو القَلوص» الحربية

«... وشيخهم أبو القلوص ساكت لايتكلَّم، فقالوا: يا أبا القَلوص ما رأيك فقال: قال اللّه جل ثناؤه (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) قوموا؛ فقاموا فمشىٰ بهم قيس رمحين أو ثلاثة ثمّ قال لهم: إجلسوا فجلسوا ثمّ مشىٰ بهم أنفس من ذلك شيئاً، ثمّ قعد بعد ثمّ قال لهم: قوموا ثمّ مشىٰ بهم الثالثة أنفس من ذلك شيئاً، ثمّ قعد بهم فقالوا له: يا أبا القَلوص واللّه إنك عندنا لأشجع العرب فما يحملك علىٰ الذي تصنع قال: إن المجرِّب ليس كمن لم يجرب، إني أردت أن ترجع

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٢٢ ـ ٥٢٤.

(٢) نفس المصدر.

إليكم أفئدتكم وأن توطّنوا علىٰ القتال أنفسكم، وكرهت أن أقحِمكم علىٰ القتال وأنتم علىٰ حالِ دهش؛ قالوا أنت أبصرَ بما صنعت».[١]

هجوم «شبام»

«فلمّا خرجوا إلى جبّانة السَّبيع إستقبلهم علىٰ فم السكَّة الأعسر الشاكري فحمل عليه الجندعي وأبو الزبير بن كريب فصرعاه ودخلا الجبّانة ودخل النّاس الجبّانة في آثارهم وهم ينادون يا لثارات الحُسَين فأجابهم أصحاب إبن شُميط يا لثارات الحُسَين، فسمعها يزيد بن عمير بن ذي مران من همدان فقال يا لثارات عثمان.»[٢]

عودة رفاعة بن شدّاد إلى صفوف المنتفضين

«فقال لهم رفاعة بن شدّاد مالنا ولعثمان؛ لا أُقاتل مع قوم يبغون دم عثمان فقال له أناس من قومه جئتَ بنا وأطعناك حتىٰ إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلتَ إنصرفوا ودعوهم، فعطف عليهم يقول:

أنا إبنُ شدَّاد علىٰ دينِ علي	لستُ لعثمانَ بن أروَىٰ بِوَلي
لأصلِينَّ اليومَ فيمنَ يصطَلي	بِحرِّ نارِ الحرَب غير مُؤتلي

فقاتلَ حتىٰ قُتل، وقتل يزيد بن عمير بن ذي مران وقتل النعمان بن صُهبان الجرمي ثمّ الراسبي ـ وكان ناسكاً ـ ورفاعة بن شدّاد إبن عَوسجة الفتياني عند حمام المهبذان الذي بالسَبخة وكان ناسكاً».[٣]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٢ ـ ٥٢٤.

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر.

قال عمير بن زياد أن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، يوم جبّانة السَّبيع: ويحكم! من هؤلاء الّذين أتوَنا من ورائنا؟ قيل له شِبام فقال يا عجباً يُقاتلني بقومي مَن لا قوم له».[١]

هزيمة المتمردين ومقتل قادتهم

في هذه المعركة الّتي جَرت بين الثوار والمتمردين بقيادة أشراف الكوفة من قَتلة الحُسَين عليه السلام، تحمَّل المتمردون فيها خسائر فادحة وقُتل جمع عظيم من قادتهم، نظير:

الفرات بن زَحر بن قيس الجعفي وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وعمر إبن مخنف.

وجرح منهم: زَحر بن قيس وقاتل عبد الرحمن بن مخنف حتىٰ إرتُثَّ وحملته الرجال علىٰ أيديها وما يَشعر، وقاتل حوله رجالٌ من الأزد فقال حميد بن مسلم:

لأضرِبنَّ عن أبي حكيمِ مَفارِق الأعُبدِ والصَّمِيمِ

وقال سُراقة بن مرداس البارقي:

يا نَفسُ إلّا تَصبري تُليمي لا تتوَنَّي عن أبي حكيمِ[٢]

حيرة المتمردين ومقتل شرحبيل

قال أبومخنف: «وحدَّثني أبوروق أنَّ شرحبيل بن ذي بُقلان من الناعطيين، قُتلَ يومئذ، وكان من بيوتات همدان، فقال يومئذ قبل أن يُقتل: يا لها قتلةً ما أضلّ مقتولها، قِتال مع غير إمام وقتالٌ علىٰ غير نيّة وتعجيلُ فراقِ الأحبَّة ولو قتلناهم

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٢ ـ ٥٢٤.

إذًا لم نَسلم منهم إنَّا لله وإنّا إليه راجعون! أما واللّه ما خرجت إلاّ مواسياً لقومي بنفسي مَخافة أن يُضطهدوا وأيِّم اللّه ما نجوتُ من ذلك ولا أُنجوا ولا أغنَيت عنهم ولا أُغنوا، قال: ويرميه رجل من الفائشيين من همدان يقال له أحمر بـن هـديج بسهم فيقتله».[١]

هلاك قائد المتمردين الكبير

«قال وإختصم في عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني نفرٌ ثلاثة: سِعر إبن أبي سعر الحنفي وأبو الزبير الشِّبامي ورجل آخر، فقال سِعر طَعنته طعنة وقال أبو الزبير: لكن ضرَبْته أنا عشر ضربات أو أكثر وقال لي إبنه: يا أبا الزبير أتقتل عبد الرحمن بن سعيد سيّد قومك! فقلت: «لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِـرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَـانُوا آبَـاءَهُمْ أَوْ أَبْـنَاءَهُمْ أَوْ إِخْـوَانَهُـمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ».[٢] فقال المختار: كلكم محسن وإنجلَت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلاً من قومه.»[٣]

إحصاء خسائر العدو

«وحدَّثني النضر بن صالح أن القتل إذ ذاك كان إستحر في أهل اليمن وأن مُضر أُصيب منهم بالكُناسة بضعة عشر رجلاً ثمّ مضوا حتىٰ مرُّوا بربيعة فرجع حجّار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رؤيم وشدّاد بن المنذر أخو حصين وعكرمة بـن ربعي فإنصرف جميع هؤلاء إلى رحالهم وعطف عـليهم عكـرمة فـقاتَلهم قـتالاً

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٨.

(٢) سورة المجادلة: آية ٢٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٢٨.

شديداً ثمّ إنصرف عنهم وقد خرج فجاء حتىٰ دخل منزله فقيل له قد مرَّت خيلٌ في ناحية الحي، فخرج فأراد أن يثب من حائط داره إلى دار أُخرىٰ إلى جانبه فلم يستطع حتىٰ حَمله غلام له، وكانت وقعة جبّانة السَّبيع يوم الأربعاء لستّ ليال بقين من ذي الحجة سنة (٦٦) للهجرة. قال: وخرج أشرافُ النّاس فلحِقوا بالبصرة وتجرَّد المختار لقتَلة الحُسَين فقال: ما من ديننا تركُ قوم قتلوا الحُسَين يمشون أحياء في الدنيا آمنين؛ بئس ناصرُ آل محمّد؛ أنا إذاً في الدنيا! أنا إذاً الكذّاب كما سمَّوني فإني بالله أستعين عليهم الحمد لله الذي جعلني سيفاً ضربهم به ورمحاً طعَنهم به وطالب وترهم والقائم بحقّهم. إنه كان حقّاً علىٰ الله أن يَقتُل من قَتلهم وأن يذلَّ من جهل حقَّهم، فسمّوهم لي ثمّ إتّبِعوهم حتىٰ تُفنوهم».[1] وبإنتصار الثوار علىٰ الجبهتين إستطاع المختار هذه المرَّة أيضاً وبمساعدة إبراهيم بن مالك الأشتر من إحباط مؤامرة مهمّة وقَصمِ ظهور أعداء أهل البيت عليهم السلام والتوصُّل إلى هدفه الأساسي وهو الإنتقام لدماء شهداء كربلاء، فهاهم قد جاءوا بأنفسهم إلى حتوفهم فحان أفضل زمان وفرصة للمختار أن ينتقم من هؤلاء المجرمين في آنٍ واحد.

خمسمائة أسير

بالإضافة إلى مقتل العديد من رؤوس المتمردين ومواليهم ومرتزقتهم، إستطاع الثوار أن يأسروا أكثر من (٥٠٠) أسير، فانظر مايقول الطبري عن هذا الأمر: «وإستخرج من دور الوادعيين خمسمائة أسير فأتىٰ بهم المختار مكتَّفين فأخذ رجل من بني نهد وهو من رؤساء أصحاب المختار يُقال له عبدالله بن شريك لا يخلو بعربي إلّا خلّىٰ سبيله، فرفع ذلك المختار دِرهم مولىٰ لبني نهد فقال له المختار إعرضوهم عليّ».[2]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٢٨ - ٥٢٩.

(٢) نفس المصدر: ص٥٢٢ ـ ٥٢٤.

قَتلة الحُسَين في قبضة العدالة

لقد تحقق الوعد الحق؛ ومصداق الآية الكريمة «وَإنْتَقَمنا مِنَ الَّذينَ أجْـرَموا»، وكان المختار يعلم أنَّ غالبية المتمردون هم من مسببي فـاجعة عـاشوراء، وكـان يَعرف بعض زعمائهم أمثال شمر وشبث وعبدالرحمن بن سعيد، فما قُـتل البـعض الآخر منهم في المعركة، ووقع (٥٠٠) منهم في قبضته و قبضة العـدالة، «فـقال له المختار إعرضوهم عليّ وانظروا كل مَن شَهِد منهـم قتل الحُسَـين فأعـلموني بـه، فأخذوا لايمر عليه برجل قد شَهِد قتل الحُسَين إلّا قيل له هذا ممن شَهِـد قَـتله، فيُقدِّمه فيضرب عُنقه حتىٰ قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً وأخذَ أصحابه كلما رأوا رجلاً قد كان يؤذيهم أو يماريهم أو يضربهم، خـلَوا بـه فقتلوه، حتىٰ قُتِل أُناس كثير منهم وما يشعر بهم المختار».[1]

وكانت مظلومية شهداء كربلاء قد أتَت أُكلها وبانَ للعيان أثر أنين أبناء الإمام الحُسَين المظلوم عليه السلام والبكاء الخَفي لأهل بيت النـبوّة عليهم السلام. والتـاريخ يـشهد عـلىٰ مشاهد وصوَر تنفيذ العدالة الإلهية الحقة.

إضربوا أعناق الجميع

إنها سُنّة اللّه ووعده الحق، فشهد الشاهدون ونَفَّذَ المكلّفون العقاب. فـيصيح أحدهم: هذا هوالذي فعل كذا في كربلاء ومافعل، فيُقدِّمه فيَضرِب عنقه.

لقد تم تحديد (٢٤٨) مجرماً من مجموع (٥٠٠) أسيراً، ممن شاركوا وتسببوا في إرتكاب مجزرة كربلاء. والمختار جالس علىٰ كرسيه والمنفِّذون علىٰ أهبة الإستعداد لتنفيذ أوامره. وهو يعلم أنَّ هؤلاء لاعقاب لهم سوىٰ القتل. كان كل شيءٍ جاهزاً

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٢ ـ ٥٢٤.

لتنفيذ المطلوب. فهاهم المنفّذون قد سلّوا سيوفهم والنّاس يشهدون علىٰ تنفيذ الحكم. فأوامر القتل قد صدَرت. والمختار يأمر بضرب أعناق المجرمين واحداً تلو الآخر. ولم يمر إلّا وقت قصير وقد نَفَّذَ علىٰ يد العدالة أمام الملأ أحكام ضَرب الأعناق بحق (٢٤٨) مجرماً، ليسدل الستار علىٰ حياة هؤلاء المجرمين الّذين تلطَّخت أيديهم بدماء تلك الصفوة الطاهرة.

يقول أحد الشهود، «قَتلَ منهم قبل أن يخرج، مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً وأخذَ أصحابه كلما رأوا رجلاً قد كان يؤذيهم أو يماريهم أو يضربهم خَلوا به فقتلُوه حتىٰ قُتل ناس كثير منهم ومايشعر بهم المختار.»[1]

سيظل عمل المختار هذا نبراساً يُنير تاريخ العدالة الشيعية. وسيجزيه اللّه سبحانه وتعالىٰ وأصحابه الأجر والثواب علىٰ ماقاموا به من إنتقام إلهي لدم أهل بيت النبوّة عليهم السلام.

الإنتقام

قال بعض المؤرّخين: «وأخذَ أصحابه كلما رأوا رجلاً قد كان يؤذيهم أو يماريهم أو يضربهم خَلوا به فقتلوه حتىٰ قُتل ناس كثير منهم وما يشعر بهمالمختار».[2]

إطلاق سراح بقية الأسرىٰ

أظهرَ المختار لأعدائه مرَّةً أُخرىٰ علو روحه وسمو أخلاقة عندما قام بالعفو عن جميع اولئك الّذين تآمروا عليه وأشهروا السيف بوجهه. خاصةً ممن لم يكن لهم دور في واقعة كربلاء. إلّا شخصاً واحداً وهو «سُراقة بن مرداس». وبمجرد ما

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٢ ـ ٥٢٤.

(٢) نفس المصدر.

«أُخبر بذلك المختار فدعىٰ بمن بقىٰ من الأسارىٰ فأعتَقهم وأخذ عليهم المواثيق ألّا لايجامعوا عليه عدوّاً ولا يبغوه ولا أصحابه غائلة، إلا سُراقةَ بن مرداس البارقي ـ وكان من شُعراء الكوفة ومِن أولياء بني أُميّة ـ فإنَّه أمر به أن يُساق معه إلى المسجد. قال: ونادىٰ منادي المختار إنه من أغلق بابه فهو آمن إلّا رجلاً شَرَك في دم آل محمّد ﷺ».[1]

وعن يونس بن أبي إسحاق: «لما خرج المختار من جبّانة السَّبيع وأقبل إلى القصر، أخذَ سُراقة بن مرداس يُناديه بأعلىٰ صوته:

أمننْ عليَّ اليومَ يا خيرَ مَعد | وخيرَ من حَلَّ بِشِحرٍ والجَنَد

وخيرَ من حَيَّا وَلبَّىٰ وسَجَد

فبعث به المختار إلى السجن فحبسه ليلة ثمّ أرسل إليه من الغد فأخرجه فدعا سراقة، فأقبل إلى المختار وهو يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاقَ أنّا | نَزونا نَزوةَ كانت علينا

خرجَنا لا نَرىٰ الضعفاءَ شيئاً | وكانَ خُرُوجنا بَطراً وحَينا

نراهُم في مصافِّهم قليلاً | وهم مثلُ الدَّبىٰ حين التَقينا

برَزنا إذ رأيناهَم فلمّا | رأينا القومَ قد برزوا إلينا

لقِينا منُهمُ ضرباً طِلحفاً | وطَعناً صائباً حتىٰ انثنَينا

نصِرتَ علىٰ عدوِّك كُلَّ يومٍ | بكلِّ كتيبةٍ تَنعىٰ حُسَينَا

كنصر محمّد في يوم بَدر | ويومِ الشِّعب إذ لاقَىٰ حُنَينا

فَأَسجح إذ ملكت فلو ملَكنا | لجُرنا في الحكومة واعتَدَينا

تَقَبّل توبَةً منّي فإني | سأشكر إن جعلتَ النَّقدَ دينا[2]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٢٢ ـ ٥٢٤.

(٢) نفس المصدر: ص٥٢٦ ـ ٥٢٧.

كذبة «سُراقة»

فلمّا إنتهىٰ إلىٰ المختار قال له ـ تملقاً ـ أصلحك اللّه أيها الأمير! سَراقة بن مرداس يَحلف باللّه الذي لا إله إلا هو لقد رأىٰ الملائكة تُقاتِل علىٰ الخيول البُلق بين السماء والأرض؛ فقال له المختار: فاصعد المِنبَر فأعلِم ذلك المسلمين. فصَعِد فأخبَرهم بذلك ثم نزل، فخلا به المختار، فقال: إني قد علمت أنك لم تر الملائكة وإنما أردتَ ما قد عرفت ألّا أقتلك، فاذهب عني حيث أحببت، لا تُفسِد عليَّ أصحابي.

فحدثني الحجّاج بن علي البارقي عن سُراقة بن مرداس، قال: ما كنت في أيمان حَلفت بها قط أشد إجتهاداً ولا مبالغةً في الكذب منّي في أيماني هذه الّتي حَلفت لهم بها أني قد رأيتُ الملائكة مَعهم تُقاتل. فخلوا سبيله فهرَب فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند مُصعَب بن الزبير بالبصرة، وخرج أشرافُ أهل الكوفة والوجوه فلَحِقوا بمُصعَب بن الزبير بالبصرة، وخرج سُراقة بن مرداس من الكوفة وهو يقول:

ألا أبلِغ أبا اسحاق أنّي ... رأيتُ البلقَ دهُماً مُصمتَاتٍ
كفَرتُ بوَحيكِم وجعلت نَذراً ... عليَّ قِتالَكم حتىٰ المَماتِ
أُري عَينيَّ ما لم تُبصِراهُ ... كلانا عالمٌ بالتُّرهاتِ
إذا قالوا أقول لهم كَذَبتُم ... وإن خرجوا لبِستُ لهم أداتي

حدثني أبو السائب سلم إبن جنادة، قال: حدّثنا محمّد بن براد من ولد أبي موسىٰ الأشعري عن شيخ قال: لما أُسِرَ سراقة البارقي قال: وأنتم أسرتموني ما أسرني إلّا قومٌ علىٰ دوابٍ بُلق عليهم ثياب بيض، قال: فقالَ المختار أولئك الملائكة، فأطلقه فقال:

ألا أبـلِغ أبـا إسـحاقَ أنّي رأيتُ البُلقَ دَهماً مُصمَتاتِ
أُرِي عَـينيَّ مـالم يَـرَ إيـاهُ كـلانا عـالمٌ بـالتُرّهاتِ[1]

إعلان الأمان في الكوفة

«بعد إستيلائه علىٰ الكوفة وقَمع المتمردين وإبادتهم وإعدام (٢٥٠) رجلاً مِنهم، ممن اشتركوا في كربلاء، نادىٰ مُنادي المختار أنه مَن أغلقَ بابه فهو آمن إلّا رجلاً شَرَك في دم آل محمّد صلى الله عليه وآله».[2]

يأس الأعداء

«عن عامر الشعبي أن يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيم وحجّار بن أبجر بعَثا سلامهما فقالا لهم: كونوا من أهل اليمن قريباً فإن رأيتموهم قد ظهروا فأيكم سبقَ إلينا فليَقل صَرَفان وإن كانوا هُزِموا فليقل جُمزان، فـلمّا هُـزِم أهـل اليمـن أتـتهم رُسلهم، فقال لهم: أوّلُ من إنتهى إليهـم: جمـزان، فـقام الرجـلان فـقالا لقـومهما: إنصرِفوا إلى بيوتكم، فانصرَفوا».[3]

إختفاء قَتلة الحُسَين عليه السلام

إيقنَ زعماء التمرد ووجهاء الكوفة الملطَّخةُ أيديهم بدماء آل محـمّد صلى الله عليه وآله المـوتَ الأكيد والخطر العظيم وبان هذه المرّة هي غير سابقاتها بعد أن إستولىٰ المختار علىٰ الكوفة بالكامل وبدأ الإنتقام لدماء الإمام الحُسَـين عليه السلام وأصـحابه المـظلومين في

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨.
(٢) نفس المصدر: ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥.
(٣) نفس المصدر.

كربلاء. وبعد إحساس هؤلاء بالعجز المطلق أمام المختار، رأوا من الأفضل تَرك الكوفة بأسرع وقت ممكن خوفاً علىٰ أرواحهم وهرباً من المصير المحتوم الذي يَنتظرهم علىٰ يَد هذا المنتقم الصَلب الذي لايلين. فإتجهوا صوبَ البصرة وإلتجأوا إلى إبن الزبير خوفاً من الموت المحَتَّم يقول الطبري: «... وخرجَ أشراف أهل الكوفة والوجوه فلحِقوا بمُصعَب بن الزبير بالبصرة...».(١)

هروب شبث بن ربعي

... وأشرنا سابقاً إلى أنَّ شبث بن ربعي كان العامل الأساسي لتحريض أشراف الكوفة علىٰ المختار، وأحد قادة التمرد الفاشل في الكوفة وذو الماضي الأسود، وقائد الجبهة المهمة في الكُناسة الّتي كانت بعهدته. فبعد الهزيمة المنكَرة الّتي مُنيَ بها المتمردون في السَّبيع وإبادة المجموعة الثانية منهم فيها والّتي كان شبث أميرها، فقد فضَّلَ الهروب علىٰ البقاء خوفاً من وقوعه بيد المختار لماضيه المُشين في القتل. ففرَّ إلى البصرة عند إبن الزبير «ولحِق به أشراف الكوفة حتىٰ قَربوا من مُصعَب ودخل عليه شبث بن ربعي وهو ينادي واغوثاه، ثمّ قدم محمّد بن الأشعث...».(٢)

قال إبن الأثير: «ولما هَربَ أشراف الكوفة من وقعة السَّبيع، أتىٰ جماعة منهم إلى مُصعَب فأتاه شبث بن ربعي علىٰ بغلة قد قطعَ ذنبها وطرف أذنها وشقَّ قباءه وهو ينادي يا غوثاه، فرُفِعَ خبره إلى مُصعَب، فقال: هذا شبث بن ربعي فأُدخِل عليه فأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وأخبروه بما إجتمعوا عليه وسألوه النصر لهم والمسير إلى المختار معهم.»(٣)

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٢٧.

(٢) التاريخ لإبن خلدون: ج٣، ص٢٩.

(٣) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٢٦٧.

«وخرجَ عمرو بن الحجّاج الزبيدي وكان ممن شَهدِ قتل الحُسَين فركب راحلته ثمّ ذهب عليها فأخذ طريق شراف وواقصة فلم يُرَ حتىٰ الساعة ولا يُدرىٰ أرضٌ بخَسته أم سماءٌ حصَبتَه».[1]

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٢٤ ـ ٥٢٥.

◘ الفصل الحادي عشر

الإنـتـقـام

الباب الأوّل
الهدف الأساسي للمختار

كان المختار رجلاً مجرَّباً وذا حنكة وفطنة مثاليّة عالية. وقد سعىٰ إلى تحقيق أهدافه في الثأر لدماء شهداء كربلاء علىٰ أفضل مايكون. وكان يرغب في حال إنتصاره علىٰ زعماء وأشراف الكوفة المجرمين المنافقين، أن يقطع جذور الظلم ويُسقط حكومات الجَور والباطل ويستبدلها بحكومات ثورية قائمة علىٰ أساس كتاب اللّه وسُنّة نبيِّه وولاية أهل‌البيت عليهم السلام. وبرغم إنشغاله بعدَّة جبهات مختلفة لتحقيق أهدافه المقدَّسة والّتي تمكَّنَ من إنجاز البعض منها، إلّا أن هدفه الأساسي فيما يتعلق بالثأر لأهل‌بيت النبي صلى الله عليه وآله كان قد تحققَ إنجازه وبسعيه علىٰ أفضل مايكون. وسنوضح خلال هذا الفصل المراحل التاريخية لخطوات إنتقام المختار من مُسببي فاجعة كربلاء.

إشكالية باطلة

قد يستشكل البعض ويتساءل عن أسباب تعامل المختار القاسي مع مسببي فاجعة كربلاء وتحويل الكوفة إلى مذبحة مريعة لهؤلاء المجرمين.

فبالنظر إلى الجرائم المريعة الّتي إرتكبها هؤلاء الجُناة المجرمين، فإنَّ هذا

القَصاص يُمثّل أقل العقوبات بحق هذه الفئة الظالمة القاسية.

وقد ذكر المؤرِّخ الشهير جعفر شهيدي هذه الحادثة علىٰ أفضل مايكون إذ قال: «... ليس هذا المذبح فقط، بل تَشكّلت مذابح أُخرىٰ إلّا أنَّ القتلىٰ هذه المرَّة لم يكونوا من الأطهار الأعزاء، بل هم من سفّاكي الدماء الّذين تلطّخت أيديهم حتىٰ المرافق بدماء الأحرار. وإذا تصفّحنا كُتب القانون والحقوق، قد نجد هذا النوع من الإنتقام يتّجه نحو العُنف، وقد نعترض عليه؟ فواحد يُذبَح كالشاة وآخر تُبقَر بطنه وثالث يُصاب بسهم قاتل كما أصاب هو أحد أبناء الإمام الحُسَين عليه السلام، ورابع يوضَع في قِدر من الزَيت المغلي وخامس يُوثَق إلى الأرض وتطأهُ الخَيل. وكما ذكروا فقد تم معاقبة (٢٤٨) مُجرماً ممن شاركوا في قتل الإمام الحُسَين عليه السلام وأصحابه الأبرار في آن واحد. وقد نُطالع هذه الكتب ونجد فيها هذا النوع من القساوة، إلّا أنَّ الحُكم عليه بعد مرور (١٣) قرناً ليس بالأمر الصحيح. بالإضافة إلى أنّه عندما تَندلع الثورات، فإن جميع المعايير تتغير بإتجاه آخر. والثورة علىٰ العموم تتسم بالغضب والقساوة، وإذا ما إفتقدت الثورة للغضب، عندئذٍ ستفقد بَريقها أو لايمكن تَسميتها بالثورة. فشمر وعُبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وإبنه حفص والخولي بن يزيد وسِنان بن أنس والعشرات الآخرين من زعماء جُند الكوفة، قد نالوا جزاء أعمالهم عبرَ هذه العقوبات، إلّا أنَّ التاريخ لم يكتفِ بهذا ولم تكن هذه الثورة آخر الثورات أو آخر إنتقام...»[1]

يقول عالِم الشيعة الكبير «توفيق أعلم» في هذا الباب: «فكانَ بلاؤوهم بالمختار عدلاً لارحمةَ فيه، وما نحسب قسوة بالآثمين سلَمت من اللوم أو بَلغت من العذر ما بلغته قسوة المختار.»[2]

---

(١) قراءة حديثة حول قيام الإمام الحُسَين(ع)، الدكتور سيّد جعفر شهيدي: ص١٩٧ (باللغة الفارسية).

(٢) شرح إحقاق الحق للسيّد المرعشي: ج٣٣، ص٦٤٤.

التصفية الدموية

لقد حانَ الوقت ليقوم المختار بتصفية دموية ويُطبّق العدالة علىٰ مجرمي وخَونة مدينة الكوفة الّذين قاتَلوا الحُسَين عليه السلام في كربلاء ويجازيهم بمقتضىٰ مـا أقـترفوه. فبعدَ أن علِمَ مجرموا هذه المدينة وجُناتها هدف المختار بدقّة وبعد هزيمتهم ويأسهم من المواجهة المباشرة مع المختار، إختفوا أو تواروا في المدينة، وبدأ المختار وأصحابه الثوريون بمطاردة المجرمين. وفي هذا الفصل سنوضح لكـم الأحـداث نـقلاً عـن التواريخ المعتبرة والوثائق الدامغة.

مطاردة قَتلة الحُسَين عليه السلام

قال الطبري: «وكانت وقعة جبّانة السَّبيع يوم الأربعاء لستّ ليال بقين من ذي الحجة سنة (٦٦) للهجرة، قال؛ وخرج أشرافُ النّاس فـلحِقوا بـالبصرة وتجـرَّدَ المختار لقتَلة الحُسَين فقال: «ما مِن ديننا تَركَ قومٍ قَتلوا الحسينَ يمشونَ أحياءً في الدنيا آمنين، بئس ناصر آل محمّد أنا إذاً في الدنيا! أنا إذاً الكذّاب كمّا سموني، فإني باللّه أستعين عليهم، الحمدللّه الذي جعلني سيفاً ضرَبهم بـه ورمحـاً طـعنَهم بـه وطالب وترَهم والقائم بحقّهم، إنه كان حقاً علىٰ اللّه أن يَقتُل من قَتَلهم وأن يذلَّ من جهل حقّهم فسمّوهم لي ثمّ إتبَعُوهم حتىٰ تَفنوهم».[١] لقد وظّف الناصر لآل محمّد صلى الله عليه وآله والمنتقم المضحّي، المختار بن أبي عبيد الثقفي جُلَّ سعيه من أجل تحقيق هذا الهدف السامي المقدّس والمضي قُدماً فيه.

قال موسىٰ بن عامر: «إنَّ المختار قال لهم: إطلبوا لي قَتَلة الحُسَين فإنه لايسوغ لي الطعام والشراب حتىٰ أُطهِّر الأرض منهم وأنفي المُصِرّ منهم.»[٢]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٢٨ ـ ٥٢٩.

(٢) نفس المصدر: ص٥٢٩.

وأخيراً صدَرت الأوامر بملاحقة المطلوبين وتحرَّكت كتائب التعقيب لمطاردة المجرمين. فإنقضَّ المختار وأصحابه المضحين كالصقور علىٰ المجرمين وخونة الكوفة. وإتجهوا بدايةً إلى قادة مجرمي حادثة كربلاء الّذين كانوا في مقدِمة قائمة القَصاص. حيث شَهدِت الكوفة هذه المرّة ملحمة جديدة ومَشاهِد فريدة في نوعها. فهاهم الأشرار والقتَلة القُساة يُساقون الواحد تلو الآخر فرادىٰ وجماعات نحو تنفيذ الجزاء العادل بحقِّهم علىٰ ما إقترفوه من كبائر الذنوب بقتلِهم آل بيت الرسول ﷺ.

القتل الجماعي

فأوّل من بدأ به المختارهم:

١ ـ الّذين رَضُّوا جَسد الحُسَين عليه السلام بخيولهم فأخذهم وطرَحهم علىٰ ظهورهم وضَرب سكك الحديد في أيديهم وأرجلهم وأجرىٰ الخيل عليهم حتىٰ قطَّعتهم ثمّ أحرقَهم بالنار.[1]

٢ ـ ضربَ أعناق (٢٤٨) مجرماً الواحد بعد الآخر من العناصر الدخيلة والمؤثّرة في واقعة كربلاء، من الّذين أُعتقلوا أثناء التمرد علىٰ المختار والذي بلغ عددهم (٥٠٠) عنصراً.

٣ ـ بلغهُ أن شمر بن ذي الجوشن لعنه اللّه، أصابَ مع الحُسَين إبلاً فأخذها فلمّا قدِم الكوفة نحرَها وقسَّم لحومها، فقال المختار: أحصوا لي كل دار دخل فيها شيءٌ من ذلك اللحم، فأحصوها فأرسل إلى من كان أخذَ منها شيئاً فقتلَهم وهدَم دوراً بالكوفة.[2]

---

(١) أصدق الأخبار للسيّد محسن الأمين: ص٦٤.

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٣٧.

ومن الجدير بالذكر أنَّ المختار كان يُعاقب فقط الرجال البالغين الّذين إشتركوا بنحوٍ ما في فاجعة كربلاء، ولم أجد في كتب التاريخ أي شيء عـن إيـذاء المخـتار لنسائهم أو أطفالهم أو حتىٰ العَجَزة منهم.

القائمة السوداء

ت	إسمه وإسم أبيه	الجريمة	نوع العقوبة
١	عُمر بن سعد بن الوقّاص	القائد العام لجيش الكوفة والشام في كربلاء وجرائم أخرىٰ.	الضرب بالسيف وحز رأسه في بيته.
٢	حفص بن عمر بن سعد	أعان أباه في جرائم كربلاء.	حز رأسه في حضور المختار.
٣	شمر بن ذي الجوشن	قائد الرجّالة و جرائم أخرىٰ.	قُتل في المعركة و حز رأسه.
٤	سِنان بن أنس	حز رأس الإمام الحُسَين(ع) عن الجسد وجرائم أخرىٰ.	قطع أصابعه ويديه ورجليه وإلقائه حيّاً في قدر زيت يغلي.
٥	خولي بن يزيد الأصبحي	حامل رأس الحُسَين وقاتل عثمان بن علي وجعفر بن علي وجرائم أخرىٰ.	قتله بالسيف وحرق جسده.
٦	بجدل بن سليم الكلبي	قطع أصابع الإمام الحُسَين(ع).	قطع أنامله ويديه ورجليه والنزف حتىٰ الموت.
٧	حرملة بن كاهل الأسدي	قنّاص كربلاء وقاتل علي الأصغر وعبدالله بن الحسن و جرائم أخرىٰ.	قطع يديه و رجليه وحرقه.
٨	حكيم بن الطفيل السندسي	قاتل العبّاس(ع) وناهب ملابسه ورامي الحُسَين(ع) بالنبل.	الرمي بالنبل حتىٰ الموت، وبرواية ربطه بالأرض علىٰ ظهره بضرب الحديد في يديه ورجليه ورض جسمه بالخيل وإحراقه بالنار.
٩	مُرّة بن منقذ العبدي	قاتل علي الأكبر وجرائم أخرىٰ.	جرح يده وشلله وهروبه بعدذلك
١٠	زيد (يزيد) بن الرقاد الجهني	قنّاص كربلاء وقاتل عبدالله بن مسلم بن عقيل والمشاركه في قتل أبوالفضل العبّاس.	الرجم ورميه بالنبل.

ت	إسمه وإسم أبيه	الجريمة	نوع العقوبة
١١	عمرو بن صبيح	من مجرمي كربلاء المعروفين وقاتل عبدالله بن مسلم بن عقيل.	الرمي بالنبل حتىٰ الموت، وبرواية ربطه بالأرض علىٰ ظهره بضرب الحديد في يديه ورجليه ورض جسمه بالخيل وإحراقه بالنار.
١٢	مالك بن هشيم البداني	سارق قلنسوة الإمام الحُسَين(ع).	قطع يديه ورجليه والنزف حتىالموت.
١٣	عبدالله بن أسيد الجهني	المشاركة الفاعلة في جرائم كربلاء.	قطع رأسه.
١٤	حمل بن مالك المحاربي	المشاركة الفاعلة في جرائم كربلاء	قطع رأسه.
١٥	رقاد بن مالك البجلي	نهب أموال الإمام الحُسَين(ع) يوم عاشوراء والمشاركة في جرائم كربلاء.	قطع رأسه أمام الملأ العام في السوق.
١٦	عمرو بن خالد البجلي	نهب أموال الإمام الحُسَين(ع) يوم عاشوراء والمشاركة في جرائم كربلاء.	قطع رأسه أمام الملأ العام في السوق.
١٧	عبدالرحمن بن البجلي	نهب أموال الإمام الحُسَين(ع) يوم عاشوراء والمشاركة في جرائم كربلاء.	قطع رأسه أمام الملأ العام في السوق.
١٨	عبدالله بن قيس الخولاني	نهب أموال الإمام الحُسَين(ع) يوم عاشوراء والمشاركة في جرائم كربلاء.	قطع رأسه أمام الملأ العام في السوق.
١٩	مالك بن بشير البدي	المشاركة الفاعلة في حادثة كربلاء.	قطع يديه ورجليه والنزف حتى الهلاك.
٢٠	عثمان بن خالد الجهني	قاتل عبد الرحمن بن عقيل إبن عم الإمام الحُسَين(ع) ونهب لباسه.	قطع رأسه و حرق جسده.
٢١	زياد بن مالك	المشاركة الفاعلة في فاجعة كربلاء ونهب ملابس الإمام الحُسَين(ع).	قطع رأسه أمام الملأ في بوابة السوق
٢٢	عبد الرحمن بن أبي خشكاره	المشاركة الفاعلة في فاجعة كربلاء ونهب ملابس الإمام الحُسَين(ع).	قطع رأسه أمام الملأ العام في السوق.
٢٣	إسحاق إبن حوبة	كان ممن رضّوا جسد الإمام الحُسَين(ع) بخيولهم.	وثق بالأرض وضُرب بالحديد في يده ورجله ورض جسمه بالخيل ثمّ أُحرق بالنار.

ت	إسمه وإسم أبيه	الجريمة	نوع العقوبة
٢٤	أخنس بن مرشد	كان ممن رضّوا جسد الإمام الحُسَين(ع) بخيولهم.	وثق بالأرض وضُرب بالحديد في يده ورجله ورُض جسمه بالخيل ثمّ أُحرق بالنار.
٢٥	عبد اللّه بن صلخب القيسي	المشاركة الفاعلة في جرائم يوم عاشوراء.	قطع رأسه أمام الملأ العام.
٢٦	عبدالرحمن بن صلخب القيسي	المشاركة الفاعلة في جرائم يوم عاشوراء.	قطع رأسه أمام الملأ العام.
٢٧	عبد اللّه بن وهب الهمداني	المشاركة الفاعلة في جرائم يوم عاشوراء.	قطع رأسه أمام الملأ العام في السوق.
٢٨	عثمان بن خالد الدهماني	قاتل أحد شباب بني هاشم يوم عاشوراء.	قطع رأسه أمام منزله في جنب بئر.
٢٩	هبياط وعبد الرحمن إبن زرعة	من مسببي فاجعة كربلاء.	قُتلا أمام منزلهما خلال مشاركتهما في المعركة.
٣٠	رجاء بن منقذ العبدي	من الّذين رضّوا جسد الإمام الحُسَين(ع) بالخيل.	طرح علىٰ ظهره وضُرب بالحديد في يده ورجله وجري الخيل عليه وأُحرق بالنار.
٣١	سالم إبن خثيمة	من الّذين رضّوا جسد الإمام الحُسَين(ع) بالخيل.	»
٣٢	واحظ بن ناعم	»	»
٣٣	صالح بن وهب	»	»
٣٤	هاني بن ثبيت	»	»
٣٥	أسيد بن مالك	»	»

هدم دور الهاربين ومصادرة أموالهم

كانت هذه قائمة قصيرة بأسماء الّذين ذكرهم التاريخ بشكل خاص. في حين ذكر المؤرخون أنَّ الإنتقام لدَم شهداء كربلاء طالَ (١٨٠٠٠) شخصاً من أهل الكوفة

ممن شاركوا في قتل الإمام الحُسَينعليه السلام بأشكال مختلفة. وهذا العدد لايشمل المجازر الّتي نفَّذها إبراهيم الأشتر في جُند الشام والّتي بلغت مايقارب (٧٠٠٠٠) شخص.

وأمّا الهاربون فهم :

١ ـ سِنان بن أنس؛ «هربَ إلى البصرة فهُدِم داره ثمّ خرجَ من البصرة نحو القادسيَّة وكان عليه عيون فأخبروا المختار فأخذه بين العذيب والقادسية، فقطعَ أنامله ثمّ يديه ورجليه، وأغلىٰ زيتاً في قدر ورماه فيه».[١]

٢ ـ محمّد بن الأشعث بن قيس؛ «إنهزم إلى قصر له في قرية إلى جنب القادسيَّة، فبعثَ المختار إليه حَوشباً في مائة، فقال: إنطلق إليه فإنك تجده لاهياً متصيّداً أو قائماً متلبّداً، أو خائفاً متلدّداً، أو كامناً متغمداً، فأتني برأسه. فأحاطوا بالقصر، وله بابان، فخرجَ ومشىٰ إلى مُصعَب، فهُدِم القصر ودارَه، وأُخذ ما كان فيها.»[٢]

٣ ـ عبداللّه إبن عقبة الغنوي؛ «هربَ ولحِق بالجزيرة فهدِم داره وكان قد قتل منهم غلاماً».[٣]

٤ ـ عمرو بن الحجّاج الزبيدي؛ «ممن شهِدَ قتل الحُسَين، فركب راحلته وأخذ طريق واقصة فلم يُرَ له خبر حتىٰ الساعة، وقيل أدرَكه أصحاب المختار وقد سقط من شدّة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه».[٤]

٥ ـ أسماء إبن خارجة الفزاري؛ «ممن سعىٰ في قتل مسلم بن عقيل رحمه اللّه، فقال المختار: أما ورب السماء ورب الضياء والظلماء، لتَنزلنَّ نار من السماء دَهماء حمراء سحماء، تَحرقُ دارَ أسماء، فبلغَ كلامه إليه، فقال: سجعَ أبو إسحاق،

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٥.

(٢) نفس المصدر: ص ٣٧٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤ ص٥٣٤ ـ ٥٣٥.

(٤) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٢٣٦.

وليس هٰهنا مقام بعد هذا، وخرجَ من داره هـارباً إلى البـادية فـهُدِم داره ودور بني عمّه».[١]

٦ ـ حميد بن مسلم الأسدي؛ «إشترك في واقعة الطف وكان راوياً، وتوارىٰ عن الأنظار بعد إنتصار المختار.».

٧ ـ سهم بن عبد الرحمن الجهني؛ «شارك في قتل شباب من بني هاشم، وتوارىٰ عن الأنظار».

٨ ـ أبي السماء بن بشر؛ «شارك في قتل شباب من بني هاشم، وتـوارىٰ عـن الأنظار».

٩ ـ عبداللّه بن أسيد الجهني ومالك بن الهشيم البدائي ومالك المحاربي؛ قال لهم المختار: يا أعداء اللّه وأعداء رسوله وآلِ رسولِهِ، أينَ الحُسَين بـن عـلي؟ قـالوا: أُكرهِنا علىٰ الخروج، فأمنِن علينا. قالَ المختار: فهلّا مننتم علىٰ الحُسَين وسقيتموه من الماء؟ وقالَ للبدائي: أنت آخذ بُرنُسه؟ قال: لا، قال: بلىٰ وأمـرَ بـقَطع يـديه ورجليه، والآخران ضَرَب أعناقَهما».[٢]

١٠ ـ بجدل بن سليم الكلبي؛ «وعرفوا أنه أخذَ خاتَمه ـ الحُسَينعليه‌السلام ـ وقطَعَ إصبَعه، فأمرَ بقَطع يَديه ورجليه، فلم يزل ينزف حتىٰ مات».[٣]

١١ ـ رقاد بن مالك وعمر بن خالد وعبد الرحمان البجلي وعبد اللّه بن قيس الخولاني؛ قال لهم المختار: يا قتلة الحُسَين لقد أخذتم الوَرس في يومٍ نحس، وكان في رحل الحُسَين وَرس فاقتَسموه وقت نهبِ رحله، فأخرجهم إلى السوق».[٤]

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٧.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر: ص٣٧٦ ـ ٣٧٧.

إختفاء شمر عن الأنظار

كان شمر بن ذي الجوشن يُمثِّل القاتل والمجرم الأول في حادثة كربلاء. وعلىٰ رأس قائمة المختار السوداء الخاصة بالمطلوبين للقَصاص بأي ثمن كان. لقد إختفىٰ شمر بن ذي الجوشن عن الأنظار بعد واقعة حرب متمردي الكوفة مع المختار والذي كان يقود فيها عدَّة كتائب للمتمردين. وللتعرف أكثر علىٰ الوجه الحقيقي لهذا العنصر الخبيث، لابدَّ من إلقاء نظرة قصيرة علىٰ الملف الأسود والماضي الإجرامي لهذا الشخص. وبالرغم من أنَّ «الدينوري» ينقل قصة هروب شمر وهلاكه، بشكل مختلف عن الطبري وغيره.

فيقول:

«إختفىٰ شمر ومجموعة من مَواليه والمختار يَتعقَّبه. وكان قد إستقر مدّة في «دست ميسان»[1] في إنتظار الوقت المناسب، وبعد سماعه خبر تَحرُّك قوّات البصرة للحرب مع المختار، إقتربَ من البصرة ولم يدخلها وفضَّلَ الإختفاء في إحدىٰ القرىٰ الواقعة علىٰ ساحل دجلة. ولدىٰ إطّلاع «أحمر بن شُميط» قائد قوّات المختار المتَّجهة نحو القتال مع مُصعَب بن الزبير والذي كان مُعسكِراً قرب ساحل دجلة، علىٰ مكان إختفاء شمر. أرسلَ له مائتي فارس للقبض عليه، وبعد مقتله علىٰ يد هؤلاء الجند، أرسل إبن شُميط رأسه المقطوعة إلى المختار».[2]

هذا ما نقله الدينوري، إلّا أنَّ الطبري له رأي آخر في حادثة مطاردة شمر وهلاكه. وسوف نوضح ذلك لاحقاً.

---

(١) في الأصل: دست ميسان، وهي كورة بين واسط والبصرة والأهواز، وقيل إنها الأبلة، فتكون البصرة منها. وتلفظ بالفارسية دشت ميسان، وتُسمّىٰ اليوم (دشت آزادكان، أو دشت عبّاس).

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

ماضي شمر وملفّه الأسود

كان شمر بن ذي الجوشن من زعماء وشُجعان الكوفة ومن شيعة الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام في ذلك الزمان. شارك في حرب صفّين تحت إمرة أمير المؤمنينعليه السلام. فعن أبي مسلم بن عبدالله الضبابي قال: «شهدِتُ صفّين مع الحُسَين ومَعنا شمر بن ذي الجوشن الضبابي، فبارزه أدهم بن محرز الباهلي فضرب أدهم وجه شمر بالسيف وضربه شمر ضربة لم تضرَّه فرجع شمر إلى رَحله فشرب شربة وكان قد ظمي ثمّ أخذ الرمح فأقبل وهو يقول:

إني زعـيم لاخـي بـاهله ... بـطعنة إن لم أصب عـاجله

أو ضربة تحت القنا والوغىٰ ... شـبيهة بـالقتل أو قـاتله

«ثمّ حَمَلَ علىٰ أدهم فصرعه ثمّ قال: هذهِ بتلك.»[1] لكنّه لم يستقم على منهجه مثل غيره من أهل الكوفة وإنحاز إلىٰ معسكر الأعداء بعد ذلك بسبب النفاق والشقاق المتوطّن في روحه وأصبحَ من متعصّبي حماة الأمويين.

جرائمه:

١ ـ كان لشمر دور فاعل في حادثة إغتيال مسلم بن عقيل وإستشهاده. إذ كان لدىٰ شمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي وحجّار بن أبجر والقعقاع إبن شور، مُهمّة من قِبل إبن زياد للقضاء علىٰ مسلم وأصحابه وكان شمر من مستشاري إبن زياد المقرَّبين.

٢ ـ عندما «كتب عمر بن سعد إلى عُبيد الله بن زياد؛ أمّا بعد فإنَّ الله أطفأ النائرة وجمعَ الكلمة وقد أعطاني الحُسَين أن يرجِعَ إلى المكان الذي أقبل منه أو

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص١٩ ـ ٢٠.

أن نُسيِّره إلى أي ثغر من الثغور شِئنا أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين فيضع يده في يده، وفي هذا لكم رضا وللأُمة صلاح؛... فقام إليه شمر بن ذي الجوشن فقال: أتقبل هذا منه وقد نزلَ بأرضك وإلى جنبك والله لئن رحلَ من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولىٰ بالقوّة والعزّة ولتكوننَّ أولىٰ بالضعف والعجز ـ فلاتُعطه هـذه المنزلة فإنّها من الوهن ـ ولكن لينزل علىٰ حُكمِك هو وأصحابه، فإن عاقبتَ كنت ولي العقوبة وإن عفوتَ كان ذلك لك والله لقد بلغني أنَّ الحُسَين وعُمر يتحدَّثان عامّة الليل بين العسكرين.[١]

٣ ـ فأخذَ شمر كتاب إبن زياد وخرج بجماعة إلى كربلاء وأوصاه: «أُخرج بهذا الكتاب.[٢] إلى عمر فليَعرِض علىٰ الحُسَين وأصحابه النزول عـلىٰ حُـكمي، فـإن فعلوا فليبعَث بهم إليَّ سلماً، وإن أبَوا فليقاتلهم، وإن فعل فاسمع له وأطع وإن أبىٰ، فأنتَ الأمير عليه وعلىٰ النّاس وأضرب عنقه وإبعث إليَّ برأسه».[٣]

٤ ـ «لمّا قَدِم شمر بن ذي الجوشن على عُمر بن سعد بكتاب عُبيد الله بن زياد، قال عمر: أبعدَ الله دارك، وقبَّحَ ما جِئت به والله إنّي لأظنك الذي صرَفته عـن الذي عَرضتُ عليه من الأمور الثلاثة الّتي طلبها الحُسَين، فقال له شمر: فأخبرني ما أنت صانع؟ أتقاتلهم أنت أو تاركي وإياهم؟ فقال له عمر: لا ولا كرامة لك! أنا أتولىٰ ذلك، وجعله علىٰ الرجّالة ونهضوا إليهم عشية يوم الخـميس التـاسع مـن

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٥٥.

(٢) أما بعد فإني لم أبعثك إلى الحُسَين لتكف عنه ولا لـتُمنّيه ولالتطاوله ولا لتقعد له عندي شافعاً، أنظر فإن نزل الحُسَين وأصحابه علىٰ الحكم وإستسلموا فابعث بهم إليَّ سلماً وأن أبوا فازحف إليهم حتىٰ تقتلهم وتُمثِّلَ بهم فإنهم لذلك مستحقون فإن قُتِلَ الحُسَين فأوطئ الخيل صدره وظهره فإنه عاق شاق قاطع ظلوم فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وإن أنت أبيت فإعتزل جُندنا وخلِّ بين شمر وبين العسكر والسلام، (الكامل في التاريخ: ج٤،ص٥٥ـ ٥٦).

(٣) نفس المصدر .

المحرَّم».[١]

٥ ـ «فلمّا أخذ شمر الكتاب كان معه عبداللّه بن أبي المحل بن حزام عند إبـن زياد وكانت عمَّته أم البنين بنت حزام عند علي فولدت له العبّاس وعـبداللّـه وجعفراً وعثمان، فقال لإبن زياد: إن رأيت أن تكتب لبني أُختَنا أماناً... فلمّا رأوا الكتاب قالوا لا حاجة لنا في أمانكم أمان اللّه خير من أمان إبن سميّة».[٢] وقال له العبّاس: «أتأمننَا وإبن رسول اللّه لا أمانَ له».

٦ ـ كان الشمر يتعجَّل الهجوم علىٰ الحُسَين والقضاء عليه ليلة عاشوراء لكنَّ هذا الأمر لم يتم له. يتبيَّن من كلامه وأفعاله مدىٰ الحقد والعـداء اللـذين يكـنَّهما للإمام الحُسَينعليه‌السلام. حتىٰ أنَّ قساوته وغلظته قد أثارت إستغراب قائده عمر بـن سعد.

٧ ـ جعلَ عمر بن سعد «علىٰ ميسرته شمر بن ذي الجوشن».[٣]

٨ ـ خاطبه الإمام الحُسَـينعليه‌السلام يـوم عـاشوراء هـوَ وبـعض أشراف الكـوفة وناداهم بأسمائهم، قائلاً: «يا شبث بن ربعي ويا حجّار بن أبجر ويـا قـيس إبـن الأشعث ويا يزيد إبن الحارث ألم تكتبوا إليَّ أن قد أينعت الثِمار وأخضرَّ الجَناب وطمت الجمام وإنما تَقدِم علىٰ جُندٍ لك مجنَّدة، فأقبِل. قالوا له لم نفعل. فقال: سبحان اللّه بلىٰ واللّه لقد فعلتم.»[٤]

٩ ـ جرَت يوم عاشوراء مشادّة كلامية بين شمر وزهير بن القين حـين كـان زهير يقول: «...عباد اللّه إنَّ ولِد فاطمة رضوان اللّه عليها أحق بالودِ والنصر من

---

(١) البداية والنهاية لإبن كثير: ج٨، ص١٩٠.

(٢) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٥٦.

(٣) نفس المصدر: ج٤، ص٦٠.

(٤) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٢٣.

إبن سُميّة، فإن لم تنصروهم فأعيذكم باللّه أن تقتلوهم، فرماه شمر إبن ذي الجوشن بسَهم وقال: أُسكت أسكتَ اللّه نأمتك أبرمتنا بكثرة كلامك، فقال له زهير: يا إبن البوّال على عقبَيه ما إياك أُخاطب إنما أنت بهيمة واللّه ما أظنك تُحكِم من كتاب اللّه آيتين، فأبشِر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم. فقال له شمر: إنَّ اللّه قاتِلُك وصاحبك عن ساعة. قال: أفبالموت تخوِّفني فواللّه لَلموت معه أحبُ إليَّ من الخُلدِ معكم».[1]

١٠ ـ وفي الهجوم الكبير لجيش عمر بن سعد على معسكر الحُسَين عليه السلام، «حملَ شمر في الميسرة فثبتوا له وحَملوا علىٰ الحُسَين وأصحابه من كل جانب».[2]

١١ ـ «كان نافع بن هلال البجَلي قد كتبَ إسمه علىٰ فوق نَبلِهِ وكانت مسمومة فقَتل بها إثني عشر رجلاً سوىٰ من جَرح، فضُرِب حتىٰ كُسِرت عضداه وأُخِذ أسيراً فأخذه شمر بن ذي الجوشن فأتىٰ به عمر بن سعد والدم علىٰ وجهه وهو يقول لقد قتلتُ منكم إثني عشر رجلاً سوىٰ مَن جَرحت ولو بقيت لي عضد وساعد، ما أسرتموني فانتضىٰ شمر سيفه ليقتله فقال له نافع: واللّه لو كنتَ من المسلمين لعظُمَ عليك أن تلقىٰ اللّه بدمائنا فالحمد للّه الذي جعل منايانا علىٰ يدي شِرار خلقه، فقتَله شمر ثمّ حمل علىٰ أصحاب الحُسَين.»[3]

١٢ ـ «إن شمر بن ذي الجوشن أقبلَ في نفر نحو عشرة من رجاله نحو خيمَة الحُسَين فحالوا بينه وبين رَحله، فقال لهم الحُسَين: ويلكم! إن لم يكن لكم دين ولاتخافون يوم المعاد فكونوا أحراراً ذوي أحساب، إمنعوا رَحلي وأهلي من

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٢٤.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٦٨.

(٣) نفس المصدر: ج ٤، ص ٧١ ـ ٧٢.

طغاتِكم وجُهّالكم. فقالوا: لكَ ذلك يا إبن فاطمة».[١]

١٣ ـ وفي اليوم الحادي عشر من محرَّم وبعد واقعة الطف، تحرَّك جيش عمر بن سعد نحو الكوفة مع الأسرى ورؤوس الشهداء يحملها خولي بن يزيد وحميد بن مسلم، وقيلَ الذي حَمَلَ الرؤوس كان شمر وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجّاج وعروة بن قيس».

١٤ ـ «ثمّ أرسل إبن زياد رأس الحُسَين ورؤوس أصحابه مع زَحر بن قيس إلى الشام إلى يزيد ومعه جماعة، وقيل: مع شمر وجماعة معه».[٢]

١٥ ـ «لمّا قُتِل الحُسَين ومن معه، حُمِلَت رؤوسهم إلى إبن زياد فجاءَت كندة بثلاث عشر رأساً وصاحبهم قيس بن الأشعث. وجاءَت هوازن بعشرين رأساً وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن الضبابي. وجاءَت بنو تميم بسبعة عشر رأساً. وجاءَت بنو أسد بستة رؤوس. وجاءَت مذحج بسبعة أرؤس. وجاءَ سائر الجيش بسبعة أرؤس فذلك سبعون رأساً».[٣]

١٦ ـ خلال ثورة المختار في الكوفة، كان شمر من أبرز قادة إبن مطيع الذين قاتلوا ضد الثوّار في أحياء الكوفة.

١٧ ـ كان شمر من زعامات المتمردين علىٰ المختار وقاتَلَ المختار للمرّة الثانية.[٤]

١٨ ـ قَتلَ غلام المختار «زربي»، عندما كان يُطارده ليلقي القبض عليه.[٥]

هذه خلاصة من جرائم شمر بن ذي الجوشن وفجائعه.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص ٧٦.

(٢) نفس المصدر: ص ٨٣.

(٣) نفس المصدر: ص ٩١ ـ ٩٢.

(٤) نفس المصدر : ص ٢٣٠.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٥.

مطاردة شمر

إستطاع شمر أن ينجو بنفسه من المعركة ويخرج من الكوفة، فتَبِعه أحد غلمان المختار يقال له «زربي»، مِن أهل فارس في الأصل ومن أتباع أهل البيت عليهم السلام؛ يقول مسلم بن عبدالله الضبابي: «تَبِعَنا زربيٌّ غلام المختار فلحِقَنا وقد خرَجنا من الكوفة علىٰ خيول لنا ضُمَّر، فأقبلَ يتمطَّر به فرسه فلمّا دَنا منّا، قال لنا شمر: اركضوا وتباعدوا عنّي لعلَ العبد يطمع فيَّ. قال: فركضنا، فأمعنَّا وطمع العبد في شمر وأخذَ شمر ما يستطرد له حتىٰ إذا إنقطع من أصحابه حَمَلَ عليه شمر فدقَّ ظهره وأتىٰ المختار فأخبر بذلك، فقال: بؤساً لزربي أما لو يستشيرني ما أمرته أن يخرج لأبي السابغة».(١)

وأطردَ مسلم يقول: «لمّا خرج شمر بن ذي الجوشن وأنا معه حين هزَمَنا المختار وقَتَل أهل اليمن بجبّانة السَّبيع ووجَّه غُلامَه زربياً في طلب شمر، وكان مَن قتل شمر إياه ما كان، مضىٰ شمر حتىٰ ينزل «ساتيدما»، ثمّ مضىٰ حتىٰ ينزل إلى جانب قرية يُقال لها «الكلتانية» علىٰ شاطئ نهر إلى جانب تل ثمّ أرسلَ إلى تلك القرية فأخذ منها عِلجاً فضربه، ثمّ قال النّجاء بكتابي هذا إلى مُصعَب بن الزبير وكتب عنوانه للأمير المصعب بن الزبير من شمر بن ذي الجوشن، قال: فمضىٰ العِلج حتىٰ يدخل قريةً فيها بيوت وفيها أبوعَمرة وقد كان المختار بعثه في تلك الأيام إلى تلك القرية لتكون مَسلحة فيما بينه وبين أهل البصرة، فلقي ذلك العِلج عِلجاً من تلك القرية، فأقبل يشكو إليه ما لقي من شمر، فإنه لقائم معه يكلّمه إذ مرَّ به رجل من أصحاب أبي عمرة فرأىٰ الكتاب مع العِلج وعنوانه: لمصعب من شمر، فسألوا العِلج عن مكانه الذي هو به فأخبرَهم فإذا ليس بينهم وبينه إلّا ثلاثة فراسخ. قال: فأقبلوا

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٢٥.

يسيرون إليه، وأنا واللّه مع شمر تلك الليلة، فقُلنا لو أنك إرتحلتَ بنا من هذا المكان فإنا نتخوف به، فقال: أو كلّ هذا فَرَقاً من الكذّاب! واللّه لا أتحوّل منه ثلاثة أيّام، ملأ اللّه قلوبكم رُعباً».[1]

مقتل شمر

وأضاف «وكان بذلك المكان الذي كنّا فيه دبّي كثير فواللّه إني لبين اليـقظان والنائم إذ سمِعتُ وقعَ حوافر الخيل، فقلت في نفسي هذا صوت الدبّي ثمّ إني سمعته أشد من ذلك فانتبهتُ ومسحتُ عيني وقلت لا واللّه ما هذا بالدبِّي. قال وذهبتُ لاقوم فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التَّل فكبَّروا ثمّ أحاطوا بأبياتنا وخرجنا نشتدّ علىٰ أرجلنا وتركنا خيلنا. قال: فأمُرَّ علىٰ شمر وإنه لمتَّزر ببُرد محقق وكان أبرَص فكأني أنظر إلى بياض كشحيه من فوق البُرد فإنه ليطاعنهم بـالرمح، قـد أعجَلوه أن يلبس سلاحَه وثيابَه، فمضينا وتركناه. قال: فما هو إلّا أن أمعنتُ ساعة، إذ سمِعتُ اللّه أكبر، قَتلَ اللّه الخبيث».[2] وكان عبدالرحمن بن عبيد أبي الكـنود يقول: «أنا واللّه صاحب الكتاب الذي رأيته مع العِلج وأتيتُ به أبا عَـمرة وأنـا قتلت شمراً». وكان يدّعي ذلك.

رواية أُخرىٰ

وفي أمالي الصدوق جاء في قتل شمر التالي: «وطلبَ المختار شمر بن ذي الجوشن فهرب البادية فسعىٰ به إلى أبي عَمرة فخرج إليه مع نفر من أصحابه فقاتلهم قتالاً

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٢٥.

(٢) نفس المصدر: ص٥٢٥ ـ ٥٢٦.

شديداً فأثخنته الجراحة، فأخذه أبوعَمرة أسيراً وبعثَ به إلى المختار فضربَ عنقه وأغلىٰ له دِهناً في قدر فقذفه فيها فتفسَّخ، ووطئ مولىٰ لآل حارثة بن مضرب وجهه ورأسه». (١)

نستنتج من جمع هاتين الروايتن، ربما أنَّ شمر بن ذي الجوشن جُرِح عند إلقاء القبض عليه أثناء هروبه وأنَّهم أتو به حيّاً إلى المختار فأمرَ بضرب عنقه وإلقاء جسمه في قدر بها دهن مغلي.

وحين سُئل أبي الكنود: «هل سمِعته يقول شيئاً ليلتئذ، قال: نعم خرج علينا فطاعَننا برمحه ساعة ثمّ ألقىٰ رمحه ثمّ دخلَ بيته فأخذ سيفه ثمّ خرج علينا وهو يقول:

نَبَّهتُم ليثَ عرينٍ باسِلا جَهماً مُحيَّاهُ يَدُقُّ الكاهِلا
لم يُرَ يوماً عَن عَدُوٍّ ناكِلا إلّا كذا مُقاتِلاً أو قاتِلا
يُبرِحُهُم ضَرباً ويُروِي العامِلا (٢)

قال مسلم الضمري: «فما هو إلّا أن أمعنتُ ساعة إذ سمعت: اللّه أكبر قَتلَ اللّه الخبيث». (٣)

نعم؛ قُتِل شمر بن ذي‌الجوشن، هذا المُجرم الجاني الخبيث علىٰ يد أبوعَمرة وقُتِل معه بعض أصحابه ثمّ جِيئ بالرؤوس إلى المختار، فخرَّ ساجداً ـ شُكراً للّه ـ ونُصِبَت الرؤوس العَفِنة النتِنة في رَحبة الحذّائين.» (٤)

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٣٨.
(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٢٦.
(٣) نفس المصدر: ص ٥٢٥ ـ ٥٢٦.
(٤) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٤.

الإنتقام الأوّل والتعامل بالمثل

«أوّل من بدأ به؛ الّذين وطأوا الحُسَينعليه‌السلام بخَيلهم، وأنـامَهم عـلىٰ ظـهورهم، وضربَ سكك الحديد في أيدِيهم وأرجلهم، وأجرىٰ الخيل عليهم حتىٰ قـطَّعتهم، وحَرقَهم بالنار.[١]

وكانت أسماء هؤلاء المجـرمين كالتالي: ١ ـ أخنس بن مرشد؛ ٢ ـ إسحاق إبن حوبة؛ ٣ ـ أسيد بن مالك؛ ٤ـحكيم بن الطفيل؛ ٥ ـ رجاء بـن مـنقذ العـبدي؛ ٦ـسالم إبن خثيمة؛ ٧ـصالح بن وهب؛ ٨ـعمرو بن صبيح؛ ٩ ـ هاني بن ثبيت؛ ١٠ ـ واحظ إبن ناعم.

قال أبوعمرو الزاهد: فنظرنا في هؤلاء العشرة فوجدناهم جميعاً أولاد زِنا».[٢]

قتل بجدل بن سليم

كان الخبيث بجدل بن سليم الكـلبي في يـوم عـاشوراء قـد «أخـذَ خـاتَمه ـ الحُسَينعليه‌السلام ـ وقطَعَ إصبَعه، فأمَر ـ المخـتار ـ بقَطعِ يدَيه ورجليه، فلم يزل يَنزف حتىٰ مات».[٣]

خَولي بن يزيد في القائمة السوداء

كان خَولي بن يزيد الأصبحي من الشخصيّات الخبيثة ومن العناصر الفاعلة في حكومة بني أُميّة. وكان دوره مهم وفاعل في حادثة كربلاء. ونُشير بشكل مُفهرَس

---

(١) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١١٨.

(٢) أعيان الشيعة للسيّد محسن الأمين: ج١، ص٦١٢، موسوعة شهادة المعصومين(ع)، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم(ع)، ج٢، ص٣١٩. أنظر كذلك: الملهوف: ص١٨٢، مثير الأحزان: ص٧٨ إلى قوله: يسير، البحار ج٤٥، ص٥٩، عوالم العلوم: ج١٧، ص٣٠٣.

(٣) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٦.

إلى جرائم هذا العنصر الخبيث وملَفه الأسود.

١ ـ المشاركة الفاعلة في واقعة عاشوراء.

٢ ـ رَمىٰ عثمان بن علي عليه السلام ـ أخو الإمام الحُسَين عليه السلام ـ فأرداه قتيلاً.[١]

٣ ـ حَمَلَ رأس الإمام الحُسَين عليه السلام، من كربلاء إلى الكوفة لابن زياد.[٢]

٤ ـ «أُرسِلَ رأس الحُسَين ورؤوس أصحابه إلى إبن زياد مع خَولي بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدي، فوَجدَ خَولي القصر مغلقاً فأتىٰ منزله فوضعَ الرأس تحت أجانة في منزله ودخَل فراشه وقال لإمرأته النوار: جئتك بغنىٰ الدهر، هـذا رأس الحُسَين معكِ في الدار. فقالت: ويلك! جاءَ النّاس بالذهب والفضَّة وجئِتَ برأس إبن رسول اللّه، صلى الله عليه وآله! واللّه لا يجمَعُ رأسي ورأسَكَ بيتٍ أبداً! وقامت مِن الفِراش فخرَجت إلى الدّار، وقالت: فما زلت أنظر إلى نـور مـثلَ العَـمود مِـنَ السماء إلى الأجانة، ورأيتُ طيراً أبيض يُرفرِف حولها. فلمّا أصـبحَ، غَـدا بـالرأس إلى إبـن زياد».[٣]

محاصرة دار خَولي

كان المختار يحث بطلَب خولي، هذا العنصر الخبيث، قال مـوسىٰ بـن عـامر: «وبعثَ معاذ[٤] بن هاني بن عدي الكندي بن أخي حِجر وبعثَ أبا عَمرة صاحب حَرَسه، فساروا حتىٰ أحاطوا بدار خولي بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحُسَين الذي جاءَ به، فإختَبأ في مخرَجه فأمَر معاذ أبا عَمرة أن يـطلبه في الدار،

---

(١) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج ٤، ص٧٦.

(٢) نفس المصدر: ص ٨١.

(٣) نفس المصدر: ص٨٠ ـ ٨١.

(٤) إبن أخ الشهيد حِجر بن عدي من الأصحاب الأوفياء لأمير المؤمنين(ع).

فخرجت إمرأتُه إليهم، فقالوا لها: أينَ زوجك؟ فقالت: لا أدري أينَ هو وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا فوجَدوه قد وضع علىٰ رأسه قَوصَرة فأخرجوه.(١)

أُقتلوه وأحرقوه

كان المختار يسير بالكوفة ثمّ أنه أقبلَ في أثر أصحابه وقد بعثَ أبو عَمرةَ إليه رسولاً فإستقبلَ المختار الرسولَ عند دار أبي بلال ومعه إبنُ كامل فأخبره الخبر، فأقبلَ المختار نحوَهم فإستقبل به، فردّده حتىٰ قَتَله إلى جانب أهله ثمّ دعـا بـنار فَحرَقَه بها، ثمّ لم يبرَح حتىٰ عاد رماداً، ثمّ إنصرف عنه».(٢)

جرائم سِنان بن أنس في يوم عاشوراء

كان سِنان بن أنس من ضمن الأشخاص الّذين نالوا أشدَّ العِقاب عـلىٰ يـد المختار. وربما إسم هذا الشخص أي «سنان بن أنس» قد طرَق مسامع الكثير من المسلمين لِما إتّصفَ به من الخُبث وحجم الجرائم الّتي إرتكـبها، والّـتي يـقشعرلها الجسم. فسنان هذا كان من أكثر منفِّذي حادثة كربلاء خُبثاً وإنحطاطاً، بل كان أقسىٰ قلباً وأكثر إنحطاطاً من شمر وعمر بن سعد.

١ ـ في يوم عاشوراء وبعد أن بقيَ الحُسَين وحيداً لم يَزلعليه السلام يُقاتِلهم وقد أُصيبَ بعدَّة جراحات وطعنات. قامَ شمر وسِنان بن أنس مع عشرة من جُندِهم بالتَعرُّض لخِيام الحُسَينعليه السلام والحَرَم، وحالوا بينه وبين رَحلِه فصاحَعليه السلام «ويلَكم يا شيعةَ آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لاتخافون المعاد فكونوا أحراراً في دُنياكـم هذه وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرباً كما تَزعمون، قال: فناداه الشمر (لَـعنَهُ

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٣٠ ـ ٥٣١.

(٢) نفس المصدر.

اللّه): ما تقول يا إبن فاطمة. فقال: إنّي أقول: أُقاتِلكم وتُقاتِلونَني والنِساء ليسَ عليهُنَّ جُناح فإمنعوا عُتاتَكم وجُهّالكم وطُغاتكم من التَعرُّض لحُرَمي ما دُمت حياً، فقال شمر (لعنه اللّه): لكَ ذلك يا إبن فاطمة، فقصدوه بالحرب».[1]

٢ ـ «ولقد مكَثَ ـ الحُسَين عليه السلام ـ طويلاً من النهار ولو شاءَ النّاس أن يقتلوه لفعلوا، ولكنّهم كان يتَّقي بعضُهم ببعض، ويُحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء، قال: فنادىٰ شمر في النّاس: ويحكم ماذا تنظرون بالرجل؟ أُقتلوه ثكلتكم أُمهاتُكم، قال: فحُمِلَ عليه من كل جانب، فضُرِبت كفُه اليسرىٰ ضربةً ضرَبها زُرعة بن شريك التميمي، وضُرِبَ علىٰ عاتِقه، ثمّ إنصَرَفوا وهو ينوء ويكبو، قال: وحَمَلَ عليه في تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النخعي فطعَنهُ بالرمح فوقع، ثمّ قال لخولي بن يزيد الأصبحي: إحتز رأسه فأرادَ أن يفعل فضَعُفَ وإرتَعَد، فقال له سنان بن أنس: فَتَّ اللّه عَضُديك وأبان يديك، فنزلَ إليه فذبَحهُ وإحتزَ رأسه، ثمّ دفعَ إلى خَولي بن يزيد، وقد ضُرِبَ قبل ذلك بالسيوف».[2]

٣ ـ «وبعدَ جريمتِه الكبرىٰ، قال النّاس لسِنان بن أنس النخعي: قتلتَ الحُسَين بن علي وإبن فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله، قتلتَ أعظم العَرب خطراً، وأرادَ أن يُزيل مُلكَ هؤلاء، فأتِ أُمراءك فاطلُب ثوابكَ منهم فإنّهم لو أعطوكَ بيوتَ أموالهم في قتله كان قليلاً. فأقبلَ علىٰ فرَسه، وكان شاعراًبه لوثة، حتىٰ وقفَ علىٰ باب فُسطاط عمر بن سعد ثمّ نادىٰ بأعلىٰ صوته:[3]

أوقر ركابِي فضَّةً وذَهَباً ... إنّي قَتلتُ السيّدَ المُحجبا

قَتلتُ خيرَ الناسِ أُماً وأباً ... وخَيرَهُم إذ يُنسِبونَ نسبا[4]

---

(١) الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف للسيّد، إبن طاووس: ص ٧١.

(٢) مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٢٠٠.

(٣) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٧٩.

(٤) في تهذيب إبن عساكر: ج٣، ص٣٤٢ ومروج الذهب: ج٣، ص٧٥ وسمط النجوم العوالي: ج٣، ص٧٦؛

«فقال عمر بن سعد: أدخُلوه عليَّ، فلمّا دَخلَ رَماه بالسَوط، وقال: ويحكَ أنتَ مجنون، واللّه لو سَمعِك إبن زياد تقول هذا لضربَ عُنقك.»[١]

أشد العقوبات

«وطلبَ المختار سِنان بن أنس الذي كان يدّعي قتل الحُسَين فوجده قد هرب إلى البصرة فهدَم داره»[٢]؛ «ثمّ خرج من البصرة نحو القادسيّة وكان عليه عيون فأخبروا المختار فأخذه بين العذيب والقادسيّة، فـقطعَ أنـامِله ثمّ يـدَيه ورجـليه، وأغلىٰ زيتاً في قِدر ورماه فيها.[٣]

لقد جاؤوا بهذا المجرم القَسي القلب مكتوف اليدَين وقد وقع في قبضة العدالة ليتحقق بذلك الوعد الالهي مرةً أخرىٰ. فألقوه في قِدر من زيت يغلي وهو حَي بعد أن قَطعوا يدَيه ورجليه.

القبض علىٰ قاتل آخر

ربمّا سَمعتم في المَقاتل عن «حكيم بن الطُفيل السـنبسي الطـائي»، مـن أشراف الكوفة ومن المنافقين ومن حماة بني أُميّة وأعوانهم، حضرَ كربلاء وقـام بـالقتل والسَبي وجرائم أُخـرى. وشـاركَ في قـتل العـبّاس بـن عـليعليه السلام ونَهبْ مـلابِسه وسِلاحه. وعندما سُئِل عن رَميهِ الإمام الحُسَينعليه السلام بسهم قاتِل، فنكرَ ذلك وقال:

← أنشدها بين يدي إبن زياد، وفي إبن الأعثم: ج٥، ص٢٢١؛ أنشدها بشر بن مالك بين يدي إبن زياد، فقدّمه وضرب عنقه.

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج ٨، ص ٢٠٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٣٤ ـ ٥٣٥.

(٣) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥ ص٣٧٥.

تَعلَّق سهمي بسرباله وما ضَرَّه[١] وهو عذرٌ غيرمقبول ومرفوضٌ مِـنه. «وبـعثَ المختار عبدالله بن كامل إليه فأخذه وإتَّجه صوب دار الإمارة».[٢]

شفاعة عدي بن حاتم الطائي[٣]

«فذهبَ أهله إلى عدي بن حاتم ليشفع فيه، فلحقهم في الطريق فـقالوا ليس أمره إلينا إنمّا أمرهُ إلى المختار، فمضىٰ إلى المختار وكان المختار قد شَفَّعه في جماعة من قومه أُسِروا يوم قتال المختار مع أهل الكوفة لم يكـونوا نَـطقوا بـشيٍ مـن أمـر الحُسَين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، فقال أصحاب إبن كامل له إنّا نخاف أن يشفعه الأمير في هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمِت، فدَعنا نقتله، قال: نعم».[٤]

رمي حكيم بن الطفيل بالسهام

أتىٰ به الشيعة مكتوفاً وهم مسرورون لعلمهم برضا إبن كامل علىٰ أن لاينجوا هذا المجرم الظالم «وقالوا له: سَلَبتَ إبن علي ثـيابَهُ ـ يـقصدون العـبّاس ـ واللّـه

---

(١) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج ٤، ص٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٢) أصدق الأخبار للسيّد محسن الأمين: ص٦٥ ـ ٦٦.

(٣) جاء في الخلاف للطوسي: ج٦، هامش ص٨: «عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن أمرؤ القيس بن عدي، أبوطريف الطائي، قدَم علىٰ النبي(ص) سنة ٧ للهجرة، روىٰ عن النبي(ص)، وعنه قالوا: وعاش مائة وثمانين سنة، مات سنة (٦٨) للهجرة، وفي شرح أصول الكافي للـمازندراني: ج ١١، ص١٣٣: عدي إبن حاتم الطائي كان رئيس قبيلة بني طي وكان من مشاهير العرب وكان هو وقومه مشركين يعبدون الأصنام فقاتلهم أمير المؤمنين(ع) بأمر النبي(ص) وغلبهم وكسَّر أصنامهم وأخذ غنائمهم وهرب عدي إلى الشام ثمّ تفكر في أن محمّداً، أما سلطان أو نبي مرسل وعلىٰ التقديرين لابد من صحبته فرجع إلى المـدينة فأكرمه النبي(ص) وأدخله بيته كما ذكر فلمّا رأىٰ شيئاً من أخـلاق النـبوَّة وآثـارها وأسرارهـا، أسـلم.؛ وإستشهد أولاده طرفة وطريف وطارف مع أمير المؤمنين بصفّين.

(٤) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج ٤، ص٢٤٢ ـ ٢٤٣.

لَنسلِبنَّكَ ثيابك وأنتَ حي تنظر، فنزعوا ثيابه وقالوا له: رمَيتَ حُسَيناً وإتخذته عرضاً لنَبلِك وقُلت تَعلَّق سهمي بسرباله ولم يَضُرَّه واللّه لنَرمينَّك كما رميته بنبال ما تَعلَّقَ بك منها أجزاك، فجعلوه عرضاً للنبل ورَموه رشقاً واحداً حتَّى صار كالقُنفذ فخَرَّ ميتاً».[1]

فحدَّثني أبوالجارود عمَّن رآه قتيلاً كأنَّه قنفذ لما فيه من كثرة النبل، ودخل عدي بن حاتم علىٰ المختار فأجلسه معه علىٰ مجلسه فأخبره عدي عما جاء له، فقال له المختار: أتسَتحل يا أبا طُريف أن تطلب في قتلة الحُسَين؟ قال: إنّه مكذوبٌ عليه أصلحك اللّه. قال: إذاً نَدعه لك، قال: فلم يكن بأسرع مِن أن دخلَ إبن كامل، فقال له المختار: ما فعلَ الرجل. قال: قَتَلتهُ الشيعة. قال: وما أعجَلك إلى قَتله قبل أن تأتيني به، وهو لا يسره أنه لم يقتله وهذا عدي قد جاء فيه وهو أهلٌ أن يَشفع ويؤتىٰ ما سَرَّه. قال غلَبتني واللّه الشيعة. قال له عدي: كذبتَ يا عدوَّ اللّه ولكن ظننتَ أنَّ من هو خيرٌ منك سيَشفَعني فيه فبادَرتني فقَتلتَه ولم يكن خطر يَدفعَك عمّا صنعت. قال: فإسحَنفر إليه إبن كامل بالشَتيمة فوضعَ المختار إصبعه علىٰ فيه يأمر إبن كامل بالسكوت والكف عن عدي. فقامَ عدي راضياً عن المختار ساخطاً علىٰ إبن كامل يشكوه عندَ من لقيَ من قومه.[2]

دعاء الإمام السجَّاد عليه السلام علىٰ حرمَلة بن كاهل

نقل الشيخ الطوسي في الأمالي عن المنهال بن عمرو، قال: «دخلت علىٰ علي بن الحُسَين عليه السلام مُنصرَفي من مكّة فقال لي: يا منهال، ما صنعَ حرملة بن كاهل

(١) أصدق الأخبار للسيّد محسن الأمين: ص٦٥ ـ ٦٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٣٤.

الأسدي؟ فقلت: تركته حيّاً بالكوفة، قال: فرفعَ يدَيه جميعاً، فقال: «اللّهم أذِقه حرَّ الحديد، اللّهم أذِقه حرَّ الحديد، اللّهم أذِقه حرَّ النار». نعم إنَّ ذئاب كربلاء فرداً فرداً قد إرتكبوا جرائم كبرىٰ لاتُنسىٰ، لكن يظهر من دعاء الإمام السجّادعليه السلام، أن لا أحد مثل حرملة قد آذىٰ قلبَ الإمام وأهل البيت عليهم السلام. قال أبومخنف عن الإمام الباقرعليه السلام: «... أتىٰ الحُسَين بصبي له فهو في حِجره إذ رماه أحدُكم يا بني أسد بسهمٍ فذبحه فتلقىٰ الحُسَين دمه فلمّا ملأَ كفيَّه صبَّه في الأرض ثمّ قال. ربِّ إن تَكُ حَبستَ عنّا النصر من السماء فإجعل ذلك لما هو خير وإنتقِم لنا من هؤلاء الظالمين».[1]

القبض علىٰ حرملة بن كاهل الأسدي

قال المنهال:

«فقدمت الكوفة، وقد ظهر المختار بن أبي عبيد، وكان لي صديقاً، قال: فكنت في منزلي أيّاماً حتىٰ إنقطع النّاس عنّي، وركبت إليه فلقيته خارجاً من داره، فقال: يا منهال، لم تأتنا في ولايتنا هذه، ولم تُهنِّئنا بها، ولم تُشركنا فيها؟ فأعلمته أني كنت بمكّة، وأني قد جئتك الآن: وسايرته ونحن نتحدَّث حتىٰ أتىٰ الكُناس، فوقف وقوفاً كأنه ينتظر شيئاً، وقد كان أُخبِر بمكان حرملة بن كاهل، فوجَّه في طلبه، فلم نلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشتدّون حتىٰ قالوا: أيُّها الأمير، البشارة، قد أُخِذَ حرملة بن كاهل، فما لبثنا أن جِئَ به».[2]

نعم إنه هو حرملة، قاتِل علي الأصغر ومجرم كربلاء القسِي القلب.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٤٢.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ص٢٣٨ ـ ٢٣٩.

عقاب حرملة

«فلمّا نظر إليه المختار قال لحرملة: الحمد للّه الذي مَكَّنني منك. ثمّ قال: الجزَّار الجزَّار، فأُتيَ بجزَّار، فقال له: إقطع يدَيه، فقُطِعتا، ـ نعم إنّها اليدَين الّتي كان يَمسك القوس بإحدها ويَضع السهم بالثانية، فأصاب بالسهم الأوّل عُنق طفل الحُسَين البريّ فقتَلَه وبالثاني أصابَ عين أبا الفضل العبّاس عليه السلام وبالثالث أصاب قَلب الحُسَين عليه السلام، نعم يجب أن تُقطَع هاتين اليدَين القذرتين ـ ثمّ قال له: إقطع رجلَيه، فقُطِعتا، ثمّ قال: النار النار؟ فأُتيَ بنار وقَصب فأُلقِيَ عليه وإشتعلَت فيه النار.

يقول المنهال: كنت أنظر المشهد بحيرة وذهول وأنا أقف جنب المختار، فعندما رأيت جَسد حرملة يحترق «قُلت: سبحان اللّه ! فقال لي: يا منهال، إنَّ التسبيح لحَسن، ففيم سبَّحت؟

فقلت: أيُّها الأمير، دخلت في سفرتي هذه منصَرفي من مكّة علىٰ علي بن الحُسَين عليه السلام فقال لي: يا منهال، ما فعلَ حرملة بن كاهلة الأسدي؟ فقلت: تركته حيّاً بالكوفة؟ فرفعَ يدَيه جميعاً فقال: اللّهم أذقهُ حرَّ الحديد، اللّهم أذقهُ حرَّ الحديد، اللّهم أذقه حرَّ النار».

فقال لي المختار: أَسَمِعتَ علي بن الحُسَين عليه السلام يقول هذا؟ فقلت: واللّه لقد سَمِعتُه قال: فنزلُ عن دابته وصلّىٰ ركعتين فأطال السجود، ثمّ قام فركب، وقد إحترق حرملة، وركبت معه وسرنا، فحاذيت داري.

صَوم الشُكر

فقلت: أيُّها الأمير، إن رأيت أن تُشرِّفني وتُكرِّمني وتنزل عندي وتحرم بطعامي، فقال: يا منهال، تُعلِمَني أنَّ علي بن الحُسَين دعا بأربع دعوات فأجابه اللّه

علىٰ يَدي ثمّ تأمرُني أن آكل ! هذا يوم صوم.[١] شُكراً للّٰه (عزَّوجل) علىٰ ما فعلته بتوفيقه، وحرملة هو الذي حمَلَ رأس الحُسَينعليه‌السلام.[٢]

محاصرة قاتل علي الأكبر

وبعث المختار ـ عبداللّٰه بن كامل مع جماعة ـ إلى قاتل علي بن الحُسَين ـ يوم عاشوراء ـ وهو مُرّةَ بن منقذ بن النعمان بن عبد القيس وكان شجاعاً فأحـاطوا بداره فخرج إليهم علىٰ فرس جواد وبَيده رُمحه فطاعَنَهم ـ فطَعنَ عُبيد اللّٰه إبـن ناجية الشبامي فصرعه ولم يَضُرَّه ـ فضرَبه ـ إبن كـامل بـالسيف فـإتَّقاه بـيَده اليسرىٰ فأسرعَ فيها السيف وتمـطَّرت به الفرس فأفـلت فكُـسِرت ولم تُـقطع ـ وهربَ منهم فنجا ولحِقَ بمُصعَب بن الزبير وشُلَّت يده بعد ذلك.[٣]

قاتِل آخر في قبضة العدالة

وبعثَ المختار عبداللّٰه بن كامل إلى زيد بن رُقاد[٤] الجهني؛ كان يقول لقد رَميت فتىً منهم بسهمٍ وكفَّه علىٰ جبهته يتَّقي النَبل فأثبَت كفَّه في جبهته فما إستطاع أن يُزيل كفَّه عن جبهته، فحدّثني أبوعبد الأعلىٰ الزبيدي أن ذلك الفتىٰ عبداللّٰه بن مسلم بن عقيل وأنه قال حيث أُثبِت كفَّه في جبهته: اللّهم إنّهم إستقلّونا وإستذلّونا اللّهم فاقتلهم كما قَتلونا وأذلَّهم كما إستذلّونا ثمّ أنه رمىٰ الغلام بسهم آخر فـقتله فكان يقول جئته ميّتاً فنزعت سهمي الذي قَتلتهُ به من جَوفه فلم أزل أُنضنِض

---

(١) يُعلم من هذه الرواية أن المختار لم يأكل شيئاً حتىٰ تلك اللحظة من النهار، فيمكنه نيّة صوم مستحبة.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ص٢٣٨ ـ ٢٣٩، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٣٣، رجال الكشي ومناقب إبن شهر آشوب، وكشف الغمة والمحجة البيضاء للفيض الكاشاني: ج٤، ص٢٤١.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٤٣.

(٤) جاء في تاريخ الطبري والكامل «زيد بن رقاد» في حين أن هناك مصادر أخرىٰ ذكرت زيد بن ورقاء.

السَهم من جبهته حتىٰ نزعته وبقيَ النَصل في جبهته مثبتاً ما قدرت علىٰ نزعه[١]. قال: فلمّا أتىٰ إبن كامل داره أحاط بها وإقتحمَ الرجال عليه فخرج مصلتاً بسيفه وكان شجاعاً فقال إبن كامل: لاتضربوه بسيف ولا تطعنوه بـرمح ولكـن إرمـوه بالنَبل وإرجموه بالحجارة، ففعلوا ذلك به فَسقط. فقال إبن كامل: إن كان به رمَق فأخرجوه، فأخرَجوه وبه رَمق فدعا بنار فحرَقهُ بها وهو حي لم تخرج روحه.[٢]

إختفاء مجرم

عمرو بن الحجّاج الزبيدي، من مجرمي واقعة كربلاء، وضعَ عمر بن سعد «علىٰ ميمنتهِ عمرو بن الحجّاج، وعلىٰ ميسرته شمر بن ذي الجوشن، وعلىٰ الخيل عروة بن قيس، وعلىٰ الرجّالة شبث بن ربعي، وأعطىٰ الراية دريداً مولاه.»[٣]، و «بعثَ عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجّاج في خمسمائة فارس، فنزلوا علىٰ الشريعة وحالوا بين الحُسَين وأصحابه وبين ماء الفُرات أن يستَقوا منه قطرة، وذلك قـبل قتل الحُسَين بثلاثة أيام».[٤]

وكان من جملة من كتبَ إلى الحُسَين عليه السلام ودعاه إلى القُدوم، وقاتلَ مسلم بأمر من إبن زياد وكان له دور في القبض علىٰ مسلم بن عقيل، وأعلنَ وفائه نيابةً عن مذحج لإبن زياد بعد إستشهاد هاني بن عروة؛ «و بلَغَ عمرو بن الحجّاج أنَّ هاني بن عروة قد قُتل، فأقبلَ في مذحج حتىٰ أحاطوا بالقصر ونادىٰ أنا عـمرو بـن

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٣٤ ـ ٥٣٥.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٤٣.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٩٥ ـ ٩٦.

(٤) نفس المصدر: ص٨٦ ـ ٨٧.

الحجّاج هذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نُفارق جماعة...».[١]

وكان من مستشاري إبن المطيع في حربه مع المختار وكان يُؤلِّب النّاس ويُحرِّضهم ويُعبِّئهُم ضد المختار؛ «قال عمرو بن الحجّاج الزبيدي لإبن مطيع أيُّها الرجل لا يسقط في خُلدك ولا تلق بيدك أُخرج إلى النّاس فاندبهم إلى عدوِّك»[٢]، و «... بعثَ عبداللّه بن مطيع عمرو بن الحجَّاج في ألفيَ رجل فخرج عليهم من سكة الثوريين فبعثَ المختار إلى إبراهيم أن أطوِه...»[٣]

وكان يُحرِّض العسكر علىٰ الحُسَين يوم عاشوراء؛ «... وسَمِعه الحُسَين عليه السلام ـ فقال يا عمرو بن الحجّاج أعليَّ تُحرِّض النّاس؟ أنحن مَرقنا من الدين أم أنتم، واللّه لتعلَمُنَّ لو قُبضِت أرواحكم ومتُّم علىٰ أعمالكم أيُنا المارِق...».[٤]

وكان يعلم أنه وبسوابقه وملّفه الأسود لن ينجو من عقاب المختار إذا قبضَ عليه؛ «فركب راحلته ثمّ ذهب عليها فأخذَ طريق «شراف» و«واقصة» فلم يُرَ حتىٰ الساعة ولايُدرىٰ أرضٌ بخَسته أم سماءٌ حصبته».[٥] «وقِيل أدرَكهُ أصحاب المختار وقد سقط من شدّة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه».[٦]

ثلاث جناة في محكمة المختار

قال مالك بن أعين الجهني: «أنَّ عبداللّه بن دباس ـ وهو الذي قَتلَ محمّد بن عمار بن ياسر ـ هو الذي دَلَّ المختار علىٰ نفر ممن قتل الحُسَين، منهم عبداللّه بن

(١) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج ٤، ص٣٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٠٤.

(٣) نفس المصدر: ص٥٠٥.

(٤) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج ٤، ص٦٧.

(٥) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٢٤ ـ ٥٢٥.

(٦) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج ٤، ص٢٣٦.

أسيد بن النزال الجهني إبن حرقة ومالك بن النسير البدي وحمل إبن مالك المحاربي، فبعث إليهم المختار أبا نمر مالك بن عمرو النهدي وكان من رؤوساء أصحاب المختار فأتاهم وهم بالقادسيّة فأخذهم فأقبل بهم حتىٰ أدخلَهم عليه عشاءً. فقال لهم المختار: يا أعداء اللّه وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله أينَ الحُسَين بن علي، أدّوا إليّ الحُسَين، قَتلتُم مَن أُمِرتُم بالصلاة عليه في الصلاة. فقالوا: رحمك اللّه بَعثَنا ونحن كارهون فأمنن علينا وإستَبقِنا. قال المختار: فهلّا مَننتُم علىٰ الحُسَين بن بنت نبيِّكم وإستبقيتُموه وسقَيتُموه، ثمّ قال المختار للبدي: أنت صاحب بُرنُسه فقال له عبداللّه إبن كامل: نعم هو هو، فقال المختار: إقطعوا يَدي هذا ورجليه ودعوه فليضطرب حتىٰ يموت. ففُعِل ذلك به وتُرِك فلم يزل ينزف الدم حتىٰ مات. وأمرَ بالآخرين فقَدما فقَتلَ عبداللّه بن كامل عبداللّه الجهني وقَتلَ سعر بن أبي سعر حَمل بن مالك المحاربي».[1]

معاقبة ثلاثة جناة آخرين

قال أبوسعيد الصيقل: «أنَّ المختار دُلَّ علىٰ رجال من قَتلة الحُسَين دَلَّه عليهم سعر الحنفي، قال: فبعثَ المختار عبداللّه بن كامل فخرجنا معه حتىٰ مرّ ببني ضبيعة فأخذ منهم رجلاً يقال له زياد بن مالك، قال: ثمّ مضىٰ إلى عنزة فأخذ منهم رجلاً يُقال له عمران بن خالد، قال: ثمّ بَعثَني في رِجالٍ معه إلى دارٍ في الحمراء فيها عبدالرحمن بن أبي خشكارة البَجَلي قاتِل مسلم بن عوسجة ـ وعبداللّه بن قيس الخولاني، فجئنا بهم حتىٰ أدخلناهم عليه فقال لهم يا قَتلَة الصالحين وقَتلَة سيّد شباب أهل الجنَّة ألا تَرونَ اللّه قد أقاد منكم اليوم، لقد جاءكم الوَرس بيوم

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥.

نحس، وكانوا قد أصابوا من الوَرس الذي كان مع الحُسَين، أخرِجُوهم إلى السوق فاضربوا رقابهم فَفُعِل ذلك بهم فهؤلاء أربعة نفر».[١]

مطاردة حميد بن مسلم ومعاقبة ثلاثة جناة

كان حميد بن مسلم الكوفي من جملة من حضر واقعة كربلاء، بصفة كاتب وراوٍ من أوَّله إلى آخره، وكان يُدَوِّن الوقائع اليومية، إذ نقلَ الكثير من الوقائع قبل وبعد واقعة كربلاء، إذ يقول حميد بن مسلم: «جاءنا السائب بن مالك الأشعري في خيل المختار فخَرجتُ نحو عبدالقيس وخرج عبد اللّه وعبد الرحمن إبنا صلخب في أثَري وشغلوا بالإحتباس عليهما عنّي فنجوت وأخذوهما ثمّ مَضوا بهما حتىٰ مرّوا علىٰ منزل رجل يُقال له عبد اللّه بن وهب بن عمرو إبن عم أعشىٰ همدان من بني عبد، فأخذوه فإنتهوا بهم إلى المختار فأمرَ بهم فقُتِلوا في السوق، فهؤلاء ثلاثة، فقال حميد إبن مسلم في ذلك حيث نجا منهم:

ألم تَرني علىٰ دهشٍ	نَجوتُ ولَم أكِد أنجوُ
رجاءَ اللّه أنقذَني	وَلم أكُ غَيرهُ أرجُو[٢]

قاتلَين آخرَين في قبضة العدالة

يقول موسىٰ بن عامر العدوي من جُهينة وقد عَرفِ ذلك الحديث شهم بن عبدالرحمن الجهني، قال: بَعثَ المختار عبداللّه بن كامل إلى عثمان بن خالد بن أسير الدهماني من جهينة، وإلى أبي أسماء؛ بشر بن سوط القابضي وكانا ممَن شَهِدا قَتل الحُسَين وكانا إشتَركا في دَم عبدالرحمن بن عقيل بن أبي طالب وفي سَلبه، فأحاطَ

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٢٩ ـ ٥٣٠.

(٢) نفس المصدر.

عبدالله بن كامل عند العصر بمسجد بني دهمان ثمّ قال: عليَّ مثلُ خطايا بني دهمان منذ يومَ خُلِقوا إلى يومَ يُبعثون إن لم أوتِ بعثمان بن خالد بن أسير، إن لم أضرب أعناقكم من عندِ آخركم فقلنا له: أمهلنا نطلبه، فخرجوا معه الخيل في طلبه فوجدوهما جالسَين في الجبّانة وكانا يُريدان أن يخرُجا الجزيرة، فأتىٰ بهما عبدالله بن كامل فقال: الحمد لله الذي كفىٰ المؤمنين القتال، لو لم يجدوا هذا مع هذا عنَّانا إلى منزله في طلبه فالحمد لله الذي حيَّنك حتىٰ أمكن منك. فخرج بهما حتىٰ إذا كان في موضع بئر الجعد ضربَ أعناقهما ثمّ رجع فأخبر المختار خبرهما فأمرَه أن يرجع إليهما فيحرقهما بالنار. وقال: لا يُدفنان حتىٰ يُحرَقا. فقال أعشىٰ همدان يرثي عثمان الجهني:

يا عَين بكّي فتىٰ الفِتيانِ عُثمانا ... لا يَبعدنَّ الفتىٰ من آلِ دُهمانا

واذكر فتىً ماجداً حُلواً شَمائلُهُ ... ما مِثلُهُ فارسُ في آلِ هَمدانا.[1]

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٣٠ ـ ٥٣١.

الباب الثاني

المختار وعمر بن سعد

في تلك الأيام الحبلىٰ بأحداث مطاردة قَتَلة الإمام الحُسَين عليه السلام ومسببي فاجعة كربلاء وما رافق ذلك من إعتقال المجرمين وإنزال القَصاص بهم. يقول موسىٰ بن عامر أبو الأشعر: «إنّ المختار قال ذات يوم وهو يُحدِّث جلساءه لأقتلنَّ غداً رجلاً عظيم القدَمين غائَر العينين مشرفَ الحاجبين يَسُرَّ مَقتلُه المؤمنين والملائكة المقرَّبين.

وكان الهيثم بن الأسود النخعي عند المختار حين سِمعَ هذه المقالة فوقع في نفسه أنّ الذي يُريد عمر بن سعد بن أبي وقّاص؛ فلمّا رَجعَ إلى منزله دعا إبنه العُريان فقال: إلقَ إبن سعد الليلة فخَبِّره بكذا وكذا وقل له خذ حِذرك فإنه لايُريد غيرك. قال: فأتاه فاستخلاه ثمّ حدَّثه الحديث، فقال له عمر بن سعد: جزىٰ اللّه أباك والإخاءَ خيراً، كيف يريد هذا بي بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق!؛ وكان المختار أوّل ما ظهر أحسنَ شيئ سيرةً وتألّفاً للناس.[1]

قضية كتاب الأمان

من الضروري الإشارة هنا إلى قضية كتاب الأمان الذي منحه المختار من قبل

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٣١ ـ ٥٣٣.

إلى عمر بن سعد. والمثل القائل «الخائن خائف» يجسد بدقّة حالة عمر إبن سعد الذي كان يعلم جيداً الهدف الأساسي للمختار وأصحابه من هذه الثورة الرامية إلى الثأر لدماء شهداء كربلاء وتحقيق هذا الأمر متىٰ ماتوفّرت الأرضيّة المناسبة لذلك. وبما أن عمر بن سعد كان له الدور الأكبر في حادثة كربلاء ويتحمل المسؤولية الأولىٰ حيال جميع جرائم هذه الفاجعة بإعتباره القائد العام لجند الكوفة والشام الذي حاربَ الإمام الحُسَينعليه‌السلام. فقد بادرَ وبعد سيطرة المختار علىٰ الأوضاع في الكوفة وقبل بدء الأخير في الإنتقام، إلى الطلب من عبد اللّه إبن جعدة إبن هبيرة (وهو أحد المقرَّبين للمختار) بالوساطة لدىٰ المختار والحصول منه علىٰ كتاب أمان له. «وكان عبداللّه إبن جعدة إبن هبيرة أكرم خلق اللّه علىٰ المختار لقرابته بعلي فكلَّمَ عمر بن سعد عبداللّه إبن جَعدة وقال له: إنّي لا آمنُ هذا الرجل ـ يعني المختار ـ فخُذ لي منه أماناً، ففعل.

قال أبو الأشعر فأنا رأيت أمانه وقرأته؛[1]

نص كتاب الأمان

بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمرَ بن سعد إبن أبي وقّاص إنَّك آمن بأمان اللّه علىٰ نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدِك لا تؤاخَذُ بحدث كان منك قديماً ما سمعتَ وأطعتَ ولزمتَ رَحلك وأهلَك ومِصرَك فمن لقيَ عمر بن سعد من شُرطة اللّه وشيعة آل محمّد ومن غيرهم من النّاس فلا يعرض له إلّا بخير. شهد السائبُ بن مالك وأحمر بن شُميط وعبداللّه بن شدّاد وعبداللّه بن كامل. وجعلَ المختار علىٰ نفسه عهد اللّه وميثاقَه ليفَينَّ لعمر بن سعد

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٣١ ـ ٥٣٣.

بما أعطاه من الأمان إلّا أن يحُدِث حَدثاً، وأشهَد اللّه علىٰ نفسه، وكفىٰ باللّه شهيدا.[١]

تفسير الإمام الباقر عليه السلام

قال الإمام الباقر عليه السلام: إنما قصد المختار «أن يُحدث حدَثاً»، هو أن يدخل بيت الخلاء، ويُحدث، فظهرَ عمر إلى المختار فكان يُدنيه ويُكرِمه ويُجلِسه معه علىٰ سريره».[٢] وكان يتردد هو وإبنه علىٰ المختار كي يُفهِمَه أنَّه معهُ دائماً وأنّه لاينوي الهروب أو التآمر عليه.

قلق محمّد إبن الحنفيّة

قال موسىٰ بن عامر: «إنَّما هَيَّجَ المختار علىٰ قتل عمر بن سعد، أنَّ يزيدَ إبن شراحيل الأنصاري أتىٰ محمّد إبن الحنفيّة فسلَّمَ عليه فجرىٰ الحديثُ إلى أن تذاكروا المختار وخروجه وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهل البيت فقال محمّد إبن الحنفيّة: «علىٰ أهون رسله يزعم أنَّه لنا شيعة، وقَتَلة الحُسَين جلساؤه علىٰ الكراسي يُحدّثونه» قال: فوعاها الآخر منه، فلمّا قدِم الكوفة أتاه فسلَّم عليه فسأله المختار: هل لقيت المهدي؟ فقال له: نعم فقال ما قال لك وما ذاكرَك: قال فخبَّره الخبر، قال فما لبثَ المختار عمر بن سعد وإبنه أن قَتَلَهما، ثمّ بعثَ برأسَيهما إلى إبن الحنفيّة مع الرسولين اللَّذين سمَّينا وكتب معهما إلى إبن الحنفيّة[٣] (وسنذكر نص رسالة المختار المذكورة لاحقاً).

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٣١ ـ ٥٣٣.

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٣٣ ـ ٥٣٤.

إنَّ الإحتمال الأقوىٰ يكمن في أنَّ قلق محمّد إبن الحنفيّة كان قبل بـدء المخـتار بتصفية قَتَلة الحُسَينعليه السلام والذي لم يجد المختار إلى ذلك الوقت الفرصة المناسبة للبدء في مهمته الّتي شكَّلت لاحقاً السبب في إدخال السرور عـلىٰ قـلوب أهـل بـيت النبوّة عليهم السلام وشيعتهم.

عمر بن سعد علىٰ عتبة العقاب

أشرنا إلى أن المختار في تلك الأيام الّتي شرَعَ بالإنتقام لدماء شهداء كربلاء، كان يشعر بحسّاسية خاصة إزاء عمر بن سعد أكثر من غيره. لكنَّ كتاب الأمان الذي أعطاه لعمر بن سعد سابقاً لمصلحةٍ ما، وإمتناع إبن سعد في إعطاء المبرر للمختار للتَعرُّض له من خلال عدم المشاركة في تمرد الكوفة، شكّلتا السبب الرئـيسي في تأخير إلقاء القبض عليه ومعاقبته. وإلّا فهل يُعقل أن يَفلت المجـرم الأوّل لواقـعة كربلاء من العقاب!؟ وهل يمكن أن يعيش الرأس لأعداء أهل البيت عليهم السلام برَغد، بينما ينال من كان تحت إمرتهِ القصاص جزاءً بما فعلوا من الأعمال والممارسات المشينة ضد أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله. ثمّ أنَّ كتاب الأمان الـمُحرَر من المختار لعمر بن سعد كان يحوي جملة ذات وجهين كشرط لصحته وهي «إلّا أن يُحدِث حَدَثاً» والّتي قـال عنها الإمام الباقرعليه السلام: إنما قصد المختار بذلك أن لايدخل بـيت الخـلاء ويُحـدِث. وعليه فقد آن وقت إدخال السرور علىٰ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

عمر بن سعد ينوي الهروب

«وعلِمَ إبن سعد قول المختار عنه، فعزم علىٰ الخروج من الكوفة فأحضر رجلاً من بني تيم اللات إسمه مالك وكان شجاعاً وأعطاه أربعمائة دينار وقال: هذه معك

لحوائجنا وخرَجا، فلمّا كان عند حَمّام عمر أو نهر عبدالرحمان، وقف وقال: أتدري لمَ خَرجت؟

قال: لا، قال: خفت المختار، فقال: إبن دَومة؟ ـ المختار ـ إنّه أقلّ مِن أن يَقتُلك، وإن هربتَ هدَمَ دارك، وإنتهبَ عيالك ومالَك، وخربَ ضِياعك وأنت أعزُّ العرب، فإغتَر بكلامِه فَرجِعا علىٰ الروحاء فدخلا الكوفة مع الغداة: هذا قول المرزباني».[1]

وقال الطبري: إن غلام عمر بن سعد قال له: وأي حدث أعظم مما صنعت إنَّك تركتَ رَحلِك وأهلِك وأقبلتَ إلى هٰهنا، إرجع إلى رَحلِك لا تَجعَلنَّ للرجل عليك سبيلاً.[2]

وقال غيره: إنَّ المختار علِمَ خروجَهُ من الكوفة، فقال: وفَينا له وغدَر، وفي عُنقِه سِلسلة لو جَهدَ أن ينطلق ما استطاع، فنام عمر علىٰ الناقة فَرجِعت وهو لا يدري حتّىٰ ردَتهُ إلى الكوفة، فأرسل عمر إبنه إلى المختار قال له: أين أبوك؟ قال: في المنزل ولم يكونا يجتمعان عند المختار، وإذا حضرَ أحدَهما غابَ الآخر خوفاً أن يجتمعا فيقتلهما، فقال حفص: أبي يقول: أتَفي لنا بالأمان؟ قال: إجلس...[3]

أبو عَمرة مسؤول الإحضار

«ثمّ دعا المختار بأبي عَمرة صاحب شُرطته فقال له: إذهب الساعة في جماعة من أعوانك حتىٰ تهجم علىٰ عمر بن سعد فتأتيني به، فإذا دخلت عليه وسمعته

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٣١ ـ ٥٣٣.

(٣) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٨ ـ ٣٧٩.

يقول: يا غلام! عليَّ بطيلَساني، فاعلم أنّه إنّما يدعو بالسيف، فبادر إليه بسـيفك فاقتله وأتِني برأسه! قال: فلم يشعر عمر بن سعد إلّا وأبوعمرة قد وافاه في أعوانه، فلمّا نظرَ إليه بقيَ متحيّراً ثمّ قال: ما شأنكم؟ فقال: أجِب أمير المؤمنين! فقال: إنّ الأمير قد علِمَ بمكاني وقد أعطاني الأمان، فهذا أمانه عندي قد أخذه لي عبداللّه إبن جُعدة إبن هبيرة بن أبي وهب المخزومي، يا غُلام عليَّ بالأمان ! فقال له أبو عمرة: صدَقَت أبا حفص! قد كنّا حضوراً عند الأمير أيَّده اللّه حين كتب لك هذا الأمان غير أنَّه يقول إلّا أن يُحدِثَ حدَثاً، ولعـمري لقـد دَخـلتَ المخـرَج مِـراراً فأحدَثتَ إحداثاً، وليس مثل المختار مَن يَغلَط، وإنّما عَنيَ هذا الإحـداث، وليس يجب أن يَغني عن مثلك وقد قَتلت إبن بنت رسول اللّه ﷺ الحُسَين بن علي وإبن فاطمة، ولكن أجب الأمير فلعلّه إنّما يدعوك لأمرٍ من الأمور، قال: فإني أفعل، يا غلام عليَّ بطيلَساني! فقال أبوعمرة: يا عَدوَّاللّه! لمِثلي يُقال هذا، وسَلَّ سـيفه ثمّ ضَرَبهُ ضَربةً علىٰ رأسه، سقط منها علىٰ قفاه. ثمّ قال لأعوانه: خُذوا رأسه ! قال: فأخذوا رأس عمر بن سعد».[1]

رأس عمر المقطوع

«وجاء برأسه في أسفل قبائه حتىٰ وضعه بين يَدي المختار وإبنه حفص إبن عمر بن سعد واقف بين يَديه، فقال حفص: إنا للّه وإنا إليه راجعون، فقال له: أتـعرف هذا الرأس؟ قال: نعم، ولا خيرَ في العيش بعده، فقال: إنّك لاتعيش بعده، وأمـرَ بقتله».

(١) كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٦، ص٢٤٥ ـ ٢٤٦.

المقارنة غير العادلة

وقال المختار: عُمر بالحُسين، وحَفص بعليّ بن الحُسَين ولاسواء، واللّه لأقـتلنَّ سبعين ألفًا كما قُتِلَ بيحيىٰ بن زكرياعليه السلام؛ وقال: لو قتلتُ بهِ ثلاثة أرباع قريش لما وفَوا بأنملةً من أنامل الحُسَينعليه السلام.(١)

قيلَ؛ لمّا إستشهد الحُسَينعليه السلام، «أخذَ دِرعَه البتراء عُمر بن سعد، فلمّا قُتل عمر بن سعد وهَبها المختار لأبي عَمرةَ قاتِله».(٢)

رأس عمر بين يدي محمّد إبن الحنفيّة

فلمّا قَتَلَ المختار عمر بن سعد وإبنه، بعثَ برأسيهما مع مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي وظبيان إبن عمارة التميمي حتىٰ قَدِما بهما علىٰ محمّد إبن الحنفيّة وكتبَ إلى إبن الحنفيّة في ذلك بكتاب.(٣)

البشرىٰ إلى محمّد إبن الحنفيّة

كتبَ المختار رسالةَ البشرىٰ بـإسلوب مـؤدَّب وذوق رفـيع، وبـالإستناد إلى عقيدته الطاهرة وإيمانه العميق بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله. فهو لم يُقدِّم إسمـه عـلىٰ إسم محمّد إبن الحنفيّة طبقاً لما هو متعارف عليه عند كتابة الرسائل بأن يُكـتَب إسم المرسِل قبل إسم المرسَل إليه وقد أملىٰ الكتاب بما يلي:

بسم اللّه الرحمن الرحيم للمهديّ محمّد بن علي من المختار بن أبي عُبَيد سـلام عليك يا أيُّها المهديّ فإني أحمدَ إليك اللّه الذي لا إله إلّا هو، أما بعد فإنَ اللّه بعثَني

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٨ ـ ٣٧٩.

(٢) نفس المصدر: ج٤٥، ص٥٨.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٣١ ـ ٥٣٣.

نقِمةً علىٰ أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطَريد وشَريد فالحمد للّـه الذي قَـتلَ قاتلِيكم ونصر مؤازِريكم وقد بعثتُ إليك برأس عمرَ إبن سعد وإبنه، وقد قَتَلنا من شَرَكَ في دم الحُسَين وأهل بيته ـ رحمة اللّه عليهم ـ كلَّ من قَدرَنا عليه ولن يُعجز اللّه من بقي، ولست بمُنجم عنهم حتّىٰ لايبلغني أنَّ علىٰ أديم الأرض منهم أرميّاً، فاكتب إليّ أيُّها المهديّ برأيك أتَّبِعه وأكون عليه، والسلام عليك أيُّها المهديّ ورحمة اللّه وبركاته.[1]

اللّهم إجز المختار خيراً

كان محمّد إبن الحنفيّة يَعتب علىٰ المختار لمجالسة عمر بن سعد وتأخير قـتله، فبينا محمّد إبن الحنفيّة جالساً في نفر من الشيعة، وهو يَعتب علىٰ المخـتار، فما تم كلامه إلّا والرأسان عنده فَخرَّ ساجِداً، وبَسطَ كفَّيه، وقال: اللّهم لاتنسَ هذا اليوم للمختار! وأجزِه عن أهل بيت نبيِّك محمّد خير الجزاء، فواللّه ما علىٰ المختار بعد هذا من عتب».[2]

إهدموا دُورهم

إنطلَقت شرارة نار الإنتقام تَستعر في الكوفة الّتي بدأت تشهد المناظر المحرَّكة للنفوس. فالنار والدُخان والسيف والدَم بدأوا يلفّون مدينة الكوفة، وقَتلَة الإمام الحُسَين عليه السلام ينالون الجزاء الدُنيوي العادل بيَد المختار وأصحابه المخلصين واحداً تلو الآخر عقاباً علىٰ أعمالهم المشينة.

إتّخذت أجواء مدينة الكوفة بجميع مناطقها وأحيائها وأزقّتها وميادينها والّتي

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٣٣ ـ ٥٣٤.

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج ٤٥، ص٣٧٨ ـ ٣٧٩.

إصطَبغت بدماء أعداء اللّه، طابعاً ووجهاً آخر يَختلف عن مامضىٰ. إلّا أن بعض الجُناة ومُسبّبي حادثة كربلاء تمكّنوا من الهَرب سِرّاً إلى البصرة الّتي كانت آنذاك تُحكَم مِن قِبل مُصعَب بن الزبير كانت حينها مركزاً لمناوئي الثورة ومتمرّدي الكوفة.

فأمَر المختار بحرَق دُور المجرمين الجناة الفارّين وتسويَتُها مع الأرض، كي لايبقىٰ أي أثر منها. «وطلب المختار عبداللّه إبن عقبة الغنَوي فوجَده قد هَربَ ولحِقَ بالجزيرة فهدَم داره وكان ذلك الغنَوي قد قتل منهم غلاماً، وقتلَ رجلٌ آخرُ من بني أسد يُقال له حَرملة بن كاهل، رجُلاً من آل الحُسين، ففيهما يقول إبن أبي عقب الليثي:

وعِندَ غَنِيٰ قَطرةٌ من دِمائِنا ... وفي أَسدٍ أُخرىٰ تُعَدُّ وتُذكَرُ

وطلب رجلاً من خَثعَم يُقال له عبداللّه إبن عروة الخثعمي ـ كان يقول رَميت فيهم باثنَي عشر سهماً ضَيعةً ـ ففاته ولَحِق بمُصعَب فهدَم داره.»[1]

سيف بلا بريق

«وطلب رجلاً من صُداء يقال له عمرو بن صُبيح وكان يقول لقد طعنتُ بعضَهم وجرحتُ فيهم وما قَتلت منهم أحداً، فأُتِيَ ليلاً وهو علىٰ سَطحه وهو لايشعر بعد ما هدأت العيون، وسيفُه تحت رأسه، فأخذوه أخذاً وأخذوا سَيفه فقال: قبحك اللّه سيفاً ما أقربك وأبعدك. فجيءَ به إلى المختار فحبسه معه في القصر فلمّا أن أصبح أذَن لأصحابه وقيل ليدخل من شاء أن يدخل، ودخل النّاس وجيءَ به مُقيّداً فقال: أما واللّه يا معشر الكَفَرة الفَجَرة أن لو بَيَديَ سيفي لعَلمتم أني

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥.

بنصل السيف غير رَعِش ولا رِعديد، ما يسرّني إذ كانت منيَّتي قتلاً أنَّه قتلني مِن الخلق أحد غيركم. لقد علمتُ أنَّكم شرار خلقِ اللّه، غيرَ أني وددت أنَّ بـيدي سيفاً أضرب به فيكم ساعة، ثمّ رفع يَده فلطم عينَ إبن كامل وهـو إلى جـنبه، فضحك إبن كامل ثمّ أخذ بيده وأمسكها ثمّ قال: إنَّه يزعم أنه قد جـرح في آل محمّد وطعن، فَمُرنا بأمرك فيه، فقال المختار عليَّ بالرماح، فأُتِيَ بها، فقال: إطعَنوه حتَّىٰ يموت فطُعِن بالرماح حتىٰ مات.[1]

الهجوم علىٰ دار أبي زرعة

قال الحكم بن هشام: «إنَّ أصحاب المختار مرُّوا بدار بني أبي زرعة بن مسعود فَرمُوهم من فَوقها، فأقبلوا حتىٰ دخلوا الدار فقَتلوا الهبياط بن عثمان إبن أبي زرعة الثقفي وعبدالرحمن بن عثمان بن أبي زرعة الثَقفي وأفلَتهم عبدالمالك بن أبي زرعة بضربة في رأسه فجاء يشتد حتَّىٰ دخلَ علىٰ المختار فأمَر إمرأتَه أم ثابت إبنة سَمرة بـن جُـندَب فـداوت شَـجَّتهُ ثمّ دعـاه فـقال: لاذنب لي إنكـم رمـيتم القـوم فأغضَبتموهم».[2]

إحرقوه

«فلمّا أتىٰ إبن كامل دارهِ، أحاطَ بها وإقتَحم الرجال عليه فخرجَ مُصلِتاً بسيفه وكان شُجاعاً، فقال إبن كامل: لاتَضرُبوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكـن إرمُـوه بالنَبل وإرجموه بالحِجارة، ففعلوا ذلك به فسقط فقال إبن كامل: إن كان به رَمق فأخرجوه، فأخرجوه وبه رَمق، فدعا بنار فحَرقَهُ بها وهو حيٌ لم تخرج روحه»[3] فإحترق بنار غضب اللّه وسخَطه في الدنيا قبل الآخرة.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٣٤ ـ ٥٣٥.

(٢) نفس المصدر: ص ٥٣٦.

(٣) نفس المصدر: ص٥٣٥.

البحث عن محمّد بن الأشعث

يُعتبر «محمّد بن الأشعث» من الوجوه القذرة والمجرمة في فاجعة عاشوراء وهو من أشراف الكوفة المنافقين والمناوئين للثورة. أبوه هو الأشعث بن قيس كبير كِندة. وكان يعيش كالملوك وله قصر كبير وقبيلة قويّة جداً. وكان يزعم أنَّه مِن أصحاب الإمام عليعليه السلام ومن المشاركين معه في معركتي الجَمل وصفّين.

وفي واقعة الحَكَميّة قامَ الأشعث بفرض أبوموسىٰ الأشعري علىٰ أمير المؤمنينعليه السلام شاهراً سيفَه ومعه (٢٠٠٠) من رجال قبيلته في وجه الإمام عليعليه السلام مطالباً إيّاه بإعادة مالك الأشتر من الحرب مع معاوية. ويمكن القول بأنَّ الأشعث كان من أكثر الرجال قذارةً ومكراً ونفاقاً في العراق. ناهيك عن إرتكابه أشكالاً مختلفة من الخيانة بحق أمير المؤمنينعليه السلام بالرغم من تنصيبه والياً علىٰ آذربيجان أوائل حكم الإمام عليعليه السلام. أمّا دَوره الفاعل في واقعة الحَكَميّة وسعيه إلى إيجاد الفُرقة والإختلاف والشك في صفوف جيش الإمام عليعليه السلام، لم يكُن خافياً علىٰ أحد.

وأمّا عائلته فقد أضحت بعد موته من أعداء أهل البيتعليهم السلام. فقد إشتركَ إبنه «محمّد» بدَور فاعل في أحداث كربلاء إلى جانب حكومة بني أُميّة. وإبنته «جُعدة» هي الأُخرىٰ قَبضَت الأموال وقَتَلت زَوجَها الإمام الحسنعليه السلام، تلبيةً لطلب معاوية.

وبموت «الأشعث بن قيس» تولّىٰ إبنه محمّد مكانه. كان محمّد بن الأشعث، إبن أُخت الخليفة أبوبكر بن أبي قُحافة ومن الموالين المتعصّبين للحُكم الأموي.

هدم قصر محمّد بن الأشعث

كان محـمّد بن الأشعث بن قيس «في قرية الأشعث إلى جنب القادسيّة فبعث المختار إليه حَوشباً سادِن الكرسي في مائة فقال: إنطلق إليـه فـإنَّك تجـده لاهـياً متصيّداً، أو قائماً متلبداً، أو خائفاً متلدداً، أو كامناً متغمداً، فإن قدرت عليه فأتِني برأسه، فخرجَ حتىٰ أتىٰ قصرَه فأحاط به وخرج منه محمّد بن الأشـعث فـلحق بمُصعَب وأقاموا علىٰ القصر وهم يرون أنَّه فيه، ثمّ إنَّهم دخلوا فعلِموا أنَّه قد فاتَهم فانصرفوا إلى المختار، فبعثَ إلى داره فهدَمها وبَنىٰ بلَبنِها وطِينِها دار حِجر بن عديّ الكِندي، وكان زياد إبن سُميَّة قد هَدَمها».(١)

هدم دار أسماء

«وكان أسماء إبن خارجة الفزاري ممن سعىٰ في قتل مسلم بن عقيل رحمه اللّه، فقال المختار: أما ورب السماء ورب الضياء والظلماء، لتنزلن نار من السماء دهمـاء حمراء سحماء، تحرق دار أسماء، فبلغَ كلامُه إليه فقال: سَجعَ أبـو إسـحاق، وليس هٰهنا مُقام بعد هذا.»(٢)

«فخرَج هارباً حتّىٰ أتىٰ البادِية، فلم يَزل بها ينزل مرَّة في بني عَبس، ومرة في غيرهم حتّىٰ قُتلَ المختار، وهدَمَ المختار له ثلاثة دُور.

فقال عبداللّه بن الزبير الأسدي في قصيدة له:

تَـــركتُم أبــا حسَـــان تُهــدَمُ دارُه ... مُـــنبــــذَةً أبــوابُهــا وحَــديدُها

فلو كـانَ مِـن قَـحطانَ أسماءُ شَمــرَّت ... كتائِبُ مِن قحطانَ صُعر خـدودهـا

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٣٦.

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٧.

فأجابه أيوب إبن سعنة النخعي ـ وكان من أنصار المختار ـ وقال:

رمىٰ اللّه عينَ إبـن الزبـير بـلَقوةٍ فـخلخَلها حـتىٰ يـطولَ سُهـودها
بَكـــيتَ عـلىٰ دار لأسماءِ هُـدمَت مَساكنُها كـانت غـلولاً وشـيدُها
ولم تـــبكِ بـيتَ اللّـه إذا دلفت لهُ أُمَّـــيةُ حـــتىٰ هـدَّمتهُ جُـنودها[1]

والبيت الأخير إشارة إلى هَدم الكعبة بيَد الحجّاج والّتي ذكرناها سابقاً.

إدخال السرور علىٰ قلب النبي صلى الله عليه وآله

ولم يزل المختار يتتبع قتلة الحُسَين عليه السلام حتىٰ قتلَ خلقاً كثيراً، وإنهـزم البـاقون، فهَدم دُورهم، وأنزلهم بَعدَ المعاقل والحُصون، إلى المفاوز والصحون.[2]

وقتلت العبيد مواليها وجاؤوا إلى المختار فعتقَهم، وكان العبد يسعىٰ بمولاه فيقتله المختار حتىٰ أنّ العبد يقول لسيّده: إحملني علىٰ عنقك فيحمله، ويُدلي رجليه علىٰ صدره إهانةً له ولخوفه من سعايته به إلى المختار.[3]

نعم؛ فإن ثورة المختار أوجدت تغييرات وسيعة فـأذلّت الأشراف والمـتجبِّرين ورفَعت العبيد والمستضعفين، فأسَرَّت هذه الثورة القلوب «فيالها مِن مَنقبةٍ حازها، ومثوبةٍ أحرزها فقد سَرَّ النبي بفعله، وإدخاله الفرح علىٰ عترته وأهله»[4]

المختار في أشعار إبن نما

يقول العلّامة الفقية إبن نما: «وقد قُلت هذه الأبيات مع كَلال الخـاطر، وقَذىٰ

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري؛ هامش ص٨٣ ـ ٨٥.

(٢) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٢٤.

(٣) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٧.

(٤) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٢٤.

الناظر فإرتأيت نقلها هنا:

سُرَّ النـبيُ بأخـذِ الثأر مِـن عُـصَبٍ ... بـاؤوا بـقتلِ الحُسين الطاهرُ الشِيَمِ
قـومٌ غَـذوا بـلِبانِ البُـغض وَيحُـهم ... للـمُرتضىٰ وبَـنيهِ سـادةُ الأُمَـمِ
حـازَ الفِـخارَ الفـتىٰ المختارُ إذ قَـعَدت ... عَـن نَـصرهِ سـائرُ الأعـرابِ والعـجَمِ
جـادَتهُ مِـن رَحمـةِ الجـبّار سـاريةً ... تُهـمىٰ عـلىٰ قَـبرهِ مُـنهلة الديَمِ[1]

الدعايات المغرضة ضد الثورة والمختار

بعد هزيمة أشراف الكوفة ومُنافقيها من مسببي وأقطاب فاجعة كربلاء علىٰ يَد المختار. تَعرَّض الأخير إلى سيل من التُهم والإفتراءات وهجوماً دعائياً واسعاً من قبل هؤلاء المهزومين. فكانوا كلما وصلوا إلى مدينة أو قَصبة شَرعوا في التحريض ضدّه. فيقول أحدهم: «إنّ المختار يدّعي النبوَّة»! وآخر يقول: «إنّ المختار يزعم أنه مُرسل من اللّه» وثالث يشيع: «أن المختار يزعم بنزول الوحي عليه» وآخر يلقِّبه بالدَجّال.

وخلاصة الأمر أن كل واحد من هؤلاء سعىٰ إلى إلصاق التُهم الباطلة ضد هذا المُدافع الشرس عن حياض أهل البيت عليهم السلام والثائر لدماء شهداء كربلاء والمظلومين. وكان واضحاً فشل هؤلاء في مواجهة المختار في ساحات المعارك فاتَّجهوا نحو إستخدام حربة الدعايات المغرضة والمسمومة ضدّه. ولربما لم يذكر التاريخ الشيعي أحداً مثل المختار في حجم ماتعرَّضَ له من هذا الكم الهائل لسهام الدعايات المظلَّة والمسمومة. فهو من جهة كان هدفاً لِتُهم أزلام إبن الزبير وأخرىٰ لسيل هجمات وأكاذيب أشراف الكوفة الهاربين وقَتلة الإمام الحُسَين عليه السلام، وثالثة

(١) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٢٤.

للهجمة الدعائية الضالّة من جانب أذناب بني أُميّة وأزلام حكومة الشام.

وإنّ كُتب أهل السنّة زاخرة ومليئة بهذه التهم والأباطيل. بل وحتىٰ بعض كتب الشيعة وقعت وللأسف فريسة لهذه الدوائر المشبوهة والمجحفة وللأحكام غير المنصفة لأهل السنّة في هذا الإتجاه. وكان لابد أن يحدث ذلك، لأنَّ المختار وأصحابه كانوا قد وجّهوا صفعة قويّة ومؤلمة لأعداء أهل البيت عليهم السلام، والّتي لازالت آثارها تُدّوي إلى اليوم في مسامعهم. فدعهم مايقولون.

فانظر ما يقوله المتوكِّل بن الليث النضري[1] ويُقال المحاربي، من أهل دمشق منتقداً المختار:

قَتلوا حُسيناً ثمّ هُم يَنعونه ... إنَّ الزمانَ بأهله أطوارُ

لا تَبعدَن بالطف قتلىٰ ضُيِّعت ... وسقىٰ مَساكِنَ هامَها الأمطارُ

ما شُرطةُ الدَجَّال تحتَ لوائِه ... بِأضَلَّ ممن غَرَّهُ المختارُ

أَبَني قَسي أوثِقوا دَجَّالكُم ... يحِلَ الغُبارَ وأنتمُ أحرارُ

لو كان عِلمُ الغيبَ عندَ أخيكُم ... لتوطَأت لكُم بهِ الأحبارُ

ولكانَ أمراً بيِّناً فيما مضىٰ ... تأتي بهِ الأنباءُ والآثارُ

إنِّي لأرجو أن يُكذِّبَ وحيكَم ... طَعنٌ يَشُقُّ عَصاكُم وحِصَارُ

ويجيئُكُم قومٌ كأنَّ سُيوفَهُم ... بِأكُفِهم تحتَ العَجاجةِ نارُ

لا يَنثَنونَ إذا هُمُ لاقَوكُم ... إلّا وَهَامُ حُماتِكُم[2] أعشارُ[3]

---

(١) لم أجده في إكمال الكمال لابن ماكولا.

(٢) هذه الأبيات من كتاب طبقات الشعراء: ص١٩٣.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٣٩، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٥٧، ص١٣ ـ ١٤.

◘ الفصل الثاني عشر

المرحلة الثانية لثورة المختار

الباب الأوّل
قتال حكومة الشام

بعد الإنتهاء من قمع المتمردين في الداخل وتصفية قَتلة مجـزرة كـربلاء والّـتي شكّلت أحد الأهداف الأساسية لثورة المختار، دخلت قضية الثأر لدمـاء فـاجعة كربلاء الأليمة المرحلة الثانية من سَير حركتها والّتي إتّجهت نحو القضاء علىٰ جيش الشام بقيادة إبن زياد المستَقِر قرب الموصل.

لقد تركّز جُل إهتمام المختار بعد القضاء علىٰ المتمردين في الداخل وقاتلي الإمام الحُسَين عليه السلام بتعبئة جيش إبراهيم بن مالك الأشتر.

إنّ المختار وبعد نجاحه في تنفيذ المرحلة الأولىٰ للثأر والإنتقام لدمـاء شهـداء كربلاء، إستعدَّ وبكل قوة وجهوزية إلى توجيه الضربة القاصمة لحكومة الشام الّتي مثّلث بؤرة الفساد والعامل الأوّل لفاجعة كربلاء. وعلىٰ الرغم من كون أكثر قادة وزعماء جيش يزيد الّذين نَفَّذوا جريمة قتل الإمام الحُسَين عليه السلام هم من أهل العراق والكوفه والذي نال أغلبهم العِقاب والجزاء الصارم علىٰ ما إقترفوه. إلّا أنَّ إبن زياد الوالي المجرم ليزيد والمسبب الأوّل لقتلىٰ كربلاء والشخص الذي عبَّأ العراق لصالح يزيد ضد الإمام الحُسَين عليه السلام، كان لازال علىٰ رأس السلطة وقيادة جيش الشـام. وهذه المرَّة فهو مُنفِّذ أوامر عبدالملك بن مروان ـ الذي تقلَّد حديثاً زمام الحكم بعد هلاك يزيد ـ في الإستيلاء علىٰ العراق والقضاء علىٰ ثورة المختار بجيش قوامه(٨٠)

ألف مقاتل، كان قد وصل إلى منطقة سرحدات شمال غرب العراق.

وبالرغم من قلق المختار إزاء الجبهة الشرقية ومنطقة البصرة الّتي كانت خاضعة لحكم مُصعَب بن الزبير وملجأً لعدد من قَتلَة ومُسبي حادثة عاشوراء والزعماء المناوئين للثورة، وكذلك توقُّعه بقيام إبن الزبير بتجييش القوّات للسيطرة علىٰ الكوفة. فقد رأىٰ من الصلاح وقبل كل شيء أن يُجهِّز جيشاً لقتال إبن زياد.

إرسال «إبراهيم بن مالك الأشتر»

فهيَّأ المختار قوّاته وعبّأهم وولّىٰ عليهم فارس الثورة الكبير إبراهيم بن مالك الأشتر، ولم يكن بينهم مَن هو أجدر ولا أكفأ ولا أشجع منه، وكان الرجل الوحيد القادر علىٰ الوقوف بوجه جيش الشام الجرّار.

يقول الطبري: «حدَّثني فضيل بن خديج وكان قد شَهدِ ذلك وغيرهما قالوا ما هو إلّا أن فرغ المختار من أهل السَّبيع وأهل الكُناسة فما نزل إبراهيم إبن الأشتر إلّا يومين، حتىٰ أشخصه إلى الوجه الذي كان وجَّهه له لقتال أهل الشام فخرج يوم السبت لثمانٍ بقينَ من ذي الحجّة سنة (٦٦) هجرية».

«فلمّا قضىٰ المختار من أعداء اللّه وَطَره وحاجَته، وبلغ فيهم أُمنيته، قال: لم يبق عليَّ أعظم من عُبيد اللّه بن زياد، فأحضر إبراهيم بن الأشتر وأمرَه بالمسير إلى عُبيد اللّه».[1]

حركة جيش الثورة وقوامه

«فما نزل إبراهيم بن الأشتر إلّا يومين حتىٰ أشخَصه... وأخرج المختار معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوي البصائر منهم ممن قد شَهدِ الحرب وجَرَّبها

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٤٨.

وخرج معه:

١ ـ قيس إبن طَهفة النَّهدي علىٰ رُبع أهل المدينة.

٢ ـ عبدالله إبن حيَّة الأسدي علىٰ رُبع مَذحِج وأسد.

٣ ـ الأسود بن جراد الكندي علىٰ رُبع كندة وربيعة.

٤ ـ حبيب بن منقذ الثَّوري من همدان علىٰ رُبع تميم وهمدان».[١]

فكانت تعبئة جيش الثورة بإستعداد أربعة ألوية بقيادة شجعان ساحات الوغىٰ وبإمرَة قائد المعركة الباسل إبراهيم بن مالك الأشتر.

كتب الشيخ الطوسي يقول:

«فخرج إبراهيم يوم السبت لسبع خلون من المحرَّم سنة سبع وستين في:

ـ ألفين من مذحج وأسد.

ـ وألفين من تميم وهمدان.

ـ وألف وخمسمائة من قبائل المدينة.

ـ وألف وخمسمائة من كندة وربيعة.

ـ وألفين من الحمراء.

ـ وقال بعضهم: كان إبن الأشتر في أربعة آلاف من القبائل وثمانية آلاف من الحمراء[٢]».[٣]

وجاء في بعض كتب التواريخ أنّ عدد أفراد إبراهيم كانوا حوالي (٢٠٠٠٠) ألف مقاتل منهم عشرة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل.

قال الدينوري: «... فإنتخب له المختار عشرين ألف رجل، وكان جُلَّهم أبناء

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٩ ـ ٣٨٠.

٢.الحمراء: العجم، لأن الشقرة أغلب الألوان عليهم والأحامرة قوم من العجم سكنوا بالكوفة.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٤٨؛ بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٣٣ ـ ٣٣٤.

الفرس الّذين كانوا بالكوفة، ويُسمَّون الحمراء؛ وسار نحو الجزيرة، وردَّ من كـان إنهزم من أصحاب يزيد بن أنس، فصار في نحو من ثلاثين ألف رجل».[١]

قلق إبراهيم

خرجَ المختار وبقية قيادات الثورة وعـامّة النّـاس لتـوديع إبـراهـيم وجـيشه وتبعوهما إلى خارج المدينة، فقال إبراهيم للـمختار: «إني خـارج ولكـنّي أكـره خروج عُبيد اللّه بن الحُر معي وأخاف أن يغدر بي وقت الحاجة، فقال له: أحسِن إليه وإملأ عينَه بالمال، وأخاف إن أمَرته بالقعود عنك فلا يطيب له».[٢]

توديع الجيش

«فخرج إبراهيم من الكوفة ومعه عشرة آلاف فارس، وخرج المختار في تشييعه وقال: اللّهم أُنصر مَن صَبر وأخذل مَن كفرَ ومن عصىٰ وفَجر وبايعَ وغَدر وعَلا وتجبَّر فصارَ إلى سَقر لاتُبقي ولاتَذر لِيذُوقَ العذابَ الأكبر».[٣]

وكتبَ الشيخ الطوسي في هذا السـياق يـقول: «وشـيَّع المخـتار إبـراهـيم بـن الأشتر(ره) ماشياً فقال له إبراهيم: إركب رَحمك اللّه، فقال: إنِّي لأحتسب الأجر في خُطاي معك وأُحبُ أن تَغبَر قدَماي في نصر آل محمّد عليهم السلام، ثمّ ودَّعه وإنصرف».[٤]

وتَبِعهُ سيل النّاس خلف جيش الثورة لتوديع مقاتليهم، فكان إبراهيم والمختار ويتلوهم أُمراء الجيش والعسكر وزعماء القبائل أمام النّاس.

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ص٢٩٣.

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٩ ـ ٣٨٠.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر: ص ٣٣٤.

الكرسي المقدَّس!

«حتىٰ إذا بلغ دير عبدالرحمن بن أم الحكم إذا أصحاب المختار قد إستقبلوه، قد حملوا الكرسي ـ الّذي يعتقد بعض أصحاب المختار أنّ أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب كانَ يَجلُس عليه و يُلقي خُطبه ـ علىٰ بغل أشهب كانوا يحملونه عليه فوقفوا به علىٰ القنطرة وصاحب أمر الكرسي حَوشب البرسمي، وهو يقول يارب عمرّنا في طاعتك وانصُرنا علىٰ الأعداء واذكُرنا ولا تَنسنَا واستُرنا، قال وأصحابه يقولون: آمين آمين.

قال فُضَيل: فأنا سمعتُ إبن نوف الهمداني يقول، قال المختار:

أنا وحق المرسلات عُرفا	حقاً وحق العاصِفات عصفا
لنَعسِفنَّ مَن بغانا عَسفا	حتىٰ يَسومَ القوم مِنّا خَسفا
زحفاً إليهم لا نمل الرجفا	حتىٰ نُلاقي بَعد صفٍّ صَفّا
وبَعدَ ألفٍ قاسِطينَ ألفا	نَكشِفَهم لدىٰ الهياج كشفا[1]

فلمّا إنتهىٰ إليهم المختار وإبن الأشتر إزدحموا إزدحاماً شديداً علىٰ القنطرة ومضىٰ المختار مع إبراهيم إلى قناطر رأس الجالوت وهي إلى جنب دير عبد الرحمن، فإذا أصحاب الكرسي قد وقفوا علىٰ قناطر رأس الجالوت يستنصرون.[2]

وصية المختار

«فلمّا صار المختار بين قنطرة دير عبدالرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف، وحين أراد أن ينصرف قال لإبن الأشتر: خُذ عنّي ثلاثاً: خَفِ اللّه في سرّ أمرِك

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٩ ـ ٣٨٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٤٨ ـ ٥٤٩.

وعلانيتِه، وعَجِّل السير، وإذا لقيتَ عدوّك فناجزهم ساعةَ تَلقاهُم، وإن لقيتَهم ليلاً فاستطعت أن لاتُصبح حتىٰ تناجِزَهم، وإن لقيتَهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتّىٰ تحاكمهُم إلى اللّه. ثمّ قال: هل حفِظَت ما أوصيتك به؟ قالَ نعم، قال: صحبك اللّه ثمّ انصرف».[1]

مشهد مثير

إنَّه لمشهد مثير؛ رجل مسِن ذوتجربة كبيرة في حلوها ومرِّها يحمل علىٰ عاتقه مسؤولية كبرىٰ بالثأر لدماء شهداء كربلاء وهو يتحدَّث إلى شاب شجاع وقائد متمرِّس ومقدام في الحرب. وبدوره يرىٰ هذا القائد في قَسمات وجه أمير الثورة الوضَّاء كل الأمل والحيوية والإيمان.

وأمّا كلمات الأمير الدافئة فكانت تُلهب النيران في الصدور وكما هي آيات الجهاد والشهادة تزيد في ضربان القلوب. أمّا سحنته البيضاء وتقاسيم جبينه، فهي تُجسِّد آثار سنين العذاب والمشقَّة والظلم والغدر بحقِّه. في حين تُخبرك عيونه الثاقبة الحزينة عن دموع بطل الثأر في عزاء الشهداء. وأمّا يداه الدافئتان فهما كانتا تحُطّان فوق كتفِ إبراهيم وتُنذران بقوة العزيمة والإقتدار والإرادة الصُلبة والإيمان بالخالق عزَّوجل وببشائر أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الأمر.

وهاهم أهل الكوفة يشعرون بالحريَّة والعزَّة والفخر، والنّاس كالسيل العارم واقفين أمام معبر رأس الجالوت بالقرب من «دير عبد الرحمن» يودِّعون أبنائهم المقاتلين الأبطال في غياب الوجوه العفنة لأشراف الكوفة، وبعيداً عن تلك الإبتسامات المسمومة المستهزءة للمنافقين ومجرمي فاجعة كربلاء بعدما قتلَهم

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٤٨ ـ ٥٤٩.

المختار جميعاً.

لقد إجتمع أهل الكوفة كالأخوة من همدان وكندة وقيس و.. وهبّوا جميعاً من أجل هدف مقدَّس واحد وبسيوف مسلولة وبرايات سوداء وهتاف «يالثارات الحُسَين عليه السلام»، لنصرة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله المظلومين. فأي مشهد أروع من هذا وكأنَّ وقائع حرب صفّين قد إستُحضِرت مرةً أُخرىٰ في الأذهان، وهاهو أمير المؤمنين عليه السلام يعقد الألوية للقبائل والعشائر. نعم فهذا المشهد هو ذاك لايختلِفان. فهؤلاء النّاس الّذين واجهوا بجيش قوامه (٨٠) ألف مقاتل وبقيادة مالك الأشتر (بطل حروب علي عليه السلام وساعِده الأيمن) معاوية رأس الكفر والإلحاد. يَرون أبنائهم اليوم بزعامة كهل الثورة المختار، هذا المدافع عن حق أهل البيت عليهم السلام والطالب بالثأر لهم وبإمرَة المقدام إبراهيم إبن البطل مالك الأشتر (الذي إستطاع بجدارة إحياء ذِكر أبيه) يخرجون لقتال جيش الشام. ولربَّ أرواح شهداء كربلاء المظلومين تراقب هذا المنظر الرائع من السماء. وبذكر اللّه وبأمر إبراهيم الأشتر تحرَّك جيش الثورة نحوالعدو الغادر.

شرعَ الجيش بالتحرّك وعاد المختار والمودِّعين من النّاس إلى المدينة، إلّا أصحاب الكرسي فقد ظلّوا عاكفين حول الجيش يدعون له بالنصر. فيما وقف إبراهيم الأشتر ينظر من أعلىٰ الجسر إلى الجموع وهي عائدة إلى المدينة وإلى أصحاب الكرسي رافعاً رأسه إلى السماء قائلاً: «اللّهم لاتؤاخِذنا بما فعل السفهاء منّا، هذه سُنّة بني إسرائيل. والذي نفسي بيده؛ إذ عكفوا علىٰ عِجلهم ـ ولربما أنَّ إبراهيم كان يعلم حقيقة أنَّ الكرسي ليس لأمير المؤمنين عليه السلام ـ فلمّا جاز إبراهيم وأصحابه القنطرة إنصرف أصحاب الكرسي.[1]

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٤٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٥٨.

قضيّة الكرسي وظهوره

قال الطبري: «وكان بدءً سببه ما حدّثني به طفيل إبن جعدة إبن هبيرة قال: أعدمتُ مرّةً من الورق، فإني لكذلك إذ خرجتُ يوماً فإذا زَيّات جارٌ لي له كرسي قد ركبه وسخٌ شديد، فخطر علىٰ بالي أن لو قلتُ للمختار في هذا ـ وأستفيد من إعتقاد المختار العَميق بأمير المؤمنينعليه السلام لأكسبَ به رزقاً ـ فرجعتُ فأرسلتُ إلى الزيَّات ـ أن ـ أرسل إليَّ بالكرسيّ، فأرسل إليَّ به؛ فأتيت المختار فقلت إني كنت أكتُمُك شيئاً لم أستحلّ ذلك فقد بدا لي أن أذكره لك، قال: وما هو، قلت كرسي كان جعدة إبن هُبيرة يجلس عليه كأنه يرىٰ أن فيه أثَرة من عِلم؛ قال: سبحان اللّه! فأخَّرتَ هذا إلى اليوم! إبعث إليه، قال وقد غُسل وخرج عود نُضَار وقد تشرّب الزيت، فخرج يَبِصّ فجئ به وقد غشيٰ، فأمرَ لي باثني عشر ألفاً، ثمّ دعا: الصّلاة جامعة.[1]

«حدّثني معبد بن خالد الجدلي قال: إنطُلِق بي وبإسماعيلَ إبن طلحة بن عُبيد اللّه وشبث بن ربعي والنّاس يجرون إلى المسجد، فقال المختار: إنّه لم يكن في الأمم الخالية أمرٌ إلّا وهو كائن في هذه الأُمة مثله، وأنّه كان في بني إسرائيل التابوت فيه بقيَّة ممّا ترك آلُ موسىٰ وآلُ هارون، وإنَّ هذا فينا مثل التابوت إكشفوا، عنه فكشفوا عنه أثوابَه وقامت السبائيَّة فرفعوا أيديهم وكبرَّوا ثلاثاً؛ فقام شبث بن ربعي وقال: يا معشر مُضر لا تكفُرُن فنحّوه فذبّوه وصدّوه وأخرجوه؛ قال إسحاق: فواللّه إني لأرجو أنّها لشبث[2]، ثمّ لم يلبث أن قيل: هذا عُبيد اللّه بن

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٤٩ ـ ٥٥٠.

(٢) يحتمل أنَّ حديث شبث هذا كان في بداية ظهور الكرسي، لأن شبث كان هارباً عند خروج جيش إبراهيم.

زياد قد نزلَ بأهل الشأم باجُميَرا، فخرج بالكرسي علىٰ بغل وقد غُشّي يُمسِكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة، فقتِل أهل الشأم مقتلة لم يُقتَلوا مثلها، فزادهم ذلك فتنة، فارتفعوا فيه حتّىٰ تعاطوا الكفر، فقلت إنّا للّه، وندمتُ علىٰ ما صنعت فتكلَّم النّاس في ذلك فغُيِّب فلم أرهُ بعد.»[١]

رواية أخرىٰ

أما أبومخنف فإنَّه ذكَر عن بعض شيوخه قصَّة هذا الكرسي، غير الذي ذكَره عبداللّه بن أحمد بالإسناد الذي حدَّثنا به عن طُفيل إبن جعدة والذي ذكَر من ذلك ما حدَّثنا به عن هشام بن محمّد عنه قال: حدَّثنا هشام بن عبد الرحمن وإبنه الحكم بن هشام أنَّ المختار قال لآل جعدة إبن هُبيرة بن أبي وَهب المخُزومي وكانت أُم جَعدة أم هاني؛ بنت أبي طالب أُخت علي بن أبي طالبعليه السلام لأبيه وأُمِه: ائتوني بكرسيّ علي بن أبي طالب، فقالوا: لا واللّه ما هو عِندنا وما ندري من أين نجئ به، قال: لاتكونُنَّ حمقىٰ إذهبوا فأتوني به. قال: فظنَّ القوم عند ذلك أنّهم لا يأتون بكرسي فيقولون هو هذا إلّا قَبلِه منهم، فجاؤوا بكرسي فقالوا هو هذا، فقَبلِهُ، قال: فخرجت شبامٌ وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عَصّبُوه بالحرير والدِّيباج.[٢]

«قال أبوالأشعر: لمّا جئ بالكرسي كان أوّل من سَدَنَه موسىٰ بن أبي موسىٰ الأشعري وكان يأتي المختار أوّل ما جاء ويحفّ به لأنَّ أُمَّه أم كلثوم بنت الفضل بن العبّاس بن عبدالمطلب. ثمّ إنَّه بعد ذلك عُتِبَ عليه فاستحيا منه فدفَعه إلى حَوشب البُرسُمي، فكان صاحبه حتّىٰ هَلكَ المختار. قال وكان أحد عمومة الأعشىٰ رجلاً

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٤٩ ـ ٥٥٠.

(٢) نفس المصدر، ص ٥٥١.

يُكنىٰ أبا أمامة يأتي مجلس أصحابه فيقول قد وُضع لنا اليوم وحيٌ ما سَمِع النّاس بمثله، فيه نبأ ما يكونُ من شيءٍ.»[١]

قال أبومخنف «حدَّثنا موسىٰ إبن عامر أنَّه إنَّما كان يصنع ذلك لهم عبداللّه بن نوف، ويقول المختار أمرَني به؛ ويتبرّأ المختار منه».[٢] وجـاء في أنسـاب الأشراف بهذا المضمون أيضاً.

دعايات أعداء الشيعة بذريعة الكرسي

قضية هذا الكرسي وإعتقاد الشيعة وأصحاب المختار به شكَّلَ ذريعة بيَد أعداء المختار. فهؤلاء الّذين تعرَّضوا لضربة قاصمة علىٰ يد المختار، دأبوا علىٰ البحث عن نقاط الضعف فيه. فتارةَ إتَّهموه بإدعاء النبوَّة، ومرةً قالوا: إنَّه يعتقد بنزول الوحي عليه وقالوا أيضاً: إنَّ المختار يزعم بأنَّه مكلَّف من اللّـه للـثأر مـن قـتلة الإمـام الحُسَينعليه السلام. وأحياناً قالوا: إنَّه يَدَّعي الإمامة وقد عَرَّفوه بأنَّه كـيساني وصـابئي وخشبي. وكان سيل الإفتراءات والإشاعات المسمومة والمغرضة ينهمر بإستمرار علىٰ المختار من طرف منافقي الكوفة وبقايا قـتلة الإمـام الحُسَـينعليه السلام وقـيادات حكومة الشام وحاشية عبداللّه بن الزبير، الّذين كانوا في الغالب من أعداء أهل البيت والشيعة. لقد أدّىٰ الإصرار علىٰ هذه التُهم والدعاية لها بعلماء أهـل السـنّة ورواة البلاط الأموي إلى إلصاق لَقب «الكذّاب» بـالمختار، فـيما إمـتلَئت الكـتب الرجالية والروائية لأهل السنّة بهذه التُهم الباطلة. وهـنا يـتَّضح بـديهياً السـبب الأساسي لنقمة هؤلاء علىٰ المختار.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٥١.

(٢) نفس المصدر .

فكان الكرسيّ المذكور أحد مواضع الإتهام للشيعة والمختار. والشعراء بدورهم إستغلّوا هذا الأمر ونَظَموا أشعاراً مختلفة في ذمِّ المختار وبث الشائعات المغرضة بذريعة هذا الكرسي.

أشعار الأعشىٰ

فقال أعشىٰ همدان:

شَهِدتُ عليكم أنّكم سَبئِيَّةٌ ... وإنِّي بكم يا شُرطَةَ الشِّرك عارفُ

وأُقسِمُ ما كُرسِيُّكم بسَكينةٍ ... وإن كان قد لُفَّت عليه اللّفائفُ

وأن ليس كالتابوتِ فينَا وإن سَعَت ... شِبَامُ حواَليهِ ونَهدٌ وخارفُ

وإني أمرؤٌ أحببتُ آل محمّدٍ ... وتابَعتُ وحياً ضُمِّنتهُ المصاحِفُ

وتابَعتُ عبدَاللّه لما تتابَعَت ... عليه قريشٌ شُمطها والغطارفُ

وقال المتوكّل الليثي:

أبلغ أبا إسحاقَ إن جِئتَه ... أنِّي بِكُرسيِّكم كافِرُ

تَنزُو شِبَامٍ حولَ أَعوادهِ ... وتحمِلُ الوحيَ له شاكرُ

محمَرَّةً أَعينُهم حولَهُ ... كأنَّهنّ الحمّص الحادرُ[1]

جدير بالذكر أنَّ الإعتقاد والإحترام للكرسيّ الذي كان يجلس عليه أمير المؤمنينعليه‌السلام لسنوات طوال، ليس بالأمر الخلاف وروايات الشيعة والسنّة حولَ قداسة أشياء منسوبة بنحوٍ ما إلى أنبياء وأولياء اللّه كثيرة. وبالرغم من ذلك وعلىٰ فرض صحَّة الأمر فإنَّ المختار والشيعة كانوا يتصورون أنّه كرسي عليعليه‌السلام، لهذا إحتَرمُوه، ونلاحظ هذا الأمر في الروايتين بأنَّ التدليس والتزوير كان صنيعة طُفيل

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٥٠ ـ ٥٥١.

إبن جَعدة الذي دلسَ أمر الكرسي علىٰ المختار علىٰ أنّه كُرسي أمير المـؤمنينعليه السلام وإعطاؤه إيّاه.

وقالَ آل جَعدة للمختار: إنه كرسي عليعليه السلام. فلهذا إعتقد به النّاس وإحترموه، وإذا كان الأمر كُلّه خدعة وتدليس، فإنَّه يلحق بآل جَعدة وليس بالمختار والشيعة. وأمّا أنَّ إبراهيم قد شَبَّهَ الكرسي بعِجلِ السامري؛ ربما لعِـلمهِ أنّـه ليس الكُـرسي الحقيقي وأنَّ النّاس قد خُدِعوا.

والرد الآخر أن الطبري نقل عن أبو مخنف قوله: «حدَّثنا موسىٰ بن عامر أنه إنما كان يصنع ذلك لهم عبداللّه بن نوف ويقول المختار أمرَني به؛ ويـتبرأ المخـتار منه».[1] وجاء في أنساب الأشراف بهذا المضمون ايضاً.

وبنقل هذا الموضوع يتبيَّن أنَّ المختار لم يكن له أدنىٰ دَور في هذه القـضية، ولم يكن له أي دخل في قضية الكرسي وهو بريئ من هذا الأمر.

قالوا: قِيلَ لعبد اللّه بن عُمر أنَّ المختار كان يُقدِّس كُرسي عليعليه السلام وقد ألقىٰ عليه قطعة قُماش من الدِّيباج ووضعه علىٰ بـغلٍ أبـيض وكـان النّـاس يـلفُّون حـوله ويطلبون به من اللّه المطر والنَصر، فقال: أين كان الجنادبة من الأزد كي يستأصِلوا البَغل.

وقيل لإبن عُمر: إنَّ المختار قد إتَّخذ كُرسياً يُطِيفُ به أصـحابه يسـتسقون بـه ويستنصرون فقال: أينَ بعض جنادبة الأزد عنه وهم جُندب بن زهير من بـني ذبيان، وجُندب الخير بن عبداللّه، وجندب بن كعب، وجندب بن عفيف.[2]

يقول المرحوم المقرّم: إنَّ هذه الضوضاء حول أحاديث الكرسي والطيور[3] هي

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٥١.

(٢) أسد الغابة لإبن الأثير، ج١، ص٣٠٦، الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي: ج٢، هامش ص٤٦٩.

(٣) أنظر أيضاً: الخوارج والشيعة لعبد الرحمن بدوي: ص١٣٧، فوات الوفيات للكتبي: ج٢، ص٥٠٢.

للحط من شأن المختار، ولاعَيبَ علىٰ المختار فإنَّ أي عاقل يُدرك أنَّ من اللازم في بعض الأوقات الإقدامَ علىٰ عـمل لايـنافي الشرع والعـقل للـوصول إلى هـدف مقدَّس.

بوصلة جيش الثورة

وأمّا إبراهيم «فسار إلى المدائن فأقام بها ثلاثاً، سار إلى تكريت فنزلها، وأمر بجباية خراجها، ففرَّقه».[(١)]

خيانة عُبيد اللّه بن الحر

قد أشرنا سابقاً أنَّ إبراهيم، قال للمختار: «إني خارج ولكـني أكـره خـروج عُبيد اللّه بن الحُر معي وأخاف أن يَغدر بي وقت الحاجة، فقال له: أحسِن إليـه وإملأ عَينهُ بالمال، وأخاف إن أمرتَهُ بالقعود عنك فلا يطيب له».[(٢)]

«وبعثَ إلى عُبيد اللّه بن الحر الجعفي بخمسة آلاف درهم، فغضب فقال: أنت آخذٌ لنفسك عشرة آلاف درهم، وما كان الحر دون مالك، فحَلفَ إبراهيم أنّي ما أخذت زيادةً عليك[(٣)] ثمّ حملَ إليه ما أخذه لنفسه فلم يرض، وخرج علىٰ المختار ونقضَ عهده وأغار علىٰ سواد الكوفة فنهبَ القُرىٰ وقتلَ العمّال وأخـذ الأمـوال ومضىٰ[(٤)] إلى البصرة إلى مُصعَب بن الزبير. فلمّا علِم المختار بذلك، أرسلَ عبداللّه بن كامل إلى داره فهدَمها وإلى زوجته سلمىٰ بنت خالد الجعفية فَحَبسَها».[(٥)]

---

(١) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٣١.

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٧٩ ـ ٣٨٠.

(٣) في (نسخة): إني لم آخذ زيادة عليك، وبعث إليه.

(٤) في (نسخه): فنهب الأموال، وقتل العمال، وأغار علىٰ القرىٰ ومضىٰ.

(٥) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٣١ ـ ١٣٢.

كتاب المختار إلى إبراهيم

«ثمّ ورد كتاب المختار إلى إبراهيم يحثَه علىٰ تعجيل القتال، فطوىٰ المراحل حتىٰ نزل علىٰ نهر الخازر[١] علىٰ أربعة فراسخ من الموصل وعُبيد اللّه بن زياد بها».[٢]

فحرَّك إبراهيم قوّاته تنفيذاً لأمر المختار وطوىٰ المراحل والمنازل حتىٰ إلتقىٰ قوّات الشام قرب نهر الخازَر لأربعة فراسخ عن الموصل.

فعن أبي سعيد الصيقل قال: «مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عُبيد اللّه بن زياد ومن معه من أهل الشأم فخرجنا مسرعين لا ننثني نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق، قال: فسبقناه إلى تُخومِ أرض العراق سبقاً بعيداً ووغلنا في أرض الموصل فتعجَّلنا إليه وأسرعنا السير فنلقاه بخازَر إلى جنب قرية يقال لها باربيثا بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ».[٣]

الإستعداد العام

نزلَ إبراهيم وقوّاته في محل مناسب ونفخَ في بوق الإستعداد، لأنَّ العدوّ ظهرَ بقربهم. «فجعل علىٰ مقدِّمته الطُفيل بن لقيط من وهبيل من النّخَع (رجلاً من قومه) وكان شجاعاً بئيساً؛ فلمّا أن دَنا من إبن زياد ضمَّ حميد بن حُريث إليه وأخذ إبن الأشتر لايسير إلّا علىٰ تعبئة وضم أصحابه كُلّهم إليه بخيله ورِجاله فأخذ يسير بهم جميعاً لايفرِّقهم إلّا أنّه يبعث الطُفيل بن لقيط في الطلائع حتّى نزلَ تلك القرية».[٤] وكان مع إبراهيم بن مالك الأشتر أقل من عشرين ألف[٥] مُقاتل.

---

(١) نهر الخازر: نهر بين إربل والموصل. (مراصد الاطلاع: ج١، ص٤٤٥).

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٨٠.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٥٢.

(٤) نفس المصدر.

(٥) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٣٢.

إستعداد جيش الأعداء

وجاء عُبيد اللّه بن زياد حتىٰ نزلَ قريباً منهم علىٰ شاطئ خـازَر[١]، «فـعلِم عُبيد اللّه إبن زياد بقدوم إبراهيم، فرحلَ في ثلاثة وثمانين ألفاً حـتىٰ نـزل قـريباً من عسكر العراق، وطلبهم أشدّ طلب، وجاءهم في جَحفلٍ[٢] لجب».[٣]

تعاون عُمير بن حُباب السلمي

ومن مفارقات هذه الحرب إلتحاق أحد أُمراء جند الشام مع قبيلته «قـيس» بجيش الثورة وكان كبير هذه القبيلة هو عُمير بن حُباب السلمي.

قال إبن الأثير: «وأرسل عمير بن الحُباب السلمي وهو من أصحاب إبن زياد، إلى إبن الأشتر أن إلقني، وكانت قيس كلها مضطغنة علىٰ إبن مروان من وقعة مرج راهط[٤] وجُند عبدالملك يومئذ كلبٌ فاجتمع عُمير وإبن الأشتر فأخبره عمير أنّه علىٰ مَيسَرة إبن زياد وواعده أن ينهزم بالناس، فقال له إبـن الأشـتر: مـا رأيك أخندِق عليَّ وأتوقف يومين أو ثلاثة؟ فقال عُمير ـ وكان رجلاً محنَّكاً وشجاعاً ـ لا تفعل وهل يريدون إلّا هذا فإنَّ المطاولة خيرٌ لهم، هم كثيرٌ أضـعافكم وليس يطيق القليلُ الكثير في المطاولة، ولكن ناجز القوم فإنّهم قد مُلئِوا مـنكم رُعـباً. فأتِهم فإنّهم إن شاموا أصحابك وقاتلوهم يوماً بعد يوم ومرّة بعد مرّة أنِسوا بهم وإجترأوا عليهم؛ فقال إبراهـيم: الآن عـلمتُ أنَّكَ لي مـناصح، وبهـذا أوصـاني صاحِبي قال عمير أطِعه فإنَّ الشيخ قد ضَرَّسته الحرب وقاسىٰ منها ما لم يُقاسه

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٥٢.

(٢) الجحفل: الجيش، ويقال: جيش لجب أي ذو جلبة وكثرة.

(٣) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٣٢.

(٤) المرج الموضع ترعىٰ فيه الدواب، ومرج راهط: ناحية من نواحي دمشق.

أحد وإذا أصبحَت فناهِضهم؛ وعاد عُمير إلى أصحابه.»[١]

ونقل الدينوري عن إلتحاق عُمير بإبراهيم فقال: «وفيهم عمير بن الحُباب، وفرات بن سالم، ويزيد بن الحضين، وأناس سوىٰ هؤلاء كثير. فقال فرات لعُمير: قد عَرفت سوء ولاية بني مروان، وسوء رأيهم في قومِنا من قيس، ولئن خلص الأمر، وصفا لعبد الملك ليستأصِلنَّ قيساً، أو ليقصينَّهم، ونحن منهم، فإنصرف بنا لننظر ما حال إبراهيم بن الأشتر. فلمّا جنَّهما الليل ركبا فرسيهما، وبينهما وبين عسكر إبراهيم أربعة فراسخ، وكانا يمرّان بمسالح أهل الشام، فيقولون لهما: من أنتما؟ فيقولان: طليعة للأمير الحُصين بن نمير. فأقبلا حتّىٰ أتَيا عسكر إبراهيم بن الأشتر، وقد أوقدَ النيران، وهو قائم يُعبِّئ أصحابه، وعليه قميص أصفر هروي[٢]، وملاءَة مورَّدة متوشحاً بها، متقلِّداً سيفه. فدنا منه عُمير بن الحُباب، فصار خلفه وإبراهيم لايأبه له، فإحتضنه من ورائه فما تحلحل[٣] إبراهيم عن موضعه غير أنَّه أمال رأسه وقال: من هذا؟

قال: أنا عُمير بن الحُباب. فأقبلَ بوجهه إليه، وقال: إجلس حتىٰ أفرغ لك. فتنحّىٰ عنه، وقعدا ممسكين بأعنَّة فرسَيها. فقال عُمير لصاحبه: هل رأيت رجلاً أربط جاشاً، وأشدّ قلباً من هذا؟ تراه تحلحلَ من مكانه، أو إكترث لي، وأنا محتضنه من خلف. فقال له صاحبه: ما رأيتُ مِثله.

فلمّا فرغَ إبراهيم من تعبئة أصحابه، أتاهما، فجلس إليهما ثمّ قال لعُمير: ما أعملك إليَّ يا أبا المُغلس[٤] قال عمير: لقد إشتدَّ غمّي مذ دخلت عسكرك، وذلك

---

(١) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج ٤، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٢) من صُنع هراة، بلدة بفارس.

(٣) أي ما تحرَّك عن موضعه، وفي نسخة تخلخل.

(٤) الغلس: الظلمة؛ والمغلس المظلم.

أنّي لم أسمع فيه كلاماً عربياً حتىٰ إنتهيت إليك، وإنّما معكَ هؤلاء الأعاجم، وقد جاءَك صناديد[١] أهل الشام وأبطالهم، وهم زُهاء أربعينِ ألف رجل، فكيفَ تلقاهم بمن معك؟ فقال إبراهيم: واللّه لو لم أجد إلّا النمل لقاتلتهم بها، فكيف وما قوم أشدُّ بصيرة في قتالِ أهل الشام من هؤلاء النّاس الّذين تراهم معي؟ وإنّما هم أولاد الأساورة من أهل فارس والمرازِبة وأنا ضارب الخيل بالخيل والرِجال بالرجال والنصر من عند اللّه. قال عمير: إنّ قومي قيساً. إذا إلتقىٰ الجبلان غداً في ميسرة أهل الشام فلاتحفل بنا، فإنّا منهزمون لنكسِرَ الجيش بذلك، فإنّا لانُحب ظهور بني مروان لسوء صنيعهم إلينا معاشر قيس، وأنا إليك لأميل. قال إبراهيم: وذاك. ثمّ إنصرفا إلى معسكرهما.»[٢]

إصطفاف العسكر

«وأذكىٰ إبن الأشتر ضرسه ولم يدخل عينه غمض حتّىٰ إذا كان السر الأوّل عبّأ أصحابه وكتبَ كتائبه وأمرَ أُمراءَه فجعل سفيان بن يزيد الأزدي علىٰ ميمنته وعلي إبن مالك الجشمي علىٰ ميسرته وهو أخو أبي الأحوص وجعل عبد الرحمن بن عبداللّه وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأُمِه علىٰ الخيل وكانت خيله قليلة[٣] وجعل الطفيل بن لقيط علىٰ الرجّالة وكانت رايته مع مزاحم بن مالك فلمّا إنفجر الفجر صلّىٰ الصبح بغَلَس ثمّ خرج فصفَّ أصحابه وألحقَ كل أمير بمكانه ونزل إبراهيم يمشي ويحرِّض النّاس ويمنّيهم الظفر، وسار بهم رويداً فأشرف علىٰ تلٍ عظيم مشرِف علىٰ القوم فجلس عليه وإذ أولئك القوم لم يتحرّك منهم أحد».[٤]

---

(١) السادة الشجعان، وجماعات العسكر.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري ص٢٩٣ ـ ٢٩٥.

(٣) في الطبري والكامل: فضمها إليه، وكانت في الميمنة والقلب.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٦٢.

إستطلاع أوضاع العدو

«فأرسل عبداللّه بن زهير السَّلولي ليأتيه بخبر القوم، فعاد إليه وقال له: قد خرج القوم علىٰ دَهَش وفَشَل، لقِيَني رجل منهم وليس له كلام إلّا يا شيعة أبي تُراب يا شيعة المختار الكذّاب، قال: فقلت له الذي بيننا أجلُّ من الشتم، فقال لي: يا عدوَّ اللّه إلامَ تدعوننا؛ أنتم تقاتلونا مع غير إمام، فقلت له بل «يالثارات الحُسَين إبن رسول اللّه» إدفعوا إلينا عُبيد اللّه بن زياد فإنّه قَتَل إبن رسول اللّه وسيّد شباب أهل الجنَّة حتّىٰ نقتله ببعض موالينا الّذين قَتَلهم مع الحُسَين، فإنّا لانراه لحسين نِدّاً فنرَضيٰ أن يكون منه قَوَداً، وإذا دفعتموه إلينا فقتلناه ببعض موالينا الّذين قَتلَهم، جعلنا بيننا وبينكم كتاب اللّه، أو أيَّ صالح من المسلمين شئتم حَكَماً، فقال لي: قد جرَّبناكم مرّة أخرى في مثل هذا يعني الحكَمين فغدرتم، فقلت له: وما هو؟ فقال قد جعلنا بيننا وبينكم حكَمَين فلم ترضوا بحكمهما؛ فقلت له: ما جئت بحجَّة إنّما كان صلحنا علىٰ أنَّهما إذا إجتمعا علىٰ رجل تبعِنا حُكمهما ورضينا به وبايعناه، فلم يجتمعا علىٰ واحد وتفرّقا فكلاهما لم يوفِّقه اللّه لخير ولم يسدّده، فقال من أنت فأخبرته فقلت له من أنت؛ فقال: عَدَس لبَغلته يزجرها، فقلت له ما أنصفتَني هذا أوّل غَدرِك».[1]

خطبة إبراهيم في ساحة المعركة

أضحىٰ جُند الحق علىٰ جهوزية كاملة للقتال، وإبراهيم المدجَّج بالسلاح بدأ بإستعراض قوّاته إستعداداً للثأر من قَتَلة الإمام الحُسَين عليه السلام وأصحابه المظلومين. يقول الطبري: «ودعا إبن الأشتر بفرس له فركبه ثمّ مرَّ بأصحاب الرايات كلّها

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥.

فكلّما مرّ علىٰ راية وقف عليها ثمّ قال: يا أنصار الدِّين وشيعة الحق وشُرطة اللّه، هذا عُبيد اللّه إبن مرجانة قاتِل الحُسَين بن علي إبن فاطمة بنت رسول اللّه، حالَ بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يَشربَوا منه وهم ينظرون إليه ومَنَعه أن يأتي إبن عمَّه فيصالحَه[١] ومَنَعه أن ينصرف إلى رَحله وأهله ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتَّىٰ قَتلَه وقَتلَ أهل بيته، فواللّه ما عَمِل فرعون بنُجباء بني اسرائيل ما عَمِل إبن مرجانة بأهل بيت رسول اللّه ﷺ الّذين أذهبَ اللّه عنهم الرجس وطهرَّهم تطهيراً. قد جاءكم اللّه به وجاءه بكم فواللّه إني لأرجو أن لايكون اللّه جمع بينكم في هذا الموطن وبينه إلّا ليشفيَ صدوركم بسفك دمه علىٰ أيديكم فقد علم اللّه أنّكم خرجتم غَضباً لأهل بيت نبيِّكم. فسار فيما بين الميمنة والميسرة وسار في النّاس كلّهم فرغبّهم في الجهاد وحرَّضهم على القتال، ثمّ رجع حتّىٰ نزل تحت رايته وزحَف القوم إليه».[٢]

إصطفاف عساكر العدو

جعلَ إبن زياد هذا المجرم السفّاح والقاتل الجلّاد علىٰ ميمنته الحُصين بن نمير السَّكوني وكان من إمراء جند الشام في كربلاء ومن قتلة الحُسَينعليه السلام وعلىٰ ميسرته عُمير بن الحُباب السُّلَمي ـ وهذا هو الذي إتَّفقَ مع إبراهيم قبل ليلة وبايعه ـ وشرحبيل بن ذي الكلاع علىٰ الخيل ـ وهو من جناة كربلاء ـ وهو ـ أي؛ عُبيد اللّه إبن زياد ـ يمشي في الرجّالة».[٣]

تجدر الإشارة إلى أنَّ تنصيب عمير بن الحُباب علىٰ ميسرة جند الشام كان

---

(١) لم تات هذه الجملة في أنساب الأشراف ونقلها الطبري فقط، والظاهر إن نقل البلاذري أكثر إعتباراً.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥.

(٣) نفس المصدر .

ضرورياً لإبراهيم وجيش الثورة وذلك للوعد الذي قَطعهُ عُمير لإبـراهـيم، وفي الحقيقة أنَّ عمير كان العنصر الخفي لإبراهيم في جند الشام. وبذلك إصطفَّ جيشا الحق والباطل بكامل قواهم أمام بعضهما البعض.

بدء الهجوم

فلمّا تدانىٰ الصفّان حَمَلَ الحُصين بن نُمير في ميمنة أهل الشام علىٰ ميسرة أهل الكوفة وعليها علي بن مالك الجُشَمي، فثبت له هو بنفسه فقتِل، ثمّ أخذ رايته قُرَّة بن علي، فقُتِلَ أيضاً في رجالٍ من أهل الحفاظ قُتِلوا وانهزمت الميسرة، فأخذ راية علي بن مالك الجشمي عبداللّه بن ورقاء إبن جُنادة السَّلولي إبن أخي حبشي إبن جُنادة صاحب رسول اللّه ﷺ، فاستقبل أهل الميسرة حين إنهزموا، فقال إليَّ يا شُرطة اللّه، فأقبل إليه جُلُّهم فقال: هذا أميركم يقاتل سيروا بنا إليه، فأقبل حتىٰ أتاه وإذا هو كاشفٌ عن رأسه ينادي يا شُرطة اللّه، إليَّ أنا إبن الأشتر! إنَّ خيرَ فُرّارِكم كُرّارُكم، ليس مُسيئاً من أعتَبَ. فثابَ إليه أصحابه.[١]

الأُسلوب القتالي

«وأرسل إلى صاحب الميمنة: إحمل علىٰ ميسرتهم، وهو يرجو حينئذ أن ينهزم لهم عُمير بن الحباب كما زعم، فحمَل عليهم صاحب الميمنة وهو سُفيان بن يزيد بن المغفَّل، فثبت له عُمير بن الحباب وقاتلَه قتالاً شديداً، فلمّا رأىٰ إبراهـيم ذلك قال لأصحابه: أمُّوا هذا السواد الأعظم، فواللّه لو قد فضَضَناه لانجفل مَن ترون منهم يمنة ويسرة إنجفالَ طير ذعرته فطار».[٢]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥.

(٢) نفس المصدر .

الحرب المنظَّمة

«فمشىٰ أصحابَه إليهم فتطاعنوا ثمّ صاروا إلى السيوف والعَمَد فاضطربوا بها مليّاً وكان صوت الضَرب بالحديد كصوت القَصّارِين وكان إبراهيم يقول لصاحب رايته: إنغمس برايتِك فيهم، فيقول ليس لي مُتقَدَّم، فيقول بلىٰ فإذا تَقدَّم شدَّ إبراهيم بسيفه فلا يضرب به رجُلاً إلّا صرعه، وكَرَدَ[1] إبراهيم الرِجال من بين يديه كأنَّهم الحُملان، وحملَ أصحابه حملةَ رجلٍ واحد وإشتدَّ القتال فإنهزم أصحاب إبن زياد وقُتِل من الفريقين قتلىٰ كثيرة».[2]

«قال المشرقي أنَّه كان مع عُبيد اللّه بن زياد يومئذ حديدةٌ لا تُليق شيئاً مرت به، وأنه لمَّا هُزِم أصحابه حملَ عُيَينَةُ إبن أسماء أُختَه هند بنت أسماء وكانت امرأة عُبيد اللّه إبن زياد، فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول:

إن تَصرِمي حِبَالَنا فرُبما أردَيتُ في الهَيجا الكَمِيَّ المُعلِما[3]

القتال رجلٌ لرجل

«ووقف العسكران، وإلتقىٰ الجمعان، فخرج إبن ضبعان الكلبي ونادىٰ: يا شيعة المختار الكذّاب، يا شيعة إبن الأشتر المرتاب.

أنا ابنُ ضَبعانِ الكريم المَفضَل من عُصبةٍ يَبرون من دينِ علي

كذاك كانوا في الزّمان الأوّلِ

---

(١) الكَرَد: الطَرد.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٣) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٥٥.

فخرج إليه الأحوص[١] بن شدّاد الهمداني، وهو يقول:

أنا إبنُ شدّادٍ علىٰ دين علي لَستُ لعثمانَ بن أروىٰ بوليّ

لأصليَّنَ القومَ فيمن يصطلي بِحر؛ نار الحَرب حتىٰ تنجلي

فقال للشامي: ما اسمك؟ قال: مُنازِل الأبطال.

قال له الأحوص: وأنا مُقَرِّبُ الآجال، ثمّ حملَ عليه وضربه فسقط قتيلاً.

ثمّ نادىٰ: هل من مبارز؟ فخرج إليه داود الدمشقي، وهو يقول:

أنا إبنُ من قاتلَ في صفِّينا قِتالَ قَرنٍ لم يكُن غبينا[٢]

بل كان فيها بطلاً جُرُونا[٣] مُجرَّباً لدىٰ الوغىٰ كمينا[٤]

فأجابه الأحوص يقول:

يا إبنَ الذي قاتلَ في صفِّينا ولم يكن في دينه غَبينا

كذبتَ قد كانَ بها مغبونا مُذبذَباً في أمره مَفتونا

لا يَعرفُ الحقَّ ولا اليقينا بُؤساً له لقد مضىٰ مَلعونا

ثمّ التقيا فضربه الأحوص فقتله. ثمّ عاد إلى صفّه.[٥]

هلاك الحصين بن نمير وماضيه الأسود

كان الحصين بن نمير السكوني من كبار قادة الشام وقد أوكل إليه إبن زياد إمرة الميمنة. وكان هذا الرجل الخبيث من العناصر الأكثر ولاءً ووفاءً ليزيد بن معاوية.

---

(١) في (نسخة): الأخوص، وكذا في المواضع الآتية.

(٢) الغبين: الضعيف الرأي.

(٣) جرن جرونا: تعوّد الأمر ومرن.

(٤) الكمين: كأمير القوم يكمنونه في الحرب.

(٥) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٣٣ ـ ١٣٤.

فأوكلَ إليه يزيد مناصب حسّاسة لوفائه هذا. وكان له دور كبير في قيادة جيش الشام لقتال الإمام الحُسَينعليه السلام. وقد شغلَ منصب رئيس شُرط إبـن زيـاد أثـناء إستشهاد مسلم بن عقيل وكان مسؤولاً عن إغلاق طرقات الكوفة بوجه مسلم كي لايعينه أحد.

أَمرَه إبن زياد بالتحرُّك نحو القادسية ليمنع الإمام الحُسَينعليه السلام من الوصول إلى الكوفة. وهو الذي أرسل الحُر بن يزيد الرياحي بألف فارس لمواجهة الحُسَينعليه السلام.

وفي يوم عاشوراء قام الحصين بن نمير مع خمسائة من أتباعه برمي السهام علىٰ معسكر الحُسَينعليه السلام. وهو قاتل بعض أصحاب الإمام. وهو الذي رمىٰ سهماً يوم عاشوراء نحو الإمام الحُسَين فأصاب فمه الشريف فدعا عليه الإمامعليه السلام.

وبعد واقعة عاشوراء أصبح إبن نمير من المقرَّبين ليزيد.

يُعتَبر إبن نمير من الّذين شاركوا وبأمر من يزيد في إبادة أهل المـدينة خـلال واقعة «الحرَّة» عام (٦٣) للهجرة. وأثناء الهجوم علىٰ مكّة في عام (٦٤) للهجرة، كان حُصين علىٰ رأس جيش يزيد الذي أحرَق الكعبة. وكـان له دور كـبير في تثبيت أركان حكم آل مروان بعد هلاك يزيد.

وكان إلى جنب إبن زياد في قِتال «التوّابين» و أميراً في الجيش ويده مـلطَّخة بدماء «التوّابين».[1]

كانت هذه خلاصة وفهرس لملف الحصين بن نمير السَّكوني الأسـود. والذي يمكن القول في شخصيته، بأنه مثَّلَ الرجل الشامي الثالث بعد يزيد وإبن زياد من حيث الحقارة والخباثة والماضي الأسود.

وأمّا كيفية مقتله، فقد نقلَ العلّامة إبن نما الآتي:

---

(١) الكامل في التاريخ: ج ٤، ص٣٢، ٤١، ٤٦، ٦٩، ١١٢، ١٤٥.

وخرج الحصين بن نمير السّكوني، وهو يقول:

يا قادةَ الكوفةِ أهلَ المنكر وشيعةَ المختار وإبن الأشترِ

هل فيكم قومٌ كريمُ العُنصر مهذَّبٌ في قومه بمفخرِ

يبرزُ نحوي قاصداً لايمتري

إن الوجه القذر والماضي الخبيث لهذا الشخص كان معروفاً لدىٰ شيعة الكوفة. لذا كانت الأعيُن متَّجهة صوبه، والأسنان في حالة الإفتراس من شدَّة الغضب عليه. فهو الرجل الثاني في جيش الشام، والقاتل الوالغ في دم الإمام الحُسَين عليه السلام وأصحابه. وهو من البيادق المهمّة المطلوبة للقصاص، وقد حان الوقت لمعرفة من الذي سيقف بوجهه وينتقم لدماء شهداء كربلاء المظلومين وجرائمه الأخرىٰ.

فبرز إليه من بين الصفوف رجل شجاع ومن خُلَّص الشيعة وأحد أبطال جُند العراق ومن قادته وهو «شريك بن خزيم التَغلبي»[1].

وهو يقول:

يا قاتلَ الشيخِ الكريم الأزهرِ بكربلاء يَوم إلتقاء العَسكرِ

أعني حُسيناً ذا الثنا والمَفخَرِ إبن النبي الطاهر المطَّهرِ

وإبن علي البطلِ المظفّرِ هذا فَخُذها مِن هُزبرٍ قَسورِ[2]

ضربة قوم ربعي مضريّ

فإلتقيا بضربتين فجَدلهُ التغلبي صريعاً، فدخل علىٰ أهل الشام من أهل العراق مدخل عظيم.»[3]

(١) في نسخة: حزيم.

(٢) الهزبر: الأسد، والقسور: القوي الشجاع.

(٣) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

«وحملَ شريك بن جدير التغلبي علىٰ الحصين بن نمير السّكوني وهو يظنه عُبيد اللّه بن زياد، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فنادىٰ التغلبي أقتلوني وإبن الزانية، فقتلوا الحصين. وقيل: إنَّ الذي قتل إبن زياد، شريك بن جدير وكان هذا شريك شَهِدِ صفِّين مع علي وأُصيبت عينه فلمّا إنقضت أيام علي لحق شريك ببيت المقدس فأقام بها فلمّا قُتِل الحُسين عاهدَ اللّه تعالىٰ إن ظهر من يطلب بدمه ليقتُلنَّ إبن زياد أو ليموتَنَّ دونه، فلمّا ظهر المختار للطلب بثأر الحُسَين أقبل إليه وسار مع إبراهيم بن الأشتر فلمّا إلتقوا حملَ علىٰ خيل الشام يَهتِكها صفاً صفاً مع أصحابه من ربيعة حتىٰ وصلوا إلى إبن زياد وثار الرّهَج فلا يُسمَع إلّا وقع الحديد والسيوف، فانفرَجت عن النّاس وهما قتيلان، شريك وإبن زياد والأوّل أصح وشريك هو القائل:

كلُّ عيشٍ قد أراهُ باطلاً غيرَ ركزِ الرمح في ظلِّ الفرَس[١]

وقال فضيل بن خديج: «أنَّ إبراهيم لما شدَّ علىٰ إبن زياد وأصحابه إنهزموا بعد قتالٍ شديد وقتلىٰ كثيرة بين الفريقين، وأن عُمير بن الحباب لما رأىٰ أصحاب إبراهيم قد هَزَموا أصحاب عُبيد اللّه، بعثَ إليه: أجيئك الآن؟ فقال: لا تأتيني حتّىٰ تسكن فورةُ شُرطة اللّه، فإني أخاف عليك عادِيتَهم.[٢]

«وقيل إنَّ عُمير بن الحُباب أوّلَ مَن إنهزم وإنّما كان قِتاله أوّلاً تعذيراً».[٣]

وكان عُمير بن الحُباب السلمي يذم جيش إبن زياد ويقول:

وما كانَ جَيشٌ يجمع الخمر والزِنا محلاً إذا لاقىٰ العدُوّ ليُنصَرا[٤]

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٥٥ ـ ٥٥٦.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٤) نفس المصدر: ص٢٦٦.

حمي الوطيس

«ثمّ تقدَّم إبراهيم بن مالك الأشتر، ونادىٰ: ألا يا شُرطة اللّه، ألا يا شيعة الحق، ألا يا أنصارالدين قاتلوا المحلِّين[1] وأولاد القاسطين ولاتطلبوا أثراً بعد عين، هذا عُبيد اللّه إبن زياد قاتل الحُسَين عليه السلام.[2]

وقاتل جند الثورة من العراقيين بروحية عالية وعزم وشجاعة ونزلوا على جند الشام المربوبين كالصاعقة وقَتَلوا منهم مقتلة عظيمة وتبعثَر عسكر الشام وهُـزِم بذلَّة وخزي وآثروا الفرار علىٰ اللقاء»، فلمّا إنهـزم أصـحاب إبـن زيـاد، تَـبعهم أصحاب إبراهيم ـ فألقوا بأنفسهم في النهر ـ فكان مَـن غـرق أكـثر ممَّـن قُـتِل، وأصابوا عسكرهم وفيه من كل شيء».[3]

وإنتقم اللّه من جند الشام شر إنتقام علىٰ يد إبراهيم بن مالك الأشتر وأصحابه المطالبين بالثأر لدماء الشهداء.

قال العلّامة إبن نما الحلّي: «وحَمَل أهل العراق معه وإختلطوا وتقدَّمت رايـتهم وشَبَّت فيهم نار الحرب ودَهَمهم العسكر بجناحيه والقلب إلى أن صـلّىٰ بـالإيماء والتكبير صلاة الظهر وإشتغلوا بالقتال إلى أن تجلّىٰ صدر الدجىٰ بالأنجم الزهـر، وزحفَ عليهم عسكر العراق فرحاً بالمصاع[4]، وحرصاً علىٰ القـراع ووثـوقاً بمـا وعدَهم اللّه به من النصر وحسن الدفاع. وإنقضّوا عليهم إنقضاض العقبان عـلىٰ الرخم، وجالوا فيهم جـولان السرحـان عـلىٰ الغـنم، وعـرَكـوهم عـرك الأديم، ودحوهم إلى عذاب الجحيم وأذاقوهم أسنَّة الرمـاح النـازعة للـمُهَج والأرواح.

---

(١) في (نسخة): الملحدين، وفي (نسخة): المخلين.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٦٦.

(٣) نفس المصدر : ص٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٤) المصاع: المجالدة والضاربة.

فلم تزل الحرب قائمة والسيوف لأجسادهم منتهبة وهاشمة فولّىٰ عسكر الشام مكسوراً عليه ذلّة الخائب الخجل وإرتياع الخائف الوجل، وعسكر العراق منصوراً وعلىٰ وجوههم مَسحة المسرور الثمل[1] وتَبعوهم إلى متون النجاد وبطون الوهاد والنَبل ينزل عليهم كصيِّب العهاد[2]»[3]

قتال إبراهيم

نقل المؤرِّخون عن بسالة وشجاعة ورجولة إبراهيم بن مالك الأشتر الكثير الكثير، والحق أنَّ هذا الشبل من ذاك الأسد الذي أحيىٰ ذكر ليلة الهرير في صفِّين وأوقع في جند الشام هزيمة منكرة وكان كالأسد الغاضب ينهال علىٰ أعدائه كالصاعقة ويتساقط مَن يقف في طريقه يمنةً ويسرة وهو يحمل علىٰ أهل الشام ويضرب فيهم بسيفه، ويقول:

قَد عَلِمت مُذحَجُ عِلماً لا خَطَل[4] ... إنّي إذا القَرن لَقيني لا وَكل[5]
ولا جزوعٌ عندها ولا نَكَل ... أَروعُ مِقدام إذا النُكُس[6] فَشل
أضرِبُ في القومِ وإن حان[7] الأجَل ... وأعتلي رأس الطرماح[8] البَطل
بالذِكر[9] البتار حَتىٰ يَنجدل[10]

---

(١) الثمل: السكران.

(٢) صيب العهاد: أول مطر الربيع؛ وقيل: الصيب؛ السحاب؛ والعهاد: جمع العهد وهو المطر بعد المطر.

(٣) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٣٥ ـ ١٣٧.

(٤) الخطل: الفاسد، المضطرب.

(٥) الوكل: العاجز.

(٦) النكل: الجبان، والأروع من الرجال: الذي يعجبك حسنه، والنكس: الرجل الضعيف.

(٧) في (نسخة): في القوم إذا جاء الأجل.

(٨) الطرماح: العالي النسب المشهور.

(٩) الذكر: أيبس الحديد وأجوده.

(١٠) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤.

الباب الثاني
الفتح الكبير ومقتل عُبيد اللّه بن زياد

كان الهدف الأوّل لهذه المعركة تصفية عناصر ومسببي فاجعة كربلاء وقتل إبن زياد، هذا الكائن الخطير القذر والمسؤول الثاني بعد يزيد عن حادثة كـربلاء. إذ لولا إبن زياد المنصَّب من طرف يزيد لِتولي حكم الكوفة، لربَّما لم تقع الجرائم الّتي إرتكبت في واقعة كربلاء. وإبن زياد هذا مَثَّلَ في الواقع المسؤول الأوّل عن جميع الجرائم الّتي أُرتكبت ضد الإمام الحُسَينعليه السلام إبن الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه وأهل بيته في كربلاء. وها هو الوعد الإلهي يتحقق وينتقم لدماء شهداء كـربلاء المـظلومين ويقتل إبن زياد بهذا الشكل المزري علىٰ يد بطل الإسلام الصنديد إبراهيم بن مالك الأشتر.

وكتبَ المؤرِّخون في هذا السياق: قاتَلَ إبراهيم ببسالة وشـجاعة وقـادَ جـند العراق البالغ عددهم(٢٠) الف مقاتل بكل إقتدار وبروحية الإستشهاد نحو النصر علىٰ جند الشام البالغ قوامه(٨٠) الف فارس وراجل.

تُشكِّل المعركة الّتي قادها إبراهيم الأشتر في وقعة «نهرالخَـازَر» مـن المـعارك الحقَّة البارزة للشيعة، والّتي ذُكِرت في التاريخ بكـل فـخر وإجـلال للـتضحيات العظيمة الّتي قُدِّمت من قبل هذا القائد الميداني العظيم وأصحابه المضحِّين الّـذين

كتبوا التاريخ بأحرف من ذهب في الشهادة والإيثار والمقاومة والجهاد النموذجي الأمثل لموالي أهلبيت النبوّة (صلوات اللّه عليهم أجمعين). هذا الحدث الذي لايمكن نسيانه أبداً والذي سيبقىٰ مشهداً حاضراً علىٰ مر العصور والأزمان.

إبن زياد يُقسَم نصفين

كان هدف إبراهيم الأوّل هو الوقوف أمام هروب «إبن زياد» من المعركة سالماً. لذا قاد قوّاته باتّجاه خيمة «إبن زياد» ومقر قيادته. وظلَ إبراهيم يتعقَّب «إبن زياد» بجنده حتىٰ لحق به بالقرب من ساحل «نهر الخَازَر»، بينما كانت المعركة علىٰ أشدَّها بين الفريقين. فقد ذكر المؤرّخون أن ضربة إبراهيم الأشتر خلال منازلته لإبن زياد كانت بالشكل والقوة الّتي أدَّت إلى شق جسم إبن زياد من الوسط إلى نِصفين. حيث مالَ نصفه الأعلىٰ نحوالغرب ونصفه الأسفل نحو الشرق. وفي هذا يقول الطبري وغيره أنَّ إبن الأشتر قال: «قتلتُ رجلاً وجدتُ مِنه رائحة المسك، شَرَّقتُ يداه وغَرَّبتُ رجلاه، تحتَ راية منفردة، علىٰ شاطئ نهر خازَرَ فالتمسوه فإذا هو عُبيد اللّه إبن زياد قتيلاً بضربة، فقد قدَّتهُ بنصفين فذهبت رجلاه في المشرق ويداه في المغرب.[1]

ملف إبن زياد الأسود

يمكن القول إنَّ إبن زياد كان البيدق الأساس في جرائم يزيد وبقية زعماء بني أُميّة. وهو قائد جميع الفجائع الّتي أُرتكبت في واقعة كربلاء، وكان يزيد يعتمد عليه إعتماداً مطلقاً. وبعد مقتل الإمام الحُسَينعليه‌السلام إرتفعت منزلته وحضوته لدىٰ يزيد.

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٥٥ ـ ٥٥٦، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص٥٦، البداية والنهاية: ج٨، ص٣١١.

وكتب المؤرّخون: «... ولمّا وصلَ رأس الحُسَين إلى يزيد حَسُنت حال إبن زياد عنده وزادهُ وَصلَه وسَرَّه ما فَعل،...»[١]

وقد صرَّح بذلك عُبيد اللّه بن زياد عندما سُئل: «... أمّا قتلي الحُسَين فإنه أشار عليَّ يزيد بقتله أو قتلي فاختَرت قتله...»[٢]

ولمّا وضِعت الرؤوس بين يدي يزيد وفيها رأس الحُسَين‌عليه السلام تطاولَ يزيد وقال:

نفلق هاماً من رجالٍ أعِزَّةٌ ... علينا وهم كانوا أعقَ وأظلما[٣]

قال يحيىٰ بن الحكم ـ أخو مروان بن الحكم ـ وكان جالساً مع يزيد:

لهام بجنب الطف[٤] أدنىٰ قرابةً ... من إبن زياد العبد[٥] ذي الحسب الوغل[٦]

سُميةٌ[٧] أمسىٰ[٨] نسلها عدد الحصىٰ ... وليس لآل المصطفىٰ اليوم من نسل[٩]

---

(١) الكامل في التاريخ لإبن الأثير: ج٤، ص٨٧.

(٢) نفس المصدر: ص١٤٠، تاريخ الطبري: ج٤، ص٤٠٢.

(٣) هذا شعر الحصين بن الحمام وهو شاعر جاهلي وقصيدته ٤٢ بيتاً، وقد تمَثّل يزيد ـ لعنه اللّه ـ بالبيت السادس.

(٤) الطف: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية، فيها قُتل الحُسَين بن علي(ع) (انظر معجم البلدان).

(٥) الأغاني: إبن زياد الوغد ذي الحسب الرذل.

(٦) في بحار الأنوار ج٤٥، ص١٣٠ و تاريخ مدينة دمشق: ج٣٤ ص٣١٦: ذي النسب الوغل.

(٧) كتاب سليم بن قيس ـ تحقيق محمّد باقر الأنصاري ـ هامش ص٢٨٣. قال العلّامة الأميني في الغدير: ج١٠، ص٢١٦ ما ملّخصه: كان من ضروريات الإسلام إلى سنة ٤٤: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)، ولكن سياسة معاوية المتهجمة تجاه الهتافات النبوية أصمته عن سماعها وجعلت للعاهر كل النصيب فوهب زياداً كله لأبي سفيان العاهر. وقد كان زياد ولد علىٰ فراش عبيد مولى ثَقيف ورَبي في شر حجر، فكان يقال له قبل الإستلحاق: (زياد بن عبيد الثقفي) وبعده: (زياد بن أبي سفيان) ومعاوية نفسه كتب إليه في أيام الإمام الحسن(ع): (من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عبيد، أما بعد فانك عبد قد كفرت النعمة. إنك لا أم لك، بل لا أب لك) ولما إنقضت الدولة الأموية صار يقال له: (زياد إبن أبيه) و (زياد إبن أمه) و (زياد إبن سمية). وأمه سمية كانت لدهقان من دهاقين الفُرس بزندرود بكسكر، فمرض الدهقان فدعا الحارث إبن الكلدة الطبيب الثقفي فعالجه فبرأ، فوهبه سمية وزوجها الحارث غلاماً له رومياً يقال له (عبيد)، ←

فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيىٰ بن الحكم وقال: أُسكت،...»[1]

«إبن زياد» المجرم رقم (٢)

في الحقيقة يمكن القول إن إبن زياد كان الرجل الثاني في الشاميين بعد يزيد فيما قام به من جرائم في كربلاء، وكان واليه علىٰ الكوفة والعراق، وجرائمه لاتُعد ولا تُحصىٰ، بل ولايرقىٰ إلى خبائثه حتى يزيد. وإذا أردنا أن نكتب عن جـرائم هـذا السفّاح فإنّه يحتاج إلى كتاب مستقل. لذا سنكتفي بقائمة مختصرة من جرائمه:

أ : قبل حادثة كربلاء

نُصِّبَ علىٰ ولاية البصرة من قبل معاوية وأقرَّه يزيد حتىٰ سنة (٦٤هجرية)، أي حتّىٰ هلاك يزيد. وكانت من جرائمه أنه لم يألوا جهداً في القتل والنهب والسجن وتعذيب المسلمين وشيعة الكوفة. وهذه تُشكِّل ملفاً سميكاً، وإختلس عدَّة ملايين من الدنانير من بيت المال عند هروبه إلى الشام.[2]

← فولدت زياداً علىٰ فراشه.... وكانت أمه من البغايا المشهورة بالطائف ذات راية. ولما بويع معاوية قدم زياد علىٰ معاوية فصالحه... ورآىٰ معاوية أن يستميل زياداً وإستصفىٰ مودَّته باستلحاقه. فإتفقا علىٰ ذلك وأحضر النّاس وحضر من يشهد لزياد، وكان فيمن حضر أبو مريم السلولي، فقال له معاوية: بم تشهد يا أبا مريم؟ فقال: أنا أشهد أن أبا سفيان حضر عندي وطلب مني بغياً، فقلت له: ليس عندي إلا سمية. فقال: إتني بها علىٰ قذرها ووضرها. فأتيته بها فخلا معها. فقال له زياد: مهلا يا أبا مريم، إنما بعثت شاهداً ولم تبعث شاتماً فاستلحقه معاوية.

(٨) البداية والنهاية لإبن كثير: ج٨، ص٢٠٨ ـ ٢٠٩: اضحىٰ.

(٩) في الإرشاد: ج٢، ص١١٩ و مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩، ص١٩٨: وبنت رسول اللّه ليس لها نسل، وفي مناقب آل أبي طالب ج٣، ص٢٦٠: وبنت رسول اللّه أمست بلا نسل، وفي بحار الأنوار ج٤٥، ص١٣٠: وبنت رسول اللّه ليست بذي نسل.

(١) مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٢١٣، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٥٢، الكامل في التـاريخ لإبـن الأثير: ج٤، ص٨٩ ـ ٩٠.

(٢) الكامل لإبن الأثير: ج٤، ص٢٣ وتاريخ الطبري: ج٥، ص٣٤٨.

ب : ولاية العراق

١ ـ قَتل وإبادة أصحاب مسلم.

٢ ـ قَتلَ مسلم بن عقيل وهاني إبن عروة. قال إبن الأثير: «فأمر بهانيْ حين قُتِلَ مسلم فأُخرِج إلى السوق فضُرِبت عنقه».[١]

٣ ـ تعبئة العراقيين والكوفيين لقتال الحُسَين بـالترهيب والترغـيب والخـوف والطمع. «وبعثَ إبن زياد برأسَيهما ـ مسلم بن عقيل وهاني إبن عروة ـ إلى يزيد فكتب إليه يزيد يشكره ويقول له وقد بلغني أن الحُسَين قد توجَّه نحـو العـراق، فَضَع المراصِد والمسالح وإحترس وإحبس علىٰ التُهمة وخُذ علىٰ الظنَّة...».[٢]

٤ ـ إعاقة حركة الإمام الحُسَينعليه‌السلام نحو الكـوفة؛ قـال الطـبري: «ولمّـا بـلغ عُبيد اللّه إقبال الحُسَين من مكّة إلى الكوفة، بعثَ الحصين بن نمير صاحب شُرطه حتّىٰ نزل القادسية ونَظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان وما بين القـادسية إلى القطقطانة».[٣]

٥ ـ قَتل عبداللّه بن يَقطُر، رسول الإمام الحُسَينعليه‌السلام إلى الكوفة. وكان مهمّة عبد اللّه (أخو مسلم بن عقيل بالرضاعة) تتبُع أخبار مسلم وإيصال رسالة الإمام الحُسَينعليه‌السلام إلىٰ أهل الكوفة: «فأخذه الحصين بن نمير بالقادسية فبعث به إلى إبن زياد، فقال له إبن زياد: إصعد فسب الكذّاب الحُسَين بن علي، فصعد قيس فحمد اللّه تعالىٰ، وأثنىٰ عليه ثمّ قال أيُّها النّاس انَّ هذا الحُسَين بن علي خيرُ خلق اللّه، بن فاطمة بنت رسول اللّه صلوات اللّه عليهم وأنا رسوله إليكم فأجيبوه، ثمّ لعَن إبن زياد وأباه، فأمَر عُبيد اللّه أن يُرمىٰ من فوق القصر فـرُمِيَ مِـنه فـتكسَّرت

(١) الكامل لابن الأثير: ج ٤، ص ٣٦.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٣٦.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٢٩٧.

عظامه وبقي به رمق فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عُمير الحضرمي فذَبحه».[١]

ج : إبن زياد وحادثة كربلاء

١ ـ أصدرَ الأمر بتجييش الجند لمنع الإمام الحُسَينعليه‌السلام من دخول الكوفة؛ «وبعثَ إبن زياد الحُر بن يزيد في ألف فارس إلى الحُسَينعليه‌السلام، فجاء حتّىٰ وقفوا مقابل الحُسَين».[٢]

٢ ـ تعيين الجناة المجرمين من أعداء أهل البيتعليهم‌السلام علىٰ رأس الكتائب لقتال الإمام الحُسَينعليه‌السلام، مثل شمر بن ذي الجوشن ومحمّد بن الأشعث وقيس بن الأشعث وخُولي بن يزيد وحصين بن نمير.[٣]

٣ ـ إصداره أمراً حازماً أما بتسليم الإمام الحُسَينعليه‌السلام نفسه أو قتله: «... أُنظر فإن نزلَ الحُسَين وأصحابه علىٰ حُكمي وإستسلموا، فأبعث بهم إليَّ سلماً، وان أبوا فأرجف عليهم حتّىٰ تَقتلهم وتُمّثّل بهم، فأنَّهم لذلك مستحقون فإنّ قُتِلَ الحُسين فأوطئ الخيل صَدرَه وظهره».[٤]

٤ ـ الأمر بقطع الماء عن الإمام الحُسَين وأهل بيته وأصحابه؛ قال أبو مخنف الأزدي: «دُفِعَ إلى الحُر كتاباً من عُبيد اللّه بن زياد فإذا فيه: أمّا بعد فَجَعجِع بالحُسين حين يبلغك كتابي ويَقدِم عليك رسولي، فلا تُنزله إلّا بالعراء في غير حصن وعلىٰ غير ماء، وقد أمرتُ رسولي أن يلزِمك ولا يفارِقك حتّىٰ يأتيني بإنفاذك أمري والسلام».[٥]

---

(١) روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) نفس المصدر، ص١٧٩.

(٣) الكامل لإبن الأثير، ج ٤، ص ٤١ـ٥٦.

(٤) روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص١٨٢ ـ ١٨٣.

(٥) مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٩٣.

٥ ـ الأمر بقتل جميع الرجال وسبي نساء آل بيت النبي ﷺ، وأصحاب الحُسَين عليه السلام.[١]

كانت هذه إشارة إلى مُلَّخص ملف المجرم المعروف عُبيد اللّه بن زياد. هذا العنصر الخبيث الذي هلكَ علىٰ يد إبراهيم بن مالك الأشتر خلال الحرب مع قوّات المختار. بالإضافة إلى ذلك فقد قُتِلَ عدد آخر من أشراف الشام المجرمين علىٰ يد الشيعة وأصحاب المختار المضحِّين قرب نهر الخازَر.

وبذلك خمدت نار الحرب بعد هزيمة جيش الشام وتخطِّيه بالكامل وبالنصر الحاسم لأصحاب المختار.

مقتل زعماء الشام

قال العلّامة إبن نما: «ثمّ إنجلت الحرب، وقد قُتِلَ أعيان أهل الشام، مثل:

١ ـ الحصين بن نمير.

٢ ـ شرحبيل بن ذي الكلاع.

٣ ـ إبن حوشب.

٤ ـ غالب الباهلي.

٥ ـ أبو أشرس بن عبد اللّه الذي كان والياً علىٰ خراسان.[٢]

شجاعة إبراهيم

حازَ إبراهيم بن مالك ـ رحمة اللّه عليه ـ فضيلة هذا الفتح، وعاقبة هذا المنح الذي إنتشرَ في الأقطار، ودام دوام الأعصار.[٣]

---

(١) مقتل الحُسَين(ع) لأبي مخنف الأزدي: ص٩٣.

(٢) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(٣) نفس المصدر .

أشعار عبدالله بن الزبير الأسدي

لقد أحسن عبدالله بن الزبير الأسدي[١] بِمدح إبراهيم بن مالك الأشتر، فقال:

اللّـــــه أعـــــطاكَ المـهابة والتُـقىٰ ... وأجَـلَّ بـيتكَ في العـديد الأكـثرِ

وأقـرَّ عـينكَ يـوم وقـعةَ خـازِرِ ... والخـيلُ تـعثُر في القـنا المـتكسرِ

مـن ظـالمين كَـفَتُهم أيـامهم ... تـركوا لحـاجلةٍ[٢] وطـيرٍ أعـثرِ

مـا كـانَ أجـرأهـم جـزاهُـم رَبهـم ... يومَ الحساب علىٰ ارتكابِ المـنكرِ[٣]

إنّي أتـيتكُ إذ تـناءىٰ مـنزلي ... وذممت إخـوانَ الغـنىٰ مِـن مـعشري

وعـلِمتُ أنّكَ لا تُـضيعَ مِـدحتي ... ومـتىٰ أكُـن بسـبيلِ خـيرٍ أشكـرِ

فـهلم نحـوي، مـن يمـينك نـفحةٍ ... إنَّ الزمـان ألحَ يـا إبـن الأشـترِ

فأعطاه عشرة آلاف درهم.[٤]

حرق جسد إبن زياد

قال الرواة: رأينا إبراهيم بعدما إنكسر العسكر، وإنكشف العَثير[٥]. قوماً منهم ثبتوا وصبروا وقاتَلوا فلقطهم من صهوات[٦] الخيل، وقذَفهم في لهوات الليل حتىٰ صُبغت الأرض من دمائهم ثياباً حمراً، وملأ الفجاج[٧] بـبأسه ذُعـراً، وتسـاقطت

---

(١) في الأخبار الطوال للدينوري، ص٢٩٦: عُبيد اللّه بن عمرو الساعدي.

(٢) الحاجلة: الإبل الّتي ضربت سوقها فمشت علىٰ بعض قوائمها، وحجل الطائر: إذا نـزا في مشـيته كـذلك، والأعثر: الأغبر، وطائر طويل العنق.

(٣) ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(٤) الأخبار الطوال للدينوري: ص٢٩٦.

(٥) العثير: الغبار.

(٦) الصهوة: موضع اللبد من ظهر الفرس.

(٧) الفجاج: الطريق الواسع بين جبلين.

النسور، وأهوت العقبان علىٰ أجسادهم وهي كالعقيق المنثور، وإصطلح علىٰ أكل لحومهم الذئب والسبع والسيّد[١] والضبع.»[٢]

وجاء في أنساب الأشراف إنَّ إبراهيم الأشتر والشيعة المضّحين والمجاهدين في سبيل‌اللّه، قَضوا ليلتهم وسط برَك الدماء وأجساد قتلىٰ جند الشام فرحين بما أصابوا من نصر. عندها قاموا بحرَق جسد اللعين الخبيث إبن زياد وآخرون من أُمراء وزُعماء الشام.

الشكر للّه

لنسمَع رواية مشهد مقتل اللّعين بن زياد على لِسان قاتِله إبراهيم بن مالك الأشتر إذ قال لأصحابه: «إنّي قد قَتلت رجُلاً تحت رايةٍ منفردة علىٰ شاطئ نهر الخازَر فالتمسوه فإنّي شممت منه رائحة المسك، شَرَّقتُ يداه وَغرَّبتُ رجلاه فإذا هو إبن زياد قتيلاً بضربة إبراهيم فقد قَدَّتهُ بنصفين وسقط كما ذكر إبراهيم فأخذَ رأسه وأُحرِقت جثته.»[٣]

وفي نقل آخر: «قال إبراهيم بن مالك الأشتر: وأقبلَ رجلٌ أحمر في كبكبة يُغري النّاس كأنّه بغل أقمر[٤] لايدنو منه فارس إلّا صَرَعه، ولا كمي[٥] إلّا قطّعه، فدنا منّي، فضربتُ يده فأبنتها، وسقط علىٰ شاطئ الخازَر، فشَرَّقتُ يداه، وغَرَّبتُ رجلاه، فقتلته، ووجدت رائحة المسك تفوح منه، وجاء رجل نزع خفيه».[٦]

---

(١) السيّد: الأسد والذئب.

(٢) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٤) القمرة: لون إلى الخضرة.

(٥) الكمي: الشجاع، أو لابس السلاح.

(٦) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٣٧ ـ ١٣٨.

«وظنّوا أنّه إبن زياد من غير تحـقيق، فطلبوه فإذا هو علىٰ ما وَصفَ إبراهـيم فاحتزوا رأسه، وإحتفظوا طول الليل بجسده، فلمّا أصبحوا عرَفه مهران مولىٰ زياد، فلمّا رآه إبراهيم قال: الحمد للّه الذي أجرىٰ قتله علىٰ يدي.[١]

صدفة عجيبة

صادفَ وقوع معركة الخازَرَ في يوم العاشر من محرم سنة (٦٧هجرية)، وهو أمرٌ مثيرٌ للعجب، فينقل العلّامة إبن نما عن الشعبي قوله: «وقُتِل في صفر، وقال قوم من أصحاب الحديث: يوم عاشوراء وعُمره دون الأربـعين، وقـيل تسـعة وثـلاثون سنة».[٢]

وربمـا لم يكن ذلك صدفة، فأراد اللّه أن ينتقم من الظلمة قَـتلة العـترة البررة ويُهلِكهم في مثل اليوم الذي قَتلوا فيه الإمام الحُسَينعليه السلام وأهل بـيته وأصـحابه، «وتكون عبرة لأولي الأبصار».

فأمرَ إبراهيم بسلبه ونزع الدرع عنه، ففعلوا لأنَّ «سَلب المقتول مـن نـصيبُ القاتل».

ضجر عبد الملك لهلاك إبن زياد

«وهرب غلام لعبيد اللّه بن زياد إلى الشام، فسأله عبدالملك بن مـروان عـن مولاه، فقال: لما جال النّاس تقدَّمَ فقاتل، ثمّ قال: أئتني بجرة فـيها مـاء، فـاتيته فشرب وصبَّ الماء بين درعه وجسده، وصبَّ علىٰ ناصية فرسه، ثمّ حَمَـل فـهذا آخر عهدي به.»[٣] فضجر عبد الملك بن مروان كثيراً لمقتل، إبن زياد وهلاكه.

---

(١) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٨٣.

(٢) نفس المصدر.

(٣) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٤٠.

صبيحة النصر

نعم باتَ مجاهدوا طريق الحق أو كما يُسَميهم إبراهيم بن مالك الأشتر «شُرطة اللّه»، تلك الليلة الّتي لاتُنسىٰ وقد مُلِئت الصحراء المحيطة بنهر الخازَر من حولهم بأجساد الشاميين تغطّيها، وطلع الصبح وقد إنتصر رجال الحق نصراً مؤزَّراً ونال زبانية الباطل وزِرَ أعمالهم وتحقق الوعد الإلهي ثانية «**فَانْتَقَمْنا مِنَ الَّذينَ أجْرَمُوا وَكانَ حَقاً عَلَينَا نَصْرُ الْمؤمِنينْ**».[١]

فما أجمل شمس ذلك اليوم وقلوب رجال اللّه مملوءة بالبهجة والسرور والأمل «وأصبح النّاس فحووا ما كان، وغنموا غنيمة عظيمة».[٢]

مما أفاء اللّه عليهم به؛ وما أجمل ما أجاد به أبو السفاح الزبيدي بمدحته إبراهيم وهجائه إبن زياد إذ يقول:

أتاكم غلامٌ من عَرانينِ مذحِجٍ ... جريٌّ علىٰ الأعداء غيرُ نَكُولِ
أتاهُ عبيد اللّهِ في شر عُصبة ... من الشام لما أرضيوا بقليل
فلمّا التقىٰ الجمعانَ في حُومةِ الوغىٰ ... ولِلموت فيهم ثمّ جر ذيول
فأصبحتَ قد ودعت هنداً[٣] وأصبحت ... مولهةً ما وجدُها بقليل
وأخلق بهندٍ أن تُساق سبيةً ... لها من أبي إسحاق[٤] شَرُّ حَليل
تولىّ عُبيد اللّه خوفاً من الردىٰ ... وخشية ماضي الشفرتين صقيل
جزىٰ اللّه خيراً شُرطة اللّه إنَّهم ... شَفوا بعُبيد اللّه كلّ غليلِ[٥]

---

(١) القرآن الكريم: سورة الروم ـ الآية ٤٧.

(٢) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٨٣.

(٣) يعني بقوله هند بنت أسماء إبن خارجة زوجة عُبيد اللّه، لمّا قُتل، حملَها عتبة أخوها إلى الكوفة.

(٤) يعني بقوله المختار.

(٥) بحار الأنوار للعلّامة المجلسي: ج٤٥، ص٣٨٣ ـ ٣٨٤.

إبراهيم بن مالك الأشتر والياً

بعد النصر الذي حققه إبراهيم الأشتر في هذه المعركة، تمكّن من الإستيلاء علىٰ كامل منطقة شمال غرب العراق جاعلاً من الموصل موضعاً لولايته والبقاء فيها بعدما عيّنه المختار والياً علىٰ هذه المدينة. ثمّ أرسل قوّاده أُمراء علىٰ المناطق وفي ذلك يقول الدينوري: «إنَّ إبراهيم بن الأشتر أقام بالموصل، ووجَّه عُمّاله إلى مُدن الجزيرة فاستعمل:

١ ـ اسماعيل بن زفر علىٰ قرقيسياء.[١]

٢ ـ حاتم بن النعمان الباهلي علىٰ حرّان[٢] والرها[٣] وسميساط.[٤]

٣ ـ عمير بن الحباب السلمي علىٰ كفرتوثا.[٥]

٤ ـ السفاح بن كردوس علىٰ سنجار.[٦]

٥ ـ عبد اللّه بن مسلم علىٰ ميافارقين.[٧]

٦ ـ مسلم إبن ربيعة العقيلي علىٰ آمد،[٨] وسار هو إلى نصيبين، فأقام بها.»[٩]

ولما «إحتوىٰ إبراهيم بن الأشتر علىٰ عسكر الشام، وغَنِم ما كان فيه. أتتهُ هند

---

(١) في الأصل قرقيسيا، وهي بلد علىٰ نهر الخابور عند مصبه، ومنها جانب علىٰ نهر الفرات، فوق رحبة مالك إبن طوق.

(٢) مدينة قديمة، قصبة ديار مضر، قيل إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان، وكانت منزل الصابئة وهي مهاجر الخليل إبراهيم(ع).

(٣) مدينة بأرض الجزيرة في فوق حران.

(٤) مدينة علىٰ شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم، وكان بها قلعة، يسكن في شق منها الأرمن.

(٥) الأصل (كفرثونا) والصحيح ما ذكر، وهي قرية كبيرة، من أعمال الجزيرة بالعراق.

(٦) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة.

(٧) أشهر مدينة بديار بكر، وقد بناها الروم.

(٨) لفظة رومية، وهي بلد قديم حصين، يحيط بأكثره نهر دجلة.

(٩) الأخبار الطوال للدينوري: ص٢٩٦ ـ ٢٩٧.

إبنة أسماء إبن خارجة الفزاري، إمرأة عُبيد اللّه بن زياد، فأخبرته بإنتهاب ما كان معها من مالها، فقال لها: كم ذهبَ لكِ؟ قالت: قيمة خمسين ألف درهم. فأمرَ لها بمائة ألف درهم، ووجَّه معها مائة فارس حتىٰ أتوا بها أباها بالبصرة.»[1]

وهذه عيِّنة أُخرىٰ من رجولة وسمو أخلاق قائد الشيعة المقدام «إبراهيم إبن مالك الأشتر» وهو يتعامل بكرامة مع إمرأة عُبيد اللّه بن زياد. ولكن هل تعاملَ جُناة الكوفة والشام مع نساء وأبناء الإمام الحُسَين عليه السلام أهل بيت النبوَّة عليهم السلام يوم عاشوراء بهذه الصورة.

أشعار إبن مفرغ في هجاء إبن زياد

لمّا قُتلَ عُبيد اللّه بن زياد علىٰ يد إبراهيم الأشتر في معركة «يوم الزّاب» أنشد الشاعر المعروف يزيد إبن ربيعة بن مفرغ وهو يهجو إبن زياد قائلاً:[2]

إنَّ الذي عاش ختّاراً بذمته	ومات عبداً قتيلُ اللّه بالزّاب[3]
العبدَ بالعبد لا أصل ولا طرف	ألوت به ذاتُ أظفار وأنيابٍ
أقول بُعداً وسحقاً عند مصرعه	لإبن الخبيثة وإبن الكُودَنِ[4] الكلبي[5]
ما شقت جيبٌ ولا ناحتك نائحة	ولا بكتك جياد عند أسلاب
هلا جموع نزار إذا لَقيتهم	كنت أمراً من نزار غيرَ مَرتابِ

(١) المصدر السابق: ص٢٩٥ ـ ٢٩٦.

(٢) الأبيات الثلاثة الأولىٰ، والبيت الأخير في معجم البلدان: الزاب، ج٣، ص١٢٤.

(٣) الزّاب: المراد هنا الزاب الأسفل، وعليه قُتل عُبيد اللّه بن زياد، راجع معجم البلدان: ج٣ ص١٢٤. والزاب هو إسم نهر في أطراف مدينة الموصل في العراق وهو المكان الذي وقعت فيه الحرب بين إبراهيم الأشتر وإبن زياد. ويحتمل أن يكون نهرالخازر فرعاً من هذا النهر.

(٤) الكودن: البرذون الهجين.

(٥) في معجم البلدان: النابي.

لا من نزار ولا من جذم ذي يمن[١] جلموده أُلقيت من بين ألهاب
إنَّ المنايا إذا مازُرنَ طاغيةً هَتكنَ[٢] منه ستوراً بعد أبواب
لاتقبل الأرض موتاهم إذا دَفنوا[٣] وكيف تقبل رجساً بين أثواب

ثمّ عاهد اللّه في مجلسه على هَجوهم إلى أن يموت.[٤]

سبعون ألف قتيل

ذكر أبو عمر البزّاز[٥]: كنتُ مع إبراهيم بن مالك الأشتر لمّا لَقي عُبيد اللّه إبن زياد ـ لعنه اللّه ـ بالخازر، فعددنا القتلىٰ بالقصب لكثرتهم، قيل: كانوا سبعين ألفاً، وصلب إبراهيم إبن زياد منكساً.[٦]

وعن الشعبي أنّه لم يُقتَل قط من أهل الشام بعد صفّين مثل هذه الوقعة بالخازَر، وكانت الوقعة يوم عاشوراء سنة سبع وستين، للهجرة.[٧]

يقول الطبري: «لما إنهزم أصحاب إبن زياد تَبعِهُم أصحاب إبراهيم ـ فألقوا أنفسهم في النهر ـ فكان مَن غَرق أكثر ممَّن قُتِل».[٨]

---

(١) على هامش «ز»: «وذي يزن»، وكتب بعدها صح.

(٢) في معجم البلدان: ولجن من دون أستار وأبواب.

(٣) ووردت الأبيات في الكامل باختلاف كثير.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لإبن عساكر: ج٦٥، ص١٩١ ـ ١٩٢.

(٥) دينار بن عمر الأسدي، أبوعمر البزاز الكوفي الأعمي، مولى بشر بن غالب؛ تهذيب الكمال: ج٨، ص٥٠٥.

(٦) في نسخة: وصلبه إبراهيم منكساً.

(٧) ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص١٤١ ـ ١٤٢.

(٨) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٥٦.

بشارة النصر إلى المختار

كان المختار يتابع وبدقّة أخبار إبراهيم ويستقصي أمور جيشه، «وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه يأتيكم الفتح أحد اليومين إن شاء اللّه من قِبل إبراهيم بن الأشتر وأصحابه. قد هَزموا أصحاب عُبيد اللّه إبن مرجانة، فخرج المختار من الكوفة وإستخلف عليها السائب بن مالك الأشعري، وخرج بالناس ونزلَ سَابَاط.

وعن الشعبي قال: كنتُ أنا وأبي ممَّن خرج معه، قال: فلمّا جِزنا سَابَاط قال للناس: أبشروا فإنَّ شُرطة اللّه قد حَسوهم بالسيوف يوماً إلى الليل بنصيبين أو قريباً من نصيبين ودوين منازلهم إلّا أنَّ جُلَّهم محصور بنصيبين، قال: ودَخلنا المدائن وإجتمعنا إليه».[1]

خطبة المختار في المدائن

صعدَ المختار المنبر وبعد الحمد للّه والثناء عليه، دعا النّاس إلى تأييد ودعم جيش إبراهيم الأشتر، موصياً إيّاهم بالجدّ والعمل علىٰ إنجاز أهداف الثورة والثبات في هذا الطريق والإصرار علىٰ الثأر لدماء أهل بيت النبي ﷺ. «فو اللّه إنّه ليخطبنا ويأمُرَنا بالجدّ وحُسن الرأي والإجتهاد والثبات علىٰ الطاعة والطلَب بدماء أهل البيت عليهم السلام، إذ جاءته البشرىٰ تترىٰ يتبع بعضُها بعضاً بقتل عُبيد اللّه بن زياد وهزيمة أصحابه وأخذ عسكره وقتل أشراف أهل الشام[2]، «قال الشعبي: كُنت معه فأتتهُ البشرىٰ[3] بقتل عُبيد اللّه بن زياد وأصحابه، فكاد يطير فرحاً،

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٥٦.

(٢) نفس المصدر.

(٣) قال الشعبي: فأتاه البشير.

ورجعَ إلى الكوفة في الحال مسروراً بالظفر».[1]

فقال المختار: ياشُرطةَ اللّه ألم أُبشّركم بهذا قبل أن يكون؟ قالوا بلىٰ واللّه لقد قُلت ذلك. قال: فيقول لي رَجلٌ من بعض جيراننا من الهمدانيين: أَتؤمِن الآن يا شعبي. قال: قُلت: بأي شيءٍ أُومِن أأُومِنُ بأنَّ المختار يعلم الغيب، لا أُومِنُ بذلك أبداً. قال: أَوَلم يقُل لنا أنَّهم قد هُزِموا؟ فقلت له إنما زَعمَ لنا أنَّهم هُزِموا بنصيبين من أرض الجزيرة وإنَّما هو بخازرَ من أرض الموصل. فقال: واللّه لاتؤمن يا شعبي حتّىٰ ترىٰ العذاب الأليم. فقلت له: مَن هذا الهمداني الذي يقول لك هذا؟ فقال: رجلٌ لعمري كان شجاعاً قُتِل مع المختار بعد ذلك يوم حروراء يقال له سلمان بن حمير من الثوريّين من همدان».[2]

من المعلوم أنَّ المختار لم يدَّعِ الغيب ولا الإمامة ولا النبوَّة، بل ماكان يقوله هو ما سَمعه بالواسطة أو بدون واسطة من الأئمةعليهم السلام، خاصة من الإمام عليعليه السلام. فالمختار كان معتقداً دون أدنىٰ شك ببشارات أمير المؤمنينعليه السلام ويبوح بها أمام النّاس.

الرؤوس المقطوعة

بعد إبادة جيش الشام، أصدر إبراهيم الأشتر أوامره بإرسال مايقارب (٧٠) رأساً مقطوعة من رؤوس زعماء أهل الشام (بعدد رؤوس شهداء كربلاء) كافضل هدية إلى المختار مع الجيش العائد إلى الكوفة، وذلك بعد أن علّق في آذانهم رقاعاً بأسمائهم.

---

(١) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٤١.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٥٦ ـ ٥٥٧.

رأس إبن زياد تحت أقدام المختار

«وبعثَ إبراهيم بن مالك برأس عُبيد اللّه بن زياد ـ لَعنه اللّه ـ ورؤوس زعماء أهل الشام وفي آذانهم رقاع بأسمائهم، فقدموا علىٰ المختار وهو يتغدَّىٰ، فحَمدَ ـ اللّه تعالىٰ ـ علىٰ الظفر. فلمّا فَرغ من الغداء، قام فوطئ وجه إبن زياد بنعله، ثمّ رمىٰ بها إلى غلامه، وقال: إغسلها فإني وضعتها علىٰ وجه نجسٍ كافر.

نعم إنَّه إقتضاء العدل الإلهي وتحقُق وعدَه الحق، فمن كانَ يتصوَّر أن يرىٰ إبن زياد هذا السفّاك المغرور ذليلاً، صاغراً، ورأسه المقطوع تحت قدمَي المختار، فهذه هي نهاية الظالمين «وَسَيْعلمْ الَّذينَ ظَلَمُوا أيّ مُنْقَلبٍ يَنْقَلِبونْ».[١]

وعن أبي الطفيل عامر إبن وائلة الكناني قال: وضِعَت الرؤوس عند السدَّة بالكوفة، عليها ثوب أبيض، فكشفنا عنها الثوب، وحيَّة تتغلغل في رأس عُبيد اللّه بن زياد، ونُصِبت الرؤوس في الرحبة. قال عامر: ورأيت الحيَّة[٢] تدخل في منافذ رأسه وهو مصلوب مراراً.»[٣]

وكتب إبن عماد الحنبلي يقول: وقعَت معركة سنة (٦٧هجرية) بين جند المختار وجند إبن زياد، وإنتقمَ اللّه لدماء شهداء كربلاء من المجرمين، وأمرَ المختار بنصب الرؤوس في نفس المحل الذي وضِعَت فيه رؤوس شُهداء كربلاء في دار الإمارة وكانت (٧٠)، رأساً ومن ثمّ أرسلها إلى أهل البيت في المدينة،[٤] ووقف الرجال والنساء لرؤية الرؤوس.

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٢) أنظر عقاب الأعمال: ٢٦٠، ح ٩، ومناقب إبن شهرآشوب: ج ٤، ص ٦١.

(٣) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٤٢ ـ ١٤٣.

(٤) شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: ج ١، ص ٧٤.

بشارة المختار لمحمد إبن الحنفيّة

ثمّ حملَ المختار رأس ـ إبن زياد ـ ورؤوس القوّاد ـ مثل الحصين بن نمير وشرحبيل بن ذي الكلاع و... ـ إلى مكّة مع عبدالرحمان بن أبي عمير الثقفي، وعبدالرحمان بن شدّاد الجشمي، وأنس بن مالك الأشعري، وقيل: السائب بن مالك، ومعها ثلاثون ألف دينار إلى محمّد إبن الحنفيّة، وكتب معهم: «أنّي بعثتُ أنصارَكم وشيعتكم إلى عدوِّكم، فخرَجوا محتسبين أسفين، فقتلوهُم، فالحمد للّه الذي أدركَ لكمُ الثأر، وأهلكهم في كلِّ فجٍ سحيق، وغرقَهم في كلِ بحرٍ عميق وشَفىٰ اللّه صُدور قومٍ مؤمنين.[١]

دعاء محمّد إبن الحنفيّة

فقَدِموا بالكتاب والرؤوس والمال عليه، فلمّا رآها خَرَّ ساجداً، ودعا للمختار، وقال: جزاه اللّه خيرَ الجزاء، فقد أدرك لنا ثأرنا، ووجبَ حقَّه علىٰ كل من وُلِد عبدالمطلب بن هاشم. اللّهم وإحفظ لإبراهيم بن الأشتر وانصرُهُ علىٰ الأعداء، ووفقهُ لما تحبُّ وترضىٰ، وإغفر له في الآخرة والأولىٰ»[٢]. «وقسَّم محمّد إبن الحنفيّة المال في أهلِه وشيعته في مكّة والمدينة علىٰ أولاد المهاجرين والأنصار».[٣]

رأس إبن زياد في حضور الإمام السجّادعليه السلام

«فبعثَ ـ محمّد إبن الحنفيّة ـ رأس عُبيد اللّه بن زياد إلى علي بن الحُسَينعليه السلام، فأُدخِلَ عليه وهو يتغدّىٰ، فسَجَد شكراً للّه تعالىٰ وقال: الحمدللّه الذي أدرَك لي

(١) اقتباس من القرآن الكريم؛ الآية: ١٤ من سورة التوبة.
(٢) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٤٣ ـ ١٤٤.
(٣) نفس المصدر: ص١٤٤.

ثأري من عدوِّي، وجزىٰ اللّه المختار خيراً. ثمّ قال عليه السلام: أُدخِلتُ علىٰ عُبيد اللّه بن زياد وهو يتغدَّىٰ ورأس أبي بينَ يَديه، فقلت: اللّهُمَ لاتُمتني حتَّىٰ تُرِيَني رأس بن زياد[1]».[2]

إبتهاج أهل البيت عليهم السلام

كان أهلُ بيت النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام يذكرون عمل المختار دائماً بالاجلال والإشادة والعظَمة. ولم ينسوا مطلقاً خدمته الثمينة إزاء الثأر من قَتلة شهداء كربلاء وعلىٰ الخصُوص إبن زياد و عُمر بن سعد. بحيث شَكَّلت حادثة وصول رأس إبن زياد إلى المدينة ومكّة بالنسبة لأهل البيت عليهم السلام يومَ فرحٍ وسرور.

«وروىٰ المرزباني بإسناده عن جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام أنّه قال: ما إكتحلَت هاشميّة ولا إختضَبَت، ولا رُئيَ في دارِ هاشميٍ دُخان؛ خَمس حُجَج حتَّىٰ قُتِلَ عُبيد اللّه إبن زياد[3] ـ لعنه اللّهـ».[4]

وعن يحيىٰ بن راشد، قال: قالت فاطمة بنت علي: ما تحنأت إمرأة مِنّا، ولا أجالت في عَينها مِروداً[5]، ولا إمتشَطت حتَّىٰ بعَثَ المختار رأس عُبيد اللّه بن زياد.[6]

---

(١) أنظر أمالي الطوسي: ج١، ص٢٤٨، مناقب إبن شهرآشوب: ج٤، ص ١٤٤، البحار: ج٤٦، ص٥٣ ضمن ح٢، عوالم العلوم: ج١٨، ص٨٤، ح ٣، مدينة المعاجز: ج٤، ص٣٢٦ ـ ٣٢٧.

(٢) ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص١٤٤.

(٣) أُنظر البحار: ج٤٥، ص٢٠٧، ح ١٣ وص٣٤٤، ح ١٢ و ص٣٨٦.

(٤) ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص١٤٤.

(٥) المرود: الميل الذي يكتحل به، البداية والنهاية لإبن كثير: ج٤، ص٣٢١٢ ـ رود ـ.

(٦) ذوب النضار لإبن نما الحلّي: ص١٤٤ ـ ١٤٥.

هدايا المختار

إحتفظ المختار بصلات وعلاقات دائمة مع المدينة وأهل بيت النبي ﷺ. وكان يُطلِع محمّد إبن الحنفيّة بن الامام علي عليه السلام والمشرف علىٰ الثورة والإمام السجّاد عليه السلام القائد الخفي والحقيقي لهذه الثورة علىٰ مجريات الأمور والوقائع بشكلٍ مستمر ودون إنقطاع. وكانَ كلّما حصلَ المختار علىٰ نبأ مهم أو مالٍ وفير أوتُحفةٍ ثَمينة، قامَ بتقديمه وإرساله علىٰ طبقٍ من الإخلاص إلى الإمام السجّاد عليه السلام وباقي أهل بيت النبي ﷺ. فقد أرسل مرةً أمَةً مُوقَّرة إلى الإمام زين العابدين عليه السلام فولَدت له الشهيد «زيد» (بطل آل محمّد الكبير). وكانت هباته وصلته سبباً في يُسرِحال بني هاشم والشيعة التابعين لهم والّتي كانت تُساعد في بناء دورهم الّتي هُدِّمت علىٰ يد بني أُميّة. وبالمحصّلة، فإنَّ الأموال الّتي كان يُرسلها المختار إلى المدينة تُصرَف في دعم جبهة أهل البيت عليهم السلام ماديّاً ومعنويّاً.

وينقل بعض المؤرِّخين أنَّ المختار كان في بعض الأحيان ومن أجل كسب ود بعض الشخصيَّات في الحجاز يُرسِل الهدايا والهِبات لهم. وكان يجود أيضاً علىٰ «إبن العبّاس»، وهو من الشخصيّات البارزة في المدنية، وعلىٰ عبداللّه بن عمر (صهر المختار) ببعض الهدايا والهِبات وكانا يقبلونها برحابة صدر.[1] إلّا أنَّ البعض من هؤلاء ذكروا، قبول عبداللّه بن عمر الهدايا من الجميع إلّا من المختار.[2]

(١) أعلام الزركلي: ج٧، ص١٩٢.

(٢) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٧٠.

◘ الفصل الثالث عشر

نزاع المختار وعبداللّه بن الزبير

الباب الأوّل

إستراتيجية المختار

تركَّز جُل إستراتيجية ثورة المختار حول إستئصال جذور الفساد في العالم الإسلامي، أي الحكم الأموي. لذا وبعد تصفية قَتلَة الإمام الحُسَين عليه السلام ومسببي حادثة كربلاء في الكوفة. إتَّجه المختار نحو الحكومة المركزية في الشام لمعاقبة بقيَّة مُنفِّذي هذه الواقعة الأليمة من جيش الشام. إلّا أنَّ هذا لم يكن نهاية المطاف بالنسبة لمهمة المختار لاسيَّما وأنَّ عبد الملك بن مروان كان لايزال يحكم الشام بالرغم من هلاك إبن زياد المجرم الأوّل في حادثة كربلاء وآخرين من قادة جند الشام ممَّن قاتَلوا تحت رايته ولحساب بني أُميّة في هذه الحادثة. والمختار الذي كان يستعد للقضاء علىٰ الحكم الأموي الغاصب في الشام، وجدَ أنَّ المانع الوحيد أمامه يكمن في خطورة عبدالله بن الزبير.

وكان عبدالله بن الزبير حينها يدَّعي الخلافة بعد أن إتَّخذ مكّة عاصمةً له، فيما إمتدَّ نفوذ حُكمه إلى مناطق شاسعة من الحجاز والعراق واليمن. وكان الزبير بدوره يشعر بخطورة المختار عليه بعد أن نصَّبَ أخوه مُصعَب والياً علىٰ البصرة والذي كان أيضاً يُضمر للمختار حقداً قديماً. إضافة إلى إحتضانه الكثير من أشراف الكوفة المجرمين الفارِّين إلى البصرة خوفاً من عِقاب المختار علىٰ مشاركتهم في حادثة كربلاء.

وكان قلق المختار مشروعاً، وذلك لجهة إحتمال قيام مُصعَب وبتحريض من الفارّين لديه، الهُجوم عليه بجيشٍ جرّار فيما لو أرسلَ قوّاتِه باتّجاه حدود العراق لقِتال جيش حكومة الشام. لذا فقد وجدَ المختار نفسه بين كمّاشتَين وتحت ضغط قوَّتَين من الشمال واليمين:

الأولىٰ: سُلطة حكومة الشام والجيش الأموي الذي كان يستعد للهجوم علىٰ منطقة سرحدات العراق في أي وقت ممكن.

الثانية: جيش إبن الزبير بقيادة مُصعَب في البصرة.

إنَّ إستراتيجية المختار في قتال أعداء أهل البيت عليهم السلام كانت كالآتي: التحرُّك أوّلاً نحو قتال حكومة الشام وإزالة هذا الخطر الأساسي، وبالتالي تحقيق هدفه النهائيٰ في الإنتقام والثأر لشهداء كربلاء المظلومين بشكل كامل ونهائي وإقتلاع الحكم الأموي من الجذور، ومن ثمّ، ثانياً الإستعداد لمحاربة إبن الزبير.

كان المختار يعلم أنّه لايمكن القتال علىٰ جبهتين قويتين في آنٍ واحد. لذلك كان عليه الإطمئنان من إحدىٰ الجبهات بُغية القضاء علىٰ الأخرىٰ. وعلىٰ هذا قرَّر مداهنة إبن الزبير والدخول معه في مفاوضات يستشعره فيها بالموالاة له وبالعداء حصراً لحكومة الشام ومسببي حادثة كربلاء.

وفي الجانب الآخر نجد أنّ «عبد الملك بن مروان» الذي إستلَم حكومة الشام بعد هلاك أبيه مروان بن الحكم في عام (٦٦) للهجرة، قد جهَّز جيشين لمواجهة خصومه. وعلىٰ الرغم من هزيمة جند الشام في معركة الخازَر. إلّا أنّها لم تكن حاسّمة وكان يتوجب علىٰ المختار تطهير الشام من رجس وجود الأمويين. وكما ذكرنا فإنَّ حكومة الشام الّتي أرسلت جيشاً بإمرة إبن زياد إلى العراق لقتال المختار، قامت في الوقت ذاته بإرسال جيشاً آخر بقيادة «عبد الملك بن الحارث»

لقتال إبن الزبير باتّجاه الحجاز والذي كان قد إستقرَّ لاحقاً في منطقة «وادي القُرىٰ» بين مكّة والمدينة. يقول الطبري: «وفي هذه السنة بعثَ المختار جيشاً إلى المدينة للمكر بإبن الزبير وهو مُظهِر له أنّه وجَّههُم معونةً له لحرب الجيش الذي كان عبدالملك بن مروان وجَّههُ إليه لحربه، فنزلوا وادي القُرىٰ».(١)

كتاب المختار لإبن الزبير

كما ذكر سابقاً فإن المختار إستطاع وبمساعدة إبراهيم بن مالك الأشتر وباقي شيعة الكوفة من إنتزاع الكوفة من يد «عبد اللّه بن المطيع» والي الزبير علىٰ هذه المدينة وطرده منها.

إبن المطيع وبعد هُروبه من الكوفة لم يذهب إلى مكّة ـ إمّا خوفاً أوخجلاً ـ بل إتَّجه نحو البصرة عند مُصعَب بن الزبير و بقي هناك ليتَبيَّن لاحقاً مايؤول إليه مصير المختار.

إرتأىٰ المختار وتَبعاً للسياسة الّتي ذكرناها أن يبعث برسالةٍ مودَّةٍ إلى عبد اللّه بن الزبير. قال الطبري: «حدَّثني موسىٰ بن عامر قال لمّا أخرجَ المختار إبن مطيع من الكوفة لحِق بالبصرة وكرِه أن يقدم علىٰ إبن الزبير بمكّة وهو مهزوم مفلول، فكان بالبصرة مقيماً حتّىٰ قدِم عليه عمر بن عبد الرحمن بن هشام فصارا جميعاً بالبصرة، وكان سبب قدوم عمر البصرة أنَّ المختار حين ظهر بالكوفة وإستجمع له الأمر وهو عند الشيعة إنّما يدعو إلى إبن الحنفيّة والطلب بدماء أهل البيت، أخذَ يخادع إبن الزبير ويكتب إليه».(٢)

فكتب إليه ما مضمونه: بسم اللّه الرحمن الرحيم «أمّا بعد فقد عرَفتَ مناصَحتي

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٤٠.

(٢) نفس المصدر .

إيّاك وجَهدي علىٰ أهلِ عداوتك، وما كنتَ أعطيتني إذا أنا فعلتُ ذلك من نفسك فلمّا وفَيتُ لك وقضيتُ الذي كان لك عليَّ، خِستَك بي ولم تفِ بما عاهدتني عليه ورأيت منّي ما قد رأيت، فإن تُرد مراجعتي أُراجِعك وإن تُرد مُناصَحتي أنصح لك».[١]

وعلىٰ حد تعبير الطبري أنَّ هذه الكلمات والجُمل ما هيَ إلّا حيلة وخدعة و«هو يريد بذلك كفَّهُ عنه حتىٰ يستجمع له الأمر، وهو لايُطلع الشيعة علىٰ شيءٍ من هذا الأمر وإذا بلَغهم شيءٌ منه أراهم أنّه أبعد النّاس عن ذلك».[٢]

خطَّة إبن الزبير

وصل كتاب المختار إلى إبن الزبير ولم تنطلِ عليه هذه الحيلة فأراد «أن يَعلَم أَسلِمٌ هو أم حرب! فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فقال له تَجهَّز إلىٰ الكوفة فقد ولَّيناكَها، فقال: كيف وبها المختار! قال: إنّه يزعم إنّه سامعٌ مطيع. قال: فتَجهَّزَ بما بين الثلاثين ألف درهم إلى الأربعين ألفاً. ثمّ خرجَ مُقبلاً إلى الكوفة. ويجئ عينُ المختار من مكّة حتّىٰ أخبره الخبر فقال له: بكِمَ تَجهَّز؟ قال ما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً. قال: فدعا المختار زائدة إبن قَدامة وقال له: إحمل معكَ سبعينَ ألف درهم ضِعفَ ما أنفَق هذا في مسيره إلينا وتلقّه في المفاوِز، وأخرج معك بمسافر بن سعيد بن نمران الناعطي في خمسمائة فارس دارعٍ رامح عليهم البَيض، ثمّ قل له: خُذ هذه النفَّقة فإنَّها ضعف نَفقتك فإنّه قد بلغنا أنك تجهَّزت وتكلَّفت قدرَ ذلك فكرهنا أن تغرم، فخذها وانصرف فإن فعل وإلّا فأره الخيل وقل له: إنَّ وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة. قال: فأخذ زائدة المال وأخرج

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٤٠.

(٢) نفس المصدر.

معه الخيل وتلقّاه بالمفاوز وعرض عليه المال وأمرَه بالإنصراف، فقال له: إنَّ أمير المؤمنين قد ولانّي الكوفة ولابدّ من إنفاذ أمره. فدعا زائدةُ بالخيل وقد أكمنها في جانب فلمّا رآها قد أقبلت قال: هذا الآن أعذَرُ لي وأجْمَلُ بي هاتِ المال، فقال له زائدة: أمَّا إنَّه لم يبعث به إليك إلّا لما بينك وبينه، فدفعه إليه فأخذه ثمّ مضىٰ راجعاً نحو البصرة، فاجتمع بها هو وإبنُ مطيع في إمارة الحارث بن عبدالله إبن أبي ربيعة وذلك قبل وثوب المثنّىٰ إبن مخربة العبدي بالبصرة».[1]

يتبيَّن من خلال التمعُّن في الوقائع التاريخية، أنَّ المختار كان قد أدركَ بأنَّ إبن الزبير لايرضىٰ سوىٰ بإستسلامه وإلحاق العراق بحكمه وضمِّه إلى نفوذه. لذا فقد خطَّطَ المختار لمناورة أُخرىٰ ذكية نُسِجت بمهارة، تتضمن إرسال قوة داعمة من جُنده إلى الحجاز لمساعدة إبن الزبير ظاهرياً، علىٰ أن تقوم هذه القوة بالإستيلاء أوّلاً علىٰ المدينة، ثاني مدن الحجاز ومن ثمّ التحرُّك نحو مكّة، مقر حكومة إبن الزبير ومحاصرتها أو إسقاطها لاحقاً، بغية القضاء علىٰ خطر إبن الزبير. وعلىٰ هذا الأساس قام المختار بإرسال كتاب آخر إلى إبن الزبير.

كتاب المختار الثاني لإبن الزبير

يقول إسماعيل بن نعيم: «وحيث أنَّ المختار أُخبرَ أنَّ أهل الشام قد أقبلوا نحو العراق، فعرفَ أنَّه به يُبدأ، فخشىٰ أن يأتيه أهل الشام من قِبل المغرب ويأتيه مُصعَب إبن الزبير من قِبل البصرة، فوادَعَ إبن الزبير وداراه وكايده؛ وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص إلى وادي القرىٰ والمختار لإبن الزبير مكايِدٌ موادع، فكتب المختار إلى إبن الزبير: أمّا بعد فقد

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٤٠ ـ ٥٤١.

بلغني أنَّ عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشاً، فإن أحببتَ أن أمـدّك بمـدد أمدّدتُك».[١]

جواب إبن الزبير

فكتب إليه عبداللّه بن الزبير: «أما بعد فإن كنت علىٰ طاعتي فلست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادي وتبايع لي النّاس قبلك فإذا أتتني بيعتك صدَّقتُ مقالتُك وكففتُ جنودي عن بلادك، وعجِّل عليّ بتسريح الجيش الذي أنت باعثه، ومُرهم فليسيروا إليَّ مَن بوادي القرىٰ من جُند إبن مروان فليقاتلوهم والسلام.»[٢]، وبهذا واجَهت خُطَّة المختار صعوبة مؤثِّرة، لاسيّما بعد طرح إبن الزبير لشرط إستسلام المختار والإستيلاء علىٰ الكوفة عاصمة العراق. وعليه فقد إضطر المختار إلى وضع خُطَّة مُهادَنة إبن الزبير جانباً، والإتِّجاه نحو الإستيلاء علىٰ الحجاز بالقوّة.

خطَّة الإستيلاء علىٰ الحجاز

قرَّر المختار وضع خطَّته الثانية موضع التنفيذ، عبر إرسال الجـند إلى الحـجاز بحجَّة مساعدة إبن الزبير في الظاهر. ولدىٰ الوصول إلى هناك عليهم القـيام أوّلاً بالإستيلاء علىٰ المدينة ثمّ التحرُّك نحو مكَّة لإنهاء حُكم إبن الزبير. «فدعا المختار شُرحبيل بن وَرس من همدان فسرَّحه في ثلاثة آلاف أكثرهم من الموالي، ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة رجل، فقال له: سَر حتّىٰ تدخل المدينة، فإذا دخلتَها فاكتب إليَّ بذلك حتىٰ يأتيك أمري؛ وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً مِن قِبَله ويأمر إبن وَرس أن يمضي إلى مكَّة حتّىٰ يحاصر إبن الزبير ويقاتلَه

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٤١.

(٢) نفس المصدر .

بمكّة فخرج الآخر يسير قِبَل المدينة وخشي إبن الزبير أن يكون المختار إنما يكيده، فبعث من مكّة إلى المدينة عبّاس بن سَهل بن سعد في ألفين وأمـرَه أن يستنفر الأعراب وقال له ابن الزبير: إن رأيت القومَ في طاعتي فاقبل منهم، وإلّا فكايِدهم حتّىٰ تُهلِكهم».[١]

إلتقاء القوّات

«أقبلَ عبّاس بن سَهل حتّىٰ لقي إبن وَرس بالرقيم وقد عبيَّ إبن وَرس أصحابه فجعل ميمنته سلمان بن حِمْيَر الثَّوري من همدان، وعلىٰ مَيسرته عيّاش إبن جَعدة الجُدلي، وكانت خيلُه كلها في الميمنة والميسرة، فدنا فسلَّم عليه ونزل هو يمشي في الرجّالة، وجاء عبّاس في أصحابه وهم منقطعون علىٰ غير تعبية، فيجد إبن وَرس علىٰ الماء قد عبىٰ أصحابه تعبية القتال، فدنا منهم فسلَّم عليهم ثمّ قال: أخلُ معي هٰهنا، فخَلا به فقال له: رحمك اللّه ألستَ في طاعة إبن الزبير؛ فقال له إبن وَرس: بلىٰ؛ قال: فسر بنا إلى عدوِّه هذا الذي بوادي القرىٰ فإنَّ إبن الزبير حدَّثني أنَّه إنّما أشخصكم صاحبكم إليهم. قال إبن وَرس: ما أُمِرتُ بطاعتك إنما أُمِرتُ أن أسير حتىٰ آتي المدينة، فإذا نزلتها رأيت رأيي؛ قال له عبّاس بن سهل: فإن كـنت في طاعة إبن الزبير فقد أمرني أن أسيرَ بك وبأصحابك إلى عدوّنا الذي بوادي القرىٰ؛ فقال له إبن وَرس: ما أُمِرتُ بطاعتك وما أنا بمتَّبعك دون أن أدخل المـدينة، ثمّ أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره. فلمّا رأىٰ عبّاس بن سهل لَجاجَته عرف خلافَه فكَرِه أن يُعلمه أنَّه قد فطن له، فقال: فرأيك أفضل، إعمل بما بدا لك فأمّا أنا فإني سائر إلى وادي القرىٰ.»[٢]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٤١ ـ ٥٤٣.

(٢) نفس المصدر .

خطَّة عبَّاس بن سهل

تظاهر عبَّاس بن سهل بعدم إكتراثه بالأمر وأنَّ القضية ليست بينهما وأراد بذلك صرف إنتباه إبن وَرس وتشتُّت قوّاته ومهاجمته علىٰ حين غرَّة، «فنزل بالماء وبعثَ إلى إبن وَرس بجزائر كانت معه فأهداها له وبعث إليه بدقيق وغنم مسلَّخة، وكان إبن ورَس وأصحابه قد هلكوا جوعاً فبعث عبَّاس بن سهل إلى كلِّ عشرة منهم شاةً فذبحوها وإشتغلوا بها وإختلطوا علىٰ الماء وترك القوم تعبيتهم، وأمن بعضُهم بعضاً».[1]

مباغتة عبَّاس بن سهل لإبن ورس

«فلمّا رأىٰ عبَّاس بن سهل ما هم فيه من الشغل جَمعَ من أصحابه نحواً من ألف رجل من ذوي البأس والنَّجدة ثمّ أقبل نحو فُسطاط شُرحبيل بن ورس، فلمّا رآهم إبن وَرس مقبلين إليه نادىٰ في أصحابه فلم يتوافَ إليه مائة رجل حتّىٰ إنتهىٰ إليه عبَّاس بن سهل وهو يقول: يا شُرطةَ اللّه، إليَّ إليَّ قاتلوا المُحِلِّين أولياء الشيطان الرجيم، فإنَّكم علىٰ الحق والهدىٰ، وقد غَدروا وفجروا».[2]

قال الطبري: فحدَّثني أبويوسف أن عبَّاساً إنتهىٰ إليهم وهو يقول:

أَنا إبن سهل فارسٌ غيرُ وَكَل — أروَعُ مِقدام إذا الكبشُ نَكَل
وأَعتَلي رأسَ الطِّرِمَّاح البطَل — بالسَّيف يومَ الرَّوع حتّىٰ يُنخزَل

«قال: فواللّه ما إقتتلنا إلّا شيئاً ليس بشيءٍ حتّىٰ قُتِل إبن وَرس في سبعين من

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٤١ ـ ٥٤٣.
(٢) نفس المصدر.

أهل الحِفاظ ورَفَع عبَّاس بن سهل راية أمان لأصحاب إبن وَرس فأتَوها إلّا نحواً من ثلثمائة رجل إنصرفوا مع سلمان بن حِمْيَر الهمداني وعيّاش إبن جَعدة الجُدلي، فلمَّا وقعوا في يد عبَّاس بن سهل أمرَ بهم فقُتلوا إلّا نحواً من مائتي رجل، كرِهِ ناس من النّاس ممَّن دُفِعوا إليهم قتلَهم، فخلَّوا سبيلهم فرجعوا فمات أكثرهم في الطريق.»[١]

عِلم المختار بالجريمة الجديدة

«فلمَّا بلغَ المختار أمرَهم ورجع مَن رجع منهم، قام خطيباً فقال: ألا إنَّ الفُجَّار الأشرار قَتلوا الأبرار الأخيار. ألا إنَّه كان أمراً مأتيّاً وقضاءً مقضيّاً».[٢]

كتاب المختار إلى محمّد إبن الحنفيّة

كتب المختار إلى إبن الحنفيّة مع صالح بن مسعود الخثعمي يقول فيه: بسم اللّه الرحمن الرحيم أمّا بعد فإني كنتُ بعثتُ إليك جُنداً ليُذلّوا لك الأعداء وليحوزوا لك البلاد فساروا إليك حتّىٰ إذا أظلُّوا علىٰ طَيبَة، لقيهم جندُ المُلحِد فخدعوهم باللّه وغرّوهم بعهد اللّه فلمّا إطمأنوا إليهم ووَثِقوا بذلك منهم، وثبوا عليهم فقتلوهم، فإن رأيتَ أن أبعثَ إلى أهل المدينة مِن قِبَلي جيشاً كثيفاً وتبعثَ إليهم من قبلك رُسُلاً حتّىٰ يعلم أهل المدينة أنّي في طاعتك وإنما بعثت الجند إليهم عن أمرك، فافعل فإنَّك ستجد عظمهم بحقّكم أعرف وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير الظلمة الملحدين، والسلام عليك.[٣]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٤٣ ـ ٥٤٤.

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

جواب الكتاب

بما أنَّ مهمّة محمّد إبن الحنفيّة كانت تتلخَّص في تأييد و دعم قيادة ثورة المختار الرامية إلى الثأر لدماء شهداء كربلاء، فلربما لم يخطر في ذهنه حدوث ثورة عارمة وتشكيل حكومة ما. ولذا نجده لايقبل بإقتراح المختار ويكتب له رداً علىٰ كتابه قائلاً: «أما بعد فإن كتابك لما بلغني قرأتُه وفهمتُ تعظيمك لحقِّي وما تنوي به من سروري. وإنّ أحبَّ الأمور كلِّها إليَّ ما أطيع اللّه فيه فأطع اللّه ما استطعتَ فيما أعلنتَ وأسررت، وإعلَم أنّي لو أردت القتال لوجدت النّاس إليَّ سراعاً والأعوانَ لي كثيراً ولكني أعتزِلهم وأصبر حتّىٰ يحكم اللّه لي وهو خير الحاكمين. فأقبل صالح بن مسعود إلى إبن الحنفيّة فودَّعه وسلَّم عليه وأعطاه الكتاب وقال له: قل للمختار فليتَّقِ اللّه وليكفُف عن الدماء.»

«فقلت له أصلحك اللّه أوَ لم تكتب بهذا إليه؟

قال إبن الحنفيّة: قد أمرتهُ بطاعة اللّه، وطاعةُ اللّه تَجمَعُ الخيرَ كلَّه وتَنهىٰ عن الشر كله.

فلمّا قَدم كتابُه علىٰ المختار أظهر للناس أني قد أُمِرتُ بأمر يجمع البرّ واليسر ويَضرح الكَفر والغَدر».[1]

وبالنظر إلى الظروف الّتي إستحدَثت وكتاب محمّد إبن الحنفيّة، رأىٰ المختار أنَّ التّراجع عن فكرة الإستيلاء علىٰ الحجاز بشكل مؤقَّت ريثما تتوافر الظروف المناسبة لذلك، هي ضرورة مُلحَّة في مقابل الإكتفاء بالحرب الإعلاميّة ودَعم أهل البيت عليهم السلام وشيعة الحجاز، وهو ما يُشكِّل عملاً دفاعيّاً بحتاً.

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٤٣ ـ ٥٤٤.

الباب الثاني
محمّد إبن الحنفيّة وفتنة إبن الزبير

إنَّ بني هاشم أساساً لم يعترفوا بإبن الزبير كحاكم للمسلمين، بل ندَّدوا وأدانوا بإعلانه الخلافة لنفسه. حتَّىٰ أنَّ الإمام السجَّاد عليه السلام ذكرَ قيامه بالفتنة، خاصة وأنَّ محمّد إبن الحنفيّة الذي كان يعلم بنفسية إبن الزبير المغرورة والإنتهازية وعِناده وكراهته الشديدة لأهل بيت النبي عليهم السلام، وقف بشدّة بوجهه ولم يبد إستعداداً للتعاون معه والبيعة له.

وعندما شعر عبد اللّه بن الزبير باليأس من بيعة «محمَّد» وأتباعه من جهة، وإنتصار ثورة المختار في الكوفة من جهة أخرىٰ، وما يحمله هذا الشخص من إخلاص وحب لأهل البيت والطاعة والإتباع لمحمد إبن الحنفيّة. إهتزَّ كيانه خوفاً من الأمر وشَعَر بالرعب يُلقىٰ في قلبه. إنَّ تحرير الكوفة من سلطة إبن الزبير وطَرد واليه مِن قبل المختار والعلاقة القوية بين المختار ومحمّد إبن الحنفيّة، شكَّل خطراً داهماً وخسارة كبيرة لإبن الزبير. لذا قرَّر تكثيف الضغوط على محمّد إبن الحنفيّة ومواليه والعمل علىٰ تصفيَتهم جسَديّاً في حال عدم الإستجابة لبيعته.

كان إبن الزبير يُدرك جيداً بأنَّ نجاح المختار في مهمَّته هذه سوف يؤدي إلى رفع شأن «محمّد إبن الحنفيّة» وتثبيت موقعه الإجتماعي والسياسي في مكَّة مما سيدفع ذلك إلى سقوط حكومته في هذه المدينة. وعليه فقد قام بإصدار الأوامر بسجن

إبن الحنفيّة وعدد من مُريديه من بني هاشم، في نفق زمزم والتضيّيق عليهم، فـيما حدَّد إبن الزبير لهم تاريخاً محدّداً للبيعة له والإنقياد لحكومته وإلا سوف يُحرقَهم وهم أحياء.

وأرسل إبن الزبير خطابه هذا مع إبن أخيه «عمرو إبن عروة بن الزبـير» إلى محمّد إبن الحنفيّة الذي ردَّ عليه بكل صراحة وحزم قائلاً: إذهب وقل لعمَّك إنّك إغتررت كثيراً عبر مسارعتك لإستباحة الدماء وهتك الحُرمات.

بنو هاشم علىٰ حافَّة الموت

«جمع عبداللّه بن الزبير محمّد إبن الحنفيّة وعبداللّه بن عبَّاس في سبعة عشر رجلاً من بني هاشم، منهم الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالبعليه السلام، وحصرَهم في شِعبٍ بمكَّة يُعرف بشعب عارم، وقال: لا تمضي الجـمعة حـتَّىٰ تُـبايعوا إليَّ أو أضرب أعناقكم، أو أحرقكم بالنار، ثمّ نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحـراقَـهم بالنار فالتزمه إبن مسور إبن مخرمة الزهري وناشده اللّـه أن يـؤخِّرهم إلى يـوم الجمعة. فلمّا كان يوم الجمعة دعا محمّد إبن الحنفيّة بغسُول وثياب بيض فاغتسَل وتلَّبس وتحنَّط لايشُك في القتل.»[1]

العون من المختار

«فأشار بعض من كان مع إبن الحنفيّة عـليه أن يـبعثَ إلى المخـتار وإلى مـن بالكوفة رسولاً يُعلمهَم حالهم وحال من معهم وما توعَّدَهم به إبن الزبير فوجَّهَ ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس علىٰ باب زمزم وكتب معهم إلى المختار

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢٠، ص١٢٣ ـ ١٢٤.

وأهل الكوفة يُعلمَهم حاله وحال من معه وما توعَّدهم به إبن الزبير من القتل والتَحريق بالنار، ويسألَهم أن لايخذِلوه كما خَذلوا الحُسَين وأهل بيته. فقدِموا علىٰ المختار فدَفعوا إليه الكتاب، فنادىٰ في النّاس وقرأ عليهم الكتاب وقال: هذا كتاب مهديّكم وصريحُ أهلِ بيت نبيِّكم، وقد تُركوا محظوراً عليهم كما يُحظر علىٰ الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار، ولستُ أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزَّراً وإن لم أسرِب إليهم الخيل في أثر الخيل، كالسَّيل يتلُوه السيل، حتىٰ يَحُلّ بإبن الكاهلِّية الويل». [1]

إرسال «كتائب الفداء» إلى مكَّة

أحدَثَ وصول خبر إعتقال بني هاشم وتهديدهم بالموت من جانب إبن الزبير، قلقاً وتوتُّراً كبيراً لدىٰ شيعة العراق والمختار شخصيّاً. وعلى الأثر قامَ المختار بتشكيل «كتائب الفداء» من (٧٥٠) مقاتلاً من خواص جنده لإنقاذ بني هاشم، وعلىٰ النحو التالي:

- أبا عبدالله الجُدلي في سبعين راكباً من أهل القوّة.
- ظبيان بن عثمان أخا بني تميم ومعه أربعمائة مقاتل.
- أبا المعتمر في مائة مقاتل.
- هاني بن قيس في مائة مقاتل.
- عُمير بن طارق في أربعين مقاتل.
- يونس بن عمران في أربعين مقاتل.

وكتبَ إلى محمّد بن علي مع الطُّفيل بن عامر ومحمّد بن قيس بتوجيه الجنود

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٤٤.

إليه، فخرجَ النّاس بعضُهم في أثر بعض وجاء أبوعبدالله الجَدلي حتّىٰ نزل ذاتَ عِرق في سبعين راكباً، ثمّ لحقه عُمير بن طارق في أربعين راكباً ويونس إبن عمران في أربعين راكباً فتمّوا خمسين ومائة».[1]

العلّة في تسمية عناصر المختار «بالخَشَبيَّة»[2]

من الألقاب الّتي أطلَقَها المؤرِّخون علىٰ أصحاب المختار كان لقب «الخَشَبيّة»؛ والسبب في ذلك يعود إلى أنَّ المختار لم يكن يرغب في دخول قوّاته إلى المسجد الحرام حاملين السيوف ومدَجَّجين بالسلاح. ولذا إحتراماً لمكانة الكعبة الشريفة أمرَ جُنده بعدم إستخدام السلاح. وبما أنَّ جُند المختار كانوا مكلَّفين بإنقاذ المحاصَرين من بني هاشم في ذلك الغار، فقد حَملوا في أيديهم الخشب عوضاً عن

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٤٤ ـ ٥٤٥.

(٢) وردت تعاريف كثيرة لهذه التسمية في الكثير من الكتب، أنقل بعضاً للإطلاع حيث جاء في؛ القول الصراح في البخاري والصحيح الجامع للأصبهاني: ص٢٠٦: وإنما قيل لهم خشبية لأنهم وصلوا إلى مكّة وبأيديهم الخشب كراهة إشهار السيوف في الحرَم وقيل لأنهم أخذوا الحطب الذي أعدّه إبن الزبير، وقال إبن الزبير: أيحسبون أني أخلي سبيلهم دون أن أبايع ويبايعون؟ ! وجاء في المراجعات للسيّد شرف الدين: ص١٧١ ـ ١٧٢؛ وقد ذكر إبن قتيبة الخشبية في كتابه المعارف فقال: هم من الرافضة، كان إبراهيم الأشتر لقي عُبيد الله إبن زياد، وأكثر أصحاب ابراهيم معهم الخشب فُسمّوا الخشبية. قلت: إنما نَبزوهم بهذا توهيناً لهم، واستهتاراً بقوتهم وعتادهم لكن هؤلاء الخشبية قَتلَوا بخشبهم سلف النواصب، إبن مرجانة، واستأصلوا شأفة أولئك المردة، قتَلة آل محمّد (وقطع دابر الّذين ظلموا والحمد للّه رب العالمين) فلا بأس بهذا اللقب الشريف. وجاء في قاموس الرجال للشيخ محمّد تقي التستري: ج٩، ص٥٧٩: كان إبراهيم الأشتر لقي عُبيد الله بن زياد وأكثر أصحاب ابراهيم معهم الخشب، فسُمّوا الخشبية. وفي إكمال الكمال لابن ماكولا: ج٣، ص٢٦٢: وأما الخشبي أوله خاء معجمة مفتوحة وبعد الشين المعجمة باء معجمة بواحدة، فصنف من الرافضة يقال لهم الخشبية يقال للواحد منهم خشبي. وفي الأنساب للسمعاني: ج٢، ص٣٦٨: الخشبي: بفتح الخاء والشين المعجمتين وفي آخرها الباء، هذه النسبة إلى جماعة من الخشبية، وهم طائفة من الرافضة يقال لكل واحد منهم الخشبي، ويحكىٰ عن منصور بن المعتمر قال: إن كان من يحب علي بن أبي طالب يُقال له الخشبي فاشهدوا أني ساجة.

السيف لمواجهة قوّات إبن الزبير المحتملة في داخل الكعبة المشرَّفة، فدخلوا المسجد الحرام وبأيديهم الخشب ولذا سُموا بالخشبية. بعد ذلك أُطلقَ هذا اللقب علىٰ جميع أصحاب المختار الّذين بدورهم أطلقوا علىٰ هذه الأخشاب «الكافر كوبات». وهذه التسمية نجدها ثُبّتت بهذا الشكل في نصوص التاريخ وهي كلمة فارسية تعني «قامِعة الكُفّار». وبما أنّ أكثر أصحاب المختار ومواليه وأتباعه المطالبين بدماء شهداء كربلاء والإمام الحُسَين عليه السلام هم من أهل بلاد فارس في العراق، لذا كانوا يُشكِّلون غالب جيش المختار.

هجوم «كتائب الفداء» علىٰ نفق زمزم

«وقد بعث المختار بن أبي عبيد من الكوفة أبا عبدالله الجَدلي في أربعة آلاف، فلمّا نزلوا ذات عرق، تعجَّل منهم سبعون علىٰ رواحلهم حتىٰ وافوا مكَّة صبيحة الجمعة ينادون: يا محمّد، يا محمّد! وقد شهروا السلاح حتىٰ وافوا شِعب عارم، فاستخلصوا محمّد إبن الحنفيّة ومن كان معه، وبعثَ محمّد إبن الحنفيّة الحسن بن الحسن ينادي: من كان يرىٰ أنَّ للّه عليه حقاً فليشم سيفه، فلا حاجة لي بأمر النّاس، أن أعطيتها عفواً قبلتها وإن كرِهوا لم نبتزَّهم[1] أمرهم.[2]

قال الطبري: «فسار بهم حتىٰ دخلوا المسجد الحرام ومعهم «الكافر كوبات»[3]

---

(١) لم نبتزهم أمرهم: لم تسلبه منهم عفواً.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠، ص١٢٣ ـ ١٢٤.

(٣) القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع للأصبهاني ـ هامش ص٢٠٥: هذه كلمة مركبة من «كافر وكوبات» وهي آلة الحرب نضرب بها الكفار، والكوبات فارسية. أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيّد مرتضىٰ العسكري: ج١ هامش ص٢٦١: «الكافر كوبات»: نوع من الخشب تسلّحوا بها بدلاً من السيف حفظاً لحرمة الحرم فكان إبن الزبير لذلك يسميهم الخشبية. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٣٥، هامش

←

وهم ينادون يا لثارات الحُسَين حتىٰ إنتهوا إلى زمزم وقد أعدَّ إبن الزبير الحطَب ليحرقهم وكان قد بقي من الأجل يومان، فطردوا الحَرَس وكسروا أعواد زمزم ودخلوا علىٰ إبن الحنفيّة فقالوا له خَلِّ بيننا وبين عدوّ اللّه إبن الزبير فقال لهم: إني لا أستحلَّ القتال في حرم اللّه».[1]

تعامل الشيعة مع «إبن الزبير»

كانت مكَّة عاصمة عبداللّه بن الزبير وكان يعتبرها مركزاً لخلافته، وكان فدائيو المختار يدخلون الحرم أفواجاً أفواجاً علىٰ نسق خاص وكانوا يؤدُّون مناسك الحج مع الشيعة، وكان أمير الحجيج أبو عبداللّه الجُدلي.

أدَّىٰ إقتحام أصحاب المختار لبئر زمزم وإنقاذهم للرهائن إلى إدخال الرُعب في قلب إبن الزبير. فيما إلتقىٰ القادة المرسَلون من قبل المختار بمعيَّة أبوعبداللّه الجُدلي بإبن الزبير، وكان الأخير قلقاً جدّاً من الوضع الراهن ومضطرباً، فصاح بهم: «أتحسبون أني مُخلٍّ سبيلهم دون أن يُبايع ويُبايعوا! فقال أبو عبداللّه الجُدلي: إي وربِّ الركن والمقام وربِّ الحل والحرام لتخلّينّ سبيلَه أو لنجالدنَّك بأسيافِنا جِلاداً يرتاب منه المبطِلون. فقال إبن الزبير: واللّه ما هؤلاء إلّا أكلة رأس، واللّه لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتىٰ تُقطَف رؤوسهم، فقال له قيس بن مالك: أما واللّه إني لأرجو إن رمت ذلك أن يُوصل إليك قبل أن ترى فينا ما تحب .فكفَّ إبن الحنفيّة أصحابه وحذّرهم الفتنة».[2]

← ص٢١٢: «الكافر كوبات» جمع الكافر كوب وهي المقرعة. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٧، هامش ص١٢٤: «الكافر كوبات»: جمع الكافر كوب: وهو المقرعة. أنظر: «تاريخ الاسلام»: ج٦، ص٢٣٤.

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٤٥.

(٢) نفس المصدر .

تحقيق أهداف ثورة المختار

ثمّ توافدَت بقية قوّات المختار مكّة تترىٰ ودخلوا المسجد الحرام وهم يهتفون بشعار «يالثارات الحُسَين» عالياً، وبذلك أعلموا الحجيج وأهل مكّة وإبن الزبير بانتصار ثورة المختار ونجاح أهدافها في الثأر من قَتَلة الإمام الحُسَين عليه السلام. فلمّا علِم إبن الزبير بهجوم كتائب المختار الثوريَّة، إنتابه فَزع كبير ولم يعترض طريقهم. يقول الطبري في ذلك: «ثمّ قدم أبو المعتمر في مائة وهاني بن قيس في مائة وظبيان إبن عُمارة في مائتين ومعه المال حتىٰ دخلوا المسجد فكبّروا: يا لثارات الحُسَين فلمّا رآهم إبن الزبير خافَهم فخرج محمّد إبن الحنفيّة ومَن معه إلى شِعب علي وهم يسبّون إبن الزبير ويستأذنون إبن الحنفيّة فيه فيأبىٰ عليهم، فاجتمع مع محمّد بن علي في الشِعب أربعة آلاف رجل، فقسم بينهم ذلك المال.»[1]

هذه الرِفعة الوضّاءة في تاريخ حياة بطلنا «المختار بن أبي عبيد الثقفي» تحكي عن إخلاص وشجاعة وتدَبُّر هذا الرجل الكبير المضحّي والحامي لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله. وتكشف عن صفحةٍ منيرة في الدفاع عن أهل بيت النبي المظلومين عليهم السلام.

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٤٥.

◙ الفصل الرابع عشر

خاتمة الأمر

الباب الأوّل
معركة مُصعَب مع المختار

كما ذكرنا سالفاً فإنَّ الكثير من أشراف الكوفة وزعماء العراق وأغلبهم ممن شاركوا في واقعة كربلاء، كانوا قد هَربوا من الكوفة إلى البصرة عند مُصعَب بن الزبير الذي عُيِّن في تلك السنة والياً علىٰ البصرة من قبل أخيه عبداللّه.

أيقن الفارّون من الكوفة بأنَّ ثمن عودتهم إلى هذه المدينة سيكلِّفهم غالياً وهو الموت. لذا سعوا إلى تحريض مُصعَب بن الزبير دون هوادة من أجل محاربة المختار وتحرير الكوفة من يد الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام.

ومن الأشخاص الّذين دأبوا علىٰ تحريض مُصعَب بن الزبير هو «محمّد إبن الأشعث» أحد رؤوس النفاق في الكوفة وصاحب الملف الأسود في فاجعة كربلاء. وكان المختار قد طلَبه وهدَم داره وقصرَه في قرية الأشعث خارج الكوفة، وكذلك شبث بن ربعي زعيم منافقي الكوفة، ومن أذناب بني أُميّة ومن جُناة حادثة كربلاء، الذي أُسند له فيها قيادة القوّات لمحاربة الإمام الحُسَين عليه السلام. وآخرين من الفارّين ومناوئي ثوّار الكوفة.

هؤلاء جميعاً نجحوا في تحريض مُصعَب، أضافة إلى موقف الأخير شخصياً في تعبئة أهل البصرة لمحاربة المختار.

يقول الدينوري: «ولمَّا تتبَع المختار أهلَ الكوفة، جعل عظماؤهم يتسلّلون هرباً إلى البصرة حتىٰ وافاها منهم مقدار عشرة آلاف رجل وفيهم محمّد بن الأشعث، فاجتمعوا ودخلوا علىٰ مُصعَب بن الزبير».[1]

تحريض المعارضين للتمرُّد

قال حبيب بن بديل «لمّا قدِم شبث علىٰ مُصعَب بن الزبير البصرة وتحته بغلة له قد قطَع ذنبها وقطع طرف أذنها وشقَّ قَباءه وهو ينادي: يا غوثاه يا غوثاه، فأتىٰ مصعب فقيل له أنَّ بالباب رجلاً ينادي يا غوثاه يا غوثاه مشقوق القباء من صفته كذا وكذا. فقال لهم نعم هذا شبث بن ربعي لم يكن ليفعل هذا غيره فأدخِلوه، فأُدخل عليه وجاءَه أشراف النّاس من أهل الكوفة فدخلوا عليه فأخبروه بما إجتمعوا له، وبما أُصيبوا به ووثوب عبيدَهم ومواليهم عليهم وشكوا إليه وسألوه النصر لهم والمسير إلى المختار معهم».[2]

«وقدِمَ عليهم محمّد بن الأشعث بن قيس ولم يكن شهِد وقعة الكوفة، كان في قَصر له مما يلي القادسيّة «بطِيزَنابَاذا»، فلمّا بلَغه هزيمة النّاس تهيَّأ للشخوص، وسأل عنه المختار فأُخبر بمكانه فسرَّح إليه عبدالله بن قراد الخثعمي في مائة فلمّا ساروا إليه وبلغه أن قد دنوا منه، خرج في البرّيَّة نحو المصعب حتىٰ لحق به، فلمّا قدم علىٰ المصعب إستحثَّه بالخروج وأدناه مصعب وأكرَمه لشرَفه. قال: وبعثَ المختار إلى دار محمّد بن الأشعث فهدَمها».[3]

«وأنَّ المصعب لمّا أراد المسير إلى الكوفة حين أكثرَ النّاس عليه، قال لمحمد بن

---

(١) الأخبار الطوال للدينوري: ص٣٠٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٥٨.

(٣) نفس المصدر .

الأشعث: إني لا أسير حتىٰ يأتيني المهلَّب بن أبي صُفرة. فكتب المصعب إلى المهلَّب وهو عاملُه علىٰ فارس: أن أقبِل إلينا لتشهدَ أمرنا فإنا نريد المسير إلى الكوفة فأبطأ عليه المهلَّب وأصحابه وإعتلَّ بشيٍ من الخراج، لكراهة الخروج».[١]

مهمَّة إبن الأشعث

«فأمرَ مصعب محمّد بن الأشعث في بعض ما يستحثه أن يأتي المهلّب فيقبِل به وأعلمَه أنه لايشخص دون أن يأتي المهلّب، فذهب محمّد بن الأشعث بكتاب المصعب إلى المهلّب، فلمّا قرأه قال له: مثلك يا محمّد يأتي بريداً! أما وجَدَ المصعب بريداً غيرَك! قال محمّد: إني واللّه ما أنا ببريد أحد، غير أنَّ نساءنا وأبناءنا وحَرَمَنا غَلَبنا عليهم عبدانُنا ومَوالينا...»[٢] فكان لسان محمّد بن الأشعث اللبق والإستعانة سبباً في عزم إبن المهلَّب علىٰ العودة إلى البصرة.

عودة المهلَّب إلى البصرة

«فخرج المهلَّب وأقبل بجموع كثيرة وأموال عظيمة معه في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة، ولما دخلَ المهلّب البصرة أتىٰ باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس، فحجبَه الحاجب وهو لايعرفه، فرفع المهلّب يده فكسر أنفَه، فدخل إلى المصعب وأنفُه يسيل دماً، فقال له مالك؟ فقال ضرَبني رجل ما أعرفه، ودخل المهلب فلمّا رآه الحاجب قال: هُو ذا، قال له المصعب عُد إلى مكانك».[٣]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٥٨ ـ ٥٥٩.

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

إعلان الحرب

«تولّىٰ مُصعَب بن الزبير ولاية البصرة ونواحي جنوب العراق بأمر من أخيه عبداللّه بن الزبير. وقد قام بتعبئة أهل البصرة وأعـدَّ الجـيوش للإسـتيلاء عـلىٰ الكوفة وتصفية شيعة العراق. فيما وضَعَ المناوئون للثورة من أشراف الكوفة الّذين فرُّوا من مخالب عقوبات المختار إلى البصرة واللـجوء إلى أحـضان مُـصعَب إثـرَ دَورهم الإجرامي في حادثة كربلاء، جميع إمكاناتهم تحت إمرَة مُصعَب، مشاركةً منهم في الحرب ضدَّ المختار. وهذه المرّة سيُحارِب المختار جيشاً آخـر ليس لبـني أُميّة، بل لإبن الزبير. وأمرَ مُصعَب النّاس بالمعسكر عند الجسر الأكبر».[١]

الإستعانة بالطابور الخامس

لكي يستطيع «مُصعب» من إيجاد الإضطراب والتوتُّر في مركز حكومة المختار، أي الكوفة وكذلك إفساح الطريق أمام الساخطين والمناوئين للثورة مـن الّـذين إضطرُّوا علىٰ البقاء بالكوفة إلى ذلك الحين من الهـروب واللِحاق به، فقد: «دعـا عبدالرحمن بن مخنف فقال له: إئتِ الكوفة فأخرج إليَّ جميع من قدرت عليه أن تُخرِجه، وادعهم إلى بيعتي سراً.»[٢] نعم فالتاريخ يُعيد نفسه، وهذه المرّة أيضاً أقدم الكوفيّون علىٰ خيانة كبيرة أخرىٰ.

خيانة أهل الكوفة

يقول الطبري: «وخذَل أصحاب المختار، فانسلَّ من عنده حتّىٰ جلس في بيته مستتراً لا يظهر».[٣]

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٥٩.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

نعم، فالمختار وبعد عام من القتال والإنتقام الدَموي وتنفيذ المهام الكبيرة، وجد نفسه أمام نِفاق أهل الكوفة المقيت. وعلىٰ الرغم من أنَّ العبيد والموالي والفُرس والمستضعفين شكَّلوا غالبية حُماة المختار والمدافعين عن ثورته المقدَّسة. لكنَّ زعماء وأشراف الكوفة من الّذين كانوا يتوقَّعون تقديم الإمتيازات المادِّية والمناصبيَّة لهم ولم يُفلحوا في الحصول عليها، رفعوا أيديهم عن مساعدة المختار في إنتظار تغيير الأوضاع إلى جانبهم.

ومن منطلق قيام المختار بإلغاء سياسات التفرقة العنصرية الخاطئة ومنها تفضيل العرب علىٰ العجم من قِبل بعض الخلفاء وحكّام بني أُميّة، ومن ثمَّ إبن الزبير لاحقاً، وإتِّباعه في المقابل سياسة العدل والإنصاف بين الكوفيين. فقد رأىٰ قادة عَبَدة الشهوات في الكوفة من الّذين عاشوا لسنوات طِوال علىٰ أساس التمايز الطبقي وإكتساب السلطة بالإضافة إلى عدد كبير من الآخرين الّذين فقدوا ذويهم وآقاربهم إثر إنتقام المختار من قاتِلي الإمام الحُسَينعليه‌السلام. بأنَّه من الأفضل لهم مخاصمة المختار والعداء له والمشاركة في خيانته.

وبالتالي فإنَّ الكثير من الكوفيين نفضُوا عملياً أيديَهم عن مناصرة المختار الذي قام وأتباعه من المستضعفين وأهل فارس الّذين شَهد لهم التاريخ بأنَّهم من شيعة أمير المؤمنينعليه‌السلام المخلصين والمدافعين عن حُرَم أهل بيت النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله، من تشكيل القوّات الأساسية المدافعة عن الثورة.

لقد إنتهىٰ الأمر إلى عَقد مُصعَب بن الزبير العزمَ علىٰ محاربة المختار بعد تحضير العدَّة والعدد وبمساعدة الفارِّين من مناوئي الكوفة إلى البصرة، وعلىٰ أمل تعاون الطابور الخامس في الكوفة معهُ في هذه الحرب.

إصطفاف جيش «مُصعَب»

«وخرجَ مُصعَب فقدَّمَ أمامه عَبَّاد بن الحصين الحبَطي من بني تميم علىٰ مقدّمته، وبعثَ عمر بن عُبيد اللّه بن مَعمر علىٰ ميمنته، وبعث المهلّب بن أبي صُفرة علىٰ ميسرته، وجعلَ مالك بن مِسمع علىٰ خمس بكر بن وائل، ومالك إبن المنذر علىٰ خمس عبدالقيس، والأحنف بن قيس[١] علىٰ خمس تميم وزياد بن عمرو الأزدي علىٰ خمس الأزد وقيس بن الهيثم علىٰ خمس أهل العالية.»[٢]

رد فعل المختار وخطبته

بلغَ المختار خبر تعبئة القوّات في البصرة وإلتحاق المعارضين له بجند مُصعَب، فجمَع أصحابه والنّاس في المسجد وعدَّهم وجهَّزهُم للدفاع وخطب فيهم، «فقامَ في أصحابه فحمَدَ اللّه وأثنىٰ عليه ثمّ قال: يا أهل الكوفة يا أهل الدّين وأعوانَ الحق وأنصار الضعيف وشيعة الرّسول وآل الرّسول، إنَّ فُرَّاركم الذين بَغَوا عليكم أتوا أشباهَهم من الفاسقين فاستغْووهم عليكم ليمصَح الحق وينتعش الباطل ويُقتَل أولياء اللّه، واللّه لو تهلكون ما عُبِد اللّه في الأرض إلّا بالفري علىٰ اللّه واللعن لأهل بيت نبيّه. إنتدبوا مع أحمر بن شُميط فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء اللّه قَتلَ عادٍ وإرم».[٣]

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن أحنف بن قيس كان من أصحاب أمير المؤمنين(ع) لكن في أواخر عمره وبعد إستشهاد الإمام علي(ع) مال إلى حكومة معاوية والشام ومن ثمّ إلى إبن الزبير واتخذ موقفاً مناوئاً للشيعة المنتفضين.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٥٩.

(٣) نفس المصدر .

قائد قوّات المختار

عَبأَ المختار النّاس وجهَّز جيشاً عضياً قُدِّر بحوالي ٦٠ ألف رجل وأَمَّر عليهم الأحمر بن شُميط وهو من المعتمدين والمقرَّبين للمختار وكان شجاعاً ومخلصاً ومدافعاً قوياً عن أهل بيت النبي ﷺ ومحبوباً لدىٰ النّاس «فخرج أحمر بن شُميط فعسكر بحمّام أعين، ودعا المختار رؤس الأرباع الّذين كانوا مع إبن الأشتر فبعثهم مع أحمر بن شُميط كما كانوا مع إبن الأشتر فإنهم إنما فارقوا إبن الأشتر لأنّهم رأوه كالمتهاون بأمرِ المختار فانصرفوا عنه».[1]

والظاهر إنَّ هذا القول لايَستند إلى الصحّة، لأنَّ إبراهيم بن مالك الأشتر قد أثبتَ جدارته في جميع المواقع والأحداث المهمّة ودافع عن الثورة وأهدافها منذ البدء وحتّىٰ معركة الخازَر بنفسه. ولعلَّ السؤال المطروح هو عن سبب غيابه في هذه المرحلة؟ لربما أنَّ إبراهيم لم يكن حينها في الكوفة إذ أنَّ المختار أمرَهُ بعد إنتصاره على جند الشام في الموصل أن يبقىٰ في تلك المناطق الإستراتيجية الحسّاسة وعَيَّنه والياً عليها. وفي الكتاب الذي أرسله محمّد إبن الحنفيّة إلى إبراهيم الأشتر طالَبهُ بتوليته المناطق الّتي يُحرِّرُها من الحكم الأموي، لهذا لم يكن إبراهيم حاضراً في هذه المعركة المصيريّة المهمّة.

وربما كان أحد الأخطاء القاتلة الّتي إرتكبها المختار هو عدم الإستعانة بإبراهيم الأشتر في هذه المرحلة الخطيرة والمصيرية، إذ كان عليه أن يُرسل قاصداً مُسرعاً إليه يُعلِمه بالأمر ويأمره بالتحرّك لقتال إبن الزبير، إلّا أنَّ هذا الأمرلم يحدث، وبالتالي لم يستفد المختار من ذراعه الجبّارة هذه.

أمّا شخصيّة «أحمر بن شُميط» ومنزلته فلاشكَّ حولها، ويقيناً إنّه كان قائداً

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٥٩ ـ ٥٦٠.

مقداماً محنَّكاً ومقاتلاً باسلاً وفدائياً ملتزماً. لكنّه ومع كل إمتيازاته هذه لايرقىٰ إلى منزلة إبراهيم بن مالك الأشتر ولايمكن المقارنة بينهما.

ويُحتمل أنَّ المختار كان في غاية الحساسية إزاء حدود الشام والعراق ويتوجس من أحابيل عبد الملك بن مروان ولايركن إلى أفعاله. لذا كان يرىٰ ضرورة الإبقاء علىٰ إبراهيم في الموصل كي يقف مانعاً أمام تحرُّك جيش الشام في حال مهاجمة أرض العراق. ولهذه الأسباب أختار المختار وأصحابه في الكوفة تحمُّل عبء مواجهة جيش مُصعَب العظيم.

تنظيم جيش الثورة

«تحرَّكت القوّات مع إبن شُميط وبعثَ المختار معه جيشاً كثيفاً فخرج إبن شُميط فبعثَ علىٰ مقدَّمته إبن كامل الشاكري وسار أحمر بن شُميط حتىٰ وردَ المَذار وجاء مُصعَب حتىٰ عسكرَ منه قريباً، ثمّ أنَّ كل واحد منهما عبّأ جنده ثمّ تزاحفا فجعل أحمر بن شُميط علىٰ ميمنته عبداللّه بن كامل الشاكري وعلىٰ ميسرته عبداللّه بن وهب إبن نَضلة الجشمي، وعلى الخيل رزين عبد السلولي، وعلىٰ الرجّالة كثير بن إسماعيل الكندي وكان يوم خازَر مع إبن الأشتر، وجعل كيسان أبا عَمرة ـ وكان مولىٰ لعُرَينة ـ علىٰ الموالي».[1]

الإلتقاء مع جيش الأعداء

ولمّا إستوَت الصُفوف في منطقة المَذار وإصطفَّ جيش الأعداء بقيادة مُصعَب أمامهم، «جاء عبداللّه بن وهب بن أنس الجشمي إلى إبن شُميط وقد جعلَهُ علىٰ

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٥٩ ـ ٥٦٠.

ميسرته فقال له: إنَّ الموالي والعبيد آلُ خَوَر عند المصدوقة، وإنَّ معهم رجالاً كثيراً علىٰ الخيل، وأنت تمشي فَمُرهم فلينزلوا معك فإنَّ لهم بك أسوة، فإني أتخوّف إن طُورِدوا ساعة وطُوعِنوا وضُوربوا أن يطيروا علىٰ متونها ويُسلِموك، وأنك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بُدّاً ـ وإنما كان هذا منه غشّاً للموالي والعبيد، لمّا كانوا لقوا منهم بالكوفة، فأحبَّ إن كانت عليهم الدَّبَرة أن يكونوا رجّالاً لاينجو منهم أحد ـ ولم يتهمه إبن شُميط وظنَّ أنه إنما أراد بذلك نُصحَه ليصبروا ويُقاتِلوا، فقال: يا معشر الموالي، إنزلوا معي فقاتِلوا، فنزَلوا معه ثمّ مَشَواً بين يدَيه وبين يَدي رايته».[١]

بداية المواجهة

«إلتقت قوّات الثورة بقيادة «إبن شُميط» والقوات المناوئة للثورة بقيادة «مُصعَب إبن الزبير» في منطقة «مذَار» وقد وقفت قبالة بعضها البعض «وجاء مُصعَب بن الزبير وقد جعلَ عَبّاد بن الحصين على الخيل فجاء عبّاد حتىٰ دنا من إبن شُميط وأصحابه فقال: إنّما ندعوكم إلى كتاب اللّه وسنّة رسوله وإلى بيعة أمير المؤمنين عبداللّه بن الزبير، وقال الآخرون إنا ندعوكم إلى كتاب اللّه وسنّة رسوله وإلى بيعة الأمير المختار وإلى أن نجعل هذا الأمر شورىٰ في آل الرسول، فَمن زَعمَ من النّاس أنَّ أحداً ينبغي له أن يتولّىٰ عليهم، برئنا منه وجاهدناه، فانصرف عبّاد إلى مُصعَب فأخبره، فقال له: إرجع فاحمل عليهم، فرجع فحمل علىٰ إبن شُميط وأصحابه فلم يزُل منهم أحدٌ، ثمّ انصرف إلى موقفه».[٢]

«وحمل المهلّب علىٰ إبن كامل، فجال أصحابه بعضُهم في بعض فنزل إبن كامل

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٥٩ ـ ٥٦٠.

(٢) نفس المصدر.

ثمّ انصرف عنه المهلّب فقام مكانَه فوقفوا ساعةً ثمّ قال المهلب لأصحابه: كرُّوا كَرَّةً صادقة فإنَّ القوم قد أطمَعوكم وذلك بجَولتهم الّتي جالوا. فحملَ عليهم حملةً منكرةً فولَّوا وصبر إبن كامل في رجال من همدان فأخذ المهلّب يسمع شِعار القوم: أنا الغلام الشاكري، أنا الغلام الشَّبامي، أنا الغلام الثَّوري فما كان إلّا ساعةً حتّىٰ هُزِموا».[1]

إستشهاد قائد المعركة

ثمّ حملَت كتائب مُصعَب علىٰ الجناح الذي فيه أحمر بن شُميط قائد قوّات المختار، وكان معظمهم رجّالة فاِستشهد الكثير منهم ولم يتحمَّل البعض الآخر الأمر فانسحبوا، إلّا أنَّ شُميط صَبَر وقاتلَ حتّىٰ إستُشهد.

نعم، لقد خرج «أحمر بن شُميط» هذا القائد الشجاع البطل والمدافع المتعصِّب عن أهلبيت النبي ﷺ والذي إمتلأ كيانه من العشق لأهل بيت الرسالة عليهم السلام، مرفوعَ الرأس والهامة من هذا الإمتحان العصيب. لقد كان إبن شُميط من أفضل الأصحاب الأوفياء للمختار منذ بدء ثورته وكان محمّد إبن الحنفيّة يوليه إحتراماً خاصّاً. حتىٰ قيل أن «ابن شُميط» هو الذي دفع المختار لدخول ميدان الحرب والسجال مع أعداء أهلالبيت عليهم السلام، وهو الذي تلقّىٰ بدايةً الإذن من محمّد إبن الحنفيّة لقتال ومعاقبة قاتلي الإمام الحُسَين عليه السلام. وكان قد إشترك في جميع حروب ومعارك المختار بشكل فاعل ومؤثّر وله الدور الكبير والفاعل في تصفية وإبادة وقتل مسببي فاجعة كربلاء. لينالَ في النهاية شَرف الإستشهاد في سبيل هدفه المقدَّس، بعد قتاله لأعداء اللّه ورسوله برجولة وبسالة. (رحمة اللّه علىٰ روحه الطاهرة وأرواح أصحابه الأوفياء).

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٦٠ ـ ٥٦١.

يقول الطبري: «وحمل عُمر بن عُبيد اللّه بن معمر على عبداللّه بن أنس فقاتَل ساعة ثمّ إنصرف وحملَ النّاس جميعاً علىٰ إبن شُميط فقاتَل حتىٰ قُتِل وتنادوا يامعشَر بَجيلة وخَثعم، الصَّبر الصبر! فناداهم المهلّب الفِرار الفِرار! اليوم أنجىٰ لكم، علامَ تَقتُلون أنفسَكم مع هذان العَبدان، أضلَّ اللّه سَعيَكم، ثمّ نظر إلى أصحابه فقال: واللّه ما أرىٰ استِحرار القَتل اليومَ إلّا في قومي. ومالَت الخيلُ علىٰ رَجّالة إبن شُميَط، فافترقت فانهزمت وأخذت الصَحراء، فبعثَ مُصعَب عبَّاد بن الحصين علىٰ الخيل، فقال: أيّما أسيرٍ أخذتَه فاضرِب عُنُقَه».[١]

«وسرّحَ محمّد بن الأشعث في خيل عظيمة من خيل أهل الكوفة ممَّن كان المختار طردَهم، فقال: دُونَكم ثأركم! فكانوا حيث انهزموا أشدَّ عليهم من أهل البصرة لايُدركون منهزماً إلّا قَتَلوه ولايأخذون أسيراً فيعفون عنه قال: فلم يَنج من ذلك الجيش إلّا طائفةٌ من أصحاب الخيل، وأما رجّالتُهم فأُبيدوا إلّا قليلاً».[٢]

قسوة الأعداء

هجمَ جيش مُصعَب بكل ضراوة وقساوة وتحمَّل جيش المختار هزيمة منكرة وأصابتهم مقتلة عظيمة. فيروي أحد جنود مُصعَب وهو معاوية إبن قُرّة المُزني أعماله السبعية الوحشية في تلك المعركة فيقول: «إنتهيت إلى رجل منهم فأدخلتُ سِنان الرمح في عينه فأخذتُ أُخَضخِض عينَه بسنان رُمحي، فقلت له: وفعلت به هذا؟ قال نعم إنّهم كانوا أحلَّ عندنا دماءً من الترك والدّيلم وكان معاوية إبن قرّة قاضياً لأهل البصرة. في ذلك يقول الأعشىٰ:

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٦١.

(٢) نفس المصدر .

ألا هل أتَـاكَ والأنـباءُ تُـنميٰ   بمـــا لاقت بَجِـيلةُ بـــالمَذَارِ
أتيحَ لهـم بهـا ضَربٌ طِـلحِفٌ   وطـعنٌ صـائبٌ وجـهَ النهـارِ
كأنَّ سـحابةً صـعَقت عـليهم   فَـــعمَّتهم هُـــنالِك بـــالدمارِ
فــبشِّر شــيعةَ المخـــتارِ إمـــا   مَررَتَ علىٰ الكُـويفةِ بـالصَّغارِ
أقـــرَّ العـينَ صَرعـاهم وفـلٌّ   لهـــم جَـمٌّ يُـقتّل بـالصَّحاري
ومـا إن سَرَّني إهـلاكُ قـومي   وإن كـــانوا وجَـدِّكَ في خـيارِ
ولكـــنِّي سُررتُ بمـــا يُـــلاقي   أبو إسحاقَ من خزي وعارِ[١]

والأعشىٰ هذا من الشعراء المعروفين في العصر الأموي وعلىٰ الرغم مـن أنـه يدَّعي الولاء لأهل البيت لكنَّه ينتقد بشدّة المختار وثورة الشيعة في الكوفة، وكان يحمل الكثير للمختار في قلبه. وله أشعار أخرىٰ في قَدح المختار وأصحابه، وخرج مع زعماء الكوفة علىٰ الحجّاج وأنشدَ أشعاراً في مدح عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس، الذي ثار ضد الحجّاج وفي تلك الأبيات وصـفَ الحـجّاج والمخـتار فـيها بكذَّابي ثَقيف. وكان الأشعث من هواة الخوارج وإلتحق بِعبد الرحمن بن الأشعث.

تقدُّم الأعداء نحو الكوفة

«وأقبلَ مُصعَب حتّىٰ قطع من تلقاء واسط القصب ولم تكُ واسط هذه بُـنيَت حينئذ بعد، فأخذ في كسكَر ثمّ حملَ الرجال وأثقالهم وضعفاء النّـاس في السـفن فأخذوا في نهر يقال له: نهر خُرشاذ ثمّ خرجوا من ذلك النهـر إلى نهـر يـقال له قُوسان ثمّ أخرَجهم من ذلك النهر إلى الفرات».[٢]

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٦١ ـ ٥٦٢.

(٢) نفس المصدر.

وقال فُضيل بن خَديج الكِندي أنَّ أهل البصرة كانوا يخرجون فيجُرّون سفنهم ويقولون:

عَوَّدنا المصعبُ جَـرَّ القَـلِس والزَّنبرِيَّات الطوال القُعس[1]

«ولمّا بلغ المختار أنَّهم قد أقبلوا إليه في البحر وعلىٰ الظهر، سارَ حتَّى نزل بهم السيلحين ونظر إلى مجتمع الأنهار نهر الحيرة ونهر السَّيلَحين ونهر القادسيّة ونهر يوسُف فسَكَّرَ الفرات علىٰ مجتمع الأنهار، فذهبَ ماء الفرات كلّه في هذه الأنهار وبقيَّت سفن أهل البصرة في الطين فلمّا رأوا ذلك خرجوا من السفن يمشون وأقبلت خَيلهم تركض، حتّىٰ أتَوا ذلك السِّكر فكسَروه وصمَدوا صمد الكوفة، فلمّا رأىٰ ذلك المختار أقبلَ إليهم حتىٰ نزلَ حَرُوراء وحالَ بينهم وبين الكوفة».[2]

خبر سيّ

إستطاع المتبقي من جيش إبن شُميط من إيصال أنفسهم إلى الكـوفة وأخـبروا المختار بالأخبار السيِّئة وكذلك خبر إستشهاد القائد العام «أحمر بن شُميط» ومعاونه «عبدالله بن الكامل». وكما قُلنا فإنَّ أغلب جند المختار وأصحابه كانوا من أهـل فارس العراق المتحدِّثين بالفارسية. يقول الطبري: «فلمّا بلَّغ مَن مع المختار من تلك الأعاجم ما لقيَ إخوانهم مع إبن شُميط قالوا بالفارسية «اين بار دروغ گفت» أي؛ هذه المرّة كَذِب».[3]

لايخفىٰ أنّ المختار وَلدىٰ وداع جنده بقيادة «ابن شُميط» لقتال مُصعَب، خاطبهم

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٦٢.

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر.

قائلاً: فإنكم لو قد لقيتُموهم لقد قَتلتُموهم إن شاء اللّه قَتلَ عادٍ وإرم».[١] ومن البديهي، فإنَّ إلصاق التُهم ولاسيّما تهمة الكذب؛ بالمختار صاحب الشأن والمنزلة الرفيعة من جانب أعدائه وإعلامَهم المسموم ليس بالأمر الحقيقي والصائب والذي بدَوره كان له الأثر السلبي والسيّ في نفوس أصحابه.

بالإضافة إلى أنّ المختار ومن أجل رفع معنويات مقاتِليه كان يُردد جملة «إن شاء اللّه» أملاً في تحقيق النصر لجنده. فهل أنَّ هزيمته في الحرب بعد إستخدامه لهذه العبارة تدل علىٰ أنه كان كذّاباً! لقد شكَّل خبر مقتل الكثير من جند المختار والّذين كانوا في الغالب من الفُرس إضافة إلى إستشهاد قادتة الآخرين، أثراً سيئاً علىٰ المختار وشيعة الكوفة، مما دفع ذلك إلى قيادة مقارعة الأعداء بنفسه.

إرسال قوّات جديدة

«قال عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي: «واللّه إنّي لجالس عند المختار حين أتاه هزيمة القوم وما لَقوا، قال: فأصغىٰ إليَّ فقال: قُتِلت واللّه العبيد قَتلة ما سمعتُ بمثلها قط، ثمّ قال: وقُتِل إبن شُميط وإبن كامل وفلان وفلان ـ فسمّىٰ رجالاً من العرب أُصيبوا ـ كان الرجل منهم في الحرب خيراً من فِئام[٢] من النّاس. قال: فقلت له فهذه واللّه مصيبةٌ. فقال لي: ما مِنَ الموت بُدّ وما من مِيتةً أموتها أحبّ إليَّ من مثل مِيتةِ إبن شُميط، حبّذا مصارع الكرام! قال فعلمت أنّ الرجل قد حدَّث نفسه إن لم يُصب حاجته أن يُقاتل حتّىٰ يموت».[٣]

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٥٩.

(٢) الفِئام: الجماعة من النّاس.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٦٢.

إصطفاف الجيشين للقتال

«حصَّنَ المختار قَصر الإمارة والمسجد وأدخل في قصره عُدّة الحصار وجاء مُصعَب يسير إليه وهو بحَرَوَراء وقد إستعمل علىٰ الكوفة عبدالله بن شدّاد، وخرج إليه المختار وقد جعلَ علىٰ ميمنته سليم بن يزيد الكندي وجعلَ علىٰ ميسرته سعيد بن منقذ الهمداني ثمّ الثوري وكان علىٰ شُرطته يومئذ عبدالله بن قُراد الخثعمي، وبعث علىٰ الخيل عمر بن عبدالله النهدي وعلىٰ الرجّال مالك بن عمرو النهدي وجعلَ مُصعَب علىٰ ميمنته المهلّب بن أبي صُفرة وعلى ميسرته عمر بن عُبيد الله بن معمر التيمي، وعلى الخيل عبّاد إبن الحصين الحبطي وعلىٰ الرجّال مقاتل بن مسمع البكري، ونزل هو يمشي متنكّباً قوساً له؛ وجعل علىٰ أهل الكوفة محمّد بن الأشعث فجاء محمّد حتىٰ نزل بين مُصعَب والمختار مغرّباً مُيامناً».(١)

«فلمّا رأىٰ ذلك المختار، بعث إلى كل خمس من أخماس أهل البصرة رجلاً من أصحابه، فبعث إلى بكر بن وائل سعيد بن منقذ، صاحب ميسرته وعليهم مالك بن مسمع البكري وبعث إلى عبد القيس وعليهم مالك بن المنذر، عبدالله بن شُريح الشَّبامي وكان علىٰ بيت ماله وبعث إلى أهل العالية وعليهم قيس بن الهيثم السَّلمي، عبدالله إبن جَعدة القرَشي ثمّ المخزومي وبعث إلى الأزد وعليهم زياد بن عمرو العتكي، مسافر بن سعيد بن نمران الناعطي وبعث إلى بني تميم وعليهم الأحنف بن قيس، سليم بن يزيد الكندي وكان صاحب ميمنته وبعث إلى محمّد بن الأشعث السائب بن مالك الأشعري ووقف في بقية أصحابه».(٢)

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣.

(٢) نفس المصدر.

أمر الهجوم

«وتزاحفَ النّاس ودَنا بعضهم من بعض ويحمل سعيد بن منقذ وعبد اللّه إبن شُريح علىٰ بكر بن وائل وعبدالقيس وهم في الميسرة وعليهم عمر بن عُبيد اللّه بن معمر فقاتَلتهم ربيعة قتالاً شديداً وصبروا لهم وأخذ سعيد بن منقذ وعبد الرحمن بن شُريح لا يُقلعان إذا حملَ واحدٌ فانصرف حملَ الآخر وربما حَملا جميعاً. قال فبعث مُصعَب إلى المهلّب ما تنتظر أن تحمل علىٰ من بإزائِك ألا ترىٰ ما يَلقىٰ هذان الخُمسان منذ اليوم! إحمل بأصحابك فقال: أي لعمري ما كنت لأجزُر الأزد وتميماً خشية أهل الكوفة حتىٰ أرىٰ فرصتي. قال وبعث المختار إلى عبد اللّه إبن جعدة أن إحمل علىٰ من بإزائك، فحمَلَ علىٰ أهل العالية فكشفهم حتّىٰ إنتهوا إلى مُصعَب فجثا مُصعَب علىٰ ركبتيه ولم يكن فرّاراً فرمىٰ بأسهمه ونزل النّاس عنده فقاتلوا ساعة ثمّ تحاجزوا قال: وبعثَ مُصعَب إلى المهلّب وهو في خُمسَين جامّين كثيري العدد والفرسان: لا أبا لَك ما تنتظر أن تحمل علىٰ القوم! فمكث غيرَ بعيد».[1]

ذروة المعركة

فصاح المهلّب بأصحابه «قد قاتَل النّاس منذ اليوم وأنتم وقوفٌ وقد أحسنوا وقد بقىٰ ما عليكم، إحملوا واستعينوا باللّه وأصبروا، فحمَل علىٰ من يليه حملةً منكرة فحطّموا أصحاب المختار حطمةً منكرة فكشفوهم ـ علىٰ الرغم من المقاومة الشديدة الّتي أبداها أصحاب المختار وصبرهم ـ وقال عبداللّه بن عمرو النهدي وكان من أصحاب صفّين: اللّهم إني علىٰ ما كنت عليه ليلة الخميس بصفّين اللّهم إني أبرأ إليك من فعل هؤلاء لأصحابه حين إنهزموا وأبرأ إليك من أنفس هؤلاء ـ

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٦٣ ـ ٥٦٤.

يعني أصحاب مُصعب ـ ثمّ جالَدَ بِسَيفه حتّىٰ قُتل».[١]

إستشهاد أحد القادة

ثمّ أنَّ القائد المقدام ـ عبداللّه بن عمرو النهدي ـ إمتشقَ سيفه وحملَ علىٰ قلب صفوف الأعداء وقاتلَ ببسالة ورجولة حتىٰ إستُشهد، وبهذا إستُشهد أحد أصحاب المختار وقواده علىٰ يد جند إبن الزبير عندما كان يُقاتل ليمنع هروب أفراده. ولدىٰ إنسحاب جند المختار تكبَّدوا خسائر فادحة ومَن قاوم منهم ببسالة قُتل. وبعد ذلك يقول الطبري «وأتىٰ مالك بن عمرو أبو نمران النهدي وهو علىٰ الرجّالة بفرسه فركبه وإنقصَفَ أصحاب المختار إنقصافةً شديدة كأنهم أجمةٌ فيها حريق، فقال مالك حين ركب: ما أصنع بالركوب واللّه لإن أُقتل هٰهنا أحبّ إليّ من أن أُقتلَ في بيتي؛ أين أهل البصائر؟ أين أهل الصبر؟ فثاب إليه نحو من خمسين رجلاً وذلك عند المساء».[٢]

هلاك إبن الأشعث

«عندها كرَّ هذا القائد الصنديد علىٰ أصحاب محمّد بن الأشعث، وكان هدف هذه السرية الفدائية الّتي كانت تُقاتل من أجل الإستشهاد، هو محمّد إبن الأشعث لأنه كان من الشخصيات الكوفية المهمة ومن الأعداء اللدودين لأهل البيت وكان قائداً في واقعة كربلاء وقد إرتكب جرائم كثيرة. وكان له دور كبير في تحريض مُصعَب لقتال المختار وكانت يداه وأيدي أصحابه ملطَّخة بدماء الشيعة، فقُتِل محمّد بن الأشعث ووُجدَ أبو نمران قتيلاً إلى جانبه وعامَّة أصحابه. فبعض النّاس يقول

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٦٤.

(٢) نفس المصدر.

هوَ قَتلَ محمّد بن الأشعث وكندة تزعم أن عبدالملك إبن أشاءة الكندي هو الذي قَتلَه، وخثعم تزعم أنَّ عبداللّه بن قُراد هو الذي قَتلَه. وسمعتُ عوف بن عمرو الجشمي يزعُم أنَّ مولى لهم قَتَله، فادّعىٰ قَتلَه أربعة نفر كلّهم يزعم أنَّهُ قَتلَه».[1]

وبمقتل قائد المناوئين للثورة، غَمرت نفوس الثوار نوبة روحية عالية وتنَّفسوا الصُعداء «فلمّا مرَّ المختار في أصحابه علىٰ محمّد بن الأشعث قتيلاً قال: يا معشر الأنصار كُرّوا علىٰ الثعالب الرّوّاغة فحملوا عليهم».[2] فيما نال القائد «أبو نمران» درجة الشهادة في هذه المعركة بعد قتاله البطولي الفذّ فيها.

لقد أدّىٰ هذا القائد الشجاع دَينه للإسلام مدافعاً عن أهل بيت النبوّة عليهم السلام بكل بسالة حتىٰ اللحظات الأخيرة من عمره، لينال بذلك ماكان يصبوا إليه وهي الشهادة في سبيل الحق الإلهي.

وفي هلاك «محمّد بن الأشعث» قيلت أشعار كثيرة، ومن جملة مَن رثاه كان الأعشىٰ الهمداني، نقلَ الطبري ثلاثين بيتاً منها. يقول في مطلعها:

تأوَّبَ عَينَك عُوَّارُها وعادَ لنفسِكَ تَذكارُها[3]

الليلة المرعبة

كان دارجاً لدىٰ العرب القتال في أول النهار والتوقف عند الظلام للإستراحة وجمع الجرحىٰ للمداوات والمعالجة. إلّا أنَّ حرب المختار ومُصعَب وخلافاً لهذا التقليد فقد بدأت وطيسها منذ طلوع الفجر وإستمرت حتىٰ الليلة التالية دون توقف يذكر. وبرغم مشاهدة جيش مُصعَب لهروب أهل الكوفة إلّا أنه ظلَّ مداوماً

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٦٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

علىٰ الحرب، فيما بقيَ المختار ومَن معه من السرايا الأوفياء له يقاتلون ببسالة وبطولة. فقد ظلَّ قائد الحرب «سعيد بن منقذ الثوري» يقاتل إلى جنب المختار بسبعين من الجند حتىٰ إستُشهد ومَن معه جميعاً في ساحة المعركة.

«وقاوم في تلك الليلة أحد قواد المختار وهو سعيد بن منقذ الثوري ببسالة وصلابة حتىٰ إنكشف أصحابه، فقاتلَ في عصابة من قومه نحو من سبعين رجلاً فقُتِلوا، وقاتلَ سليم بن يزيد الكندي في تسعين رجلاً من قومه، وغيرهم ضاربَ حتىٰ قُتِل، وقاتلَ المختار علىٰ فم سكة شَبث، ونزلَ وهو يريد أن لا يبرَح فقاتَلَ عامَّة ليلتهِ حتىٰ إنصرف عنه القوم، وقُتِل معه ليلتئذ رجالٌ من أصحابه من أهل الحِفاظ، منهم عاصم بن عبداللّه الأزدي وعيّاش بن خازم الهمداني ثمّ الثوري وأحمر بن هديج الهمداني ثمّ الفايشي».[1]

وعلىٰ الرغم من أنَّ المختار شَعَر بضعف المقاومة لدىٰ أغلب جنده وهروبهم من ساحة المعركة أثناء الليل، إلّا أنه بقيَ ثابتاً مثابراً علىٰ القتال مع جماعة صغيرة من أصحابه حتىٰ آخر الليل.

وفي آخر الليل عندما رأىٰ بعض أصحاب المختار خطورة الوضع ومقتل القادة أمثال عاصم بن عبد اللّه الأزدي وعيّاش بن خازم الهمداني وأحمر إبن شُميط الهمداني، همّوا بالإنسحاب. لٰكنَّ جماعة من الشيعة الهمدانيين ظلّوا يقاومون بشراسة ويتنادون «يامعشر همدان سِلّوا سيوفكم، فقاتَلوهم أشدَّ القتال».[2] وبسبب قلة عددهم لم يَستَطيعوا فعل الكثير وتغيير الأمور. وكلّما طالَ الليل كان أصحاب المختار ينقصون إثرَ الإستشهاد أو هروب الآخرين.

البعض من أصحاب المختار إقترحوا عليه فقالوا: «أيُّها الأمير قد ذَهبَ القوم

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٦٤.

(٢) نفس المصدر: ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥.

فانصرِف إلى منزلك إلى القصر، فقال المختار: أما واللّه ما نزلتُ وأنا أُريد أن آتي القصر، فأما إذا إنصرَفوا فاركبوها بنا علىٰ إسم اللّه، فجاء حتّىٰ دخل القصر».[١]

العودة إلى المدينة

لقد عاد المختار إلى الكوفة ومع قلّة من أصحابه آخر الليل أملاً في إعادة تنظيم جنده المهزوم بغية الدفاع عن المدينة (الكوفة) أمام جيش مُصعَب. إنَّ هذه المعركة الّتي جرت بين جند المختار ومُصعَب كانت قد وقعت في منطقة غرب الفرات في أرض تُسمّىٰ «المَذار» فيما أطلق المؤرّخون علىٰ تلك الواقعة والمعركة «يوم المَذار».

أوضاع جيش العدو

«فلمّا أصبح مُصعَب، أقبلَ يسير بمن معه من أهل البصرة ومَن خرج إليه من أهل الكوفة فأخذ بهم نحو السَبخة فمرَّ بالمهلّب فقال له المهلّب: يا له فتحاً ما أهناه لو لم يكن محمّد بن الأشعث قُتِل، قالَ صدَقت فرحمَ اللّه محمّداً، ثمّ سار غير بعيد ثمّ قال: يا مهلّب قال: لبيك أيُّها الأمير، قال: هل علِمتَ أنَّ عُبيد اللّه بن علي بن أبي طالب قد قُتِل. قال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون. قال مُصعَب: أما إنّه كان ممن أحبَّ أن يَرىٰ هذا الفتح ثمّ لا نجعل أنفسنا أحقَّ بشيْ مما نحن فيه منه، أتدري مَن قَتله؟ قال لا. قال: إنما قَتلهُ من يزعم أنّه لأبيه شيعة، أما أنهم قد قَتلوه وهم يعرفونه».[٢]

تجدر الإشارة إلى أنَّ «عُبيد اللّه بن علي بن أبي طالب» جاء الكوفة بعد إنتصار المختار وإستيلائه علىٰ هذه المدينة وكان يتوقع الكثير إلّا أنّ المختار لم يُعره إهتماماً.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥.

(٢) نفس المصدر: ص٥٦٧.

فخرج إلى البصرة شأنه شأن بقية زعماء الكوفة الفارّين. وكان مُصعَب يحترمه في الظاهر ويتوجَّس منه في الباطن، وقد جلَبه معه إلى قتال المختار من أجل إستغلاله إعلامياً والقول بأنَّ المختار وأصحابه يدَّعون كذباً دفاعهم عن أهل بيت النبوّة عليهم السلام إذ هاهو إبن علي إلى جانبي، فساقه في النهاية إلى المعركة وقُتِل في ليلتها بشكل غامض.

و بما أنَّ هذه القضية أحدثت إشكالات عـديدة لدىٰ المـؤرّخين. لذا إرتـأينا الخوض فيها بشيَ من البحث والتحقيق بغية إستبيان الأمر ونقل ماحصل عليه من كتب التاريخ المعتبرة لتبيان الحقيقة.

الباب الثاني

القتل المشكوك

ذكرت كتب التاريخ المعتبرة بصريح العبارة أنَّ عُبيد اللّه بن أمير المؤمنين عليه السلام، كان في الجهة المقابلة للمختار وإشترك مع مُصعَب بن الزبير الذي دخل الحرب ضد المختار، وقُتِل ليلة المعركة بيَد قوّات المختار. لقد شكّل مقتل «عُبيد اللّه» وبإعتباره إبن أوّل أئمة الشيعه وأخو الإمام الحُسَين عليه السلام وسيلة إعلاميّة مهمة لأعداء المختار وضربة مسمومة ضد هذا الرجل.

وخلاصة كلام وأقوال المحدِّثين والمؤرّخين الكبار في هذه الحادثة هي التالي:

١ ـ قال بعضهم: إنَّ عُبيد اللّه بن علي كان في جيش مُصعَب وقُتِل علىٰ يد قوّات المختار، كتبَ أبوالفرج الأصفهاني: «عُبيد اللّه[1] بن علي بن أبي طالب، وأُمه ليلىٰ بنت مسعود.[2] بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمىٰ بن جندل بن نهشل بن دارم إبن حنظلة. قَتَلهُ أصحاب المختار بن أبي عبيد يوم المَذار، وكان صار إلى المختار فسأله أن يدعوا إليه ويجعل الأمر له فلم يفعل فخرج فلحق بمُصعَب بن

---

(١) في النسخ «عبد اللّه» والتصويب من طبقات إبن سعد: ج٦ ص٨٦ والطبري: ج٦ وإبن الأثير: ج٣، ص١٧٢ والمعارف: ص٩٦.

(٢) في طبقات إبن سعد: ج٥، ص١١٧ «وكان قدم من الحجاز علىٰ المختار بالكوفة وسأله فلم يعطه وقال: أقدمت بكتاب من المهدي؟ قال: لا، فحبسه أياماً ثمّ خلّىٰ سبيله وقال: أخرج عنا فخرج إلى مُصعَب بالبصرة هارباً من المختار».

الزبير.[١] فَقُتِلَ في الوقعة وهو لايعرف»[٢].[٣]

٢ ـ قال إبن سعد في طبقاته: «عُبيد اللّه بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي وأُمه ليلىٰ بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي إبن سلمىٰ بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك إبن حنظلة بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم. وكان عُبيد اللّه بن علي قدِمَ من الحجاز علىٰ المختار بالكوفة وسأله فلم يُعطه وقال: أقدمت بكتاب من المهديّ، قال: لا، فحبسه أياماً ثمّ خلّىٰ سبيله وقال: أُخرج عنّا، فخرج إلى مُصعَب بن الزبير بالبصرة هارباً من المختار».[٤]

٣ ـ وجاء في أنساب الأشراف بصريح العبارة: «عُبيد اللّه بن علي، قَتَله المختار في الوقعة يوم المَذار».[٥]

وجاء في الكامل حديثاً مماثلاً لما نقلَه الطبري، فهل كان الأمر في الحقيقة كذلك!؟

كتب المحقق العلّامة محمّد باقر المحمودي في ذيل الجملة السابقة المنقولة عن كتاب «أنساب الأشراف» وفي أحد هوامش كُتبه بشكل واضح وجلي عن حقيقة هذه الحادثة. وسوف نُبيّن رأينا في نهاية قول هذا العلّامة: «هذا الكلام فيه تسامح واضح وجلي والصواب أنه كان في جيش مُصعَب في يوم المَذار وقُتِل، وأمّا قَتلَه بيَد المختار أو أصحابه فغير معلوم ولعل الأقرب أنَّ بعض أعداء آل البيت من نواصب البصرة أو مَن فرَّ من المختار من أهل الكوفة كإبن الأشعث وشبث بن ربعي قَتَلوه غيلة!!!

(١) أنظر مبايعته بالخلافة وقتله في طبقات إبن سعد: ج ٥، ص ٨٧ ـ ٨٨.

(٢) المعارف: ص١٧٦ ومروج الذهب: ج ٢، ص ٨٢.

(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ص ٨٤.

(٤) الطبقات الكبرىٰ لمحمد بن سعد: ج ٥، ص ١١٧.

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري: ص ١٩٠.

أمّا دليلنا فهو ماجاء ذكره عن أمير المؤمنين عليه السلام في «إثبات الوصية»: «أنّه أوصىٰ أمير المؤمنين عليه السلام بنيه فقال[١]: «إني أوصي إلى الحسَن والحُسين فاستمعوا لهما وأطيعوا أمرَهُما، فقام إليه عُبيد اللّه فقال: يا أمير المؤمنين أَدون محمّدٍ إبن الحنفيّة؟ فقال له أمير المؤمنين: أجراةٌ في حياتي؟ كأنّي بك قد وُجِدتَ مذبوحاً في خَيمتك»!!! ورواه أيضاً في معجزات أمير المؤمنين من كتاب الخرائج[٢]، وفيه: «كأنّي بك... لايُدرَىٰ مَن قَتَلك».

وإن قيل: أنَّ مصعباً أمرَ بإغتياله، كان قريباً جداً وذلك لما روي في ترجمة عُبيد اللّه[٣] وخلاصتة: إنّ عُبيد اللّه قدِم علىٰ المختار بالكوفة وسأله فلم يُعطه، فخرج إلى مُصعَب بالبصرة، فنزل علىٰ خاله نعيم بن مسعود التميمي فأمرَ له مُصعَب بمأة ألف درهم. ثمّ أمرَ مُصعَب النّاس بالتهيؤ لعدوّهم ثمّ عسكر ثمّ إنقلع من معسكره متوجّها إلى الكوفة. فلمّا سار تخلَّف عُبيد اللّه في أخواله وسار خاله نعيم بن مسعود مع مُصعَب، فجاء بنو سعد بن زيد إلى عُبيد اللّه فقالوا: نحن أيضاً أخوالك فتحوّل إلينا فإنا نُحب كرامتك. فتحوّل إليهم فأنزَلوه وسطهم وبايعوا له بالخلافة وهو كاره، فبلغ ذلك مصعباً، فكتب إلى عامله يلومه على غفلته عن هذا الأمر، ثمّ دعا نعيم بن مسعود، فقال: ما حملكَ علىٰ ما فعلت في إبن أُختك؟ فحلَف أنه ما عَلِمَ من قصته شيئاً، فقبل منه مُصعَب، فقال نعيم: فلا يهيجه أحد أنا أكفيك أمره وأقدِم به عليك، فأتىٰ البصرة فاجتمعت عليه بنوحنظلة وبنو عمر وإبن تميم فسار بهم حتىٰ أتىٰ بني سعد فقال: واللّه ما أردتم إلاّ هلاك تميم فادفعوا إليّ إبن

(١) إثبات الوصية: ص ١٢٥، هامش أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٩١، وبحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٨٧، طبعة بيروت.

(٢) ص ١٨ .

(٣) الطبقات الكبرىٰ لإبن سعد؛ ج ٥، ص ١١٧، طبعة بيروت.

أُختي، فتلاوموا ساعة ثمّ دفعوه إليه فخرج به حتّىٰ قدِم علىٰ مُصعَب فقال له: يا أخي ما حملَك على ذلك؟ فحلف له أنه لم يكن به عِلم حتىٰ فعلوا ما فعلوا وأنا كاره. فصدَّقه مُصعَب ثمّ أمر صاحب مقدَّمته أن يسير إلى جمع المختار، فسار وتقدَّم معه عُبيد اللّه فنزلوا المَذار وتقدَّم جيش المختار فنزلوا بإزائهم، فبيتهم أصحاب مُصعَب فقتلوا ذلك الجيش إلّا الشريد منهم وقُتِل عُبيد اللّه في تلك الليلة. ولقد أجاد إبن أبي الدُنيا حيث قال في مقتل أمير المؤمنين عليه السلام: كان عُبيد اللّه بن علي قدِم علىٰ المختار؛ فقُتِل عُبيد اللّه مع مُصعَب بن الزبير، كان مُصعَب ضمّه إليه و(كان) لم يَر عند المختار ما يحبه.[1]

وكما يلاحظ فإنَّ مقتل «عُبيد اللّه» كان غامضاً ويلفُّه الشكوك. وبالنظر إلى ماذُكر سابقاً فإنَّ العداوة الّتي كان يكنَّها مُصعَب وأخيه عبداللّه بن الزبير لأبناء علي عليه السلام، هي الّتي تسببت وعلىٰ أقوىٰ الإحتمالات في مقتل «عُبيد اللّه» و بأمر مباشر من مُصعَب. ويمكن القول كذلك في إحتمال ضعيف يشير إلى أنَّ «عُبيد اللّه» كان قد قتل علىٰ يد قوّات المختار أثناء جدال المعركة بين الفريقين حتىٰ الليل وعدم قدرة المتقاتلين في تحديد هوية الطرف الآخر. وبالنظر إلى مانُقِلَ سابقاً وحديث أمير المؤمنين عليه السلام لعُبيد اللّه: «كأنّي بك قد وُجِدتَ مذبوحاً في خيمتك لايُدرىٰ مَن قَتلك». فإنّ هذه الحادثة يمكن تفسيرها علىٰ محمل الإغتيال وليس القتل في المعركة.

بالإضافة إلى ذلكَ فإنَّ «عُبيد الله» لم يكن بَينه وبين المختار من خصومةٍ تُذكر، بل وربما كان يحمل ودّاً للمختار لأنه أولاً: من شيعة أبيه، وثانياً: قد تطوَّع للثأر من قَتلة أخيه الإمام الحُسَين عليه السلام. وما إبتعاده عن المختار إلّا لدافع مادّي ليس إلّا.

---

(١) حاشية أنساب الأشراف للبلاذري: ص١٩٠.

حتىٰ أنه لم يحضر مع جيش مُصعَب لمحاربة المختار طواعية، بل، إضطر للمشاركة في الحرب كراهية. إذن وطبقاً للشواهد والوثائق التاريخية المذكورة سالفاً، فإنَّ إتهام المختار بقتل أبناء أمير المؤمنينعليه السلام، وكما باقي التُهم لاتَمُت بِصلة إلى الحقيقة وماهي إلّا بُدَع ودعايات أُموية مسمومة ضد المختار والّتي أُتبَعت لاحقاً من جانب إبن الزبير وجلاوزته دون مراعاة لأي وازع أخلاقي وذلك من أجل الحفاظ علىٰ منافعهم ومكانتهم الآنية.

يقول المسعودي: «فكان ممن قُتِل مع المختار، عُبيد اللّه بن علي بن أبي طالبعليه السلام...».[1]، وهذا الكلام يناقض ماقبلَه. والأهم من كل هذا فإنَّ بعض الروايات المعتبرة وضمن ذكرها لأبناء الإمام عليعليه السلام، تُشير إلى أنَّ «عُبيد الله بن علي» قُتِل بين يَدي أخيه الإمام الحُسَينعليه السلام في واقعة كربلاء. والشيخ المفيد يذكر ذلك في كتاب «الإرشاد»، إضافة إلى الكثير من المؤرّخين الشيعة الّذين ينقلون هذا الكلام في كُتبهم المعتبرة. وإذا صحَّ هذا الكلام فإنَّ قضية وجود «عُبيد اللّه» في زمان المختار ومُصعَب هو الأقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة.

ومع هذا فإنَّ العلّامة المامقاني الأُستاذ الكبير في علم الرجال يذكر وَلدَين بإسم «عُبيد اللّه» للإمام عليعليه السلام و يعتقد أنَّ «عُبيد اللّه» الذي إستُشهد في كربلاء، هو غير عُبيد اللّه الذي قُتِل في المعركة بين المختار ومُصعَب. وعبارته هي: «عُبيد اللّه، أبوه أمير المؤمنينعليه السلام وأُمه ليلىٰ بنت مسعود من بني تميم، وهو الذي إستُشهد في كربلاء مع أخيه الحُسَينعليه السلام كما صرَّح به أصحاب السِيَّر والمقاتل وهذا يكفي في تبيان جلالة قدره وشرفه بالإضافة إلى شرف نَسبه. وإنَّ سلام الإمام عليه؛ المذكور في الزيارة الرجَبية يُمثّل شرفاً آخر له.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ج ٣، ص ١٠٦.

ثمّ أضاف: «وأنَّ إبن أدريس في كتاب السرائر إرتكبَ خطأً فادحاً لأنه وإستناداً إلى قول الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد[1] إلى أن عُبيد اللّه إبن النهشلية قُتِل بكربلاء مع أخيه الحُسَين عليه السلام وهذا خطأ محض بلا مراء، لأنَّ عُبيد اللّه إبن النهشلية كان في جيش مُصعَب بن الزبير ومن جملة أصحابه، قَتَله أصحاب المختار بن أبي عبيد بالمزار[2]، وقبره هناك ظاهر والخبر بذلك متواتر وقد ذكره شيخنا أبوجعفر في الحائريات لمّا سأله السائل عمّا ذكره المفيد في الإرشاد فأجاب بأنَّ عُبيد اللّه إبن النهشلية قَتَله أصحاب المختار إبن أبي عبيد بالمزار وقبره هناك معروف عند أهل تلك البلاد»[3].[4]

وبالنظر إلى كلام المامقاني وبقية كُتب التواريخ المعتبرة وبعض الروايات فإنَّ الإحتمال الأقوىٰ هو أنَّ الذي إستُشهد في كربلاء هو عبداللّه أو عُبيد اللّه إبن ليلىٰ بنت مسعود من بني تميم، والذي قُتِل في معمعة قتال المختار مع مُصعَب، هو عُبيد اللّه إبن النهشلية علىٰ الرغم من أنَّ نهشل هم فرع من تميم. و حسب رأينا فإنَّ هذا الإحتمال هوالصحيح، وأنَّ عُبيد اللّه بن أمير المؤمنين كان قد أُغتِيلَ ليلة المعركة بخطة وحيلة من مُصعَب (واللّه العالم).

وقال الطبري: إنَّ الواقدي ـ وهو من المؤرّخين الكبار ـ ذكر مجريات حرب مُصعَب مع المختار بهذا السياق: أن المختار إنما أظهر الخلاف لإبن الزبير عند قدوم مُصعَب البصرة وأنَّ مصعباً لما سار إليه فبلغه مسيره إليه بعث إليه أحمر بن شُميط البُجلي وأمرَه أن يواقعه بالمَذار وقال: إنَّ الفتح بالمَذار. قال: وانما قال ذلك المختار

---

(١) الإرشاد: ص١٦٨ في باب ذكر أولاد أمير المؤمنين، وص٢٣٣ في فصل أسماء مَن قُتلَ مع الحُسَين(ع).

(٢) المزار = المَذار.

(٣) السرائر: ص١٥٤، وراجع مقاتل الطالبيين: ص٨٧.

(٤) الرسائل العشر للشيخ الطوسي: ص٢٨٧.

لأنه قيل: إنَّ رجلاً من ثَقيف يُفتَح عليه بالمَذار فَتحُ عظيم، فظنَّ أنه هو، وإنما كان ذلك للحجّاج بن يوسف في قتاله عبدالرحمن بن الأشعث.

وأمرَ مُصعَب صاحب مقدّمته عبّاد الحُبطي أن يسير إلى جمع المختار فتقدم وتقدَّم معه عُبيد اللّه بن علي بن أبي طالب ونزل مُصعَب نهر البصريين علىٰ شط الفرات وحفر هنالك نهراً فسُمي نهر البصريين من أجل ذلك. قال وخرج المختار في عشرين ألفاً حتىٰ وقف بإزائهم وزحف مُصعَب ومن معه فوافوه مع الليل علىٰ تعبية، فأرسل إلى أصحابه حين أمسىٰ لايبرحنَّ أحد منكم موقفه حتىٰ يسمع منادياً ينادي يا محمّد، فإذا سمعتموه فاحملوا، فقال رجل من القوم من أصحاب المختار هذا واللّه كذّاب علىٰ اللّه وإنحاز ومَن معه إلى المصعب فأمهل المختار حتىٰ إذا طلع القمر أمر منادياً فنادىٰ يا محمّد ثمّ حَملوا علىٰ مُصعَب وأصحابه فهزموهم فأدخلوه عسكره فلم يزالوا يقاتلونهم حتىٰ أصبحوا وأصبح المختار وليس عنده أحد وإذا أصحابه قد وغلوا في أصحاب مُصعَب فانصرف المختار منهزماً حتىٰ دخل قصر الكوفة فجاء أصحاب المختار حين أصبحوا فوقفوا مليَّاً فلم يروا المختار فقالوا قد قُتِل فهرب منهم من أطاق الهرب واختفوا في دور الكوفة وتوجّه منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يجدوا من يقاتل بهم ووجدوا المختار في القصر فدخلوا معه.

وكان أصحاب المختار قَتلوا في تلك الليلة من أصحاب مُصعَب بشراً كثيراً فيهم محمّد بن الأشعث، وأقبل مُصعَب حين أصبح حتىٰ أحاط بالقصر فأقام مُصعَب يُحاصره أربعة أشهر يخرج إليهم في كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة من وجه واحد ولايقدر عليه».[1]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٧٦ ـ ٥٧٧.

حصار الكوفة

ذكرنا أن المختار عاد إلى الكوفة ليلاً مع بعض أصحابه وإستقروا في دار الإمارة وتحرَّك جيش مُصعَب نحو الكوفة حتىٰ نزل السَبخة فجعلها مقراً له وقسَّم قواته إلى مجاميع وإرسال كل منها إلى أحد أحياء الكوفة حتىٰ أحاطوا بدار الإمارة كاملة وقطعوا عنهم الماء والمؤَن، وكان المختار وأصحابه قرابة سبعة آلاف مستقرين في مركز المدينة ودار الإمارة والمسجد وكانوا قد تموضعوا حولها وأعدّوا مواقع للدفاع وقتال جيش البصرة.

«وبعثَ مُصعَب، عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث فنزل الكُناسة وبعثَ عبد الرحمن بن مخنف إبن سليم جَبّانة السَّبيع وقد كان قال لعبد الرحمن بن مخنف ما كنت صنعت فيما كنت وكَّلتك به قال أصلحك اللّه وجدت النّاس صنفين أما مَن كان له فيك هوىٰ فخرج إليك وأما مَن كان يرىٰ رأي المختار، فلم يكن ليدَعه ولا ليؤثِر أحداً عليه فلم أبرح بيتي حتىٰ قدمت. قال صَدَقت وبعث عبّاد بن الحصين إلى جبّانة كِندة فكل هؤلاء كان يقطع عن المختار وأصحابه الماء والمادّة وهم في قصر المختار وبعث زحر بن قيس إلى جبّانة مراد وبعث عُبيد اللّه بن الحر إلى جبّانة الصائديين».[١]

وكان أغلب مَن أوكل إليهم مُصعَب محاصرة الكوفة هم من أهل المدينة ذاتها ومن مسبيي حادثة كربلاء الفارّين من قبضة المختار والملتجئين إلى مُصعَب، أو من ذوي أشراف الكوفة الّذين قُتِلوا علىٰ يد المختار وأصحابه. لذا كانوا يحملون الضغينة والبغضاء للمختار وشيعة الكوفة. وبما أنّهم من أهل الكوفة فكانوا أعرف بغيرهم من أزقّتها وأحيائها وأهلها ومَن منهم مع المختار أوضده.

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٦٧.

لقد تمكّن مُصعَب من إستغلال هذه القوات والعناصر المناوئة للـثورة داخـل الكوفة بشكل كبير لصالحه. بحيث أصبحت مدينة الكوفة بكامل أحيائها وأزقّتها وميادينها والطرق المنتهية إلى قصر الإمارة، في دائـرة محـاصرة جـند وعـناصر مُصعَب بن الزبير. وبهذا أضحىٰ المختار وأصحابه إلى محاصرة كاملة بعد قطع الماء والمؤَن عنهم.

قتال الأزقة

أقام المختار والقلّة من أصحابه عدداً من الخنادق في وسط المدينة للإنطلاق منها في مطاردة جند مُصعَب بين الحين والآخر بهدف كسر طوق الحصار المـفروض علىٰ قصر الإمارة من جهة والحصول علىٰ الماء والمؤنة من جهة أخرىٰ، ومن ثمّ العودة إلى مواقعهم مرة أخـرىٰ. إلّا أن هـذا الأمـر لم يحـقق أي تـقدم للـمختار وأصحابه علىٰ صعيد الحرب في تلك البرهة.

قال فضيل بن خديج «لقد رأيت عبيد اللّه بن الحر وأنه ليطارد أصحاب خيل المختار يقاتلهم في جبّانة الصائديين ولربما رأيت خيلهم تـطرد خـيله وأنـه لوراء خيله يحميها حتىٰ ينتهي إلى دار عكرمة ثمّ يكر راجعاً هو وخيله فيطردهم حتىٰ يلحقهم بجبّانة الصائديين ولربما رأيت خيل عبيد اللّه قد أخذت السقاء والسقّائين فيُضرَبون».[1]

تضييق الحصار

تمكَّنت قوّات مُصعَب من فرض حصار كامل علىٰ دار الإمارة حتىٰ أنَّ الوضع

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٦٧ ـ ٥٦٩.

بات يتغير من سيئ إلى أسوأ يوماً بعد يوم. وكان أفراد هذا القصر البالغ عـددهم (٦٠٠٠) رجل يعانون بشكل مستمر من صعوبة الأوضاع المحيطة بهم بحيث وصل الأمر بهم إلى: «أنهم كانوا يُعطون بالراوية الدينار والدينارين لما أصابهم من الجهد وكان المختار ربما خرج هو وأصحابه فقاتلوا قتالاً ضعيفاً ولا نكاية لهم وكانت لا تخرج له خيل إلّا رُميَت بالحجارة من فوق البيوت ويُصب عـليهم المـاء القـذر واجترأ عليهم النّاس. فكانت معايشُهم أفضلها من نسائهم، فكانت المرأة تخـرج من منزلها معها الطعام واللطَف والماء قد إلتحفت عليه فتخرج كأنما تريد المسجد الأعظم للصلاة وكأنها تأتي أهلها وتزور ذات قرابة لها، فإذا دَنت من القصر فُتِـح لها فدخلت علىٰ زوجها وحميمها بطعامه وشرابه ولطَـفه. وإنَّ ذلك بـلغ مُـصعَب وأصحابه فقال له المهلّب وكان مجرّباً: إجعل عليهم دروباً حتىٰ تمنع مَن يأتيهم من أهليهم وأبنائهم وتدعهم في حصنهم حتىٰ يموتوا فيه وكان القوم إذا أشتد عـليهم العطش في قصرهم إستقوا من ماء البئر ثمّ أمرَ لهم المختار بعسَل فصُبَّ فيه ليغيّر طعمه فيشربوا منه فكان ذلك أيضاً مما يروي أكثرهم. ثمّ أنّ مصعباً أمرَ أصحابه فاقتربوا من القصر فجاء عبّاد بن الحصين الحبَطي حتىٰ نزل عند مسجد جُهينة وكان ربما تقدّم حتىٰ ينتهي إلى مسجد بني مخزوم وحتى يرمي أصحابه مَن أشرف عليهم من أصحاب المختار من القصر وكان لا يلقـىٰ إمرأةً قريباً من القصر إلّا قال لها: مَن أنتِ ومِن أين جئتِ وما تريدين؟ فأخذ في يوم ثلاثَ نسوة للشّـباميين وشاكر أتين أزواجهنّ في القصر فبعث بهنّ إلى مُصعَب وإنّ الطعام لمعهنّ، فردهنّ مُصعَب ولم يعرض لهنّ وبعث زحر بن قيس فنزل عند الحدّادين حـيث تُكـرىٰ الدّواب وبعث عبيد اللّه بن الحر فكان موقفه عند دار بلال وبعث محمّد إبن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فكان موقفه عند دار أبيه وبعث حَوشَب بن يزيد فوقف

عند زقاق البصريين عند فم سكة بني جَذيمة بن مالك من بني أسد إبن خـزيمة وجاء المهلّب يسير حتىٰ نزل جِهارسوج خُنيس، وجاء عبدالرحمن بن مخنف من قبل دار السقّاية وأبتدر السوق أناس من شباب أهل الكوفة وأهل البصرة أغمار ليس لهم علم بالحرب فأخذوا يصيحون وليس لهم أمير: يا إبن دومة يا إبن دَومة فأشرف عليهم المختار فقال: أما واللّه لو أن الذي يعيّرني بدَومة كان من القريتين عظيماً ما عيرَّني بها.[1]

هجوم المختار

تمحَّص المختار قوّات العدو من أعلىٰ القصر فرأىٰ تفرُّقهم وعدم إنضباطهم، لذا إحتمل أن ينجح في هزيمتهم حال الهجوم عليهم. «وبصر المختار بهـم وبـتفرّقهم وهيئتهم وإنتشارهم فطمع فيهم فقال لطائفة من أصحابه: أُخرجوا معي، فـخرج معه منهم نحو من مائتي رجل فكرَّ عليهم فشدخ نحواً من مائة وهزمهم فـركب بعضهم بعضاً وأخذوا علىٰ دار فرات إبن حيّان العِجلي، ثمّ أن رجلاً من بني ضَبَّة من أهل البصرة يقال له يحيىٰ إبن ضمضم كانت رجلاه تكاد أن تخُطّان الأرض إذا ركب من طوله وكان أقتلَ شيئ للرجال وأهيبه عندهم إذا رأوه، فأخذ يحمل علىٰ أصحاب المختار فلا يثبت له رجل صَمدَ صَمدَه، وبصر به المختار فحمل عليه فضربه ضربة علىٰ جبهته فأطار جبهته وقَحفَ رأسه وخرَّ ميتاً، ثمّ أن تلك الأمراء وتلك الرؤوس أقبلوا من كل جانب فلم تكن لأصحابه بهم طاقة فدخلوا القصر فكانوا فيه».[2]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٦٧ ـ ٥٦٩.

(٢) نفس المصدر: ص٥٦٩.

القَسَم بعدم الإستسلام

ولمّا إشتدَّ عليهم الحصار وآلَ أغلبهم إلى الضعف من قلّة الطعام والجهد الكبير ورأىٰ المختار ذلك فيهم صاح بهم: «ويحكم! إنَّ الحصار لا يزيدكم إلّا ضعفاً، أنزلوا بنا فلنقاتل حتىٰ نُقَتل كِراماً إن نحن قُتلِنا، واللّه ما أنا بآيس إن صدقتموهم أن ينصركم اللّه فضَعفوا وعجزِوا».(١)

وكان إقتراح المختار هذا حكيماً وفيه الكثير من العزّة والشَرف، إلّا أنَّ المحاصَرين والبالغ عددهم (٦) آلاف رجل لم يُولوا كلام المختار أهمية ولم يوافقوه الرأي والصحبة أملاً في نجاة أنفسهم من الموت، ليُثبتوا مرّة أخرىٰ صحة عدم وفاء الكوفيين في الظروف الحسّاسة. ولدىٰ رؤية المختار لهذه المعنويات الضعيفة والوهن المهيمن علىٰ المحاصَرين في القصر قال لهم: «أمّا أنا فواللّه لا أُعطي بيدي ولا أحكِّمهم في نفسي. ولما رأىٰ عبداللّه إبن جُعدة إبن هُبيرة بن أبي وهب ما يريد المختار تَدلَّىٰ من القصر بحبل فلحق بأناس من إخوانه فاختبئ عندهم».(٢)

التحريض علىٰ الخروج

سعىٰ المختار كثيراً إلى إقناع وتحريض المحاصَرين في القصر علىٰ الخروج وقِتال الأعداء بل وحذّرهم من التقاعس والبقاء في هذا الوضع المُذِل الذي سيؤدي بهم إلى الموت المحتَّم وبيَّن لهم بأنَّ إحتمال نجاتهم سيكون أكثر فيما لو خرجوا من القصر، أو الموت بعز وشرف عوضاً عن العيش في هذا القصر بذل وهوان. وقد خاطب أصحابه للمرة الأخيرة إذ قال: «ويلكم إنَّ الحصار لايزيدكم إلّا ضعفاً فانزلوا بنا

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٦٩.

(٢) نفس المصدر.

فنقاتل حتىٰ نُقَتل كِراماً إن نحن قُتِلنا فوالله ما أنا بآيس إن صدقتموهم أن ينصركم الله فضعفوا ولم يفعلوا فقال لهم: أما أنا فوالله لا أُعطي بيدي ولا أحكِّمهم في نفسي وإذا خرجت فقُتِلت لم تزدادوا إلّا ضعفاً وذلاً فإن نزلتم علىٰ حُكمهم وَثَبتْ أعداؤكم فقَتلوكم وبعضكم ينظر إلى بعض، فتقولون يا لَيتنا أطعنا المختار ولو أنّكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر مُتّم كِراماً».[1]

وأكّد لهم؛ «حين أبَوا أن يُتابعوه علىٰ الخروج معه: إذا أنا خرجت إليهم فقُتِلت، لم تزدادوا إلّا ضعفاً وذلاً فإن نزلتم حكمهُم وثَب أعداؤكم الّذين قد وتَرتموهم، فقالَ كلُّ رجلٍ منهم لبعضكم: هذا عنده ثأري فيُقتَل وبعضكم ينظر إلى مَصارع بعض، فتقولون: ياليتنا أطعنا المختار وعملنا برأيه! ولو أنكم خرَجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفر، مِتُّم كِراماً وإن هرب منكم هاربٌ فدخل في عشيرته إشتملت عليه عشيرته، أنتم غداً هذه الساعة أذلُّ مَن علىٰ ظهر الأرض فكان كما قال».[2]

القتال الأخير

بعد أن يأس المختار من أصحابه المحاصَرين وثَبت له عدم ولائهم مرّةً أخرىٰ وأيقن أنهم ليسوا رجال حرب وأنّهم سيعطون الذلّة من أنفسهم «أزمَع بالخروج إلى القوم حين رأىٰ من أصحابه الضعف ورأىٰ ما بأصحابه من الفشل فأرسل إلى إمرأته أم ثابت بنت سَمُرة بن جُندب الفزاري فأرسلت إليه بطيب كثير فاغتسل وتحنّط ثمّ وضع ذلك الطيب علىٰ رأسه ولحيته ثمّ خرج في تسعة عشرَ رجلاً فيهم السائب بن مالك الأشعري وكان خليفته علىٰ الكوفة إذا خرج إلى المدائن، وكانت تحته عَمرة بنت أبي موسىٰ الأشعري فولدت له غلاماً فسّماه محمّداً فكان مع أبيه

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٤، ص٢٧٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٧٠ ـ ٥٧٢.

في القصر فلمّا قُتل أبوه وأُخِذ مَن في القصر وُجِد صبياً فترُك.

ولمّا خرجَ المختار من القصر قال للسائب: ماذا ترىٰ؟

قال: الرأيُ لك فماذا ترىٰ؟

قال: أنا أرىٰ أمِ اللّه يرىٰ؟

قال: بل اللّه يرىٰ!؟

قال: ويحك؛ أحمق أنت! إنما أنا رجل من العرب رأيتُ إبن الزبير إنتزىٰ علىٰ الحجاز ورأيتُ نَجدَة إنتزىٰ علىٰ اليمامة ومروان علىٰ الشام، فلم أكن دون أحد من رجال العرب فأخذتُ هذه البلاد فكنتُ كأحدهم، إلّا أني قد طلبتُ بثأر أهل بيت النبي ﷺ إذ نامت عنه العرب، فقتلتُ من شرَك في دمائهم وبالغت في ذلك إلى يومي هذا، فقاتِل علىٰ حَسَبك إن لم تكن لك نيّة.

فقال: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، وما كنت أصنع أن أقاتل علىٰ حَسَبي.[1]

فقال المختار عند ذلك يتمثّل بقول غيلان إبن سلمة بن مُعتِّب الثقفي:

ولو يَراني أبو غيلانَ إذ حَسَرت عنّي الهمومَ بأمرٍ ماله طبَقُ

لقالَ رُهباً ورُعباً يُجمعان معاً غُنُم الحياةِ وهَولُ النفس والشَّفَقُ

إما تُسِف علىٰ مَجدٍ ومَكرمةٍ أو إسوة لك فِيمن تُهلِكَ الوَرَقُ

فخرجَ في تسعة عشر رجلاً فقال لهم: أتؤمّنوني وأخرج إليكم؟ فقالوا: لا، إلّا علىٰ الحكم. فقال: لا أُحكِّمكم في نفسي أبداً، فضارَبَ بسيفه.[2]

---

(١) وقصده إني أقاتل في سبيل اللّه. وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض المؤرّخين قد حرَّفوا كلام المختار مع السائب علىٰ نحو يوحي بان المختار أراد أن يقول: «إني جعلت الطلب بدم الحُسَين(ع) وسيلة للوصول إلى الحكم»، لكنّ ساحة المختار براء من هذا، وعمله المرضي لِلّه شاهد علىٰ أن المختار لم يكن يرمي سوىٰ رضىٰ اللّه والأخذ بالثأر والطلب بدماء شهداء كربلاء المظلومين.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٧٠ ـ ٥٧٢.

إستشهاد عائلة المختار

خلال مجريات محاصرة قصر الإمارة والقتال الذي دار عبر الكرّ والفر بين المحاصَرين وقوّات مُصعَب بن الزبير، كانت عشيرة المختار وأهل بيته من زُمرة المحاصَرين الّذين وثَبوا إلى حدِّ الجود بالنفس في حماية المختار ومؤازرته.

وينقل المؤرِّخون أنه «قُتِل حول المختار بن أبي عبيد الثقفي من أهل بيته خمسون رجلاً».[1]

---

(١) ذوب النضار لابن نما الحلّي: هامش ص٥٩، بلاغات النساء لابن طيفور: ص١٣٣، أعلام النساء لعمر رضا كحالة: ج١، ص٤٢١ طبعة بيروت.

الباب الثالث

إستشهاد المختار

أيُ وسام وفخر للإنسان أجلّ وأسمىٰ من الإستشهـاد تحت ظلال السيوف في سبيل اللّه. فالعِظام ذوّي الرفعة والسمو وأهل الشأن، يأبون علىٰ أنفسهم الموت في الفراش أو بذلّة، إنما يختارون أفضل السبل للرحيل عن هذه الدنيا.

المختار هذا البطل المضحّي والثائر لدماء الشهداء، قضىٰ أكثر مدّة حُكمه الذي إستمر لعام وبضعة أشهر، في سـاحات الحـرب وتـارةً في مـعاقبة قَـتَلة الإمـام الحُسَينعليه‌السلام وبرهةً في قتال جيش الشام، وأحياناً في مقارعة مناوئي الثورة، وأخيراً مع جيش مُصعَب بن الزبير.

إنّ جميع الثورات الشعبية والإلهية علىٰ مرّ التاريخ إصطدمت بكـثرة الأعـداء. فحينما تشعر أي جماعة أو فئة بالخطر علىٰ مـصالحها ومـنافعها، تسـعىٰ جـاهدة لتدمير وإنهاء تلك الثورات. والتاريخ بدوره يذكر أن جميع الإنتفاضات والثورات الإسلامية الأصيلة الّتي تمتلك الصبغة الإلهية والدفاعية عن المستضعفين، إمّـا أن تُخنَق في المهد أوتُحارَب بشتّىٰ السبل وخَلق الصعاب أمامها ومضايقة قادتها بغية إسقاطها والقضاء عليها.

لم يكن المختار محتّكاً بفرد أو مجموعة محدودة، بل كان يـقارع تـيّاراً تـاريخياً

منحرفاً. وهو التيار المعارض والمناهض لأهل بيت النبي ﷺ. وكان يتجسَّد ذلك مرّةً مع جيش الشام وأُمراء بني أُميّة، وأحياناً مع شخص مثل إبن الزبير وجيش البصرة، أوتارةً مع منافقي الكوفة. وعندما رأىٰ المختار أنَّ أصحابه المحاصَرون إختاروا الذلّة والهوان علىٰ الموت المخضَّب بدم الشهادة في سبيل اللّه، حزم أمره بعد إتمام الحجّة عليهم، «فخرج في تسعة عشر رجلاً... وضارَبَ بسيفه».(١)

لقد تمكّن المختار هذا الكهل الثوري الذي جمع كل جهده وهمته للدفاع عن مكانة أهل البيت المقدّسة والثأر والإنتقام لدماء شهداء كربلاء المظلومين، من تحقيق هدفه المقدّس بعيداً عن وجود أية أماني أخرىٰ لديه. والآن وبعد محاصرته من كل جانب وتباعد مواليه عنه إتَّجه المختار نحو إنتخاب الموت بعزّة علىٰ الحياة بذلّة. فقاتلَ ومن معه العدو بكل بسالة وشجاعة حتىٰ الرمق الأخير. فكانوا يكرّون تارة ويتراجعون أخرىٰ، وعندما شعر العدو بأنَّ هؤلاء يقاتِلون بروح الشهادة، جمعَ جلاوزته من كل حدبٍ وصوب للنيل من المختار الذي كان يُمثِّل الهدف الأساسي له. لقد إستمر حالة الكر والفر بين المختار ومَن معه مع قوّات مُصعَب بن الزبير حتىٰ حَي الزيّاتين المعروفة في الكوفة آنذاك. حيث إستُشهدَ أغلب أصحابه التسعة عشر، وهنا حَملَ المختار كالأسد الغاضب والصاعق العاصف علىٰ أعدائه بعد حثّ النفس علىٰ الشهادة والرضوان.

أضحىٰ المختار محاصراً بشكل كامل فكان يُحمَل عليه من كل صوب حتىٰ من فوق أسطح المنازل، فيما شدَّ عليه شخصين وهما «طَرفَة والآخر طرَّافاً أبناء عبدالله إبن دَجاجة».(٢)

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٧٠ ـ ٥٧٢، وفي أنساب الأشراف: عدهم ٢٩ نفراً.

(٢) في مروج الذهب: ج٣، ص١١٨، قتله رجل من بني حنيفة يقال له عبد الرحمن بن أسد واحتز رأسه. وفي الأخبار الطوال: ص٣٠٨، قتله أخَوان من بني حنيفة من أصحاب المهلّب.

من بني حنيفة، فطَعناه طعنات مهلكة بالسيف فسقط علىٰ أثرها بطَلنا الكهل والمنتقم الكبير لفاجعة عاشوراء من علىٰ جواده، فـاحتزا رأسـه «وأتـيا بـه إلى مُصعَب إبن الزبير، وقد دخل قصر الإمارة، فوضِعَ بين يديه، كما وُضِعَ رأس إبن زياد بين يدي المختار، وكما وُضِعَ رأس الحُسَين بين يدي إبن زياد، وكما سيوضَع رأس مُصعَب بين يدي عبدالملك بن مروان، فلمّا وضِعَ رأس المخـتار بـين يـدي مُصعَب أمرَ لهما بثلاثين ألفاً.»(١)

«ووجّه مُصعَب برأس المختار إلى عبداللّه بن الزبير مع عبداللّه بن عبدالرحمن. قال عبداللّه: فوافيت مكّة بعد العشاء الآخرة، فأتيت المسجد، وعبداللّه بن الزبير يُصلّي، قال: فجلست أنتظره، فلم يزل يصلّي إلى وقت السحر، ثمّ إنفتل من صلاته، فدنوت منه، فناولته كتاب الفتح، فقرأه، وناوله غلامه، وقال: أمسكه معك. فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا الرأس معي. قال: فما تريد؟ قلت: جائزتي. قال: خذ الرأس الذي جئت به بجائزتك. فتركته، وانصرفت.»(٢)

لقد إستَشهد المختار، بعدما شهدت مدينة الكوفة الملاحم البطولية لهذا الرجل الثائر من أجل الدفاع عن حياض أهل بيت الرسالة المظلومين. وبذلك خُـطَّ دم المختار الدافق علىٰ بلاطات الكوفة وفاضت روحه الطاهرة عن عُمرٍ ناهزَ السابعة والستين. قضىٰ أغلبه في الجهاد ومقارعة الظالمين خلال سبعة عـشر شهـراً مـن الحكم في سبيل هدفه المقدَّس ليلتحق في نهاية المطاف بركب الشهداء.

صلوات اللّه ورسوله وأوليائه علىٰ الروح الطاهرة لهذا المجاهد البطل والشهيد في سبيل أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٣١٨.

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ص٣٠٨.

تاريخ إستشهاد المختار

قال الطبري «وقُتِلَ المختار فيما قيل وهو إبنُ سبع وستين سنة لأربع عشرةَ خَلت من شهر رمضان في سنة سبع وستين للهجرة».[١]

وأما باقي التواريخ المعتبرة فتقول: إنّ المختار إستشهد عن عمر ناهز السبعة والستين لأنه ولِد في السنة الأولىٰ للهجرة.[٢]

ونقل بعضهم أنَّ تاريخ إستشهاد المختار كان في الرابع عشر من رمضان سنة سبع وستين.[٣]

إستشهاد أبناء حجر بن عدي

ومن جملة التسعة عشر رجلاً الّذين إستشهدوا بخروجهم مع المختار، إبنا حِجر بن عدي هذا الشهيد البطل الجليل والصاحب الوفي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال المؤرّخون: «وكان لحِجر بن عدي وَلَدان، عبداللّه وعبدالرحمن قُتِلا مع المختار لمّا غلَب عليه مُصعَب».[٤]

بعد الإستشهاد

بعد تمكُّن الكوفيون المنظوون تحت لواء مُصعَب، من تحقيق ما أطلقوا عليه

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٧٧.

(٢) التنبيه والإشراف للمسعودي: ص٢٧٠: خرج مستميتاً في نفر من أصحابه، فجالد حتىٰ قُتل. وذلك للنصف من شهر رمضان من سنة ٦٧ هجرية.

(٣) الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري، تحقيق الشيري: ج٢، هامش ص٣٢: وكان قتل المختار لأربع عشرة خلت من رمضان سنة ٦٧.

(٤) الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي: ج٢، ص٨١٣، الإصابة لابن حجر: ج٢، ص٣٤.

الإنتقام من المختار، قام جلاوزة مُصعَب بن الزبير باحتزاز رأسه الشريف والإتيان به لمصعب الذي أمرَ «بكفِ المختار فقُطِعت ثمّ سُمِرَت بمسمار! حديد جنبَ المسجد، فلم يزل علىٰ ذلك حتىٰ قدِم الحجَّاج بن يوسف فنظر إليها فقال ما هذه؟ قالوا كف المختار فأمر بنزعه، لأنَّ المختار كان من قبيلة الحجَّاج».(١)

«ولما كان من الغد من قَتل المختار، قال بجير بن عبدالله المسلي: يا قوم قد كان صاحبكم أمس أشار عليكم بالرأي لو أطعتموه. يا قوم إنكم إن نزلتم علىٰ حكم القوم ذُبحتُم كما تُذبح الغنم، أُخرجوا بأسيافكم فقاتلوا حتىٰ تموتوا كِراماً فعصَوه وقالوا: لقد أَمَرنا بهذا مَن كان أطوعَ عندنا وأنصحَ لنا منك فعصيناه؛ أفنحن نطيعك!».(٢)

الإستسلام بذلّة

«ولم تزل الستة آلاف ـ ألفين من العرب، وأربعة آلاف من العجم ـ الّذين دخلوا القصر ـ مع المختار ـ متحصِّنين فيه شهرين، حتىٰ نفد جميع ما كان المختار أعدَّه فيه من الطعام، فسألوا الأمان، فأبىٰ مُصعَب أن يعطيهم الأمان إلاّ علىٰ حُكمه فأرسلوا إليه: إنا ننزل علىٰ حكمك.»(٣)

وكان هذا لمّا نال الحصار والجوع والعطش منهم مناله «فأمكن القوم من أنفسهم ونزلوا علىٰ الحُكم فبعث إليهم مُصعَب عبّاد بن الحصين الحبطي فكان هو يُخرجَهم مكتَّفين وأوصىٰ عبدالله بن شدّاد الجشمي إلى عبّاد بن الحصين وطلبَ

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٧٢ ـ ٥٧٣، البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٣١٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٢٧٥.

(٢) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٧٠ ـ ٥٧٢.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ص٣٠٩.

عبدالله بن قُراد عصاً أو حديدة أو شيئاً يقاتل به فلم يجده وذلك أنَّ الندامة أدركته بعد ما دخلوا عليه فأخذوا سيفه وأخرجوه مكتوفاً فمرَّ به عبدالرحمن وهو يقول:

ما كنتُ أخشىٰ أن أرىٰ أسيراً إنَّ الّذين خالَفوا الأميرا
قد رُغموا وتُبرِّوا تتبِيرا

فقال عبدالرحمن بن محمّد بن الأشعث: عليّ بذا قدّموه إليّ أضرِب عُنقَه فقال له: أما إني علىٰ دين جَدّك الذي آمن ثمّ كفر، إن لم أكن ضربت أباك بسيفي حتىٰ فاظ. فنزل ثمّ قال: أدنُوه مني فأدنوه منه فقَتله فغضب عبّاد فقال: قَتلته ولم تُؤمَر بقتله! ومرَّ بعبد الله بن شدّاد الجشمي وكان شريفاً فطلب عبدالرحمن إلى عبّاد أن يحبسه حتىٰ يكلم فيه الأمير فأتىٰ مصعباً فقال إني أحب أن تدفع إليَّ عبدالله بن شدّاد فأقتله فإنّه من الثأر، فأمر له به فلمّا جاءه أخذه فضرب عُنَقه فكان عبّاد يقول أما والله لو علمتُ أنك إنما تريد قتله لدفعته إلى غيرك فقَتله ولكني حسبت إنك تكلِّمه فيه فتخلّي سبيله وأتىٰ بابن عبدالله بن شدّاد وإذا إسمه شدّاد وهو رجل محتلم وقد أُطّليَ بنورة، فقال إكشفوا عنه هل أدرَك! فقالوا لا إنما هو غلام، فخلوا سبيله. وكان الأسود بن سعيد قد طلب إلى مُصعَب أن يعرِض علىٰ أخيه الأمان فإن نزلَ تركه له فأتاه فعرض عليه الأمان فأبىٰ أن ينزل، وقال أموتُ مع أصحابي أحبّ إليَّ من حياة معكم، وكان يقال له قيس فأُخرِجَ فقُتل فيمن قُتل.»[١]

---

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٧٠ ـ ٥٧٢.

الأمر بالإبادة الجماعية

قال بُجير بن عبداللّه المُسلي ويقال كان مولىٰ لهم حين أتىٰ به مُصعَب ومعه منهم ناس كثير فقال له المسلي: الحمد للّه الذي إبتلانا بالإسار وإبتلاك بأن تعفو عنّا، وهما منزلتان إحداهما رضا اللّه والأخرىٰ سخطه، مَن عَفا عَفا اللّه عنه وزاده عزّاً ومَن عاقبَ لم يأمن القصاص، يا إبن الزبير نحن أهل قبلتكم وعلىٰ ملّتكم ولسنا تُركاً ولاديلماً فإن خالفنا إخواننا من أهل مصرنا فإمّا أن نكون أصبنا وأخطأوا وإمّا أن نكون أخطأنا وأصابوا فاقتتلنا كما إقتتلَ أهل الشام بينهم فقد إختلفوا وإقتتلوا ثمّ إجتمعوا، وكما إقتتلَ أهل البصرة بينهم فقد إختلفوا وإقتتلوا، ثمّ إصطلحوا وإجتمعوا وقد ملكتم فأسجِحوا وقد قَدرتم فاعفوا. فما زال بهذا القول ونحوه حتىٰ رقَّ لهم النّاس ورقَّ لهم مُصعَب وأراد أن يُخلّي سبيلهم فقام عبدالرحمن بن محمّد بن الأشعث فقال: تُخلّي سبيلهم! إخترنا يا إبن الزبير أو إخترهم. ووثب محمّد بن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، فقال: قُتِل أبي وخمسمائة من همدان وأشراف العشيرة وأهل المصر ثمّ تُخلّي سبيلهم ودماؤنا تُرقرق في أجوافهم! إخترنا أو إخترهم. ووثب كل قوم وأهل بيت كان أصيبَ منهم رجل فقالوا نحواً من هذا القول. فلمّا رأىٰ مُصعَب بن الزبير ذلك أمرَ بقتلهم، فنادوه بأجمعهم: يا إبن الزبير لا تقتُلنا، إجعَلنا مقدّمتك إلى أهل الشام غداً، فواللّه ما بك ولا بأصحابك عنّا غداً غنىٰ إذا لقيتم عدوّكم فإن قُتلنا لم نُقتل حتّىٰ نرقّهم لكم، وإن ظفرنا بهم كان ذلك لك ولمن معك. فأبىٰ عليهم وتبع رضا العامّة.»[1]

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٥٧٠ ـ ٥٧٢.

طلب بُجير

فلمّا علِموا أنَّهم مقتولون لامحالة «قال بُجير المسلي: إنّ حاجتي إليك ألّا أُقتَل مع هؤلاء إني أمرتهم أن يخرجوا بأسيافهم فيقاتلوا حتىٰ يموتوا كراماً فعصوني، فقُدّم فقُتِل».[١]

وقال أبو رَوق: «أن مسافر بن سعيد بن نمران قال لمصعب بن الزبير يا إبن الزبير ما تقول للّه إذا قدَمت عليه وقد قتلتَ أُمة من المسلمين صبراً! حَكّموك في دمائهم فكان الحقّ في دمائهم أن لا تقتل نفساً مسلمة بغير نفس مسلمة، فإن كان قَتَلنا عدّة رجال منكم، فاقتلوا عدّةَ مَن قَتلنا منكم وخلّوا سبيل بقيتنا، وفينا الآن رجال كثير لم يشهدوا موطناً من حربنا وحربكم يوماً واحداً، كانوا في الجبال والسواد يجبون الخَراج ويؤمّنون السبيل. فلم يستمع له فقال: قبّح اللّه قوماً أمرتهم أن يخرجوا ليلاً علىٰ حرس سكة من هذه السكك فنطردهم ثمّ نلحق بعشائرنا فعصوني حتىٰ حملوني علىٰ أن أعطيت الّتي هي أنقص وأدنىٰ وأوضع، وأبوا أن يموتوا إلّا ميتة العبيد، فأنا أسألك ألّا تخلط دمي بدمائهم. فقُدّم فُقتل ناحية».[٢]

حمّام الدم في الكوفة

«لما قُتلَ المختار، بعثَ مَن في القصر يطلب الأمان فأبىٰ مُصعَب حتىٰ نزلوا علىٰ حُكمه فلمّا نزلوا علىٰ حكمه، قتلَ من العرب سبعمائة أو نحو ذلك وسائرهم من العجم، قال فلمّا خرجوا أراد مُصعَب أن يقتل العجم ويترك العرب. فكلّمه مَن معه فقالوا: أيُ دينٍ هذا! وكيف ترجو النصر وأنت تقتل العجم وتترك العرب ودينهم

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٧٠ ـ ٥٧٢.

(٢) نفس المصدر : ص٥٧٢ ـ ٥٧٣.

واحد ـ أي أنهم شيعة علي عليه السلام. فقدَّمهم فضرب أعناقهم».[١]

وأمرَ مُصعَب بقتلهم جميعاً في ذلك اليوم، فسال حمّام الدم في أطراف دار الإمارة وفي أزقة الكوفة وسجَّل التاريخ لحظات مروِّعة من جرائم عَبَدة الدنيا وقد أظهر مرّة أخرىٰ مظلومية المستضعَفين.

قال أبوجعفر الطبري: «إنَّ علي بن محمّد قال: لما قُتِل المختار شاور مُصعَب أصحابه في المحصورين الّذين نزلوا علىٰ حكمه، فقال عبدالرحمن بن محمّد بن الأشعث ومحمّد إبن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس وأشباههم ممن وَتَرهم المختار أُقتلهُم».[٢]

إقتراح إبن الحر

«فقال عبيد اللّه بن الحر: أيُّها الأمير إدفع كل رجل في يديك إلى عشيرته تمن عليهم بهم، فإنهم إن كانوا قَتلونا فقد قتلناهم ولا غنىٰ بنا عنهم في ثغورنا، وأدفع عبيدنا الّذين في يديك إلى مواليهم فإنهم لأيتامنا وأراملنا وضعفائنا يردونهم إلى أعمالهم، وأقتل هؤلاء الموالي فإنهم قد بدا كفرهم وعظُم كبرهم وقلَّ شُكرهم، فضحك مُصعَب وقال للأحنف: ما ترىٰ يا أبا بحر؟ قال: قد أرادني زيادٌ فعصيته ـ يغرِّض بهم ـ فأمر مُصعَب بالقوم جميعاً فقُتِلوا، وكانوا ستة آلاف، فقال عُقبة الأسدي:

قَتَلتم ستَّةَ الآلاف صَبراً مع العَهد الموِّثقِ مكَتِفينا
جعلتم ذمَّة الحَبطي جسراً ذلولاً ظَهرُهُ للواطِئينا

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٧٢ ـ ٥٧٣.

(٢) نفس المصدر: ص٥٧٧.

وما كانوا غَداةَ دُعُـوا فـغُرُّوا بـــعَهدهِمْ بأوَّلِ خـــائِنينا

وكنتُ أمرتُهم لو طـاوَعُوني بضرَبٍ في الأزِقّة مُصلتِينا[١]

وقال محمّد بن يوسف: أنَّ مصعباً لَقِي عبداللّه بن عمر فسلَّم عليه وقال له أنا إبن أخيك مُصعَب، فقال له إبن عمر: نعم أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غَداة واحدة! عش ما استطعت! فقال مُصعَب: إنهم كانوا كفرةٌ سَحرة. فقال إبـن عمر: واللّه لو قَتلتَ عدَّتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سَرَفاً.»[٢]

«ولم تزل الستة الآف الّذين دخلوا القصر متحصِّنين فيه شهرين، حتى نفد جميع ما كان المختار أعدّه فيه من الطعام، فسألوا الأمان، فأبىٰ مُصعَب أن يعطيهم الأمان إلّا على حكمه. فأرسلوا اليه: إنّا ننزل علىٰ حكمك. فنزلوا عندما بلغ إليهم الجوع. فضرب أعناقهم كلّها، وكانوا ستة آلاف: ألفين من العـرب، وأربـعة آلاف مـن العجم.»[٣]

تجدر الإشارة هنا إلى أن العراق كان في ذلك الزمان من تـراب بـلاد فـارس وأرضها وبإنتصار الإسلام، غلب العرب عليه تدريجياً فأصبحت العربية هي اللغة الرسمية لأهلها. ويستفاد من التاريخ بأنَّ أهل الكوفة وهي مركز الخلافة وعاصمة العراق حينها كانوا يتكلَّمون اللغة الفارسية حـتى أوائـل القـرن الثـاني الهـجري القمري.

إستشهاد زوجة المختار

قال أبو علقمة الخثعمي: «أنَّ مُصعَب بعث إلى أم ثابت بنت سمرة بن جُندب

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٧٧.

(٢) نفس المصدر : ص٥٧٣ ـ ٥٧٨.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ص٣٠٩.

إمرأة المختار وإلى عَمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري وهي إمرأة المختار فقال لهما: ما تقولان في المختار؟ فقالت أم ثابت ما عسينا أن نقول! ما نقول فيه إلّا ما تقولون فيه أنتم، فقالوا لها إذهبي، وأما عَمرة فقالت: رحمة اللّه عليه إنه كان عبداً من عباد اللّه الصالحين، فرفعها مُصعَب إلى السجن وكتب فيها إلىٰ عبداللّه بن الزبير إنها تزعم أنه نبيّ، فكتب إليه أن أخرجها فاقتُلها. فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة فضربها مَطرٌ ثلاث ضربات بالسيف، ومطر تابع لآل قفل من بني تيم اللّه إبن ثعلبة، كان يكون مع الشُرط، فقالت: يا أبتاه يا أهلاه يا عشيرتاه! فسمع بها بعض الأنصار وهو أبان بن النعمان بن بشير، فأتاه فلطمه وقال له: يا إبن الزانية قطعت نفسَها قطع اللّه يمينك فلزمه حتىٰ رفعه إلى مُصعَب فقال إنَّ أمي مسلمة وأدّعىٰ شهادة بني قفل فلم يشهد له أحد، فقال مُصعَب خلّوا سبيل الفتىٰ فانه رأى أمراً فظيعاً.»[1]

وكان لقتل زوجة المختار صداً كبيراً في الكوفة، وقال الشعراء في هذا الأمر الكثير، قال سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك:

أتىٰ راكبٌ بالأمر ذي النَّبأ العجب	بقتل إبنة النعمان ذي الدِّين والحسَب
بقتل فتاةٍ ذاتِ دلٍّ ستيرةٍ	مُهذَّبة الأخلاقِ والخِيم والنَسب
مطَّهرةٍ من نَسل قوم أكارمٍ	من المؤثرين الخير في سالفِ الحِقب
خليل النبيِّ المصطفىٰ ونَصيرُهُ	وصاحبهُ في الحرب والنكبِ والكُرَب
أتاني بأنَّ الملحِدين توافَقوا	علىٰ قَتلها لأجنِّبوا القتلَ والسَّلَب
فلا هنأت آلَ الزبير معيشةٌ	وذاقوا لباسَ الذُّلِّ والخوفِ والحَرَب
كأنَّهم إذ أَبرزُوها وقُطِّعت	بأسيافِهم فازُوا بمملكة العَرَب

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٧٣ ـ ٥٧٨.

ألم تــعجَبِ الأقــوامُ مــن قــتلِ حُــرَّةٍ من المُحصنات الدّيــن محـمودةِ الأدب!
مـــن الغــافلاتِ المــؤمناتِ بَــريئةٍ مــن الذَّم والبُهـتان والشَّك والكـذِب
عــلينا كـتابُ القـتل والبأس واجبٌ وَهنَّ العَفافَ في الحِـجال وفي الحُـجُب
عــــلى دِيــنِ أجـــدادٍ لهـــا وأبـــوَّةٍ كِـرام مَـضَت لم تُخزِ أهـلا ولم تُـرِب
مـــن الخـــفِرات لا خَـــرُوجُ بَـذِّيةٌ مُـلائمة تَـبغي عـلىٰ جَـارِها الجُـنب
ولا الجار ذي القُربىٰ ولم تَدرِ ما الخـنا ولم تــزَدلِف يــوماً بُســوءٍ ولم تحِبّ
عــجبتُ لهــا إذ كُـفِّنت وهـي حَـيَّةٌ ألا إنَّ هذا الخَطبَ من أعجَبِ العجَب

أشعار إبن ربيعة

فقال عمر بن أبي ربيعة القرشي في قتل مُصعَب عَمرة بنت النعمان بن بشير:

إنَّ مِن أعـجب العـجائبِ عِـندي قَــتلَ بَـيضَاءَ حُــرَّةٍ عُـطبولِ[١]
قُـتِلَت هكــذا عـلىٰ غـيرِ جُـرمٍ إنَّ للّـــــهِ دَرَّهـــــا مـــن قَـتيلِ
كُـــتِبَ القــتلُ والقِــتَالُ عــلينا وعـلىٰ المحـصَناتِ جَـرُّ الذُّيـولِ[٢]

حديث أم المختار

من جملة من كان مع المختار في دار الإمارة أيام الحصار أُمه «دَوَمة الحسناء»، وكانت حينها عجوزاً كهل، «فلمّا قُتِل حول المختار بن أبي عبيد الثقفي من أهل بيته خمسون رجلاً وإنهزم النّاس، مرَّ أبو محجن بأُم المختار وإسمُها دَوَمة فقال: يا دَومَة إرتدِّي خلفي. قالت: واللّه لأن يأخُذني هؤلاء أحبّ إليّ من أن أرتدي خلفك.»[٣]

(١) المرأة العطبول هي: الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.
(٢) تاريخ الطبري: ج ٤، ص٥٧٣ ـ ٥٧٨.
(٣) بلاغات النساء لابن طيفور: ص ١٣٣.

إستيلاء إبن الزبير علىٰ الكوفة

بعد إستشهاد المختار وأصحابه دبَّ الرعب في الكوفة، وحكمها الخوف وتسلَّط الباقين من قَتلة الحُسَين عليه السلام، ومسببي فاجعة كربلاء الّذين كانوا في حماية مُصعَب مرةً أخرىٰ علىٰ أوضاع الكوفة وتولّو المناصب وقَمعوا النّاس المستضعفين خاصة الفُرس والموالي ممن كانوا يشكّلون البنية الأساسية للثورة، وقدتم تصفيتهم جسدياً. وبقي مُصعَب في الكوفة وعَيَّنَ الولاة والقادة علىٰ نواحي العراق وكان يرىٰ نفسه حاكم العراق بلامنازع بعد إستيلائه علىٰ مركزين مهمَّين فيه وهما البصرة والكوفة.

كتاب مُصعَب لإبراهيم بن مالك الأشتر

كما أسلفنا أنَّ إبراهيم بن مالك الأشتر وبعد فتحه الكبير علىٰ حدود العراق مع الشام وقتله إبن زياد وإبادته أغلب جند جيش الشام وبأمر من المختار عُيِّنَ والياً تام الإختيار علىٰ مناطق شمال غرب العراق وبقي هناك وعَيَّن عماله وولاته. ولم يشترك في معركة المختار مع مُصعَب، وكان مُصعَب يعلم أنَّ إبراهيم رجل له نفوذ كبير ومقتدر ومتدبِّر للأُمور، فمال إلى تطميعه بالمنصب كي يستميله و«يدعوه إلى طاعته ويقول له: إن أنت أجبتني ودخلت في طاعتي؛ فلك الشام وأعِّنة الخيل وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام لآل الزبير سلطان».[١]

نص الكتاب

«أمّا بعد فإنَّ اللّه قد قَتلَ المختار الكذَّاب وشيعته الّذين دانوا بالكفر وكادوا بالسّحر وإنا ندعوك إلى كتاب اللّه وسنّة نبيِّه وإلى بيعة أمير المؤمنين ـ عبداللّه بن

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٧٣.

الزبير ـ فإن أجبتَ إلى ذلك فأقبِل إليّ، فانَّ لك أرض الجزيرة وأرض المغرب كلّها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير، لك بذلك عهدُ اللّه وميثاقُه وأشدّ ما أخذ اللّه علىٰ النبيِّن من عهد أو عقد؛ والسلام».[1]

كتاب عبدالملك بن مروان

وكان قد وصل إلى إبراهيم الأشتر وبالتزامن مع رسالة مُصعَب بن الزبير، رسالة أخرىٰ من عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي في الشام وفيها:

«أما بعد فإن آل الزبير إنتَزوا علىٰ أئمة الهدىٰ ونازعوا الأمر أهلَه وألحدوا في بيت اللّه الحَرام واللّهُ ممكن منهم، وجاعل دائرةَ السوء عليهم، وإني أدعوك إلى اللّه وإلى سُنّة نبيّه، فإن قبلت وأجبت فلك سلطان العراق ما بقيتَ وبقيتُ لك عليَّ بالوفاء بذلك عهدُ اللّه وميثاقه».[2]

فدعا إبراهيم أصحابه فأقرأهم الكتاب وإستشارهم في الرأي «فقال بعضهم تدخل في طاعة عبد الملك وقال بعضهم تدخل مع إبن الزبير في طاعته، فقال إبن الأشتر: ذاك لو لم أكن أصبت عُبيد اللّه بن زياد ولا رؤساء أهل الشام؛ تبعت عبدالملك. ولكن ليس قبيلة تسكن الشام إلّا وقد وَتَرتُها ولست بتارك عشيرتي وأهل مصري! مع إني لا أُحب أن أختار علىٰ أهل مصري مصراً ولاعشيرتي عشيرة، فكتب إلى مُصعَب. فكتب إليه مُصعَب أن أقبل فأقبل إليه بالطاعة».[3]

«فلمّا بلغ مصعباً إقباله ـ أحسَّ مُصعَب بالقدرة والمكنة ورأىٰ نفسه غير ذي حاجة بالمهلّب ـ بعث المهلّب إلى عمله ـ في منطقة الجزيرة والموصل وآذربيجان

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٧٣.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

وأرمينية وأعطاه حكومة شمال العراق».[١]

«ولم تطُل المدّة لمصعب بالكوفة حتىٰ خرج إليه من الشام عبد الملك بن مروان متوجهاً إلى الكوفة، فخرج إليه مُصعَب في أهل العراق وإبن الأشتر ومَن معه في جيش عظيم حتىٰ إلتقيا، ووقعت بينهم الحرب، ولم تزل كتب أهل الشام تُورد علىٰ وجوه أهل العراق، حتىٰ خذلوا مصعباً وقَتلُوه ـ وكان له من العمر حينها (٣٦) سنة، وقُتِل يوم الخميس (١٥) جمادي الأولىٰ سنة (٧٢ للهجرة) ـ وقُتِلَ إبراهيم بن مالك الأشتر أيضاً ـ وكان له من العمر حينها أربعين سنة وإستُشهد في يوم الثلاثاء (١٣) جمادي الأولىٰ سنة (٧٢ للهجرة)، وهذه كانت سجيّة أهل العراق وطبيعتهم المعروفة».[٢]

وقال الطبري: «وأُثخِنَ مُصعَب بالرمي ونظر إليه زائدة إبن قُدامة ـ إبنُ عَم المختار ـ فشدَّ عليه فطعنه وقال «يا لثارات المختار»، فصرعه ونزل إليه عُبيد اللّه بن زياد بن ظبيان فاحتزَّ رأسه. وقال إنَّه قَتلَ أخي النابيَ بن زياد».[٣]

أربعة رؤوس مذبوحة

«في سنة (٧٢ للهجرة)، خرجَ من الشام عبدالملك بن مروان متوجِّهاً إلى الكوفة، فخرج إليه مُصعَب في أهل العراق وإبن الأشتر وَمن معه في جيش عظيم حتىٰ إلتقيا، ووقعت بينهم الحرب، وقُتِلَ إبراهيم بن مالك الأشتر ومُصعَب.[٤] وإستولىٰ عبدالملك علىٰ العراق ودخل الكوفة وجلس في قصر الإمارة وبين يديه

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٥٧٣.
(٢) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٥٠.
(٣) تاريخ الطبري: ج٥، ص٩.
(٤) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص١٥٠.

رأس مُصعَب».

إنَّ التاريخ مرآةٌ للعِبر وعضة البشر، فعندما نظر الحاضرون إلى هـذا المـشهد تداعت لهم مشاهد مماثلة في هذا المكان، فعن مسلم النخعي قال: كـنت جـالساً فرأىٰ عبدالملك مني إضطراباً فسألني فقلت: يا أمير المؤمنين دخـلتُ هـذه الدار فرأيت رأس الحُسين بين يَدي إبن زياد في هذا الموضع، ثمّ دخلتُ بعد ذلك فرأيت رأس إبن زياد بين يدَي المختار، ثمّ دخلتُ فرأيت رأس المختار بين يدي مُصعَب، ودخلتُ وهذا رأس مُصعَب بين يدَيك فوقاك اللّه يا أمير المؤمنين. فأمَر عبد الملك بهدم الطاق وتخريب القصر».[1]

مزار المختار

كان المزار الشريف للمختار ومنذ قديم الأيام، من المشـاهد المـتبرِّكـة عـند الشيعة، وله قُبّة كما نقل ذلك إبن بطوطة رَحّالة القرن السابع المشهور «المتوفي سنة (٧٧٩) للهجرة. إذ قال: ورأيتُ بغربي جبّانة الكوفة... قُبَّة أُخبرتُ أنَّها علىٰ قبر المختار بن أبي عبيد».[2]

بقي المرقد الطاهر لهذا الجليل ومنذ القدم متروكاً وغريباً وبِناءُه قديم مندرس، ولم يهتم به أحد بسبب الدعايات المغرضة والإهمال المتعمد والتُهم الباطلة وإنتشار الأحاديث الكاذبة والمزيَّفة الّتي أُطلقت لأجل إغتيال شخصية هذا البطل الثـائر علىٰ مرّ التاريخ.

---

(١) شجرة طوبىٰ للشيخ محمّد مهدي الحائري: ج١، ص١٢٣، البداية والنهـاية لإبـن كـثير: ج٨، ص٣١٨، تاريخ الكوفة للسيّد البراقي: ص١٠٧، مروج الذهب: ج٣، ص١١٧، حياة الحيوان للدميري: ج١، ص٩٣، وفيات الأعيان لإبن خلكان: ج٣، ص١٦٥.

(٢) مستدرك سفينة البحار للشيخ علي نمازي الشاهرودي: ج٩، ص٢٣٠.

إلّا أنه وبالرغم من كل هذا فإن اللّه هدىٰ قلوب بعض أوليائه للإهتمام بهـذا المزار الشريف، مما أدىٰ ذلك إلى البحث والتحقيق حول إنتساب هـذا القـبر إلى المختار والتأكد من صحة الأمر. وعلىٰ إثر التـنقيب للـمرقد المـقدَّس تم التـعرُّف وبهدىٰ من الباري تعالىٰ علىٰ مكان جسده الطاهر.

وقد شاع وتواتر في أخبار مشهورة ومنذ سنوات طويلة قيام بعض الأفاضل من كبار العلماء ببذل الجهود المشكورة لبناء هذا المرقد الشريف. ومنهم العـلّامة الأكبر شيخ العراقييّن الشيخ عبدالحُسَين طهراني(قدس‌سره)[1] الذي قام بـترميم وإعادة بناء هذا المرقد الواقع في موضع مرتفع في رواق (الصحن الشريف) لمرقد مسلم بن عقيل عليه‌السلام والملاصق بالمسجد (الجامع العظيم) بالكوفة مقابل مرقد هاني إبن عروة (رضوان اللّه عليه)، وذلك أثناء سفره إلى العراق للتشرُّف بزيارة العتبات المقدَّسة.

وبناءً علىٰ أوامر هذه العالم الجليل تم حفر المكان، وتم إكتشاف آثار خـراب قديمة قيل إنَّها تعود لحمّام قديم. فيما إستمر الحفر إلى ظهور العلائم الّتي دلَّت علىٰ القبر الشريف للمختار. عن العلّامة الكبير السيّد «الرضا»[2] إبن آية اللّه بحر العلوم

---

(١) قال الشيخ عبَّاس القُمّي: قال شيخنا في المستدرك في ذكر مشايخه: ومنها ما أخبرني به إجـازة شـيخي وأستاذي ومن إليه في العلوم الشرعية إستنادي، أفقه الفقهاء وأفضل العلماء، العالم العليم الرباني الشيخ عبد الحُسَين بن علي طهراني أسكنه اللّه تعالي بحبوحة جنته، كان نـادرة الدهـر وأعـجوبة الزمـان في الدقـة والتحقيق وجودة الفهم وسرعة الإنتقال وحسن الضبط والإتقان، وكثرة الحفظ في الفقه والحديث والرجال واللغة، حامي الدين ورافع شبهة الملحدين، جاهد في اللّه في محو صولة المبتدعين، أقام أعلام الشـعائر في العتبات العاليات، وبالغ بجهوده في عمارة القباب الساميات. توفي في ٢٢ رمضان سنة ١٢٨٦ للهجرة (الكنىٰ والألقاب: ج٢، ص٣٩٧ ـ ٣٩٨).

(٢) من العلماء الأعلام والفقهاء الكبار، له مؤلفات منها: كتاب في الفقه الإستدلالي في عشر مجلدات، وشرح اللمعة، وأصحاب الإجماع، وشرح الشرائع، توفي سنة ١٢٥٣ هجرية.

الطباطبائي (رحمه اللّه) قال: أن أباه كان إذا إجتاز الزاوية الشرقية بجنب الحائط القبلي من مسجد الكوفة ـ حيث يُعرَف بقبره الآن ـ يقول: لنقرأ سورة الفاتحة للمختار فيقرأها، فأمرَ الشيخ بحفر الموضع فظهرت صخرة منقوش عليها: «هذا قبر المختار بن أبي عبيد الثقفي».[1]

فعُلِم المكان قبراً له وهو خارج عن باحة المسجد تحت جداره القبلي وإن كان مدخله منه، وكانت سنة عمارته في حدود سنة (١٢٨٥) للهجرة، وقد نُقِل ذلك عن جماعة من الأعلام منهم، العلّامة الحجة الشيخ ميرزا حُسين بن الميرزا خليل طهراني النجفي[2] (قدس سره). وقد كتب علىٰ لوحة باب الدخول الرئيسية هذه العبارة: «قد أمَر السيّد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء بأن يُشَّيد هذا ضريحاً للمختار وعَيَّنا هذا الموضع قبراً له».[3]

وقد أعرب فقيه الشيعة الكبير العلّامة جعفر بن نما في «رسالة ذوب النضار» في شرح حال المختار عن أسفه كثيراً وتساءَل: «... وما زال السلف يتباعدون عن زيارته، ويتقاعدون عن إظهار فضيلته، تباعُد الضب عن الماء، والفراقد عن الحصباء، ونَسبوه إلى القول بإمامة محمّد إبن الحنفيّة[4]، ورفضوا قبره، وجعلوا

---

(١) تاريخ الكوفة للسيّد البراقي: ص١٠١.

(٢) ونقل تلك القصة بعينها العلّامة الخبير الأستاذ الميرزا محمّد علي الأردوبادي الغروي في رسالته الثمينة الّتي ألّفها في تنزيه المختار وأسماها (سبيك النضار) بسند أنهاه إلى شيخ العراقيين ثمّ قال بعد ذكر القصة ما هذا نصه: (يا هل ترىٰ أن شيخ العراقيين كان يعتقد في المختار إنحرافه عن سوي الصراط ثمّ يتهالك في تشييد قبره وإحياء ذكره فيكون إعادة لجدة أباطيله؟ أو أن آية اللّه بحر العلوم كان يعلم منه خلة في معتقده أو ضلة في نزعته ثمّ يقف علىٰ قبره ويعظّم محله ويقرأ له سورة الفاتحة فيعود ذلك نفخاً فيما أضرمه من مضلاته؟ لاها اللّه ليس هذا ولا ذاك وإنما عرفا منه ما عرف قبلهما العلماء الأعلام من صحة عقيدته وسداد رأيه ونهوضه بعبئ الجهاد في سبيل اللّه والدعوة إليه).

(٣) تنزيه المختار؛ المقرم: ص١٣ـ ١٤.

(٤) هو أبو القاسم محمّد الأكبر بن علي بن أبي‌طالب، والحنفيّة لقب أمه خولة بنت جعفر، كان كثير العلم

قربَهم[١] إلى اللّه هَجره مع قربه من الجامع وأن قبَّته لكل من خرج من باب مسلم بن عقيل كالنجم اللامع، وعدَلوا من العلم إلى التقليد ونسوا ما فعل بأعداء المقتول الشهيد وأنَّه جاهَد في اللّه حق الجهاد وبلغ من رضا زين العابدينعليه السلام غاية المراد، ورفضوا منقبته الّتي رقَّت حواشيها وتفجَّرت ينابيع السعادة فيها».[٢]

زيارة المختار

كتب العلّامة الأميني حول الزيارة الخاصة بالمختار يقول: «وقد بلغ من أكبار السلف له أنَّ شيخنا الشهيد الأوّل ذكرَ في مزاره زيارة تُخص به ويُزار بها، وفيها الشهادة الصريحة بصلاحه ونصحه في الولاية وإخلاصه في طاعة اللّه ومحبة الإمام زين العابدين، ورضا رسول اللّه وأمير المؤمنين صلوات اللّه عليهما وآلهما عنه، وأنَّه بذل نفسه في رضا الأئمة ونصرة العترة الطاهرة والأخذ بثأرهم».[٣]

والزيارة هذه توجد في كتاب «مراد المريد» وهي ترجمة مزار الشهيد للشيخ علي بن الحُسَين الحائري، وقد صحَّحها الشيخ نظام الدين الساوجي مؤلف «نظام الأقوال» ويَظهر منها أنَّ قبر المختار في ذلك العصر المتقادم كان من جملة المزارات المشهورة عند الشيعة وكانت عليه قُبَّة معروفة كما في رحلة إبن بطوطة.»[٤]

← والورع، شديد القوة، توفي سنة (٨٠ هجرية)، وقيل: (٨١ هجرية)، (تنقيح المقال: ج٣، ص١١٥، وفيات الأعيان: ج٥، ص٩١، الطبقات: ٥ ص٩١).

(١) في (نسخة): قربتهم.

(٢) ذوب النضار لابن نما الحلّي: ص٥٠ ـ ٥١.

(٣) الغدير للشيخ الأميني: ج٢، ص٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٤) نفس المصدر : ص ٣٤٤.

طلب المؤلف

ليس من الإنصاف أن يُصبح قبر هذا الرجل العظيم طيَّ النسيان والإهمال وعدم الإكثرات به والتجنُّب من زيارة هذا المرقد الشريف تأثراً بالدعايات المغرضة المسمومة لأعداء أهل البيت عليهم السلام.

فأي تمرُّد ومظلمة أكبر من هذا التعامل الفضّ وغير العادل إزاء رجل قام وإنتفض بكل إخلاص وتفاني من أجل الدفاع عن أهل بيت النبوّة والثأر لدم الإمام الحُسَين عليه السلام والشهداء من أصحابه المظلومين في كربلاء.

مؤلف الكتاب وبصفته مَن قضىٰ الكثير من الوقت في البحث والتدقيق حول شخصية هذا الرجل العظيم، سعىٰ جاهداً إلى إزالة غبار التعصُّب والجهل عن الصورة النورانية لهذا المجاهد الشهيد والمنتقم العادل وإثبات طهارة عقيدته وسلامة فعله ومقامه الرفيع عبر الروايات والأقوال والأدلّة الدامغة والموثَّقة. وهو يأمل أولاً من العلماء الأعلام والكبار في الملّة والدين والمحققين والباحثين والمؤلفين، ثمّ ثانياً من عموم المسلمين الأغيار الشرفاء خاصة من أتباع الإمام الحُسَين عليه السلام والسالكين طريق شهداء كربلاء المظلومين، والمنتقمين لدمائهم وجميع المطالبين بالحق، في الإطلاع علىٰ هذا الجهد المتواضع الهادف إلى كشف الحقائق وإماطة اللثام عن الأحكام غير المنصفة والجاحدة بحق شخصية المختار. والوقوف بكل إجلال وتواضع أمام هذا البحر من التضحية والجود الذي قدَّمه هذا الرجل وأصحابه الأوفياء. وكما أدخل السرور بعمله هذا علىٰ قلوب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فإننا وبالإلتزام بهذه الوصايا نُعلن عن تقديرنا وإعتزازنا بهذا القائد الإسلامي الفذّ. وإستذكاراً لخدماته الجليلة لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وتضحياته الثمينة مع أصحابه في إعلاء كلمة الحق، نقترح مايلي:

١ـ أن لايُحكَم علىٰ شخصية هذا الرجل دون بحث أوتحقيق.

٢ـ السعي لإبقاء إسم المختار حيّاً عبر تسمية الأبناء والأماكن والأزقّة والأحياء والشوارع والمراكز الإجتماعية بإسمه إعتزازاً بهذه الشخصية الفذّة. وكما هوالحال في أسماء الأبطال الآخرين نظير مالك الأشتر وميثم التّمار وسلمان والمقداد وغيرهم من عظماء الإسلام.

٣ـ الرجاء من المؤلفين وخاصه المتحدثين والخطباء وأهل المنبر، التركيز علىٰ الدفاع عن الشخصية الجليلة للمختار ودفع الشبهات المطروحة عنه وفقاً للأدلة الصحيحة وأقوال العظماء أمثال العلّامة الأميني في كتاب «الغدير» وباقي الفطاحل والعُلماء.

وفي الختام أشكر اللّه علىٰ التوفيق في إنجاز عملي المتواضع هذا حول ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي (رحمة اللّه عليه) في الثأر والإنتقام لدم الإمام الحُسَين عليه السلام الطاهر وأصحابه المظلومين الشهداء في واقعة كربلاء. وذلك بعد سنتين من البحث والتحقيق المستمر في هذا السفر.

وقد تم الإنتهاء منه في شهر جمادي الأولىٰ سنة (١٤٠٨ للهجرة النبويّة الشريفة).

وما توفيقي إلّا بالله ـ والسلام عليه وعلىٰ الشهداء وعليكم وعلىٰ إخواننا المسلمين ورحمة اللّه وبركاته.

والحمد للّه رب العالمين

سيّد أبو فاضل الرضوي الأردكاني

المصادر المعتمدة

- القرآن الكريم.
- آغا بزرك طهراني: الذريعة، دار البيطار، بيروت، ١٩٨٣م.
- آية اللّه العظمىٰ السيّد الخوئي: معجم رجال الحديث، طبعة بيروت.
- الأسفرايني: الفرق بين الفرق.
- إبن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة، دار الكتب العلمية، قم المقدسة، ١٣٧٨ هجرية.
- إبن إدريس الحلبي: السرائر، (دار نشر المعارف الإسلامية)، إيران، ١٣٩٠ هجرية.
- إبن الأثير: أسد الغاية، (دار النشر الإسلامي)، طهران.
- إبن الأثير: الكامل في التاريخ، (شركة النشر العلمي والثقافي)، طهران، ١٩٧٠م.
- إبن الصباغ المالكي: الفصول المهمة في معرفة الأئمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨هجرية.
- إبن المغازلي: مناقب علي بن أبي طالب، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٠٣ هجرية.
- إبن حبان البستي: الثقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٣هجرية.
- إبن حجر الهيثمي: الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة، طبعة مصر، و مكتبة الهدىٰ، النجف الأشرف، ١٣٨٧هجرية.
- إبن حيان: الأصول الستة عشر، تحقيق ضياء الدين المحمودي، دار الحديث، قم المقدسة، ١٣٨١ هجرية.
- إبن خلكان: وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨ هجرية.

- إبن شهر آشوب المازندراني: مناقب آل أبي طالب، المطبعة العلمية، قم المقدسة، وطبعة النجف الأشرف.
- إبن طاووس الحسيني: الملهوف على قتلى الطفوف.
- إبن طيفور: بلاغات النساء.
- إبن عبد البر القرطبي: الإستيعاب، الفجّالة، طبعة قديمة، القاهرة.
- إبن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- إبن عساكر الدمشقي: تاريخ دمشق، شرح حال الإمام الحُسَين(ع)، محمّد باقر المحمودي ،بيروت.
- إبن فهد الحلّي: عدّة الداعي.
- إبن قتيبة الدينوري: المعارف.
- إبن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت.
- إبن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، دارالمعرفة، بيروت، ١٩٩٨م.
- إبن كثير الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار صادر، بيروت.
- إبن ماكولا: إكمال الكمال.
- إبن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.
- إبن نشوان الحميري: الحور العين، طبعة بيروت.
- أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفي: الغارات، دارالأضواء، بيروت، ١٩٨٧م.
- أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفي: تعليقات كتاب الغارات.
- أبو العرب التميمي: كتاب المحن.
- أبو الفتح الشهرستاني: الملل والنحل، دار الإقبال، طهران، ١٣٥٠ هجرية.
- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار إحياء الترات العربي، بيروت، ١٩٦٣م.
- أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين.
- أبو المؤيد المكّي الخوارزمي: مقتل الحُسَين(ع)، تحقيق محمّد السماوي، دار الهدىٰ، قم المقدسة، ١٤١٨ هجرية.

- أبو تمام: ديوان أبي تمام.
- أبو علي الحائري: منتهىٰ المقال.
- أبو فاضل رضوي أردكاني: زيد بن علي، (دار نشر جمعية المدرسين) قم المقدسة، ١٩٨٨م.
- أبومخنف الأزدي: مقتل الحُسَين عليه السلام، دار الأعلمي، طهران.
- أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي: الإحتجاج، دار الأسوة، قم المقدسة.
- أبو نصر الجوهري: معجم الصحاح.
- أحمد الميانجي: مواقف الشيعة.
- أحمد بن أعثم الكوفي: كتاب الفتوح، دار الكتب الإسلامية، بيروت، ١٤٠٦ هجرية.
- أحمد بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة.
- أحمد بن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب.
- أحمد بن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري، المطبعة البهية المصرية، القاهرة، ١٣٤٨هجرية.
- أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أحمد بن داوود الدينوري: الأخبار الطوال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- أحمد بن وهب اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.
- أحمد بن يحيىٰ البلاذري: أنساب الأشراف، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، وطبعة مكتبة المثنّىٰ، بغداد، ١٩٨٨م.
- أحمد حُسين يعقوب: كربلاء، الثورات والمأساة، دار الغدير، بيروت، ١٤١٨هجرية.
- بدران الحنبلي: تهذيب تاريخ إبن عساكر، المكتبة العربية، دمشق.
- تقي الدين الحموي: خزانة الأدب.
- تقي الدين المقريزي: أمتاع الأسماع.
- جعفر بن محمّد بن قولويه القُمّي: كامل الزيارات، نشر مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٧٥هش.
- جعفر شهيدي: قراءة حديثة ثورة الإمام الحُسَين عليه السلام (باللغة الفارسية).

ـ جعفر شهيدي: تاريخ الإسلام التحليلي، (نشر الجامعة)، إيران، ١٩٨٤م.
ـ جلال الدين السيوطي: الخصائص الكبرىٰ، طبعة دار الكتاب العربي.
ـ جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، طبعة دار السعادة، القاهرة، ١٤١٦ هجرية.
ـ الحافظ المزي: تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، بيروت.
ـ الحافظ نور الدين الهيثمي: مجمع الزوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هجرية.
ـ الحاكم النيسابوري: المستدرك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هجرية.
ـ حسام الدين الهندي: كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩ هـ.ق. وطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، ١٣١٣ هجرية.
ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ترجمة أبو القاسم باينده (للفارسية)، (دار جاويدان)، طهران، ١٩٧٨م.
ـ حسن البراقي: تاريخ الكوفة.
ـ حسن الديار بكري: تاريخ الخميس، طبعة القاهرة، ١٢٨٣ هجرية.
ـ حُسين رجا: دفاع من وحي الشريعة.
ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، طبعة دار السعادة، القاهرة، ١٣٤٩ هجرية.
ـ خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.
ـ الدكتور إبراهيم بيضون: التوابون.
ـ الدكتور حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، (دار جاويدان)، طهران، ١٩٧٨م.
ـ سعيد أيوب: معالم الفتن.
ـ سليمان بن أحمد الطبراني: المعجم الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
ـ سليم بن قيس الهلالي: أسرار آل محمّد(ص)، تحقيق محمّدباقر الأنصاري، نشر الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦ هجرية.
ـ الشريف المرتضىٰ: الفصول المختارة.
ـ الشريف المرتضىٰ: رسائل المرتضىٰ، إعداد مهدي الرجائي، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت.

- شمس الدين الذهبي: تاريخ الإسلام.
- شمس الدين الذهبي: سيَر أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠ هجرية.
- شمس الدين الذهبي: ميزان الإعتدال، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هجرية.
- شهاب الدين المرعشي: شرح إحقاق الحق.
- الشيخ أبو الحسن الأشعري: المقالات الإسلامية، تاريخ الكَيسانيّة.
- الشيخ أبو العبّاس أحمد النجاشي: رجال النجاشي، مكتبة الداوري، قم المقدسة، ١٣٩٧هجرية.
- الشيخ أبوعلي الحائري: منتهىٰ المقال.
- الشيخ المحدث عبَّاس القُمّي: الكنىٰ والألقاب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٩م.
- الشيخ المحدث عبَّاس القُمّي: مفاتيح الجنان، فقرات من زيارة الإمام الحُسَين(ع)، مطبوعات مروي، ايران، ١٣٦٥ هش.
- الشيخ المحدث عبَّاس القُمّي: منتهىٰ الآمال، دار لقمان، إيران، ١٩٨٧م.
- الشيخ باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحُسَين(ع).
- الشيخ سعد الأشعري: المقالات والفرق.
- الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي: ينابيع المودة، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- الشيخ عبد الحُسَين الأميني: الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧ م.
- الشيخ عبد اللّه البحراني: عوالم العلوم، مكتبة الزهراء، إصفهان، ١٤٠٥هجرية.
- الشيخ عبد اللّه المامقاني: تنقيح المقال، المكتبة المرتضوية، النجف الأشراف، ١٣٥٢هجرية.
- الشيخ علي الكوراني العاملي: جواهر التاريخ.
- الشيخ علي نمازي الشاهرودي: مستدركات علم رجال الحديث.
- الشيخ علي نمازي الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار.
- الشيخ علي يزدي الحائري: إلزام الناصب.
- الشيخ قطب الدين الراوندي: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة.

- الشيخ محمّد الأردبيلي: جامع الرواة، (دار نشر)، طهران، ١٣٦٠ هـش.
- الشيخ محمّد باقر المجلسي: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م، وطبعة قم المقدسة، ١٣٩٤هجرية.
- الشيخ محمّد بن الحسن الحر العاملي: وسائل الشيعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١ هجرية.
- الشيخ محمّد بن الحُسَين بن بابويه القُمّي (الصدوق): الأمالي، (مؤسسة الأبحاث العلمية) مشهد المقدسة، ١٩٨٥م.
- الشيخ محمّد بن الحُسَين بن بابويه القُمّي (الصدوق): الخصال، بيروت.
- الشيخ محمّد بن الحُسَين بن بابويه القُمّي (الصدوق): عقاب الأعمال.
- الشيخ محمّد بن الحُسَين بن بابويه القُمّي (الصدوق): علل الشرائع، دار البلاغة، بيروت، ١٩٦٦م.
- الشيخ محمّد بن الحُسَين بن بابويه القُمّي (الصدوق): كمال الدين وتمام النعمة، دار نشر داوري، قم المقدسة.
- الشيخ محمّد بن الحُسَين بن بابويه القُمّي (الصدوق): من لايحضره الفقيه، المقدمة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٦م.
- الشيخ محمّد بن النعمان (المفيد): الإرشاد، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٧هجرية.
- الشيخ محمّد بن النعمان (المفيد): الأمالي، طبعة بيروت، ١٩٩٣م، وطبعة إيران (مركز الأبحاث الإسلامية)، مشهد المقدسة، ١٩٦٦م.
- الشيخ محمّد بن طاهر السماوي: أبصار العين في أنصار الحُسَين(ع).
- الشيخ محمّد بن عمر الكشي: رجال الكشي، طبعة بيروت، مجلدين.
- الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني: أصول الكافي، كتاب الحجة، دار نشر علميه إسلامية، طهران، ١٣٨٧ هجرية.
- الشيخ محمّد تقي التستري، قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤١٩هجرية.

ـ الشيخ محمّد مهدي الحائري: شجرة طوبىٰ.

ـ الشيخ مفلح الصيمري: إلزام النواصب.

ـ الشيخ نصير الدين الطوسي: إختيار معرفة الرجال، (جامعة مشهد)، مشهد المقدسة، ١٩٧٠م.

ـ الشيخ نصير الدين الطوسي: الأمالي، دار إحياء الترات العربي، بيروت، ١٩٦٣م.

ـ الشيخ نصير الدين الطوسي: الخلاف.

ـ الشيخ نصير الدين الطوسي: الرسائل العشر.

ـ الشيخ نصير الدين الطوسي: الغيبة، مكتبة بصيرتي، قم المقدسة، ١٣٨٥هجرية.

ـ الشيخ نصير الدين الطوسي: تلخيص الشافي.

ـ الشيخ نصير الدين الطوسي: تهذيب الأحكام، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٦هجرية.

ـ صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١ هجرية.

ـ عبَّاس محمود العقاد: أبو الشهداء.

ـ عبد الحُسَين شرف الدين: المراجعات، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٨هجرية.

ـ عبد الحي بن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩ هجرية.

ـ عبد الرحمن بدوي: الخوارج والشيعة.

ـ عبد الرزاق المقرم: مقتل الإمام الحُسَين(ع)، دارالكتاب، بيروت.

ـ عبد العظيم المهتدي البحراني: من أخلاق الإمام الحُسَين(ع).

ـ عبد الكريم السمعاني: الأنساب، طبعة بيروت.

ـ عبد اللّه الفياض: تاريخ الإمامية، طبعة بيروت.

ـ عبد اللّه بن جعفر الحميري: قرب الأسناد، مؤسسة آل البيت، قم المقدسة، ١٤١٣هجرية.

ـ عبد الملك العصامي: سمط النجوم العوالي.

ـ عبد المؤمن البغدادي: مراصد الإطلاع.

ـ العلّامة الحلّي: تذكرة الفقراء.

ـ العلّامة عبدالرزاق المقرم: تنزيه المختار، النجف الأشرف.

ـ العلّامة محسن الأمين العاملي: أصدق الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هجرية.
ـ العلّامة محسن الأمين العاملي: أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٨م.
ـ العلّامة محسن الأمين العاملي: مستدركات أعيان الشيعة.
ـ العلّامة محمّد حُسين الطباطبائي: تفسير الميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩١ هجرية.
ـ العلّامة مرتضىٰ العسكري: أحاديث أم المؤمنين عائشة، المجمع العلمي الإسلامي: الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨ هجرية.
ـ العلّامة نجم الدين الطبسي: دراسات فقهية.
ـ علي الحسيني الميلاني: الرسائل العشر، نشر الحقائق، إيران، ٢٠٠٨م.
ـ علي بن عيسىٰ الأربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة.
ـ علي بن محمّد الفخري: تاريخ الفخري، (شركة المطبوعات العلمية والثقافية)، طهران، ١٩٨٨م.
ـ علي حُسين الخربوطلي: تاريخ العراق.
ـ عمر رضا كحالة: أعلام النساء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣ هجرية.
ـ فتح اللّه بن محمّد جواد الأصبهاني: القول الصراح.
ـ فخر الدين الزهري: جواهر المطالب.
ـ فيليب حتي: تاريخ العرب.
ـ القاضي النعمان المغربي: شرح الأخبار.
ـ قطب الدين الراوندي: الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي(ع)، قم المقدسة، ١٤٠٩هجرية.
ـ قطب الدين المسعودي: إثبات الوصية، مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.
ـ قطب الدين المسعودي: التنبيه والأشراف، (شركة المطبوعات العلمية والثقافية) طهران، ١٣٤٩ هجرية.
ـ قطب الدين المسعودي: مروج الذهب، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩ هجرية، المكتبة التجارية الكبرىٰ، مصر، ١٩٦٤م.

- كمال الدين الدميري: حياة الحيوان، طبعة المكتبة الإسلامية، بيروت.
- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم: موسوعة شهادة المعصومين، منظمة الإعلام الإسلامي، مطبوعات نور السجَّاد، قم المقدسة.
- مرتضىٰ مطهري: الثورة الحسينية، دار صدرا، (انتشارات صدرا)، طهران، ١٤٠٧هجرية.
- مسلم إبن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، تحقيق الزيني، دار المعرفة، بيروت.
- مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.
- محسن فيض الكاشاني: المحجة البيضاء.
- المحقق محمّد شمس الدين العظيم آبادي: عون المعبود، دار الفكر، بيروت.
- المقدس الأردبيلي: حديقة الشيعة، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- محمّد الجواهري: المفيد من معجم رجال الحديث.
- محمّد الطبخي بن بطوطة: رحلة إبن بطوطة.
- محمّد بن الحُسَين الصفار: بصائر الدرجات، دار الأعلمي، طهران.
- محمّد بن الفتال النيسابوري: روضة الواعظين.
- محمّد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، دار سويدان، بيروت، طبعة قديمة.
- محمّد بن حيان: مشاهير علماء الأمصار.
- محمّد بن سعد الزهري: الطبقات الكبرىٰ، دار صادر، بيروت، ١٤٠٥ هجرية.
- محمّد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، طبعة بيروت، ١٩٧٣م.
- محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط.
- محمّد صالح المازندراني: شرح أصول الكافي، دار إحياء الترات العربي، بيروت.
- محمّد طاهر القُمّی الشيرازي: كتاب الأربعين.
- محمّد مهدي شمس الدين: ثورة الحُسَين(ع).
- محي الدين النووي: المجموع النووي.
- الميرزا النوري: مستدرک الوسائل.
- الميرزا محمّد المشهدي: تفسير كنز الدقائق، مؤسسة الطبع والنشر، إيران، ١٩٩٠م.

- نجم الدين أبو نما الحلّي: رسالة «ذوب النضار».
- نجم الدين أبو نما الحلّي: مثير الأحزان، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة.
- نصر بن مزاحم المنقري: وقعة صفّين، مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.
- نعيم بن حماد المروزي: كتاب الفتن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هجرية.
- نور اللّه الحسيني التستري: إحقاق الحق، مكتبة آية اللّه العظمىٰ المرعشي النجفي، قم المقدسة، ١٤٠٢ هجرية.
- ولي الدين بن خلدون الحضرمي: مقدمة إبن خلدون، (مركز إلنشر العلمي والثقافي).
- هاشم البحراني: حلية الأبرار، (مؤسسة المعارف)، قم المقدسة، ١٤١٣هجرية.
- هاشم البحراني: مدينة المعاجز.
- هاشم الحسيني: سيرة الأئمة الإثنىٰ عشر، المجلد الثاني.
- ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
- علي أكبر دهخدا: قاموس دهخدا.